فهرس بحوث المؤتمر العالمي الثاني للقراءات القرآنية:
التلقي القرءاني في العهد النبوي أنماط ومآلات

البحث	رقم الصفحة
ديباجة المؤتمر	5
المحور الأول: تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن	11
حديث القرءان عن تلقي النبي ﷺ القرءان د.رضا عبد المجيد المتولي إبراهيم ـ مصر	13
المنهج النبوي في التلقي القرآني د. عبد السلام مقبل عبده غالب (المجيدي) ـ اليمن	75
تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرءان الكريم د. أيمن صبحي صديق ـ مصر/ د. يوسف عبادي ـ مصر	169
المنهج النبوي في تلقي ألفاظ القرءان الكريم وتعاهده د. محمد مصطفى أحمد شعيب ـ مصر	243
آية التلقي في القرءان الكريم: دراسة في المفهوم اللغوي والتوظيف السياقي د. عدنان أجانة ـ المغرب	345

ظاهرة التخميس والتعشير في نزول القـرءان وأثرهـا في طرائـق التلقي الأول 379
د. عمر حمدان ـ ألمانيا
عرض القرآن في عهد النبي ﷺ: صوره وأنواعه 431
ذ. محمد سعيد بكران ـ اليمن
تعاهد القرءان الكريم في العهد النبوي: عرض ودراسة 479
د. سعيد بن محمد بن سعد الشهراني ـ السعودية
جبريل عليه السلام والتلقي النبوي 527
د. حمود بن غزاي الحربي ـ السعودية
دلالات حديث المعارضة والمدارسة وسياقاته 577
د. شكري مجولي ـ تونس ـ بريطانيا
العرضة الأخيرة: دلالتها وأثرها 613
د. ناصر بن سعود القثامي ـ السعودية
المحور الثاني: الإقراء النبوي 691
القراءة النبوية: أوصافها ومصطلحاتها وعناصرها وبيان مراتب القراءة دراسة تحليلية مقارنة 693
ذ. محمد برك خميس ـ اليمن
صفة قراءة النبي ﷺ وإقرائه 755
د. أشرف عقلة بني كنانة ـ الأردن

المدرسة النبوية في تعليم ألفاظ القرءان الكريم 961
د. منصور علي سالم ناصر العمراني ـ اليمن
روضة الأترجة في المقرأة النبوية 1027
ذ. يحيى بن أيوب بن محمد دولا ـ الهند
الإقراء النبوي وإقراره: المفهوم والمقتضيات 1069
دة. غنية بوحوش ـ الجزائر
الإجازة القرءانية: أصلها وحقيقتها 1119
د. أحمد مرجي صالح الفالح ـ السعودية
الإجازة القرءانية في العصر النبوي 1151
د. فهد المأمون الميموني ـ المغرب
المحور الثالث: مدونات الأمة في موضوع التلقي النبوي، تكشيف وتقويم ونقد 1233
البيان النبوي في التمهر بالقرءان الكريم: بحث في الضوابط والفضائل 1235
د. سالم غرم الله الزهراني ـ السعودية
حالات الإقراء النبوي من المصادر الشهيرة للحديث النبوي 1289
ذ. أحمد بن طاهر الدين بن عباس الخضري ـ بنجلاديش
أحاديث المعارضة والمدارسة: جمع ودراسة 1333
ذ. علي محمد عمر محمود ـ ليبيا

أحاديث العرضة الأخيرة: جمع ودراسة 1369
د. رضوان بن إبراهيم لخشين ـ الجزائر
المقاصد السامية في معرفة وجمع صحيح الصفات العلية والمناسبات البهية في قراءة خير البرية ﷺ 1495
د. مصطفى بورواض ـ المغرب
التلقي النبوي للقرءان الكريم في مصادر الشيعة: دراسة ونقد 1593
د. ناصر بن عبد الله بن علي القفاري ـ السعودية
دراسة آراء الإمام أبي عمرو الداني في مسألة القراءة والإقراء النبوي من خلال شرح القصيدة 1823
د. كامل بن سعود بن مطيران الجعفري العنزي ـ السعودية
مشاهد التلقي النبوي للوحي: أسرار الاصطفاء ونداءات الاحتفاء 1865
د. عبد الرزاق مرزوك ـ المغرب
نصب الراية باهتمام أهل الأداء بالتلقي والدراية: بيان وتأصيل 1887
د. مهدي دهيم ـ الجزائر
التلقي النبوي عند تيودور نولدكه: دراسة تحليلية نقدية من خلال كتابه «تاريخ القرءان» 1935
د. خالد نصر ـ الولايات المتحدة الأمريكية

المحور الأول:

تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرءان

حديث القرآن الكريم عن تلقي النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام

د. رضا عبد الحميد المتولي

أستاذ في كلية أصول الدين والدعوة فرع جامعة الأزهر بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذا بحث بعنوان: (حديث القرآن الكريم عن تلقي النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام)

هذا. ويتألف البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: تتناول خطة البحث.

التمهيد: يشتمل على: تعريف (التلقي) في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: تلقي النبي القرآن من جبريل في ضوء آيات القرآن الكريم والسنة النبوية وفوائده.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الآيات القرآنية التي تصرح بتلقي محمد ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام.

المطلب الثاني: الأحاديث النبوية الدالة على تلقي النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام.

المطلب الثالث: فوائد تلقي النبي ﷺ القرآن عن جبريل عليه السلام مشافهة.

المبحث الثاني: منهج القرآن في تحديد معالم تلقي النبي القرآن عن جبريل عليه السلام.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قراءة جبريل عليه السلام وانتهاؤه من القراءة.

المطلب الثاني: إنصات النبي ﷺ إلى قراءة جبريل عليه السلام.

المطلب الثالث: اتباع النبي ﷺ قراءة جبريل عليه السلام وقراءتُه بقراءتِه.

المبحث الثالث: محاذير نُهِي عنها النبي ﷺ أثناء التلقي عن جبريل عليه السلام ودلالتها.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحريك اللسان بالقراءة أثناء قراءة جبريل عليه السلام، ودلالته.

المطلب الثاني: التعجل بالقراءة قبل انتهاء جبريل منها، ودلالته.

المطلب الثالث: التعرض لجبريل عليه السلام بالاستفسار عن شيء من معاني القرآن أثناء التلقي عنه، ودلالته.

الخاتمة: تتضمن خلاصات البحث وآفاقه .

تمهيد

تعريف (التلقي) في اللغة والاصطلاح

معنى (التَّلقي) في اللغة:

(التَّلقي): مصدر مأخوذ من الفعل (تَلقَّى)، وتدل مادة (لقى) في اللغة على معنى الاستقبال والمواجهة وتوافي شيئين. [1]

ويأتي (التَّلقي) في اللغة على عدة معان:

الأول: أخْذُ الشيءِ بجِدٍ واجتهاد. ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [2] أي: أخذها تَلَقِّياً بجِدٍ واجتهاد. [3]

الثاني: الأخذُ والروايةُ. ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [4] أي: يأخُذُ بعضٌ عن بعض. [5]

ويروي بعضكم لبعض. [6] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [7] أي: يُلْقَى عليك فَتَلَقَّاه أنت، أي: تأخذه. [8]

---

(1) يراجع معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة « لقى » 5 / 260 وما بعدها بتصرف.

(2) سورة البقرة، من آية 37

(3) عمدة الحفاظ في تفسير الألفاظ للسمين الحلبي، مادة (لقي) 4 / 43

(4) سورة النور، من آية 15

(5) لسان العرب لابن منظور، مادة « لقا » 5 / 4066

(6) عمدة الحفاظ في تفسير الألفاظ للسمين الحلبي، مادة (لقي) 4 / 44

(7) سورة النمل، آية 6

(8) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة صـ322

الثالث: التعليم

ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [1] أي: تَعَلَّمها ودعا بها، وقوله ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [2] أي: ما يُعَلَّمها ويُوفَّق لها إلا الصابرون[3].

الرابع: الاستقبال [4] والتلقف

ومنه: تلقى فلان فلاناً: استقبله.ويتلقَّى الوحي: يستقبله ويأخذه ويتلقَّفُه، وخرجنا نتلقى الحجيج: نستقبلهم. [5] ومنه قول الشمَّاخ:

رأيت عَرَابة الأوسيَّ يسمو إلى الخيرات منقطعَ القرينِ

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عَرَابة باليمين [6]

أي: استقبلها.

الخامس: العطاء والقبول

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ [7]

---

(1) سورة البقرة، من آية 37

(2) سورة فصلت، من آية 35

(3) تهذيب اللغة للأزهري، مادة «لقى » 9 / 300، لسان العرب لا بن منظور، مادة « لقا » 5/ 4067

(4) تهذيب اللغة للأزهري، مادة « لقى » 9 / 229

(5) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي 1 / 259

(6) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي 3 / 38

(7) سورة النمل، آية 6

قال ابن عطية رحمه الله:» «تُلَقَّى» تُفَعَّل، مضاعف لقي يلقى، ومعناه تُعْطَى، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [1] قال الحسن البصري: المعنى: إنك لَتَقْبَلُ القرآن.

قال القاضي أبو محمد: ولا شك أنه يفيض عليه فَضْلُ الله تعالى فيقبله ﷺ.» [2] وقال القَفَّالُ: التلقي التعرض للقاء، ثم يوضع موضع القبول والأخذ، ومنه ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ [3]، تَلَقَّيْتُ هذه الكلمةَ من فلانٍ: أَخَذْتُها منه. [4]، وتلقي العلم: استقباله وأخذه بحرص. [5]

ومما سبق نستطيع أن نقول: تلقي النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام معناه: استقبال النبي ﷺ لما يرويه له جبريل عليه السلام عن الله تعالى من ألفاظ القرآن الكريم، والاحتفاء به، وأخذه عنه بِجِدٍ واجتهاد.

وأما مصطلح «تلقي القرآن» فهو: « أن يأخذَ طالبُ قراءة القرآن وحفظه عن مقرئه كيفيةَ قراءة القرآن ، سماعاً منه ليقرأه بتلك الكيفية ». وتشمل الكيفيةُ نُطقَ الحروف من مخارجها متصفة بصفاتها ، كما تشمل التزامَ كيفية ما يعتري الحروف والكلمات عند نطقها

(1) سورة فصلت، آية 35
(2) المحرر الوجيز لابن عطية 11 / 168
(3) سورة النمل، آية 6
(4) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان 1 / 259
(5) معجم لغة الفقهاء. د/ محمد رواس قلعجي صـ 145

مركبة في القرآن الكريم من أحكام تستجد لها عند تركيبها بعضها مع بعض مثل الإدغام والقلقلة والمد والغَن وغير ذلك .[1]

المبحث الأول: تلقي النبي القرآن من جبريل في ضوء آيات القرآن الكريم والسنة النبوية وفوائده

من المعلوم أنَّ القرآن الكريم نزل على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: نزوله إلى اللوح المحفوظ، ومعنى ذلك إثباته فيه جملة واحدة، وفي ذلك جاء قول الله تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾[2]

المرحلة الثانية:نزوله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا. ومعنى ذلك إثباته فيه جملة واحدة. وفي ذلك جاء قوله تعالى:﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[3] وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[4] وقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[5] وليلة القدر هي الليلة المباركة، وهي من شهر رمضان.

المرحلة الثالثة: نزوله على النبي ﷺ، ومعنى ذلك نزول حامله ـ وهو جبريل عليه السلام ـ به ليبلغه إلى النبي ﷺ مفرقاً في مدة ثلاث وعشرين سنة.[6] وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[7] وهناك من

(1) التلقي والأداء في القراءات القرآنية . أ .د/ محمد حسن جبل صـ52
(2) سورة البروج، آية 21، 22
(3) سورة البقرة، من آية 185
(4) سورة الدخان، من آية 3
(5) سورة القدر، آية 1
(6) الوحي والقرآن الكريم د/ محمد حسين الذهبي صـ 106
(7) سورة الإسراء. آية 106

النصوص القرآنية والنبوية ما يدل على نزول جبريل بالقرآن على النبي ﷺ وتلقيه منه، وهاك التفصيل والبيان.

المطلب الأول: الآيات القرآنية التي تصرح بتلقي محمد ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام

الآية الأولى: قال تعالى ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [1] والضمير في قوله: « **فَإِنَّهُ**» لجبريل عليه السلام، والمعنى: فإن جبريل نَزَّل القرآن على قلبك. « قال العلاَّمة الطيبي: لعلَّ نزول القرآن على النبي ﷺ أن يَتلقَّفه المَلكُ من الله تعالى تلقفاً روحانياً، أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول فيلقيه عليه. » [2]

الآية الثانية: قال تعالى ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [3] ورُوحُ الْقُدُسِ: جبريل عليه السلام. وهذا أصح الأقوال. [4]

---

(1) سورة البقرة، الآية: 97

(2) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي 1/ 289 ط / مجمع الملك فهد.

(3) سورة النحل، الآية: 101، 102

(4) المحرر الوجيز لا بن عطية 1 / 386

الآية الثالثة: قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [1] والرُّوحُ الْأَمِينُ: جبريل عليه السلام.

الآية الرابعة: قال تعالى ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [2] وقوله تعالى: «**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**» يعني جبريل عليه السلام في قول سائر المفسرين.[3]

الآية الخامسة: قال تعالى ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [4] والرسول الكريم: جبريل عليه السلام في قول الجمهور.[5]

وفي قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ إسناد الوحي إلى قول المَلَك، ولا معارضة بينه وبين قوله تعالى حكاية عمن قال من الكفار: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾[6]؛ لأنهم كانوا ينكرون الوحي، وينكرون مجيء المَلَك به.[7]

وهنا تنبيه وهو: رفع موهم الاختلاف والتناقض بين بعض آيات القرآن الكريم في تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم.

---

(1) سورة الشعراء، الآيات 192ـ 195

(2) سورة النجم، الآيات 1ـ 5

(3) تفسير القرطبي 20 / 11

(4) سورة التكوير، الآيات 15ـ 21

(5) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان 10 / 418

(6) سورة المدثر، آية 25

(7) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني 1 / 51

هذا وقد يبدو أن هناك تعارضاً بين بعض آيات القرآن في قضية تلقي النبي ﷺ القرآن.

فقد سبق ذكر الآيات التي تصرح بتلقي النبي ﷺ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام.

وهناك آيات تصرح بتلقيه ﷺ القرآن من الله تعالى، كقوله عز شأنه ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [1] وهذا لا يعارض ذاك؛» لأن المَلَك يلقي القرآن إلى محمد ﷺ من قِبَل الله تعالى. «[2]، ومن ثَمَّ وصف القرآن بأنه: ﴿تَنزِيلُ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3]

كما أن هناك في القرآن الكريم ما يفيد نسبة القرآن الكريم إلى محمد ﷺ، كقوله تعالى ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [4]

وأرجح الأقوال في المراد بالرسول الكريم في هذه الآيات: أنه محمد ﷺ، لأن قولهم شاعر أو كاهن إنما كان في حقه عليه الصلاة والسلام، لا في حق جبريل عليه الصلاة

(1) سورة النمل، الآية 6
(2) التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسي 8 / 76
(3) سورة الواقعة آية 80، سورة الحاقة آية 43
(4) سورة الحاقة، الآيات 38 ـ 43

والسلام، لما تحداهم وأعجزهم. [1] وأضيف القول إلى محمد ﷺ لأنه هو الذي تلاه وبلَّغه. [2] كما في قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [3]

ويحتمل أن يراد بالرسول الكريم: جبريل عليه السلام، والمراد أن القرآن قول يلقيه جبريل عن الله، لا من تلقاء نفس النبي عليه الصلاة والسلام، لا أنه شاعر أو كاهن كما زعمتم، والمقصود إثبات حقية القرآن على القولين. [4]

المطلب الثاني: الأحاديث النبوية الدالة على تلقي النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام

الحديث الأول: أخرج الإمام البخاري بسنده عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِي قَالَ: أُنْبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأُمِّ سَلَمَةَ مَنْ هَذَا، أَوْ كَمَا قَالَ: قَالَتْ هَذَا دِحْيَةُ فَلَمَّا قَامَ قَالَتْ: وَاللهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلاَّ إِيَّاهُ حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ يُخْبِرُ خَبَرَ جِبْرِيلَ. [5]

والغرض من إيراد البخاري هذا الحديث في صحيحه، في كتاب « فضائل القرآن » بيان أن السفير بين الله وبين محمد ﷺ جبريل عليه السلام. [6]

---

(1) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي 9 / 261

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية 15 / 79

(3) سورة البينة، آية 2

(4) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي 9 / 261

(5) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي أول ما نزل. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني 11 / 153 ح رقم 4980

(6) فضائل القرآن للحافظ ابن كثير صـ13

الحديث الثاني: أخرج البخاري بسنده عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ. (1)

والشاهد واضح في قول النبي ﷺ « أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ »، ففيه نص على إقراء جبريل له ﷺ، فأفاد أن جبريل شيخه عن الله تعالى.

الحديث الثالث: معارضة جبريل للنبي ﷺ بالقرآن الكريم ذكره البخاري في الصحيح، في كتاب « فضائل القرآن « باب «كَانَ جِبْرِيلُ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.»

عَنْ عَائِشَةَ عَنْ فَاطِمَةَ – عَلَيْهَا السَّلاَمُ – أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلاَّ حَضَرَ أَجَلِي. (2)

وأخرج بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لأَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. (3)

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني 11 / 184 ح رقم 4991

(2) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني 11 / 217 و كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، فتح الباري 8 / 298 ح رقم 3624

(3) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني 11 / 217 ح رقم 4997

قول البخاري: «كَانَ جِبْرِيلُ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. « بكسر الراء من العرض وهو بفتح العين وسكون الراء أي يقرأ، والمراد يستعرضه ما أقرأه إياه. والمعارضة مفاعلة من الجانبين؛كأن كُلاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع. (1)

وقول ابن عباس في الحديث السابق: «يعرض عليه رسولُ الله ﷺ القرآنَ » هذا عكس ما وقع في الترجمة «كَانَ جِبْرِيلُ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ»؛ لأن فيها أن جبريل كان يعرض على النبي ﷺ، وفي هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يعرض على جبريل، وفي رواية أخرى في كتاب «بدء الوحي» بلفظ: «وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن » (2)، فيحمل على أن كلاً منهما كان يعرض على الآخر. (3)

الحديث الرابع: جاء في رواية صحيحة لابن أبي شيبة والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « وضع القرآن في بيت العزة في السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ. » وإسناده صحيح. (4)

المطلب الثالث: فوائد تلقي النبي ﷺ القرآن عن جبريل عليه السلام مشافهة

كان لابد من تلقي النبي ﷺ القرآن عن جبريل عليه السلام مشافهة لأميته ﷺ، وعدم معرفته القراءة والكتابة. كما وصفه الله تعالى بذلك في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني 11 / 217 وما بعدها.
(2) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني 1 / 68 ح رقم 6.
(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني 11 / 218 وما بعدها.
(4) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ، كتاب التفسير 2 / 242 ح رقم 2881 وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وفتح الباري لا بن حجر 11 / 155

ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ [1] وقولـه: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِـٱللَّهِ وَرَسُـولِهِ ٱلنَّـبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُـؤْمِنُ بِـٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ [2] وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَـا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُـورًا نَّهْـدِى بِـهِۦ مَـن نَّشَـآءُ مِـنْ عِبَادِنَـا ۚ وَإِنَّـكَ لَتَهْـدِىٓ إِلَىٰ صِـرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3]

كما أن التلقي مشافهة عن جبريل عليه السلام يدل على كـمال الأداء، والصـيانة مـن التصحيف والغلط.

قال الحافظ ابن كثير: « فأما تلقينُ القرآن من فم الملَقِّن أحسن، لأن الكتابـة لا تـدل على كمال الأداء، كما أن المشاهد من كثير ممن يحفظ من الكتابـة فقـط يَكثُـــر تصـحيفُه وغلطُه. » [4]

وهناك فائدة أخرى سوى ما تقدم نبه عليها الشيخ المفسـر أحمد الصـاوي، فقـال: « والحكمة في تلقي رسول الله ﷺ عن جبريل ظاهراً أنَّه يكـون سُـنَّة مُتَّبَعَـة لأمَّتـه؛ فهـم مأمورون بالتَّلقِّي من أفواه المشايخ، ولا يفلح من أخذ العلم أو القرآن من السطور، بل التلقي له سر آخر. »[5]

(1) سورة الأعراف من آية 157
(2) سورة الأعراف، من آية 158
(3) سورة الشورى، آية 52
(4) كتاب فضائل القرآن لا بن كثير صـ109
(5) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين 2 / 55

المبحث الثاني: منهج القرآن في تحديد معالم تلقي النبي القرآن عن جبريل عليه السلام

وفيه مطالب:

المطلب الأول: قراءة جبريل عليه السلام وانتهاؤه من القراءة

أولُ مَعْلَم من معالم منهج القرآن الكريم الذي رسمه للنبي ﷺ في التلقي عن جبريل عليه السلام هو أن يقرأ جبريل عليه السلام حتى ينتهي من قراءة النَّجم[1] الذي نزل به. وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعلم في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [2]

ومعنى « **قَرَأْنَاهُ** »: قرأه المَلَكُ الرسولُ (جبريل) عنا. [3] ، وقيل المعنى: أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عيه السلام المُبَلِّغ عنا. [4]، وقيل المعنى: فرغ جبريل عليه السلام من القراءة. [5] وهذه المعاني كلها مرادة، وهي من قبيل اختلاف التنوع، لا التضاد. والمراد: إذا قرأ جبريل وأتم قراءته وفرغ منها فخذ أنت في القراءة.

---

(1) سمَّى العلماء الآية أو الآيات التي ينزل بها جبريل عليه السلام نجماً؛لشبهه بالنَّجم السماوي في الهداية والاهتداء.

(2) سورة القيامة، الآية 18

(3) المحرر الوجيز لابن عطية 15 / 216

(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي 10/ 29 / 179

(5) تفسير جزء تبارك للشيخ / عبد القادر المغربي صـ242

من بلاغة النص الكريم:

أولاً: التعبير بحرف الشرط « إذا » يدل على تحقق الشرط. قال البلاغيون: الأصل في « إذا » أن يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه، كما تقول: « إذا طلعت الشمس آتيك». [1] وهذا يؤكد تحقق قراءة جبريل والفراغ منها. ومما يدل على أن المراد بقوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾: قراءة جبريل عليه السلام ما ورد عن حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما؛ فقال: « ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ يَقُولُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ [2]، وفي رواية أخرى عنه: « ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فَإِذَا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ [3]

ثانياً: إسناد الفعل « قَرَأ » إلى ضمير التعظيم لله تعالى« نا » إسناد مجازي. [4]

على طريقة المجاز العقلي [5]، والقرينة واضحة. [6] فالفعل « **قَرَأْنَاهُ** » كان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقي الذي هو « جبريل » إذ هو الفاعل حقيقة، فيُقَال: فإذا قرأه

---

(1) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني صـ91

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة القيامة، باب «إن علينا جمعه وقرآنه » فتح الباري بشرح صحيح البخاري 11 / 47 ح رقم 4928

(3) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير، سورة القيامة، باب « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » فتح الباري بشرح صحيح البخاري 11 / 48 ح رقم 4929 ،و كتاب فضائل القرآن ، سورة القيامة، باب الترتيل في القراءة، فتح الباري بشرح صحيح البخاري 11 / 298 ح رقم 5044

(4) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي 9 / 343

(5) المجاز العقلي: إسناد الفعل أو ما يدل على معنى الفعل إلى غير ما حقه أن يُسند إليه لعلاقة، مع قرينة صارفة عن أن يكون الإسناد إلى ما هو له أي على حقيقته. المنهاج الواضح في البلاغة للأستاذ/ حامد عوني 1 / 120

(6) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 14 / 29 / 349

جبريل، لكنه أسند إلى الآمر والسبب الباعث الذي هو « الله » المعبر عنه بضمير العظمة إسناداً مجازياً، من قبيل إسناد ما للمأمور إلى الآمر.

قال ابن حجر: « وفي هذا إضافة الفعل إلى الله، والفاعل له من يأمره بفعله، فإن القارئ لكلامه تعالى على النبي ﷺ هو جبريل. » [1]

والغرض من إسناد القراءة إلى الله تعالى بهذا المجاز مع أن القارئ هو جبريل عليه السلام أمور:

الأول: تشريف وتعظيم جبريل عليه السلام، وإشارة إلى عدم تبديل شيء من القرآن، ولو كان يسيراً، فقراءة جبريل جاءت على وَفْق ما أراد الله، فكأنه هو القارئ.[2]

الثاني: تشريف، وتكريم النبي، الذي يسمع آيات اللهّ متلوة عليه من ربه، وإن كان جبريل عليه السلام، هو الذي ينقلها إلى النبي..

وهذا يعنى أن الرسول ـ صلوات اللهّ وسلامه عليه ـ إذ يتلقى آيات اللهّ، من جبريل عليه السلام، يجد فيها نداء الحق سبحانه وتعالى له، ويسمع خطابه سبحانه وتعالى إليه. ونقول ـ واللهّ أعلم ـ إن النبي ـ صلوات اللهّ وسلامه عليه ـ حين كان يوحى إليه بآيات اللهّ، يسمع ما يوحى إليه لفظا من جبريل، ومعنى من اللهّ سبحانه وتعالى.. [3]

الثالث: بيان أن قراءة جبريل على النبي ﷺ بأمر الله تعالى وإذنه وإرادته.

---

(1) فتح الباري 17 / 563

(2) مفاتيح الغيب للرازي 16 / 32، إعراب جزء تبارك. د / عبد الفتاح سليم. صـ251

(3) التفسير القرآني للقرآن للأستاذ / عبد الكريم الخطيب 15/ 1323 وما بعدها.

قال العلامة الخازن: « وجعل قراءة جبريل عليه السلام قراءته تعالى؛ لأنه بأمره نزل بالوحي » [1]

فقوله: « **قَرَأْنَاهُ** » من قبيل إسناد فعل المأمور إلى الآمر، والمعنى: إذا قرأ جبريل عيك بأمرنا وفرغ من قراءته فاقرأه حينئذ. [2]

الرابع: بيان أن الله تعالى هو الذي أقدر جبريل عليه الصلاة والسلام على تأدية القرآن الكريم إلى محمد ﷺ كما حمله إياه. [3]

الخامس: بيان أن جبريل عليه السلام ليس له من أمر القرآن شيء، لا من ألفاظه ولا من معانيه، إلا مجرد النقل والبلاغ عن الله تعالى.

السادس: في استعمال الفعل « **قَرَأْنَاهُ** » هنا دلالةٌ على أن جبريل كان يقرأ بأمر الله على رسوله من صحائف قد كُتِبَ عليها النَّصُّ المُنَزَّلُ على الرسول، إشعاراً بكمال الضبط. لأن القراءة هي في الأصل متابعةٌ في النُّطق لصحائف مكتوبة، ثم تَوَسَّعت الدلالة فصارت تُطْلَق القراءةُ على النُّطق بما هو محفوظ في الذاكرة، ولهذا لَمَّا عرض جبريل عليه السلام على الرسول محمد ﷺ في غار حراء عند بدء الوحي خطَّاً مكتوباً وقال له « اقرأ» كان جواب الرسول: ما أنا بقارئ، أي: لم أتعلَّم القراءة والكتابة، فأنا لا أعرف رموز

(1) تفسير الخازن 4 / 335

(2) حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي 4 / 581

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي 21 / 101

الخطوط حتى أقرأها، ولو قال له: انطق بما أقرأ عليك لنطق متابعاً لـه، بـدءاً مـن المـرة الأولى التي قال له فيها: اقرأ.[1]

المطلب الثاني: إنصات النبي ﷺ إلى قراءة جبريل عليه السلام

المعلم الثاني من معالم منهج القرآن الكريم الـذي رسـمه للنبـي ﷺ في التلقـي عـن جبريل عليه السلام هو أن ينصت النبي ﷺ انصاتاً تاماً إلى قراءة جبريـل عليـه السـلام حتى يفرغ من القراءة. وإلى هـذا المعلـم أشـار الله تعـالى في قولـه: ﴿فَـإِذَا قَرَأْنَـهُ فَـٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [2]

ومعنى « **فَاتَّبِعْ** »: فاسْتَمِعْ له وأنصِتْ، ويدل على ذلك ما ورد عن ابن عبـاس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَـهُ وَأَنْصِـتْ [3] والاستماع: الإصغاء له. والإنصات: السكوت، ولا يلزم من الاستماع الإنصات، فقـد يستمع ولا ينصت، فلهذا جمع بينهما [4]، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُـرْءَانُ فَٱسْـتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[5]

---

(1) معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ / عبد الرحمن الميداني 2 / 491 وما بعدها.

(2) سورة القيامة، الآية 18

(3)أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بـدء الـوحي إلى رسـول الله ﷺ. فـتح الباري 1 / 65 ح رقم 5، و كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: « لا تحرك به لسانك » وفعـل النبـي ﷺ حين يُنزَلُ عليه الوحي. فتح الباري بشرح صحيح البخاري 17 / 562 ح رقم 7524

(4) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم 2 / 403

(5) سورة الأعراف، الآية 204

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما الاقتصار على الاستماع فقط، قال: « ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فَإِذَا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ.» [1]

والقرآنُ في الأصلِ مصدرُ « قَرَأْتُ «، بمعنى القراءة، ثم صارَ عَلَماً لِما بين الدَّفَّتْينِ، ويَدُلُّ على كونِه مصدراً في الأصلِ قولُ حَسَّان في عثمانَ رضي الله عنهما:

ضَحُّوا بأَشْمَطَ عنوانُ السجودِ به يُقَطِّعُ الليلَ تسبيحاً وقُرْآنا [2]

أي: قراءة. والمراد بالقرآن في قوله ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾: المعنى المصدري، القراءة. والضمير لجبريل. وعُبِّر بالقرآن عن القراءة تعظيماً للقراءة، أي: اتَّبع قراءة جبريل. [3]

والمعنى:إذا قرأ القرآن عليك جبريل فاستمع لقراءته وأنصت حتى يكمل قراءته.

وهذا المعنى للاتباع (الاستماع والإنصات) هو المناسب لسياق الآيات؛حيث نهى الله سبحانه نبيه ﷺ عن التعجل بقراءة القرآن قبل أن يكمل جبريل عليه السلام قراءته، ثم أتبع ذلك بإرشاده إلى طريقة تلقي القرآن بعدما تكفل له بجمعه له وتيسير قراءته. [4]

هذا وأورد البخاري عن ابن عباس من طريق مقطوع تفسير الاتباع بالعمل بالقرآن الكريم. قال البخاري:

---

(1)أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير، سورة القيامة، باب « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » فتح الباري بشرح صحيح البخاري 11 / 48 ح رقم 4929، كتاب فضائل القرآن ، سورة القيامة، باب الترتيل في القراءة، فتح الباري بشرح صحيح البخاري 11 / 298 ح رقم 5044

(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي 2 / 280

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي 21 / 101

(4) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة. د/ عبد العزيز الحميدي 2 / 953 وما بعدها.

قال ابن عباس ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾: اعمل به. [1]

ورجح الإمام فخر الدين الرازي القول الأول في تفسير الاتباع بالاقتداء والائتمام بقراءة جبريل عليه السلام، فقال عنه: « وهذا الوجه أولى، لأنه عليه السلام أمِر أن يدع القراءة ويستمع من جبريل عليه السلام، حتى إذا فرغ جبريل قرأه، وليس هذا موضع الأمر باتباع ما فيه من الحلال والحرام » [2]

وتابعه على هذا الترجيح الإمام الخازن، فقال: « ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ أي:لا تكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحى إليك، فإذا فرغ جبريل من القراءة، فخذ أنت فيها. وقيل معناه: اعمل به واتبع حلاله، وحرامه.والقول الأول أولى لأن هذا ليس موضع الأمر باتباع حلاله وحرامه، وإنما هو موضع الأمر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته؛ فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا نزل عليه جبريل بالوحي أصغى إليه، فإذا فرغ من قراءته وعاه النبي ﷺ وحفظه. » [3]

وقد امتثل النبي ﷺ هذا الأمر، فكان ﷺ إذا ألقى جبريل عليه القرآن أطرق واستمع، فإذا ذهب قرأه في نفسه كما علَّمه ربه؛ فيجده محفوظاً منقوشاً على لوح قلبه الشريف. ويدل على ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما: « فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ

(1) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير، سورة القيامة، باب: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) فتح الباري 11 / 48

(2) مفاتيح الغيب للرازي 16 / 32

(3) تفسيرالخازن 4 / 335

فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللهُ » [1] وفي رواية أخرى عنه أيضاً قال: « فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ. » [2]

المطلب الثالث: اتباع النبي ﷺ قراءة جبريل عليه السلام وقراءته بقراءته

المعلم الثالث من معالم منهج القرآن الكريم الذي رسمه للنبي ﷺ في التلقي عن جبريل عليه السلام هو أن يتبع النبي جبريل في قراءته، فيقرأ بها.

وإلى هذا المعلم أشار الله تعالى في قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [3] معنى الاتباع: مراجعة الثاني للأول في ما يقتضيه، ومثله الاقتداء والاحتذاء والائتمام، ونقيضه الخلاف. [4] والاتباع هنا: عبارة عن قراءته ﷺ كما قرأ جبريل عليه السلام. [5]

وضمير الغائب في قوله ﴿ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ لجبريل عليه السلام. والتقدير: فإذا انتهت قراءة جبريل فاقرأ أنت. [6] والمعنى: فإذا قرأه جبريل عليك فاقرأ قراءته.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير، باب « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » فتح الباري 11/ 48 ح رقم 4929، وكتاب فضائل القرآن ، سورة القيامة، باب الترتيل في القراءة، فتح الباري بشرح صحيح البخاري 11 / 298 ح رقم 5044

(2) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ. فتح الباري بشرح صحيح البخاري 1 / 65 ح رقم 5، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: « لا تحرك به لسانك » وفعل النبي ﷺ حين يُنزَلُ عليه الوحي. فتح الباري بشرح صحيح البخاري 17 / 562 ح رقم 7524

(3) سورة القيامة، الآية 18

(4) التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي 10 / 196

(5) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي 9 / 343

(6) فتح الباري بشرح صحيح البخاري 11 / 50

وبعض من فسر الاتباع هنا باقتداء النبي بقراءة جبريل عليه السلام، ذكر أن جواب شرط « إذا » في قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ محذوف، وهو استمع وأنصت. وقوله ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ جواب شرط مقدر، وهو فإذا فرغ جبريل فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ.

قال العلامة الشيخ عبد القادر المغربي: « ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ عليك بواسطة جبريل فاستنصت حتى يفرغ، وإذا فرغ ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي تتبع في نفسك قراءة جبريل مصغياً؛وكن على ثقة من وعدنا لك بأنك تحفظه ويرسخ في قلبك. »[1]، وهذا من بلاغة الإيجاز والحذف في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: محاذير نهي عنها النبي ﷺ أثناء التلقي عن جبريل عليه السلام ودلالتها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحريك اللسان بالقراءة أثناء قراءة جبريل عليه السلام، ودلالته

كان النبي ﷺ حين ينزل عليه القرآن في أول عهده بالوحي يتلقَّفه متعجلاً؛فينازع جبريل القراءة؛ فيحرك به لسانه وشفتيه ولم يصبر حتى يتمها، فكان يتبع جبريل عند تلفظ كل حرف وكل كلمة ، مسارعة إلى الحفظ لئلا ينفلت منه شيء، فنهاه الله تعالى عن ذلك بقوله:

(1) تفسير جزء تبارك. صـ 242

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [1] إذ ربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها. [2] وهنا مسائل:

أولاً: معاني مفردات النص الكريم

الحركةُ: ضد السكون، ولا تكون إلا للجسم، وهو انتقال الجسم من مكان إلى مكان. [3]

التحريك: تغيير الشيء من مكان إلى مكان أو من جهة إلى جهة بفعل الحركة فيه، والحركة: ما به يتحرك المتحرك. والمتحرك هو المنتقل من جهة إلى غيرها. [4]

والضمير في « بِهِ » للقرآن الكريم، وإنما جاز هذا الإضمار وإن لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه [5]، كما أضمر في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [6] ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [7]

وبهذا يتضح لنا قول ابن حجر: «والضمير في » بِهِ « عائد على القرآن وإن لم يجر له ذكر، لكن القرآن يرشد إليه، بل دل عليه سياق الآية. » [8] واللسانُ: جارحة الكلام. [9] [9] أي: آلة النطق أو الكلام.

---

(1) سورة القيامة، الآيتان 16، 17

(2) روح المعاني للآلوسي 6 / 16 / 268

(3) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، مادة « حرك » صـ229

(4) التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسي 10 / 196

(5) مفاتيح الغيب للرازي 16 / 30

(6) سورة القدر، آية 1

(7) سورة طه، من آية 114

(8) فتح الباري لا بن حجر 11 / 49

(9) لسان العرب لابن منظور، مادة « لسن » 5 / 4029

والعَجَلَةُ: طلبُ الشيءِ وتحَرِّيه قبلَ أوانِه. [1] يعني:العجلةُ: طلب عمل الشيء قبل وقته الذي ينبغي أن يُعمَل فيه، ونقيضه: الإبطاء، والسرعة: عملُ الشيء في أول وقته الذي هو له، وضده الأناة. [2]

ثانياً: سبب نزول النص الكريم.

بين ابن عباس رضي الله عنهما سبب نزول هذا النص الكريم، وأورده البخاري في مواضع متعددة في الصحيح على حسب منهجه في تكرار الحديث الواحد ووضعه تحت تراجم متنوعة لتنوع الاستشهاد به. وإليك أهم هذه الروايات:

(1) أخرج الإمام البخاري بسنده عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ - فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ - فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ قَالَ: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ. [3]

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن للراغب، مادة «عجل » صـ548

(2) التبيان في تفسير القرآن للطوسي 10 / 196

(3) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ. فتح الباري بشرح صحيح البخاري 1 / 65 ح رقم 5

(2) وأخرج أيضاً بسنده عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ حَرَّكَ بِهِ لِسَانَهُ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ - يُرِيدُ أَنْ يَحْفَظَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾. (1)

(3) وأخرج أيضاً عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ أَنَّهُ سَأَلَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ قَالَ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ فَقِيلَ لَهُ ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾- يَخْشَى أَنْ يَنْفَلِتَ مِنْهُ - ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ وَقُرْآنَهُ أَنْ تَقْرَأَهُ ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾ يَقُولُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أَنْ نُبَيِّنَهُ عَلَى لِسَانِكَ. (2)

(4) وأخرج أيضاً عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ فَأَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ الَّتِي فِي ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ قَالَ عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ وَقُرْآنَهُ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ فَإِذَا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ قَالَ: فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللهُ (3)

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير، سورة القيامة، باب « لا تحرك به لسانك لتعجل به » فتح الباري بشرح صحيح البخاري 11 / 44 ح رقم 4927

(2) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير، سورة القيامة، باب « إن علينا جمعه وقرآنه » فتح الباري بشرح صحيح البخاري 11 / 47 ح رقم 4928

(3) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير، سورة القيامة، باب « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » فتح الباري بشرح صحيح البخاري 11 / 48 ح رقم 4929

(5) وأخرج أيضاً عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ فَأَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ الَّتِي فِي﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ، ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ فَإِذَا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ قَالَ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ قَالَ: وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللهُ. (1)

(6) وأخرج أيضاً عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فَقَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ أُحَرِّكُهُمَا لَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُحَرِّكُهُمَا ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا. فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾. قَالَ: جَمْعُهُ فِي صَدْرِكَ ثُمَّ تَقْرَؤُهُ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ قَالَ:فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَقْرَأَهُ. (2)

وبالنظر في مجموع هذه الروايات يظهر فيها الدلالات التالية، وهي:

أولاً: سبب نزول النص الكريم.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، سورة القيامة، باب الترتيل في القراءة، فتح الباري بشرح صحيح البخاري 11 / 298 ح رقم 5044

(2) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: « لا تحرك به لسانك » وفعل النبي ﷺ حين يُنزَلُ عليه الوحي. فتح الباري بشرح صحيح البخاري 17 / 562 ح رقم 7524

ذُكِر في الحديث سبب نزول قوله تعالى[1]: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾، وهو أن النبي ﷺ في أول نزول جبريل ـ عليه السلام ـ عليه بالقرآن الكريم كان يحرك به شفتيه ولسانه أثناء قراءة جبريل والتلقي عنه، فنهاه الله تعالى عن ذلك.وقوله « وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ» أي: لكل حرف عقب سماعه من جبريل عليه السلام [2]، قبل أن يتم القراءة ويقضيها أو يفرغ منها.

ثانياً: أن صيغة سبب النزول التي ذكرها ابن عباس رضي الله عنهما صريحة في السببية.

تكون صيغة سبب النزول صريحة في السببية إذا صرَّح الراوي فيها بلفظ السبب، بأن قال: « سبب نزول الآية كذا»، أو أتى بفاء تعقيبية داخلة على مادة نزول الآية بعد ذكر حادثة أو سؤال، كما إذا قال: «حدث كذا فأنزل الله كذا »، أو « سُئِل رسول الله عن كذا فنزلت الآية ». [3] وبالنظر في الروايات السابقة ما عدا الرواية الثالثة نجد أن صيغة سبب النزول التي حكاها ابن عباس رضي الله عنهما صريحة في السببية؛حيث ذكر حادثة تحريك النبي ﷺ لسانه وشفتيه أثناء قراءة جبريل عليه السلام، ثم عقب ذلك بفاء التعقيب الداخلة على الفعل «أنزل »، قائلاً: « فأنزل الله تعالى الآية » وهذه

(1) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض 2 / 359

(2) حاشية الإمام السندي على سنن النسائي 1 / 2 / 487

(3) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني 1 / 115، مباحث في علوم القرآن للشيخ / مناع القطان صـ85

الصيغة نص في السببية لا تحتمل غيرها.لذلك علق ابن حجر على قول ابن عباس « فأنزل الله » فقال: أي بسبب ذلك. [1]

ثالثاً: التوفيق بين ما جاء في القرآن الكريم، وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، من حيث إن النبي ﷺ هل كان يحرك لسانه أو شفتيه أثناء التلقي عن جبريل ؟

جاء في القرآن الكريم أن النبي ـ ﷺ ـ كان يحرك لسانه، فنهاه الله عن ذلك؛ فقال:

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ وكذا في الرواية الثانية عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ حَرَّكَ بِهِ لِسَانَهُ».

وفي بعض الروايات أنه كان يحرك شَفَتَيْه. جاء في الرواية الأولى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ».

وفي الرواية الثالثة:« كَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ». وفي الرواية السادسة: «وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ».

ولا تنافي أو تعارض بين ذلك؛ والجميع مراد،لأن تحريك الشفتين بالكلام المشتمل على الحروف التي لا يَنطِق بها إلا اللسان يلزم منه تحريك اللسان، فالتحريكان متلازمان غالباً أو اكتفى بالشفتين في بعض الروايات وحذف اللسان لوضوحه لأنه الأصل في النطق؛إذ الأصل حركة الفم، وكل من الحركتين ناشئ عن ذلك. أو المراد يحرك فمه المشتمل على الشفتين واللسان، لكن لما كان اللسان هو الأصل في النطق

(1) فتح الباري 11 / 49

اقتصر في الآية عليه.[1] وعلى كل فالمراد أنه كان يحرك لسانه وشفتيه ، ولذلك جاء في الرواية الرابعة والخامسة: « وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ» فجمع بينهما

رابعاً: بيان الدافع إلى تحريك النبي ﷺ لسانه وشفتيه أثناء التلقي عن جبريل عليه السلام.

نص القرآن الكريم على أن الدافع للنبي ـ ﷺ ـ إلى ذلك هو التعجل بقراءة القرآن الكريم؛ فقال عز شأنه: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ فقوله «لِتَعْجَلَ بِهِ » بيان للسبب الذي من أجله كان يسرع النبي بترديد الكلمات التي يسمعها من جبريل.

وبينت الروايات أن سر تعجله ﷺ في القراءة أمور:

الأول: إرادة حفظ القرآن الكريم.

ففي الرواية الثانية عن ابن عباس رضي الله عنهما:« كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ حَرَّكَ بِهِ لِسَانَهُ يُرِيدُ أَنْ يَحْفَظَهُ. ». ووقع في رواية للترمذي: «يحرك به لسانه يريد أن يحفظه»[2]

ووقع في رواية للنسائي: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ يَعْجَلُ بِقِرَاءَتِهِ لِيَحْفَظَهُ. » [3]

---

(1) راجع فتح الباري لابن حجر 1/ 67، 11 / 48

(2)أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب التفسير، باب ومن سورة القيامة،5 / 217 ح رقم 3340، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(3) أخرجه النسائي في السنن الكبرى 10 / 320 ح رقم 11572

الثاني: الخشية من تفلت شيء من القرآن الكريم، أو نسيان أوله قبل الفراغ من آخره.

وقع في الرواية الثالثة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ فَقِيلَ لَهُ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ يَخْشَى أَنْ يَنْفَلِتَ مِنْهُ.»

ووقع في رواية لابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « يتلقى أوله ويحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره. » [1]

الثالث: حب النبي ﷺ وشغفه بالقرآن الكريم.

إنَّ النبي ﷺ لشدة شوقه إلى كلمات ربه لا يكاد يسمع الكلمة تقع في قلبه من جبريل، حتى يسرع بالنطق بها، ليذوق حلاوتها على لسانه، كما ذاق حلاوتها في قلبه. [2]

ويدل على ذلك ما أخرجه الطبري عن عامر الشعبي، قال: «كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي عَجِل يتكلم به من حبه إياه.»[3]

وهذه الأمور كلها مرادة، لأن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه من القرآن شيء عجل به، يريد حفظه من حبه إياه، ويخشى نسيان أو تفلت شيء منه، لذا قال ابن حجر: « ولا بُعْد في تعدد السبب» [4]

---

(1) أخرجه الحافظ ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم 8 / 304.
(2) التفسير القرآني للقرآن للشيخ / عبد الكريم الخطيب 15 / 1323
(3) جامع البيان لابن جرير الطبري 14 / 29 / 233 أثر رقم 27599
(4) فتح الباري 11 / 49

خامساً: تحريك النبي ﷺ شفتيه ولسانه أثناء التلقي عن جبريل عليه السلام كان أمراً مشاهداً، يراه الحاضرون، ويعرفون به نزول الوحي عليه ﷺ. ففي الرواية الرابعة والخامسة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ».

وفي رواية عند الإمام مسلم عن ابن عباس قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ- إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ كَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ فَكَانَ ذَلِكَ يُعْرَفُ مِنْهُ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ [1]

وقوله (فَكَانَ ذَلِكَ يُعْرَفُ مِنْهُ) يعني: يعرفه من رآه لما يظهر على وجهه وبدنه من أثره. [2]

ووقع في رواية لابن أبي حاتم:«كان رسول الله إذا نزل عيه الوحي يلقى من شدة، وكان إذا نزل عليه عُرف في تحريكه شفتيه »[3]

ومن أجل ذلك حكى ابن عباس تحريك النبي ﷺ شفتيه. وابن عباس لم ير النبي ﷺ في تلك الحالة،لسبق نزول آية القيامة على مولده، لأن سورة القيامة مكية باتفاق، بل الظاهر أن نزول هذه الآيات كان في بدء الوحي ـ بدليل وضع البخاري لهذا ا لحديث في كتاب « بدء الوحي » ـ ولم يكن ابن عباس إذ ذاك وُلِد، لأنه وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين، لكن يحتمل أن يكون أخبره أحد من الصحابة أنه رأى النبي عليه السلام

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة، شرح النووي 2 / 402 ح رقم 448

(2) شرح النووي على صحيح الإمام مسلم 2 / 403

(3) تفسير القرآن العظيم لا بن كثير 8 / 304

وشاهده يحركهما، أو أن النبي ﷺ أخبره بذلك بعد وحرك له شفتيه فرآه ابن عباس حينئذ، وهذا هو الصواب، بدليل ما ورد صريحاً عند أبي داود الطيالسي في مسنده عن أبي عوانة بسنده بلفظ « قال ابن عباس: فأنا أحرك لك شفتي كما رأيت رسول الله ﷺ يحركهما ». (1)

ورأى سعيد بن جبير ذلك من ابن عباس بلا نزاع، وقال: « أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ. » وهذا الحديث من المسلسل بتحريك الشفة، وفائدة المسلسل من الحديث اشتماله على زيادة الضبط، واتصال السمع، وعدم التدليس. (2)

سادساً: ملاقاة النبي ﷺ شدة من تحريك لسانه وشفتيه أثناء التلقي عن جبريل عليه السلام. ويدل على ذلك ما جاء في الرواية الرابعة:« قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ ».

وفي الرواية الخامسة: « قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ ».

ومعنى « فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ »: فيثقل عليه ويصعب عليه النطق خلف جبريل. (3)

وفي الرواية الأولى:« قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ» المعالجة: محاولة الشيء بمشقة، وكانت المشقة والشدة ناشئة من تحريك الشفتين. وبهذا قال الإمام الكرماني ونقله عنه ابن حجر في الفتح. (4)

---

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري 1 / 66، 11 / 49، فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي للشيخ / عبد الله الشرقاوي 1/ 50

(2) فتح المبدي للشيخ الشرقاوي 1/ 50

(3) فتح المنعم شرح صحيح مسلم د / موسى شاهين لاشين 4 / 328

(4) فتح الباري 1 / 66

كما أفاد ذلك الروايتان السابقتان، حيث رتب بفاء الترتيب والتعقيب الفعل: «فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ » على ما قبله « وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ » وما قبل الفاء علة لما بعدها. وهذا بالإضافة إلى الشدة التي يلاقيها من هيبة المَلَك وثقل الوحي

سابعاً: إفادة بعض الروايات تفسير الجمع في قوله تعالى: « **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ** » بجمعه في صدره؛أي: حفظه. كما أفادت تفسير القرآن في قوله: « **وَقُرْآنَهُ** » بقراءته ﷺ القرآن الكريم.

ففي الرواية الأولى:« ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ **قَالَ: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ.** »

وفي الرواية الثالثة:« ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ **أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ وَقُرْآنَهُ أَنْ تَقْرَأَهُ.** »

وفي الرواية الرابعة: « ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ **قَالَ:عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ وَقُرْآنَهُ.** »

وفي الرواية السادسة: «﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾. **قَالَ: جَمْعُهُ فِي صَدْرِكَ ثُمَّ تَقْرَؤُهُ.** »

ثامناً: إفادة بعض الروايات تفسير القراءة في قوله:

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ بنزول جبريل عليه السلام وقراءته على محمد ﷺ.أي: فإذا قرأه عليك المَلك.

ففي الرواية الثالثة:» ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ **يَقُولُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ**»

وفي الرابعة والخامسة: « ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ **فَإِذَا أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ**»

كما أفاد تفسير الاتباع في قوله: ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾:بالاستماع والإنصات؛ففي الرواية الأولى، والسادسة: « ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ **قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ**»

تاسعاً: إفادة بعض الروايات تفسير البيان في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ باستمرار حفظ النبي ﷺ له وظهوره على لسانه. أو الإظهار بالقراءة.

في الرواية الأولى والسادسة: « ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ** »

في الرواية الثالثة: « ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ **أَنْ نُبَيِّنَهُ عَلَى لِسَانِكَ**.» أي: نظهره

وفي الرواية الرابعة والخامسة: « ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ **عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ** »

عاشراً: إفادة معظم الروايات امتثال النبي للأمر بالاستماع والإنصات إلى قراءة جبريل، وتحقيق وعد الله تعالى له بحفظه وقراءته.

في الرواية الأولى: « **فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ**.»

وفي الرواية الرابعة والخامسة: «**قَالَ: فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللهُ**»

وفي الرواية السادسة: « **قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَقْرَأَهُ**.»

الحادي عشر: تحريك اللسان والشفتين بقراءة القرآن عمل له ﷺ يُؤجر عليه.

قال ابن بطال: وهذا غرض البخاري عليه رحمة الله من وضع حديث ابن عباس في كتاب « التوحيد »، باب « قول الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ ﴾ وفعل النبي ﷺ حين

يُنزَلُ عليه الوحي. وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ: « قال الله تعالى: أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت بي شفتاه » [1]

الثاني عشر: الاستدلال بالنص الكريم على الترتيل في القراءة.

من تراجم البخاري لهذا الحديث وضعه في الصحيح، في كتاب « فضائل القرآن » تحت باب « الترتيل في القراءة».

والترتيل في القراءة: تبيين حروفها والتأني في أدائها ليكون أدعى إلى فهم معانيها.

وشاهد الترجمة من الحديث النهي عن تعجيله بالتلاوة، فإنه يقتضي استحباب التأني فيه وهو المناسب للترتيل. [2]

الثالث عشر: الاستدلال بالنص الكريم على وجوب الاستماع والإنصات لقراءة القرآن الكريم.

وضع شراح صحيح الإمام مسلم هذا الحديث في كتاب « الصلاة »، باب «الاستماع للقراءة ».

ومن الواضح أن المقصود من ذكر هذا الحديث تحت هذه الترجمة هو الاستدلال به على وجوب الاستماع والإصغاء لقراءة القرآن الكريم، وإذا وجب ذلك خارج الصلاة وجب في الصلاة من باب أولى. [3]

---

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري 17 / 562، 563

(2) فتح الباري 11 / 292

(3) فتح المنعم شرح صحيح مسلم. د/ موسى شاهين لاشين 4 / 330

دلالة تحريك النبي ﷺ لسانه وشفتيه أثناء التلقي عن جبريل عليه السلام.

يدل ذلك على أن القرآن الكريم من مصدر خارجي عن محمد ﷺ، و أنه من عند الله تعالى.

وأبرز هذه الدلالة العلامة د / محمد دراز فقال ـ يرحمه الله ـ: «ولقد كان النبي ﷺ حين ينزل عليه القرآن في أول عهده بالوحي يتلقفه متعجلاً فيحرك به لسانه وشفتيه طلباً لحفظه، وخشية ضياعه من صدره. ولم يكن ذلك معروفاً من عادته في تحضير كلامه، لا قبل النبوة، ولا بعدها، ولا كان ذلك من عادة العرب، إنما كانوا يُزَوِّرون كلامهم في أنفسهم. فلو كان القرآن منبجساً من مَعين نفسه لجرى على سُنَّة كلامه وكلامهم، ولكان له من الروية والأناة الصامتة ما يكفل له حاجته من إنضاج الرأي وتمحيص الفكرة. ولكنه كان يرى نفسه أمام تعليم يفاجئه وقتياً ويلم به سريعاً. بحيث لا تجدي الرواية شيئاً في اجتلابه لو طُلِب، ولا في تداركه واستذكاره لو ضاع منه شيء وكان عليه أن يعيد ما يُلْقَى إليه حرفياً.فكان لا بد في أول عهده بتلك الحال الجديدة التي لم يألفها من نفسه أن يكون شديد الحرص على المتابعة الحرفية، حتى ضمن الله تعالى له حفظه وبيانه. »[1]

كما أكَّد هذه الدلالة الأستاذ الشيخ / عبد الكريم الخطيب، فقال: «ولا شك أن هذا شاهد من شهود القرآن التي لا تحصى، على أن هذا القرآن من عند اللهّ، وأن ليس لمحمد إلا تلقيه من الوحى، وحمله إلى الناس.. وإلا لو كان هذا القرآن من كلام محمد ـ أكان

(1) النبأ العظيم. د / محمد عبد الله دراز صـ31 وما بعدها.

محمد يلبس هذه الشخصيات جميعها، فيكون مخاطبا وغائبا، وناهيا ومنهيّا، كل ذلك في حال واحدة، وموقف واحد ؟

أيعقل في هذا الموقف الذي يواجه فيه المشركين بهذه النذر المطلة عليهم من يوم القيامة ـ أيعقل في هذا الموقف، أن يقطع محمد هذا العرض، ثم يتحول إلى نفسه، محاسبا، وناصحا وموجها ؟ وما شأن الناس بهذا، لو كان محمد هو صاحب هذا الموقف، والمصور له بكلماته ؟..

إن صاحب الموقف ـ وهو اللهّ سبحانه وتعالى ـ هو الذي يملك أن يقطع هذا العرض، وأن يلقى على المتلقى عنه، ما يشاء من توجيه، وإرشاد، حتى يجيء العرض واضحا، كاملا.. إن الذي يملك الموقف كله، قوة قائمة على محمد، وعلى من يلقاهم محمد بهذا الحديث.. وتلك القوة هي التي تدير الخطاب، وتوجهه كيف تشاء إلى أيّ من المخاطبين، أفرادا، أو جماعات »[1]

من بلاغة النص الكريم

أولاً: خروج النهي عن حقيقته إلى معنى مجازي

حقيقة النهي: طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام. والنهي في قوله: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ ﴾ ليس على حقيقته، وإنما هو «نهي يُراد به النصح والتوجيه إلى ما ينبغي أن يكون عليه النبي مع الوحي، وهو أن لا يحرك لسانه بكلمات القرآن قبل أن ينتهي جبريل من الوحي.»[2]

---

(1) التفسير القسيرآني للقرآن للشيخ / عبد الكريم الخطيب 15 / 1322

(2) المرجع السابق.

وتُسْتعمَلُ صيغة النهي في النصح والإرشاد حيث يكون الناهي حريصاً على تحقيق النفع لمخاطبه؛ ومن ثَمَّ يقف منه موقف الواعظ المُذَكِّر بغض النَّظر عن الاستعلاء والإلزام، واستعمال صيغة النهي في النصح والإرشاد لعلاقة مجرد الطلب؛فهي من استعمال ما للأخص في الأعم الذي هو مطلق الطلب.[1]

ثانياً:الاكتفاء في قوله ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾

وهو: أن يُحذَف بعضُ الكلام ويُستغنَى بدلالة الموجود عليه. [2] والأصل: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ وشفتيك. بدليل ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما كما سبق بيانه. «لكن لما كان اللسان هو الأصل في النُّطق اقتصر في الآية عليه.»[3] والاكتفاء نوع من الإيجاز. وهذا يتناسب مع جو العجلة في السورة الكريمة. سورة القيامة.

ثالثاً: الإضمار في قوله ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ ﴾ دون التصريح بالقرآن.« وفي ذكر ضمير القرآن من غير أن يجري له ذِكْرٌ اختصارٌ وإيجاز في الكلام مناسب لجو العجلة في السورة، فقد تعاون كلٌّ من التعبير والتعليل لبيان هذا الغرض.»[4]

رابعاً: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ أي: لِتَعْجَلَ بِأَخْذِهِ. [5] كما أخرجه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما. فحذف المضاف « أَخْذ» وأُقِيم الضمير المضاف إليه مقامه. أو لتعجل بقراءته.

---

(1) روائع المعاني د/ عبد الحميد العبيسي صـ28

(2) كتاب الشفاء في بديع الاكتفاء للنواجي صـ26

(3) فتح الباري لا بن حجر 11 / 48 وما بعدها.

(4) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل. د/ فاضل السامرائي صـ213

(5) جامع البيان لا بن جرير الطبري 14 / 29 / 233 أثر رقم 27598

خامساً: استهلال جملة: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ بحرف التأكيد «إنَّ» لإفادة التعليل وبيان سبب النهي عن تحريك اللسان، فقد قال: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ، لأن جمعه في صدرك نحن نتكفل به. ولو لم يدخل « إنَّ » لم يرتبط الكلام ولانتفى معنى التعليل إذ لو قال:« لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ » لم تَجد له هذا الحُسْن الذي تجد، ولانفصل الكلام بعضه عن بعض. فـــ(إنَّ) ربطت الكلام بعضه ببعض وأفادت التعليل. وأيضاً أفادت « إنَّ » هنا التوكيد، وهذا الموطن يقتضي التوكيد إذ إن حفظ الإنسان لكل ما يُلْقَى إليه بمجرد سماعه أمرٌ غريب، والتكفُّلُ به يحتاج إلى توكيد. ولذلك جاء بـ(إنَّ) المؤكدة. [1]

وفي التوكيد أيضاً زيادة تطمين للنبي ﷺ من أنه لن يفوته حفظ شيء مما يُوحى إليه من آيات ربه، فإن الله هو الذي يتولى جمع هذا القرآن كله في صدره.[2]

ومن الملاحظ في هذا التعبير أنه قدم خبر إنَّ الجار والمجرور « عَلَيْنَا » على اسمها «جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ » لإفادة الاختصاص والقصر، والمعنى: أننا وحدنا دون غيرنا المُتَكَفِّلون بجمعه في صدرك وتلاوته للناس صحيحاً كاملاً. وهذا موطن من مواطن القصر، لأنه لا يمكن لأحد غير الله أن يفعل ذلك. فإنَّ تثبيت النصوص في النفس وحفظها بمجرد سماعها وعدم نسيانها، وإلقاءها على مَرِّ الزمن، إنما هو من فعل الله وحده فهو الذي يثبت في النفوس أو يمحو منها ما يشاء. وهذا التقديم اقتضاه المعنى كما اقتضاه

(1) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل. د/ فاضل السامرائي صـ213.
(2) التفسير القرآني للقرآن للشيخ/ عبد الكريم الخطيب 15 / 1323

الفاصلة. ولو أخر الجار والمجرور لأخلَّ بالمعنى، ذلك أنه يقتضي عدم القصر، ومعنى ذلك أنه يخبر بأنه مُتَكَفِّلٌ بجمع القرآن في صدره، وليس المتكفل الوحيد. (1)

وفي التعبير بضمير التعظيم في قوله» عَلَيْنَا» لبيان عظمة هذا الفعل، وهو جمع القرآن في صدر النبي ﷺ، وقراءته بلسانه.

من فوائد النص الكريم

(أ): التأني والتثبت في تلقي القرآن خاصة والعلم عامة

(ب): استماع متلقي القرآن وإنصاته إلى شيخه حتى يفرغ من قراءته.

(ت):أن لا يحمل السامعَ شدة محبته وحرصه وطلبه على مبادرة المعلم بالأخذ قبل فراغه من كلامه.

(ث): ينبغي لطالب العلم ولسامعه أن يصبر على معلمه حتى يقضي كلامه، ثم يعيده عليه. (2)

(ج): أنَّ المتلقِّن عليه أن يصغي إلى المُلَقِّن بقلبه، ولايستعين بلسانه، فيشترك الفهم بين القلب واللسان، فيذهب روح التحصيل بينهما، ويخزل اللسان بتجرد القلب للفهم؛ فيتيسر التحصيل؛ وتحريك اللسان يجرد القلب عن الفهم، فيتعسر التحصيل بعادة الله التي يسَّرها. (3).

(ح): الاستماع والإنصات إلى تلاوة القرآن الكريم.

---

(1) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل. د/ فاضل السامرائي صـ213 وما بعدها.
(2) بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية 5 / 82 بتصرف.
(3) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي 4 / 349

«إذا كان على النبي أن يصغى إلى الوحي، ولا يحرك لسانه قبل أن ينتهي رسول الوحي من إلقاء ما يوحى به إليه، وذلك لتكتمل صورة المعاني المراد إلقاؤها على النبي، ولتقع من نفسه موقعا واضحا متمكنا ـ إذا كان على النبي أن يفعل هذا، مع كلمات اللهّ ـ أفما كان على الذين يستمعون من النبي لآيات اللهّ، أن يصغوا إليها، وألا يفتحوا أفواههم بكلمة وهم بين يديها، حتى ينتهي عرضها، ليكون لهم سبيل إلى فهم معانيها، وإدراك بعض أسرارها ؟.» [1].

(خ) الآية مشيرة إلى ترك مطلق العجلة؛لأنه إذا نهى عنها في أعظم الأشياء وأهمها كان غيره بطريق الأوْلَى [2].

وهذا يفيد أن العجلة غير محمودة حتى في مقام الإحسان وفي طلب الخير.والتأنِّي هو المحمود، وهو الذي يتيح للإنسان فرصة التروي والتعقل ووزن الأمور بميزان الروية والعقل. [3]

(د):أن تحريك اللسان والشفتين بقراءة القرآن عمل يُؤجر عليه.

المطلب الثاني: التعجل بالقراءة قبل انقضاء جبريل منها، ودلالته

سبق أن نهي الله النبي ﷺ عن تحريك لسانه وشفتيه أثناء التلقي عن جبريل عليه السلام، ومن ثَمَّ فعليه أن يستمع وينصت إلى قراءته، وامتثل النبي ﷺ هذا التعليم. «إلا أنه لما صارت نجومُ التنزيل القرآني تنزِلُ عليه أطول مما كانت تنزل اندفعت نفسُه

(1) التفسير القرآني للقرآن للشيخ / عبد الكريم الخطيب 15 / 1321
(2) نظم الدرر للبقاعي 21 / 102
(3) التفسير القرآني للقرآن 15 / 1321

بحركة تلقائية، فصار يتعجل بتلاوة ما يوحي إليه به جبريل عليه السلام، قبل أن ينتهي من وحيه، ظناً منه أن النَّجم قد تم، مع أنَّ جبريل عليه السلام لم ينته بعدُ من قراءته عليه، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [1]، فعلَّم الله رسوله في هذا البيان أن يَنتَظِر حتى يعلم أن جبريل قد أنهى كامل النَّجْم الذي يوحي به إليه، وأنَّه فرغ من تلقيينه إيَّاه تماماً. [2]

قال ابن عباس رضي الله عنهما والمفسرون:كان النبي ﷺ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ من الوحي حرصاً منه على ما كان ينزل عليه وشفقة على القرآن مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله عن ذلك فقال له: ﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾[3]. ولعل النبيّ صلوات الله وسلامه عليه، كان كلّما سمع آية أو بعض آية من جبريل ردّدها خوفا من نسيانها.. ثم يصل ما سمع بما يسمع.. وذلك حرصا منه ﷺ، على ألا يفوته شيء من كلمات ربّه..فجاء قوله تعالى: «**وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ**» ـ إرشادا، وتعليما، للنبىّ، وتوجيها كريما لحسن الاستماع لآيات اللهّ. [4]

والمعنى: إذا لقَّنك جبريل ما يوحي إليك من القرآن فتأنَّ وارفق بنفسك قدر ما يُسْمعك، ولا تعجل بقراءة القرآن من قبل أن يفرغ جبريل من تلاوته عليك ويتم تبليغه للوحي.

---

(1) سورة طه، من آية 114

(2) معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ / عبد الرحمن الميداني 2 / 493، 8 / 337

(3) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي 3 / 323

(4) التفسير القرآني للقرآن للشيخ / عبد الكريم الخطيب 8 / 831

وعلى هذا التأويل يكون معنى العجلة بالقرآن: العجلة بقراءته حال إلقاء جبريل آياته.

والوحي: كلمة تدل في اللغة على عدة معان « الإشارة السريعة، والإلهام، والكلام السريع الخفي، وإلقاء المعنى في القلب، والكتاب ».

والوحي للأنبياء والرسل: الإعلام السريع الخفي، الذي يقوم به رسول الوحي من الملائكة « جبريل عليه السلام » بلاغاً عن رب العالمين.

ومعنى « **وَحْيُهُ** » هنا: تبليغ جبريل للنبي ﷺ. والمراد بقضاء وحيه: انتهاء المقدار الذي هو بصدد النزول. (1)

وبهذا عَلَّم الله نبيَّه كيفية تلقي القرآن الكريم. (2) وهو التَّأنِّي عند تلقين جبريل ثم الإقبال عليه بالتَّحفُّظ.

دلالة هذا النهي: وفي إثبات هذا النهي في القرآن الكريم دليلٌ على أن القرآن ليس من كلام محمد ﷺ، بل هو تنزيل من عند الله، فلو كان من عنده لما وجَّه لنفسه النَّهي عن التَّعجل قبل أن يُقْضَى إليه وحْيُه. (3)

---

(1) روح المعاني للآلوسي 6 / 16 / 268، التحرير والتنوير لابن عاشور 8 / 16 / 317، معارج التفكر ودقائق التدبر للميداني 8 / 338 وما بعدها.

(2) حاشية الجمل على تفسير الجلالين 3 / 113

(3) معارج التفكر ودقائق التدبر للميداني 8 / 338

ولما نهى الله محمداً ﷺ عن التَّعَجُّلِ في تلقي القرآن الكريم من جبريل عليه السلام أمره بأن يطلب منه أن يزيده علماً، فقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، لئلا يُتَوهَّمَ من نهيه عن التَّعجل،أنَّ المراد كَفُّهُ عن الحِرْصِ على الاستزادة من العلم.

من بلاغة النص الكريم:

أولاً: خروج النهي في قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ عن حقيقته من طلب الكف على جهة الإلزام والاستعلاء إلى معنى مجازي، وهو النُّصح والإرشاد.

ثانياً: استعمال « القرآن » في قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ في معناه الأصلي المصدري، بمعنى القراءة.يقال لغة: « قرأ الكتاب، يَقْرَؤه، قِراءة، وقُرْآناً » أي: تتبَّع كلماته نظراً، وقرأ بها. وفي هذا دليلٌ على أنَّ «القرآن » يُطْلَقُ ويُرَادُ به القراءة، فإنَّ المراد بقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ القراءة، لا نفس القرآن. (1) والمعنى: ولا تعجل بتلاوة آيات القرآن يوحي بها إليك رسولُ ربِّك جبريل عليه السلام. وفي التعبير بالقرآن عن القراءة تعظيم لقراءة جبريل عليه السلام، وكأنه قال: لا تعجل بالقرآن، الذي هو قراءة جبريل عليه السلام. (2)

ثالثاً: بناء الفعل « **يُقْضَى** » للمجهول في قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾؛ لأنَّ النَّهي عن التعجل بقراءة القرآن بالنَّظر إلى فراغ الإيحاء، لا إلى مُوحٍ

(1) فتح الباري بشرح البخاري 17 / 563

(2) يراجع نظم الدرر للبقاعي 21 / 101

مُعَيَّن. [1]، فلما لم يتعلق بالفاعل هنا غرضٌ بُنِي الفعل للمفعـول. والمـراد: مـن قبـل أن يَقْضِي جبريل إليك وحيه.

ما يؤخذ من النَّص الكريم:

من أدب المتعلّم في تلقي العلم ألتَّأنّي عند تلقين المُعَلِّم ثم الإقبال عليه بالتَّحفظ. [2]

التَّأني في العلم بالتدبر وبإلقاء السمع أنفـع مـن الاسـتعجال المتعـب للبـال المكـدر للحال وأعون على الحفظ[3]

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي 12 / 352

(2) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي 10 / 253

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي 12 / 353

المطلب الثالث: التعرض لجبريل عليه السلام بالاستفسار عن شيء من معاني القرآن أثناء التلقي عنه، ودلالته

كما كان النبي ﷺ يعجل بالقراءة، كان يعجل بالسؤال عن المعنى.[1] ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يسأل جبريل عليه السلام في أثناء قراءته عن مشكلات ومعاني القرآن لغاية حرصه على العلم، فنهي بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[2]، فضمن له عليه الصلاة والسلام بيان المشكل منه، كما ضمن له الحفظ وإثبات قراءته في لسانه عليه الصلاة والسلام، بحيث يقرأه متى شاء.[3]

وهذا ما أكده العلامة الشيخ عبد القادر المغربي، فقال: «كان النبي ﷺ يقف في خلال إلقاء جبريل القرآن عليه وقفة المتسائل المستفسر حرصاً على فهم المعاني، فنهاه ربه عن ذلك أيضاً، ووعده بأنه يبين له ما أشكل عليه بعد أن يحفظ الآيات، وترسخ ألفاظها في نفسه. وهذا معنى قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[4] أي: تفسيره وإيضاحه والكشف عن معانيه.»[5]

البيان معناه في اللغة: الظهور والاتضاح والانكشاف.[6] ونقيضه: الإخفاء والإغماض.

---

(1) نظم الدرر للبقاعي 21 / 101

(2) سورة القيامة، الآية 19

(3) مفاتيح الغيب للرازي 16 / 32، حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي 4 / 581

(4) سورة القيامة، الآية 19

(5) تفسير جزء تبارك للشيخ / عبد القادر المغربي صـ243

(6) معجم مقاييس اللغة لا بن فارس، مادة « بين » 1 / 328

والمراد بالبيان هنا: إظهار المعنى للنفس بما يتميز به من غـيره. [1]، أي تبيـين المعنـى مطلقاً.

وفسر الراغب الأصفهاني البيان هنا بأنه: ما يُشْرَحُ به المُجمل والمبهم من الكلام. [2]

والمعنى الأول أَوْلَى، لعمومه بالنسبة للمعنى الثاني.

والراجح أن المراد بالبيان هنا: بيان ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه؛ فالمراد بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ بيان جميع القـرآن مـن حيـث لفظـه ومعنـاه؛ إذ قولـه «بَيَانَـهُ» جـنس مضاف، فيعم جميع أصناف بيان القرآن، من حيث إظهاره [3] وتبيينُ أحكامه وما يتعلق بها من تخصيص وتقييد ونسخ وغير ذلك، أما المجمل والمبهم من الكلام فإنما هما بعض القرآن، ولا اختصاص لبعضه بالأمر المذكور دون بعض. [4]

من بلاغة الآية الكريمة:

يلاحظ استهلال الجملة الكريمـة بحـرف الترتيـب والتراخـي « ثُـمَّ » لأسرار. إذا فسرنا البيان هنا بإظهار القراءة على لسان النبي ﷺ عن ظهر قلـب كـان الغـرض مـن التعبير بحرف « ثم » إفادة التراخي الرُّتبي بين المعطوف والمعطوف عليه، وأن المعطوف أعظم في الرُّتبة من المعطوف عليه

(1) التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسي 10 / 196

(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، مادة « بان » صـ 158

(3) سبق في روايات حديث ابن عباس تفسير البيان بإظهار القراءة على لسان النبي ﷺ.

(4) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لا بن حجر 11/ 50 بتصرف.

وإلى ذلك أشار العلاَّمة ابن عاشور فقال: «ثم» في ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ للتراخي في الرتبة، أي التفاوت في رتبة الجملة المعطوف عليها وهي قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾، وبين رتبة الجملة المعطوفة وهي ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ ومعنى الجملتين: أن علينا جمع الوحي وأن تقرأه وفوق ذلك أن تبينه للناس بلسانك، أي نتكفل لك بأن يكون جمعه وقرآنه بلسانك، أي عن ظهر قلب لا بكتابة تقرأها بل أن يكون محفوظا في الصدور بينا لكل سامع لا يتوقف على مراجعة ولا على إحضار مصحف من قرب أو بعد.

فالبيان هنا بيان ألفاظه وليس بيان معانيه لأن بيان معانيه ملازم لورود ألفاظه. » [1]

وإذا فسرنا البيان هنا ببيان معانيه وحلاله وحرامه ومشكلاته وقضاياه وسائر ألوان البيان، كان حرف « ثم « هنا للتراخي الزمني للدلالة على ما يلي:

الأول: أن بيان المعنى مرحلة تالية لحفظ النص. ويستفاد من هذا في الدرس التفسيري للقرآن الكريم، فلا بد من قراءة الأستاذ الآية أو الآيات موضع درس التفسير أولاً لطلابه، وبعد التأكد من تلقين اللفظ، يأتي الشرح والبيان.

الثاني: إفادة أنَّ البيان إنما يتم في زمن متباعد، ينتظم زمان الوحي كله، من مبدأ أول آية نزلت إلى أن تم نزول القرآن كله. فما زالت آيات الله تجيء بتفصيل ما أُجمل من أحكام، وأحداث وقصص. [2]

---

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور 14 / 29/ 350

(2) التفسير القرآني للقرآن للشيخ / عبد الكريم الخطيب 15 / 1335

الثالث: إفادة أن تكفل الله تعالى ببيان كل ما اشتمل عليه القرآن الكريم من دلالات يشمل الأزمنة المستقبلَة ولو بعد انتهاء حياة الرسول ﷺ في الدنيا، ففهم كامل المعاني القرآنية له مراحل مستقبلية. وهذا ما يدل عليه حرف التراخي «ثم»[1]

وفي هذا الإطار ظهرت قضايا الإعجاز العلمي في القرآن، وفي هذا الإطار أيضاً نفهم قول الله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [2]

والتوكيد بحرف « إنَّ» يتطلبه المقام؛ إذ إن بيان الله تعالى لكل ما يُلْقَى إلى النبي ﷺ بمجرد سماعه أمر غريب، والتكفل بهذا البيان مستقبلاً وإلى قيام الساعة يحتاج إلى توكيد. ولذا جاء بـ(إنَّ) المؤكدة.

والتعبير بحرف «على» المشعر بالوجوب تفضلاً منه تعالى وتكرماً، مع إسناده إلى ضمير العظمة مما ينبأ عن عظمة هذا البيان وأنه لا يقدر عليه إلا الله تعالى. وشُفِّع ذلك بتقديم خبر إن « عَلَيْنَا» على اسمها « بَيَانَهُ» لإفادة الاختصاص والقصر، فهذا البيان على الله تعالى وحده لا يقدر عليه غيره سبحانه وتعالى.

ما يستفاد من الآية الكريمة:

1): أن حفظ النص القرآني مقدم على طلب بيانه.

---

(1) معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ / عبد الرحمن الميداني 2 / 492

(2) سورة فصلت، آية 53

2): أنه ينبغي لطالب القرآن ولسامعه خاصة والعلم عامة أن يصبر على معلمه حتى يقضي كلامه؛فلا يبادره بالسؤال عما أشكل عليه منه قبل فراغه. [1]

3): أن دائرة بيان القرآن الكريم متسعة، تشمل الزمان كله من وقت بدء نزول أول آية منه إلى قيام الساعة، نظراً لأن القرآن الكريم معجزة الرسالة المحمدية الخاتمة الشاملة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾[2]

(1) بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية 5 / 82 بتصرف.
(2) سورة الأنعام، من آية 19

خاتمة البحث

أولاً : معنى (التَّلقي) في اللغة: الاستقبال والمواجهة ، أَخْذُ الشيءِ بجِدٍ واجتهاد ، والروايةُ ، والتعليم ، والتلقف ، والعطاء والقبول. وتلقي النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام معناه: استقبال النبي ﷺ لما يرويه له جبريل عليه السلام عن الله تعالى من ألفاظ القرآن الكريم، والاحتفاء به، وأخذه عنه بِجِدٍ واجتهاد. وأما مصطلح «تلقي القرآن » فهو: « هو أن يأخذَ طالبُ قراءة القرآن وحفظه عن مقرئه كيفيةَ قراءة القرآن ، سماعاً منه ليقرأه بتلك الكيفية .»

ثانياً : صرح القرآن الكريم في عديد من الآيات بتلقي محمد ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام . كما صرح بذلك كثير من الأحاديث النبوية الشريفة . وهناك آيات تصرح بتلقيه ﷺ القرآن من الله تعالى، وهذا لا يعارض ذاك؛ لأن المَلَك يلقي القرآن إلى محمد ﷺ من قِبَل الله تعالى.

ثالثاً : من فوائد تلقي النبي ﷺ القرآن عن جبريل عليه السلام مشافهة : التأكيد على أميته ﷺ وعدم معرفته القراءة والكتابة. والدلالة على كمال الأداء، والصيانة من التصحيف والغلط. وإفادة أن يكون تلقي القرآن سُنَّة مُتَّبَعَة لأمَّته ﷺ ؛ فهم مأمورون بالتَّلقِّي من أفواه المشايخ، ولا يفلح من أخذ العلم أو القرآن من السطور .

رابعاً: منهج القرآن في تحديد معالم تلقي النبي القرآن عن جبريل عليه السلام يتلخص فيما يلي :

قراءة جبريل عليه السلام وانتهاؤه من القراءة ، إنصات النبي ﷺ إلى قراءة جبريل عليه السلام ، اتباع النبي ﷺ قراءة جبريل عليه السلام وقراءتُه بقراءتِه.

خامساً: من المحاذير التي نهي عنها النبي ﷺ أثناء التلقي عن جبريل عليه السلام ما يلي : تحريك اللسان بالقراءة أثناء قراءة جبريل عليه السلام ، التعجل بالقراءة قبل انقضاء جبريل منها، التعرض لجبريل عليه السلام بالاستفسار عن شيء من معاني القرآن أثناء التلقي عنه،

سادساً: مما يستفاد من منهج القرآن الذي حدده للنبي ﷺ في تلقيه القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام ما يلي :

(أ): التأني والتثبت في تلقي القرآن خاصة والعلم عامة.

(ب): استماع متلقي القرآن وإنصاته إلى شيخه حتى يفرغ من قراءته.

(ت):أن لا يحمل السامعَ شدة محبته وحرصه وطلبه على مبادرة المعلم بالأخذ قبل فراغه من كلامه.

(ث): أنه ينبغي لطالب العلم ولسامعه أن يصبر على معلمه حتى يقضي كلامه، ثم يعيده عليه.

(ج): أنَّ المتلقِّن عليه أن يصغي إلى المُلَقِّن بقلبه، ولايستعين بلسانه، فيشترك الفهم بين القلب واللسان، فيذهب روح التحصيل بينهما، ويخزل اللسان بتجرد القلب للفهم؛ فيتيسر التحصيل. وتحريك اللسان يجرد القلب عن الفهم، فيتعسر التحصيل بعادة الله التي يسَّرها.

(ح): الاستماع والإنصات إلى تلاوة القرآن الكريم .

«إذا كان على النبي أن يصغى إلى الوحي، ولا يحرك لسانه قبل أن ينتهي رسول الوحي من إلقاء ما يوحى به إليه، وذلك لتكتمل صورة المعاني المراد إلقاؤها على النبي، ولتقع من نفسه موقعا واضحا متمكنا ـ إذا كان على النبي أن يفعل هذا، مع كلمات اللهّ

ـ أفما كان على الذين يستمعون من النبي لآيات اللهّ، أن يصغوا إليها، وألا يفتحوا أفواههم بكلمة وهم بين يديها، حتى ينتهي عرضها، ليكون لهم سبيل إلى فهم معانيها، وإدراك بعض أسرارها ؟.»

(خ) ترك مطلق العجلة مطلقاً وخاصة في تلقي القرآن والعلم ؛لأنه إذا نهى عنها في أعظم الأشياء وأهمها كان غيره بطريق الأوْلَى . وهذا يفيد أن العجلة غير محمودة حتى في مقام الإحسان وفي طلب الخير. والتأنِّي هو المحمود، وهو الذي يتيح للإنسان فرصة التروي والتعقل ووزن الأمور بميزان الروية والعقل.

(د): تحريك اللسان والشفتين بقراءة القرآن عمل يُؤجر عليه.

(ذ) : من أدب المتعلّم في تلقي العلم التَّأنّي عند تلقين المُعَلِّم ثم الإقبال عليه بالتَّحفظ.

(ر) : التَّأني في العلم بالتدبر وبإلقاء السمع أنفع من الاستعجال المتعب للبال المكدر للحال وأعون على الحفظ .

(ز) : حفظ النص القرآني مقدم على طلب بيانه.

(س) : صبر طالب القرآن وسامعه خاصة والعلم عامة على معلمه حتى يقضي كلامه ؛فلا يبادره بالسؤال عما أشكل عليه منه قبل فراغه.

(ش) : دائرة بيان القرآن الكريم متسعة، تشمل الزمان كله من وقت بدء نزول أول آية منه إلى قيام الساعة، نظراً لأن القرآن الكريم معجزة الرسالة المحمدية الخاتمة الشاملة إلى قيام الساعة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أهم مراجع البحث

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب التفسير.

- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي. تحقيق محمد عبد القادر عطا. ط/ دار الفكر بدون تاريخ الطبعة .
- البحر المحيط في التفسير. لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي. طبعة جديدة بعناية الشيخ عرفان العشا حسونة . ط/ دار الفكر . عام 1412هـ/ 1992م .
- بدائع التفسير للإمام ابن قيم الجوزية. جمعه ووثق نصوصه / يسري السيد محمد. ط / دار ابن الجوزي. الطبعة الأولى ربيع الثاني 1414هـ/ 1993م
- التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي. ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان . بدون ذكر تاريخ الطبعة .
- التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور. ط / دار سحنون تونس. بدون ذكر تاريخ الطبعة .
- تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة. د / عبد العزيز بن عبد الله الحميدي. ط / مركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى. من التراث الإسلامي الكتاب الثالث والخمسون . بدون ذكر تاريخ الطبعة .
- تفسير جزء تبارك للشيخ / عبد القادر المغربي. تحقيق الشيخ / علي محمد حسب الله .ط / المطبعة الأميرية بالقاهرة عام 1366 هـ ـ 1947 م .

- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل للإمام علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن. ط / المكتبة الشعبية بيروت لبنان. بدون ذكر تاريخ الطبعة .
- التفسير القرآني للقرآن للأستاذ / عبد الكريم الخطيب. ط / دار الفكر العربي بالقاهرة بدون ذكر الطبعة .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري.ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار. ط / دار الفكر بيروت لبنان. عام 1415هـ ـ 1995م .
- الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي. تحقيق د / عبد الله بن عبد المحسن التركي.ط / مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى 1427هـ/ 2006م .
- حاشية الجمل على الجلالين المسماه بالفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. تأليف العلامة الشيخ / سليمان الجمل. الناشر المكتبة الإسلامية.بدون ذكر تاريخ الطبعة .
- حاشية زادة علي تفسير البيضاوي. ط / دار إحياء التراث العربي.بدون ذكر تاريخ الطبعة .
- حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي. للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي. ضبطه وخرج آياته وأحاديثه / الشيخ عبد الرزاق المهدي . ط/ دار الكتب العلمية بيروت .الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997 .

- حاشية الصاوي على الجلالين للشيخ / أحمد الصاوي المالكي. ط/ دار إحياء الكتب العربية. بدون ذكر تاريخ الطبعة .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. تحقيق د / أحمد محمد الخراط. ط / دار القلم دمشق . الطبعة الثانية 1424هـ/ 2003م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي. ط / دار الفكر بيروت عام 1403هـ/ 1983 م .
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب. للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي. ط / جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم. الطبعة الأولى 1434هـ/ 2013م .
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل. د/ فاضل السامرائي. ط / دار عمار بالأردن . الطبعة الثالثة 1427هـ/ 2006م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية. ط/ مؤسسة دار العلوم بقطر. الطبعة الأولى المحرم 1398هـ/ ديسمبر 1977م.
- معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ / عبد الرحمن حبنكة الميداني. ط / دار القلم دمشق. الطبعة الأولى 1420هـ/ 2000م .
- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الرازي. ط/ دار الغد العربي بالقاهرة . الطبعة الأولى 1991م/ 1412هـ.

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي. تحقيق مجموعة من الأساتذة بجامعة الأزهر الشريف . ط/ دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى 1415هـ/ 1994م .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي.الطبعة الثانية بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند. عام 1406هـ/ 1986م .

ثالثاً: كتب علوم القرآن والقراءات

- الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق مركز الدراسات القرآنية . ط / مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة . الطبعة الثالثة 1432هـ/ 2011م .
- إعراب جزء تبارك. د / عبد الفتاح سليم. ط / مكتبة الآداب . الطبعة الأولى 1423هـ/ 2002م .
- تفسير غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق الشيخ / السيد أحمد صقر. ط / دار إحياء الكتب العربية . عام 1378هـ/ 1958م .
- التلقي والأداء في القراءات القرآنية (تحقيقات) . أ .د/ محمد حسن جبل . ط / مكتبة الآداب . الطبعة الأولى 1432هـ ـ2011م
- عمدة الألفاظ في تفسير أشرف الألفاظ. للشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. تحقيق د / محمد التونجي. ط / عالم الكتب بيروت . الطبعة الأولى 1414هـ/ 1993م .

- فضائل القرآن للحافظ ابن كثير. تحقيق د / محمد إبراهيم البنا. ط / دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة.الطبعة الأولى 1408هـ/ 1988م .
- مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان. ط / مكتبة المعارف بالرياض. الطبعة الثالثة 1421هـ/ 2000م .
- مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني. تحقيق صفوان عدنان داوودي. ط / دار القلم دمشق . الطبعة الرابعة 1430هـ/ 2009.
- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ / محمد عبد العظيم الزرقاني. ط / دار إحياء الكتب العربية. بدون ذكر تارخ الطبعة .
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن . أد / محمد عبد الله دراز. ط/ دار القلم. الطبعة الثالثة 1988 م .
- الوحي والقرآن الكريم. أ د / محمد حسين الذهبي. ط / مكتبة وهبة . الطبعة الأولى 1406هـ/ 1986م .

رابعاً: كتب الحديث وشروحه

- إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض. تحقيق د / يحيى إسماعيل. ط / دار الوفاء. الطبعة الأولى 1419هـ/ 1998م .
- سنن الإمام الترمذي. لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. ط / دار الفكر. عام 1414هـ/ 1994 م
- صحيح الإمام مسلم بشرح النووي. فقه وخرجه وفهرسه عصام الصبابطي ، حازم محمد ، عماد عامر . ط / دار الحديث بالقاهرة. الطبعة الأولى 1415هـ/ 1994م .

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. حققه أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي .ط / دار طيبة. الطبعة الثالثة 1431 هـ / 2010م .
- فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي للشيخ / عبد الله الشرقاوي. تحقيق / الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد. ط م مكتبة صبيح وأولاده. الطبعة الأولى 1384هـ / 1964م .
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم. أ د / موسى شاهين لاشين. ط / مطبعة الفجر الجديدة. بدون ذكر تاريخ الطبعة .
- المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا . ط / دار الكتب العلمية بيروت بدون ذكر تاريخ الطبعة وعددها .

خامساً: كتب اللغة والأدب.

- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري. تحقيق عبد السلام هارون. ط / دار القومية العربية للطباعة 1384هـ/ 1964 م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تأليف / عبد القادر البغدادي. ط / مكتبة التراث. بدون ذكر تاريخ الطبعة .
- لسان العرب لابن منظور. ط / دار المعارف. بدون ذكر تاريخ الطبعة .
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق الأستاذ / عبد السلام محمد هارون. ط / دار الجيل بيروت. الطبعة الأولى 1411هـ/ 1991م .

سادساً: كتب البلاغة

- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني. ط / دار الكتاب اللبناني بيروت . الطبعة الخامسة 1400هـ/ 1980م .
- روائع المعاني د / عبد الحميد العبيسي. ط / مطبعة حسان. الطبعة الأولى 1393 هـ/ 1973م .
- كتاب الشفاء في بديع الاكتفاء للعلامة شمس الدين محمد النواجي الشافعي. تحقيق د / محمود حسن أبو ناجي . ط / دار مكتبة الحياة بيروت. الطبعة الأولى 1403هـ .
- المنهاج الواضح في البلاغة للأستاذ / حامد عوني. ط / دار الكتاب العربي بمصر. الطبعة الرابعة لسنة 1373هـ/ 1954 م .

سابعاً: كتب عامة

- معجم لغة الفقهاء. د/ محمد رواس قلعجي ، د/ حامد صادق قنيبي ط/ دار النفائس. الطبعة الثانية 1408هـ/ 1988م.

المنهج النبوي في التلقي القرآني

د. عبد السلام العبيدي

رئيس الشعبة الأكاديمية في معهد الدعوة
والعلوم الإسلامية بوزارة الأوقاف القطرية،
وأستاذ الدراسات العليا بجامعة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة بحث المنهج النبوي في التلقي القرآني

يرصد هذا البحث تفاصيل التلقي القرآني في أصل الإسناد القرآني حيث كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتلقى القرآن من جبريل عليه السلام عن الله عز وجل، وقد تكون البحث من ثلاثة فصول:

تكلم الفصل الأول عن أول سلسلة البلاغ عن الله -جل ذكره- المتمثلة بجبريلعليه السلام ومؤهلاته التي هيأته لنقل كلام الله عز وجل بأعلى درجات الحفظ.

وبَيَّن **الفصل الثاني** كيفية اتصال جبريلعليه السلام بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتهيئة جبريلعليه السلام والرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتحقيق ذلك الاتصال بين مُعَلِّمٍ من عالم الملائكة ورسولٍ من عالم البشر، ويقرِّب ذلك بالأمثلة المفيدة.

وَفَصَّل **الفصل الثالث** كيفية تلقي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لألفاظ القرآن الكريم، والهيئة التي تمَّ بها ذلك التلقي، وكيفية مجيء جبريل عليه السلام، وكيفية إلقاء الوحي على قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وضرب لذلك الأمثلة التي تقرب للأذهان فهم ما نقل لنا من كيفية تلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم لألفاظ القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام.

ثم ناقش ما يتصل بذلك مما يتعلق بحالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقت التلقي، وحرصه على الحفظ، وما كان يعالج من الشدة من التنزيل، ويتعجل فيه من الحفظ، **وتولي اللهعز وجل لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وإمداده بالقدرة على تلقي ألفاظ القرآن، وحفظه، وتفاصيل ترتيله، وهيئات أدائه، والمدارسة** التي كان يتعهد بها جبريلعليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل عام.

ونرجو أن البحث قد تضمن لفتاتٍ جديدةً تثري هذا الموضوع، وتستفيد من معطيات العصر، في تقريب حدوث الوحي بين عالم الملائكة وعالم البشر، وفي رصد الوقائع العملية التي تم بها حفظ ذلك الوحي.

المقدمة

حفظ القرآن بين الضمان الإلهي، والأدوات الواقعية:

تمت كلمات الله صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام، وكان مما تم أنه: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام/ 115] ويجتمع النفي في آية الأنعام المتقدمة مع الإثبات في آية الحجر ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر/ 9] ليظهر السياج الإلهي المتين الذي حفظ لفظ القرآن الكريم من أن يطرأ عليه أدنى تغيير، أو أن تعتريه شائبة تطوير سواء أكان ذلك من ساهٍ أو من متعمد تأكيداً على أهمية الحفاظ على لفظ القرآن؛ إذ هو المعبر الوحيد، والسبيل الفريد لتأويل معناه، وسبر غوره، وإدراك مغزاه، وأي تبديلٍ في لفظه، أو تحريف في أدائه، مُلْبِسٌ لمعناه بما اكتنفته عقول البشر من معانٍ.

والفهم العملي يحتم جعل هذه الحقيقة الإلهية في إطارها الواقعي، ومن ثم تكوين أدوات التنفيذ لإحالة هذه الحقيقة إلى واقع، مع اليقين بأن حدوث ذلك أمر قدري كوني للضمان الإلهي، فتكوين الأدوات الواقعية لحفظ ألفاظ القرآن الكريم إنما هو تناغمٌ مع الحقيقة الإلهية الحتمية...

وإذا كان اللفظ هو سبيل المعنى فإن أداء اللفظ هو سبيل إخراجه، وإبانتُه هو طريق إدراكه، فالتغيير في اللفظ سبيلٌ لتحريف المعنى، والخلل في أداء اللفظ خلل في اللفظ

ذاته. **فقد اجتمع من هذا الارتباط: أهمية كل واحد من الثلاثة (المعنى، اللفظ، أداء اللفظ) للآخر، وشدة تعلق كل بالآخر**[1].

أسباب دراسة المنهج النبوي في التَّعَلُّم القرآني:

أولاً: بيان الأدوات الواقعية لحقيقة الحفظ الإلهية للقرآن الكريم:

فقد بُدِئت الجهود الكثيفة التي وُجِّهت للاعتناء بلفظ القرآن الكريممن لدن جبريل عليه السلام الذي علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوحي القرآني، وبقيت هذه الجهود متتابعة إلى أيامنا، نقلاً للفظ القرآن، وطريقة أدائه، وهيئات ضبطه، وسبل رسم ألفاظه، ودروب الوقف والابتداء في آياته، وعدد تلك الآيات، وأزمنة حفظه، ومراجعته، وقراءته، وإقرائه على هيئةٍ معجزةٍ عظيمة عجيبة لتكون أحد البراهين والمعجزات على أن الإسلام هو الدين الحق المبين، وعلى الرغم من الجهود المضنية، والمكر الكبار الدائر في الليل والنهار من قبل أشرار العالم ومجانين أولياء الشيطان لمحاولة طمس نور الله، وتغيير القرآن ومحاولات اللغو فيه إلا أنه يزداد انتشاراً وارتفاعاً على الرغم من استضعاف أهله، ومحاولات إبادتهم أو تذويبهم في الثقافات المعادية للقرآن..هذا المكر الكبار ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ

(1) وهذا على تفصيل في أنواع الأداء؛ إذ منه ما يرجع إلى الصفات الذاتية للفظ، فلا يستقيم اللفظ بدونها كالاستعلاء، والاستفال، والجهر، والشدة ... ومنه ما يرجع إلى الصفات العارضة كالتفخيم، والترقيق، والفتح، والإمالة؛ إذ هي راجعة إلى الاستعلاء، والاستفال... فلا يتأثر أصل اللفظ بأدائه هنا، بل إن الدراسات الصوتية، والملاحظات العابرة لهيئات أداء الكلمات، ونطق الجمل، قد أثبتت تغير المعنى بتغير الهيئات الفرعية للأداء، كتغير النبر، وهو من الهيئات الموغلة في الفرعية من حيث نطق الألفاظ، انظر: د. يوسف الخليفة أبو بكر: البحث التربوي واللغوي في مجال تعليم القرآن الكريم، بحث منشور في مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد الأول، ذو القعدة 1415هـ.

لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26]، وعبر عنه مجرمو الحروب المعاصرة ابتغاء الغلبة الحضارية والسيادية العالمية المعاصرة،ومنهم (جلادستون)رئيس وزراء بريطانيا الذي قال في مجلس العموم البريطاني: «مادام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة علي الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان»، ويسير المنصرون الذين رافقوا هذه الحملات على نفس الخط فيقول المنصر وليم جيفورد بالكراف: «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد -صلى الله عليه وسلم- وكتابه».

ويصبح طرق هذا الموضوع في حيز الضرورة في آنٍ تعالت فيه أصوات الانهزام أمام الضغط الثقافي المستعلي الوافد، فنادت بعدم التزام اللفظ، وأنكرت التزام الأداء من حيث الأصل[1]، بل حاولت فيها أن تجعل القرآن كأي بناء لغوي منطوق يُكَوِّن صورة أدائية، تتغير بتغير الزمن، ولا يعوق هذا التغيير عوامل التقديس[2]، **وأبلغ ردٍّ على ذلك معرفة المنهج النبوي في التلقي القرآني مكونة الإطار الواقعي لحقيقة الحفظ**

(1) انظر: مثال ذلك في كتاب: الفرقان لمن رمز لاسمه بابن الخطيب، وهو محمد محمد عبد اللطيف، الطبعة لم تذكر - دار الكتب العلمية ـ بيروت، وقد طبع هذا الكتاب، ومما زعمه أن القرآن حفظ بمعناه لا بلفظه، وأن القرآن لا يجب تلقيه من القراء، فأصدر شيخ الأزهر بعد طبعه قراراً بتشكيل لجنة من ثلاثة من العلماء لمناقشة ما جاء فيه، فوضعت اللجنة تقريرها المتضمن ذكر أباطيله عام 1948م، وصودر الكتاب، واختفى من أيدي الناس على أن مصيره كان الإهمال قبل ذلك، وهو كذلك بعد ذلك . وانظر: غانم قدوري الحمد: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ط1، 1402هـ-1982 م، ص212 .

(2) انظر: (عرجون) الشيخ محمد الصادق (عميد كلية أصول الدين):بحث علمي لنقد مزاعم حول قراءات القرآن في رسالة: (أصوات المد في القرآن الكريم) بكلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية،، جامعة الأزهر، اتحاد الطلاب بكلية أصول الدين، اللجنة الاجتماعية 1386هـ-1966م .

الإلهي مما يورث الاطمئنان السابغ بعظمة القرآن، وأنه يقرأ كما أقرأه جبريل عليه السلام، وتلقاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: **أن تُتَخَذ التفصيلات الفعلية في منهج التلقي النبوي القرآني سبيلاً منهجياً في الخطة التعليمية لألفاظ القرآن** يُرْجَعُ إليها، ويُتَحاكَمُ عند الاختلاف إلى مُتَضَمَناتِها، ما دامت موضوعة ضمن **دائرة الأسوة والطاقة البشرية**.

الهيكل العام للبحث:

يتكون البحث من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مؤهلات المعلم المُلقي.

الفصل الثاني: اتصال جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لتلقينه الوحي القرآني.

الفصل الثالث:هيئة تلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألفاظ القرآن من جبريل عليه السلام.

الفصل الأول: مؤهلات المعلم المُلقي

كان المسلمون في زمن النهوض والتنوير يسألون عن خطوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وتعليمه للأمة، ومن ذلك ما قاله **الواقدي** -فيما حكاه عنه ابن سعد-: «حج أمير المؤمنين هارون الرشيد فورد المدينة فقال ليحيى بن خالد: ارتد لي رجلاً عارفاً بالمدينة والمشاهد، وكيف كان نزول جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن أي وجه كان يأتيه ...»[1].

ويتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مؤهلات المعلم الملقي.

المبحث الثاني: أمين الوحي في السماء لأهل السماء.

المبحث الثالث: اختيار جبريل عليه السلام ليكون الوسيط بين الله عز وجل ورسله.

---

(1) (ابن سعد) محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (168هـ ت 230هـ): الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت .

المبحث الأول: مؤهلات المعلم الملقي

المطلب الأول: صفات جبريل عليه السلام من حيث تهيئته الخَلْقية:

الصفة الأولى: عظمة الخلقة:

فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل: يا محمد كيف يأتيك الذي يأتيك ؟ يعني جبريل عليه السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يأتيني من السماء جناحاه لؤلؤ، وباطن قدميه أخضر)[1]، ويؤيده ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (رأيت جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى وعليه ستمائة جناح ينثر من ريشه تهاويل الدر والياقوت)[2]. وتهاويل الدر والياقوت قال **ابن الأثير** ـ رحمه الله تعالى- في تفسيرها: «أي الأشياء المختلفة الألوَان... وأصلها مما يهول الإنسانويُحيّره»[3].

ولجبريلعليه السلام القدرة على التشكل بأجسامٍ أخرى، ولكنه كان أكثر ما كان يأتيه في صورة الصحابي الجليل (دِحْية الكلبي)، فعن جابر ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (عرض علي الأنبياء ... ورأيت جبريل، فإذا أقرب من رأيت

---

(1) (ابن أبي عاصم) أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني ت287هـ: الآحاد والمثاني 3/ 456، مراجعة: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، 1411هـ-1991م، دار الراية الرياض.

(2) ابن حبان 14/ 337، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: « إسناده حسن» .

(3) (ابن الأثير) المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم أبو السعادات الجزري ت606هـ: النهاية في غريب الأثر 5/ 282، النهاية في غريب الأثر تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطباخي، 1399 هـ-1979م، دار الفكر-بيروت.

شبهاً دحية بن خليفة)[1]، **وإنما جُعِلت هذه الصفة أول الصفات لارتباطها بالقدرة التي أودعها الله في جبريلعليه السلام ليأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيعلمه القرآن بإطلاق الزمان والمكان، وعلى أي هيئة كان.**

وهل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرى جبريل عليه السلام في خلقته الأصلية دائماً؟.

الجواب: لم يره كذلك إلا مرتين فقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة-رضي الله تعالى عنها- مرفوعاً: (لم أره يعني جبريلعليه السلام على صورته التي خلق عليها إلا مرتين)[2]، وبين أحمد في حديث ابن مسعود أن الأولى كانت عند سؤاله إياه أن يريه صورته التي خُلِق عليها، والثانية عند المعراج[3].

ورؤيته لجبريل عليه السلام مرة **تحقق جملة أمور من حيث نقل القرآن:**

منها: إيقاع الطمأنينة في قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم برؤيته لعظيم قدرة الله عز وجل تتجلى في جبريلعليه السلام من جهة، **ومن جهة أخرى لطمأنته، وتثبيت قلبه**

---

(1) مسلم 1/ 153، وراجع: (الدينوري) عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت276 هـ: تأويل مختلف الحديث، مراجعة: محمد زهري النجار، 1972م ـ 1393هـ، دار الجيل ـ بيروت، ففيه ردٌ على من استنكر وجود خلق له قدرة على التشكل، وقد أُتِيَ هذا المستنكِر مِنْ كِبْرٍ في نفسه ما هو ببالغه، وأول كلام ابن قتيبة ـ رحمه الله تعالى ـ: «ولم يأت أهل التكذيب بهذا وأشباهه، إلا لردهم الغائب عنهم إلى الحاضر عندهم، وحملهم الأشياء على ما يعرفون من أنفسهم، ومن الحيوان، والموات، واستعمالهم حكم ذوي الجثث في الروحانيين...» .

(2) مسلم 1/ 153.

(3) أحمد 120/3، وللترمذي من طريق مسروق عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ: (لم ير محمد جبريل في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد) .

على قدرة جبريلعليه السلام على نقل القرآن، وتبليغ رسالة ربه دون توانٍ، وزادت هذه الطمأنينة تأكيداً برؤيته له مرة أخرى.

ومنها: دفع توهم أن الذي يأتيه شيطان لا من قلبه فقط، بل من قلب غيره.

الصفة الثانية: أنه مَلَك:

والمَلَك واحد الملائكةُ، وهو في الأصل جمع مَلأكٍ ثم حُذفَتْ همزتُه لكثرة الاستعمال فقيل مَلَكٌ، وقد تحذفُ الهاء فيقال مَلائِك، وقيل أصلُه مَأْلَكٌ بتقديم الهمزة من الأُلُوك الرسالة، ثم قدِّمَت الهمزة وجُمع[1]، فالرسالة طبيعة ذاتية ملازمة لكون الملك ملكاً، وهذه الرسالة هي ما يصدر إلى الملائكة من أوامر فيؤدونها أدق أداء، وأتمه، وليس يخفى أن هذه هي أولى وسائل اليقين في نقل القرآن، إذ كون الرسالة طبيعة ذاتية في الملائكة يستلزم: **الأمانة في نقلها، وإتقان النقل**، ويعضد هذا أنهم المختارون ليكونوا وسائط بين الله عز وجل وخلقه، ولذا فقوله تعالى ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء/ 27] إيضاحٌ لحال الملائكة، وليس بتأسيس لصفة جديدة بعد نعتهم بالملائكية، واقتضى هذا الإيضاحَ دحضُ تخرصات الشرك وأهله في طبيعة الملائكة.

(1) النهاية في غريب الأثر 4/ 358، وفيه: «وفي حديث جرير: عليه مَسْحَةُ مَلَكٍ، أي أَثَرٌ من الجمال لأنهم أبداً يصِفُون الملائكَةَ بالجَمالِ». وهذه صفة خَلْقية أخرى إلا أنه لا يتعلق بها كبير أمر هنا .

الصفة الثالثة: الروح:

وقد وردت هذه اللفظة على خمس معانٍ في القرآن الكريم[1]، ولا خلاف بين المفسرين وغيرهم في أن المراد بها في قوله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء/ 194] هو جبريل عليه السلام [2]، ويسمى جبريل عليه السلام روح القدس لأنه خُلِق من طَهارة[3].

وهذه الصفة الجليلة لجبريلعليه السلام ورد مدحه بها في معرض التأكيد على سلامة نقل القرآن، وبيان خصائص لفظه من سورة الشعراء، **وذلك دالٌ على مبلغها من جلالة القدر في نقل القرآن من السماء إلى الأرض**، ولعل من أسرارها في هذا الباب أن الروح فيه معنى الحياة والحركة، ويومئ ذلك إلى أن تلقي جبريل عليه السلام للقرآن من الله عز وجل تلقٍ حي لا يعروه شائبة كسل، أو موات.

ويزيد هذا المعنى إيضاحاً أن لفظة (روح) لا ترد في القرآن الكريم إلا للأمور التي استأثر الله عز وجل بها بأحد أنواع الاستئثار علماً (كروح الإنسان)، أو قولاً

---

(1) (ابن القيم) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعي الدمشقي، الروح لابن القيم ص206 ـ عالم الكتب بيروت، وذكر ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ نقلاً عن ابن التين في معنى لفظ الروح حيث ورد في القرآن الكريم تسعة معان، وأما حقيقتها فقد ذكر أنهم اختلفوا فيها على أكثر من مائة قول، وذا تكلف جلي فيما لا طائل من تحته.

(2) وعند (ابن سعد) أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزُّهري (168ـ 230): الطبقات الكبرى 1/ 194، دار صادر ـ بيروت: عن قتادة في قوله تعالى ﴿وَأَيَّدْنَهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة/ 87] قال: «هو جبريل».

(3) النهاية في غريب الأثر 4/ 23.

(كالقرآن)، **وهذا يثبت ما ذُكِرَ من علاقة سلامة نقل القرآن من السماء إلى الأرض، ودقة نقله كما قاله الله** عز وجل، بوصف جبريل عليه السلام بالروح.

كما أن من أهم مقتضيات كونه روحاً: إمكانية الاتصال المطلق، مع خفاء ذلك على من حوله، وذاك يمكنه من المجيء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون أن يشعر به أحد، وذلك لأن الروح تطلق على ما خفي.

الصفة الرابعة: السرعة والفورية في النزول بالوحي القرآني:

ففي نموذج البلاغ العام:قال صهيبرضي الله عنه :(يا رسول الله! ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبريل)[1].

وفي **البلاغ القرآني الخاص**روى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالساً في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أملى عليه ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النساء/ 95] ـ قال ـ: فجاء ابن أم مكتوم وهو يمليها عليّ، فقال: يا رسول الله! لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفخذه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت أن تُرَض فخذي، ثم سُرِّي عنه...فأنزل الله عز وجل ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[2].

---

(1) الحاكم3/ 452وصححه.

(2) البخاري 3/ 1042.

الصفة الخامسة: القوة:

كما قال تعالى ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ [النجم/ 6] أي هو صاحب جسمٍ «في قوةٍ وقدرةٍ عظيمةٍ على الذهاب فيما أمر به، والطاقة لحمله على غاية من الشدة لا توصف»([1]).

على أنه ينبغي التنبيه من خلال الاستعراض لمظاهر قوة جبريل عليه السلام الخلقية أن هذه الخلقة العظيمة التي هيأه الله -تعالى ذكره- بها تحمل في طياتها تهيئته بحمل الأجهزة التكوينية المناسبة لحفظ كلام الجبار عز وجل **عند استماعه، ثم نقله له كما هو إلى النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **بالسرعة المطلوبة في الوقت المعين.**

المطلب الثاني: صفاته عليه السلام من حيث مزاياه الخُلُقية:

الصفة الأولى: كريم:

كما في قوله عز وجل ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير/ 19]، وهي صفة تقتضي نفي المذام كلها، وإثبات صفات المدح اللائقة به([2])، وفي تفسيرها يقولالآلوسي -رحمه الله تعالى-: «عزيز على الله سبحانه وتعالى»([3])، وقال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «ملك حسن الخلق بهي المنظر»[4]، وفي التحرير والتنوير في معنى كريم أنه: «النفيس في نوعه»[5].

---

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي 19/ 44، 1413هـ، 1992م.

(2) البحر المحيط 8/ 434.

(3) روح المعاني 30/ 104.

(4) ابن كثير4/ 409.

(5) انظر: التحرير والتنوير30/ 153.

الصفة الثانية: ذو قوة:

«أي شديد، وقيل: المراد القوة في أداء طاعة اللهعز وجل، وترك الإخلال بها من أول الخلق إلى آخر زمان التكليف، وقيل: لا يبعد أن يكون المراد قوة الحفظ، والبعد عن النسيان، والخلط»[1].

ولا يستبعد شمول وصف ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ [التكوير/ 20] لذلك كله؛ إذ يقتضي ذلك إطلاقُها، وعدم تقييد النكرة ﴿ قُوَّةٍ﴾ بشيء! بل ذلك هو الأظهر، **ويُستظْهَرُ هذا المعنيحتى يصير في حيز الحقيقة المقررة:** بمجيء كلمة (قوة) مجموعة في قوله عز وجل ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم/ 5]، فما كُلِّف به من أمر غير عاجز[2].

ويدخل في هذه القوة دخولاً أولياً:

أ- **قوة الحفظ.**

ب- **وقوة الوصول إلى الرسول من البشرفهو يهبط من السماء إلى الأرض، ثم يصعد في أسرع من رد الطرف»**[3].

ج- **وتلطف المجيء،** له بما يحتاج من خصال يحتاجها الملك، ليعوض بها ضعف البشر عن إدراك الملأ الغيبي؛ لذا قال الشوكاني: «ذي قوة شديدة في القيام بما كلف به»[4].

---

(1) روح المعاني 30/ 104.

(2) انظر: تفسير الطبري 30/ 80.

(3) حاشية الصاوي 4/ 389.

(4) فتح القدير 5/ 481.

الصفة الثالثة: ﴿مُّطَاعٍ﴾ [التكوير/ 21]:

فهو مطاع في ملائكة الله المقربين يصدرون عن أمره، وهو مؤكد لحقيقة ائتمارهم بأمره، ومن أسباب ذلك أنه أمين الوحي في السماء لأهل السماء.

الصفة الرابعة: ﴿أَمِينٍ﴾ [التكوير/ 21]:

فهو أمين الأمانة التي تقتضي القيام **بالتبليغ الذي يصل إلى درجة من الدقة حتى في هيئات الألفاظ الداخلية والخارجية**، وقد اتخذت هذه الأمانة طابعين:

أ- طابع العموم في كل ما أؤتمن عليه: قال الطبري: «أمين عند الله على وحيه، ورسالته، وغير ذلك مما ائتمنه عليه»[1].

ب- طابع الدقة والتفصيل: إذ يتسع أُفق فهمها ليشمل هيئات الألفاظ الداخلية فذلك مقتضى الإطلاق في وصفه بالأمانة هنا.

وأمانته من حيث الأصالة تتسم بسمتين:

فهي ملكةٌ دائمةٌ ثابتةٌ، وسجيةٌ متجددةٌ: **إذ الأمين هو الذي يحفظ ما عُهِدَ له به حتى يؤديه دون نقص، ولا تغيير.**

وأمين (فعيل) إما بمعنى مفعول: أي مأمون من أمنته على كذا، وإما صفة مشبهة من أمُن بضم الميم، إذا صارت الأمانة سجيته[2].

---

(1) تفسير الطبري30/ 80.

(2) التحرير والتنوير 30/ 157، وكذا روح المعاني30/ 104.

وسر الإتيان بقوله تعالى﴿ثَمَّ﴾ بين هاتين الصفتين (مطاع، أمين) في قوله عز وجل ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾: أن ﴿ثَمَّ﴾ ظرف مكان للبعيد، والمراد أنه موصوف بذلك في السماء، **وهو يوحي بلزوم اكتفائكم بهذه الأوصاف المطمئنة القاذفة لليقين بسلامة الرسالة، ودقتها، وأنها كما أرادها الله عز وجل، وكما قالها** فهي قرآن لم تطرأ عليها بارقة تغيير من أحد من المخلوقين؛ إذ الكلام عن غيب ما أدراكم به أنتم؟ فلتسمعوا وصفه من مرسله، وخالقه، وحسبكم أنه بهذه المكانة في ذلك المكان الأعلى، ولو شاء الله عز وجل ما تلا عليكم ما أُمر بتبليغه، ولذا قال الآلوسي: «والمقام يقتضي تعظيم الأمانة؛ لأن دفع كون القرآن افتراء منوط بأمانة الرسول»[1].

ولهذه الأمانة مقتضاها العملي الهام في جهتين:

-**جهة في ذاته**: بأن يكون في أعلى درجات الخشية لله تعالى، والمراقبة له: وهذه وإن كانت سجية دائمة ملازمة للملك من حيث هو ملك، إلا أنها في جبريلعليه السلام ظاهرة التميز، فعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى، وجبريلعليه السلام كالحلس البالي من خشية الله تعالى)[2].

-**جهة في غيره**: وهو أن يكون جبريلعليه السلام إذ اتصف بها: مقبول القول، يصدق فيما يقول، **مؤدياً لما أؤتمن عليه أحسن الأداء، وأدقه.**

الصفة الخامسة: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير/ 20]:

---

(1) روح المعاني30/ 105.

(2) رواه الطبراني في الأوسط 2/ 134، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم 5864.

أي هو ذو مكانة رفيعة عند الله العظيم جل جلاله، فـ ﴿مَكِينٍ﴾(فعيل) من مكن إذا علت رتبته عند غيره، يعني هو ليس من أفناد الملائكة، بل هو من السادة الأشراف.

ومما يُتَفَطَن للتأمل فيه في قوله عز وجل في وصف جبريل عليه السلام : ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير/ 20]: تَوَسُطُ ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ بين ﴿ذِى قُوَّةٍ ﴾ و﴿مَكِينٍ﴾، **وسر ذلك**: ليتنازعه كلا الوصفين على وجه الإيجاز، أي هو ذو قوة عند الله عز وجل، وهو ذو مكانة عند الله وزلفى.

الصفة السادسة: حكيم عليم:

كما قال عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل / 6]؛ إذ قيل بأنها نعتٌ لجبريل عليه السلام فالمعلم المُلْقِي لا يلقي شيئاً إلا بعلمه.

المبحث الثاني: أمين الوحي في السماء لأهل السماء

وتلك من أسباب جدارته الفائقة لأمانة الوحي النازل لأهل الأرض .

فعن النواس بن سمعان ﷺ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن الله إذا أراد أن يأمر بأمر تكلم به، فإذا تكلم به أخذت السماء رجفة، أو قال رعدة شديدة فإذا سمع بذلك أهل السماء، [وفي رواية متداخلة بين البخاري وغيره: ضَرَبَتِ الْمَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ يسمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ فيفزعون] صعقوا فيخرون سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلامفيكلمه الله من وحيه بما أراد فيمر به جبريل عليه السلام على الملائكة، فكلما مر بسماء سألته ملائكتها: ماذا قال ربنا ؟.قال جبريلعليه السلام:قال ربكم الحق وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم كما قال جبريلعليه السلام،[وفي رواية:

وقرأ:﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [سبأ: 23][وعند ابن مردويه: (ما نزل جبريل بالوحي، فزع أهل السماء لانحطاطه، وسمعوا صوت الوحي، كأشد ما يكون من صوت الحديد على الصفا فيقولون: يا جبريل بما أمرت...) فينتهي جبريل عليه السلام بالوحي حيث أمر من سماء وأرض)[1].

فجبريل هو الذي ينقل الخبر لأهل السموات فيتناقلونه ويتعلمون من جبريل عليه السلام بدء الكلام عما في الوحي بالتسبيح والتمجيد كما في مسلم عن ابْن عَبَّاسٍ قَالَ أَخْبَرَنِى رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- مِنَ الأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِىَ بِمِثْلِ هَذَا». قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « فَإِنَّهَا لاَ يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ -قَالَ- فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَوَاتِ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيُرْمَوْنَ بِهِ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ».

ومن الأمثلة التفصيلية الرائعة العظيمة لهذا الوحي السماويا جاء في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب

(1) الطبراني في مسند الشاميين، وأصله عند البخاري وابن حبان.

فلاناً، فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض)[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إن العبد ليلتمس مرضاة الله، ولا يزال بذلك فيقول الله عز وجل لجبريل: إن فلاناً عبدي يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي عليه، فيقول جبريل: رحمة الله على فلان، ويقولها حملة العرش، ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السماوات السبع، ثم تهبط له إلى الأرض)[2]- اللهم اجعلنا فيهم ومعهم يا أرحم الراحمين-.

وقد لا يكون الوحي أمراً إلهياً لأحد من المخلوقين، بل هو حديث بين الجبار جل جلاله وبين جبريل عليه السلام ، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لما خلق الله الجنة، قال لجبريل: اذهب، فانظر إليها. فذهب، فنظر إليها، ثم جاء، فقال: أي رب، وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم حفها بالمكاره، ثم قال: يا جبريل اذهب، فانظر إليها. فذهب، فنظر إليها، ثم جاء، فقال: أي رب، وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد. -قال- فلما خلق الله النار، قال: يا جبريل اذهب، فانظر إليها. فذهب، فنظر إليها، ثم جاء. فقال: أي رب، وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فحفها بالشهوات، ثم قال: يا جبريل اذهب، فانظر إليها. فذهب، فنظر إليها، ثم جاء، فقال: أي رب وعزتك، لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها)[3].

---

(1) البخاري 3/ 1175.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل 5/ 279.

(3) ابن حبان 16/ 406، والمستدرك 1/ 79.

المبحث الثالث: اختيار جبريل عليه السلام ليكون الوسيط بين الله عز وجل ورسله

المطلب الأول: من حيث عموم الرسالات السماوية

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء/ 163]، ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي: فقال له ورقة: (هذا الناموس الذي نزل الله على موسى)[1]، فقد قال البخاري في معناه: «الناموس صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره»[2]، وقال شارح الطحاوية في قوله عز وجل: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء/ 194] «هو جبرائيل عليه السلام ، سمي روحاً لأنه حامل الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرسل من البشر صلوات الله عليهم أجمعين»[3].

وانفراده بذلك يدفع عاملاً خطيراً ومنطقياً من عوامل التشكيك في نقل كلام الله عز وجل، وقد أدرك الإمام السيوطي أهمية هذا المسألة، فألف رسالة بعنوان «لبس اليَلَب في الجواب عن إيراد أهل حلب»، قال: «لما وصل كتاب الأعلام إلى حلب -وقف عليه واقف فرأى فيه قولي أن جبريل عليه السلام **هو السفير** بين الله عز وجل وبين أنبيائه،

---

(1) البخاري 1/ 4 .

(2) البخاري 3/ 1241.

(3) شرح العقيدة الطحاوية 315.

لا يعرف ذلك لغيره، فكتب على الهامش، بل قد عرف ذلك لغيره من الملائكة، فأجاب فأجبت...الخ»[1].

المطلب الثاني: من حيث خصوص رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

قال الله عز وجل ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة/ 97]، وقوله عز وجل ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم/ 5]، **وقد كان جبريل عليه السلام معلم الدين أصولاً وفروعاً؛** فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (هذا جبريل عليه السلام يعلمكم دينكم)ثم ذكر مواقيت الصلاة[2]، ونحوه حديث جبريل عليه السلام المشهور عن عمر بن الخطاب عند البخاري ومسلم[3]، ومثله عن أبي هريرة ﷺ عند مسلم[4].

كما أن جبريلعليه السلام **هو واسطة النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **التعليمية الوحيدة إلى عالم الغيب**: فلا يتعرف على العالم الغيبي إلا بواسطة جبريل عليه السلام كعالم الملائكة، وعالم الجن:

---

(1) (حاجي خليفة) مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي ت 1067هـ: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون 2/ 1547، 1992م ـ 1413هـ، دار الكتب العلمية -بيروت.

(2) (البيهقي) أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (384هـ ـ ت458هـ): سنن البيهقي الكبرى، مراجعة: محمد عبد القادر عطا، 1994م ـ1414هـ، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة.

(3) رواه البخاري 1/ 15، ومسلم 1/ 4.

(4) رواه مسلم 1/ 49.

فأما عالم الملائكة: فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في حديث ذهابه إلى ثقيف: (فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت. إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)[1].

ومن ذلك **تعرفه على ملائكة السماء** وخزنتها في حادثة الإسراء فقد كانت واسطته هي جبريل عليه السلام.

وأما عالم الجن: فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الجن وهو مع جبريل عليه السلام وأنا معه، فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ، وجعل العفريت يدنو، ويزداد قرباً، فقال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا أعلمك كلمات تقولهن فيكب العفريت لوجهه، وتطفئ شعلته؟ قل أعوذ بوجه الله الكريم، وكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر، ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، وما يخرج منها،

(1) البخاري 3/ 1180.

ومن فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن.فكب العفريت لوجهه وانطفأت شعلته)[1].

كما هو أيضاً واسطته إلى غيب خارج ذلك: فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أتاني جبريل عليه السلام فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي)[2].

من فوائد ذلك: حمايته صلى الله عليه وآله وسلم من أن يتطرق إليه الشك عندما يبلغه غير جبريل عليه السلام من الملائكة الوحي، فيلقي الشيطان أنه ليس ملكاً، وحمايته من الشياطين أن يفكروا بالتلبيس عليه[3].

المطلب الثالث: من حيث خصوص الخصوص:

أي من حيث كون جبريل عليه السلام هو المقرئ الوحيد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الملائكة فعن ابن عباس رضي الله عنهما حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)[4].

---

(1) (النسائي) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ت303 هـ: السنن الكبرى 6/ 237 مراجعة: د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، 1411هـ/ 1991م دار الكتب العلمية ـ بيروت، وقد جاء في رواية: (علمنيهن جبريل وزعم أن عفريتاً يكيدني) .

(2) المستدرك 3/ 77.

(3) ونقل القاضي عياض الإجماع على عصمته صلى الله عليه وآله وسلم في الشفاء 2 / 141، ولكن ذلك إجماع يفتقر إلى المستند، فليكن ذا في طريق ذاك المستند.

(4) البخاري 4/ 1909.

ولأنه الملقي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم **ألفاظ لقرآن الكريم**: فقد باتت مسألة التلقي منه مصدر مرجعي بدهي في أوساط الأمة: يُرْجَعُ إلى طرقها عند الاختلاف، ويُحْتَجُ بثبوت النقل عنها عند التعليم، فعن الأعمش قال: سمعت الحجاج بن يوسف يقول وهو يخطب على المنبر: ألفوا القرآن كما ألفه جبريلعليه السلام السورة التي تذكر فيها البقرة، والسورة التي تذكر فيها النساء، والسورة التي يذكر فيها آل عمران، قال: فلقيت إبراهيم- النخعي، فأخبرته بقوله، فسبه، ثم قال: حدثني عبد الرحمن بن يزيد أنه كان مع عبد الله بن مسعود، فأتى جمرة العقبة، فاستبطن الوادي، فاستعرضها، فرماها من بطن الوادي بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إن الناس يرمونها من فوقها، فقال: هذا - والذي لا إله غيره - مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة[1].

عداوة جبريل عليه السلام مقياس مطلق لعداوة الله ــتعالى ذكره-:

ولما سبق كان التشديد، والإفزاع الأكيد للعقل والعاطفة من مجرد التفكير في الكلام على جبريل عليه السلام، أو عدائه؛ إذصار مقياساً مطلقاً لعداوة الله ورسله وملائكته، ولذا كان قوله عز وجل ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة/ 98] عقب قولهعز وجل ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبۡرِيلَ﴾ [البقرة/ 97]، فعداوتهم لله عز وجل بمنزلة المقدمة الكبرى؛ لأنها العلة في المعنى عند التأمل، وعداوتهم لرسوله جبريل عليه السلام بمنزلة المقدمة الصغرى لأنها السبب الجزئي المثبت[2].

---

(1) رواه مسلم 2/ 942.

(2) انظر: التحرير والتنوير 1/ 623.

وقوله تعالى ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ لا يظهر فيها أن قوله ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ جواب الشرط، لما تقرر في علم العربية أن اسم الشرط لا بد أن يكون في الجواب ضمير يعود عليه، وقوله ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ ليس فيه ضمير يعود على من، وقد صرح بأنه جزاء للشرط الزمخشري وهو خطأ لما ذكرناه من عدم عود الضمير، ولمعنى فعل التنزيل، فلا يصح أن تكون الجملة جزاء، وإنما الجزاء محذوف لدلالة ما بعده عليه، والتقدير: فعداوته لا وجه لها، أو ما أشبه[1]، كذا قال أبو حيان ـ رحمه الله تعالى ـ، ولو كان التقدير: فهو عدو لله أو فهو كافر بالوحي...لكان أظهر، وأولى، وأنسب لقوله ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ فأشار بأن إنزال الله جبريلعليه السلام بالقرآن قامعٌ لكل من تسول له نفسه عداوة جبريلعليه السلام.

وموضع الاستشهاد من هذا الإيراد ربط جبريلعليه السلام بإنزال القرآن الكريم، وقد ذكر عبارة ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ ، وهو ينصرف انصرافاً أولياً للقرآن الكريم، وجعل هذا كله خادماً للاطمئنان على نقل القرآن، وإيصال كلام الله إلى الأرض، وهو زاجر بالإشارة، وبصريح العبارة عن الطعن فيه بعد ذلك أيضاً.

إنه جبريل عليه السلام **...إنه القرآن الكريم...إنه رسول الله الأمين** صلى الله عليه وآله وسلم**...فأين أنت ياحافظ الذكر المبين؟**...

أيها الشادي بقرآن كريم! وهو في ركن من البيت مقيم
قم! وأبلغ نوره للعالمين قم! وأسمعه البرايا أجمعين
من له من ثروة الهادي نصيب فهو من جبريل في الدنيا قريب

(1) انظر:البحر المحيط 1/ 319.

الفصل الثاني: اتصال جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لتلقينه الوحي القرآني

ويتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تهيئة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للوحي، والاتصالِ بالمَلَك

المبحث الثاني : إمكانية الاتصال المطلق بين جبريل عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

المبحث الثالث: هيئات مجيء الملك بالوحي القرآني (من حيث عموم الوحي)

المبحث الأول: تهيئة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للوحي، والاتصالِ بالملك

اقتضت بشرية الرسول، وملكية الملك أن يُهَيأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإمكانية لقاء الرسول الملك في أي وقت، على أي حال.

وتمثلت هذه التهيئة في ستة مظاهر هي عبارة عن **ممهدات قيضها الله لنبيه** صلى الله عليه وآله وسلم:وممن صرح بأن ثمت ممهدات للوحي ابن حجر -رحمه الله تعالى- حيث قال: وبدئ بذلك ليكون تمهيداً، وتوطئة لليقظة ثم مهد له في اليقظة أيضاً برؤية الضوء، وسماع الصوت، وسلام الحجر[1]، ومن أهم مظاهر هذه التهيئة:

---

(1) فتح الباري 1/ 23.

أولاً: حادثة شق الصدر: وقد وقعت مرتين:

أما المرة الأولى: فعن أنس ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق قلبه فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه، وأعاده في مكانه[1].

وأما المرة الثانية عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ﷺ قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، وذكر يعني رجلاً بين الرجلين، فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة وإيماناً، وأتيت **بدابة** أبيض دون البغل، وفوق الحمار يقال له: البراق فانطلقت مع جبريلحتى أتينا السماء الدنيا ...)[2] الحديث.

ومحصله إن الشق الأول كان لاستعداده لنزع العلقة التي قيل له عندها هذا حظ الشيطان منك، والشق الثاني: كان لاستعداده للتلقي الحاصل له في تلك الليلة»[3].

ثانياً: ثم بدأ يتعدى القوى البشرية القاصرة: قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أصبع إلا ملك ساجد...) الحديث[4].

---

(1) مسلم 1/ 147.

(2) البخاري 3/ 1173.

(3) فتح الباري1/ 460.

(4) مسند أحمد 5/ 173، المستدرك 2/ 554.

ثالثاً: وكان جبريل عليه السلام **يأتيه في المنام**: كنوع من التدريج في اعتياد الطبيعة البشرية لرسول الله عليه السلام؛ ففي حديث عائشة ــ رضي الله تعالى عنها ــ في بدء الوحي قالت: أول ما بدئ به رسول الله الرؤيا[1].

رابعاً: الرؤيا الصادقة: فقد جاء في حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها-عند البخاري:(أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي الرؤيا الصالحةفكان لا يرى رؤيا إلا وقعت مثل فلق الصبح)[2].

خامساً: الآيات التي كانت تظهر له: مثل تسليم الحجر؛ كما ثبت عن جابر ابن سمرةرضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفهالآن)[3].

سادساً: التحنث: فقد جاء في حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها-: (ثم حبب إليه الخلاء فكان يتحنث في غار حراء...)[4].

والخلاء بالمد الخلوة، **والسر فيه أن الخلوة** فراغ القلب لما يتوجه له[5]. وقد فُسِرَ في الحديث معنى التحنث من بعض رواته، فقال: (وهو التعبد الليالي ذوات العدد).

وقد قيل في تأويل التحنث أنه من الحنفية إذ تبدل الثاء من الفاء كثيراً، أو من إلقاء الحنث وهو الإثم[6].

---

(1) البخاري 1/ 3.
(2) البخاري 1/ 3.
(3) مسلم 4/ 1782.
(4) البخاري 1/ 3.
(5) انظر: فتح الباري بشرح البخاري 1/ 13.
(6) انظر: فتح الباري بشرح البخاري 1/ 13.

وهكذا كانت التهيئة الإلهية لاتصال أمين الوحي في السماء عليه السلام **بأمين الوحي في الأرض**صلى الله عليه وآله وسلم **...وتمضي- هالات التعليم النورانية بين أشرف الخلق في السماء** عليه السلام، **وأشرف الخلق في الأرض والسماء** صلى الله عليه وآله وسلم ،لتَعلُّم وتعليم خير الكلام في الأرض والسماء:

محمد في فؤاد الغار مرتجفُ ... في كفه الدهر والتاريخ والصحفُ
مزمل في رداء الطهر، قد صعدت ... أنفاسه في ربوع الكون تأتلفُ
جبريل يروي لنا الآيات في حُلَلٍ ... من القداسات والأفلاك قد دلفوا
من السموات تهمي كل غادية ... على ديارٍ بنوها بالهدى شغفوا

المبحث الثاني: إمكانية الاتصال المطلق بين جبريل عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم

يدرس هذا المبحث مسألة الإطلاق في اتصال جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم زماناً ومكاناً، فلا يحول دون لقائه به حائل، وذلك حتى تطمئن قلوب المؤمنين بدقة تلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألفاظ القرآن الكريم؛ **ومن سمات هذا الإطلاق:**

أولاً: الالتقاء الخفي، والكلام الخفي: فلا ضير في وجود بشر من حوله، أو عدم وجودهم لخفاء اتصاله، حيث كان مجيء جبريل عليه السلام دون أن يشعر به الناس، ومما يدل على ذلك ما في حديث ابن عباس ﷺ قال: كنت مع أبي عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده رجل يناجيه، وفي لفظ: وهو كالمعرض عن العباس ﷺ فخرجنا

من عنده، فقال: ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني؟، فقلت: إنه كان عنده رجل يناجيه، وفي لفظ: فقال: أو كان عنده أحد؟ قلت: نعم! قال: فرجع إليه، فقال: يا رسول الله! هل كان عندك أحد؟؛ فإن عبد الله أخبرني أن عندك رجلاً تناجيه. قال: (هل رأيته يا عبد الله ؟) قال: نعم! قال: (ذاك جبريل، وهو الذي شغلني عنك)[1]، وكما في حديث عائشة-رضي الله تعالى عنها-أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لها: (يا عائشة! هذا جبريل يقرأ عليك السلام) فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى تريد النبي صلى الله عليه وآله وسلم[2].

ثانياً: وينادي ويكلمه دون أن يشعر أحد من حواليه غالباً سماعاً، كما هو رؤية: قال : (فإن جبريل أتاني حين رأيت، فناداني، فأخفاه منك، فأجبته، فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك، وظننت أن قد رقدت، فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع، فتستغفرلهم...) الحديث[3].

فالأذن المعتادة لا تسمع جبريلعليه السلام، **والعين المعتادة لا تراه، وذلك لأنه يصل إلى مركز الإبصار، ومركز السمع مباشرة...ولهذا قال** صلى الله عليه وآله وسلم: **(هذا**

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل 1/ 293، وإنما لا يرى جبريل عليه السلاملأنه الروح، والروح: قال في النهاية: «ومنه الحديث الملائكة الرُّوحانِيُّون، يروي بضم الراء وفتحها، كأنه نسْبة إلى الرُّوح، أو الرَّوح وهو نسيم الرّيح، والألفُ والنونُ من زيادات النَّسَب، ويريد به أنهم أجسامٌ لَطيفةٌ لا يُدرِكها البصر، ومنه: حديث ضماد: «إني أعَالِجُ من هذه الأرْواح: الأرواحُ هاهنا كِنايةٌ عن الجنِّ، سُمُّوا أرْواحاً لكونهم لا يُرَوْن فهُم بمنزلة الأرْواحِ».

(2) البخاري 3/ 1177.

(3) مسلم 2/ 669.

جبريل جاء يعلمكم دينكم) فلما أراد جبريل عليه السلام أن يعلمهم كان لا بد من أن يتمثل لهم بشراً تدرك عيونهم صورته، وتدرك أسماعهم صوته.

ولا يستطيع البشر أن يروا الملك إلا إذا تمثل لهم بشراً، فقرر النووي (في حديث أم سلمة -رضي الله تعالى عنها- حيث رأت جبريل على صورة دحية): أن «فيه جواز رؤية البشر غير الأنبياء للملائكة، ووقوع ذلك، ويرونهم على صورة الآدميين؛ لأنهم لا يقوون على رؤيتهم على صورهم»[1].

ثالثاً: الإطلاق من حيث النداء والوقت: فعن أنس ﷺ قال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كنت نائماً حيث رأيتم، فسمعت في نومي دوياً كدوي الرحى، أوهزيزاً كهزيز الرحى، ففزعت في منامي، فوثبت، فمضيت فاستقبلني جبريل فقال: يا محمد! إن الله عز وجل بعثني إليك الساعة لأخيرك، فاختر إما أن يدخل نصف أمتك الجنة، وإما الشفاعة يوم القيامة...) الحديث[2].

رابعاً: الإطلاق من حيث المكان: وكان يجيئه حيث كان عند اقتضاء المجيء، ووجود الأمر الإلهي بالنزول: فعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: دخلت المسجد فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خارجاً من المسجد، فاتبعته أمشي وراءه، ولا يشعر حتى دخل نخلاً، فاستقبل القبلة، فسجد فأطال السجود، وأنا وراءه حتى ظننت أن الله عز وجل قد توفاه فأقبلت أمشي حتى جئته فطأطأت رأسي أنظر في وجهه، فرفع رأسه، فقال: (ما لك يا عبد الرحمن؟) فقلت له: لما أطلت السجود يا رسول الله

(1) فتح الباري 4/ 235.
(2) المعجم الأوسط 2 / 233.

!خشيت أن يكون الله عز وجل قد توفى نفسك، فجئت أنظر، فقال:(إني لما دخلت النخل لقيت جبريل عليه السلام فقال:إني أبشرك أن الله عز وجل يقول: من سلم عليك سلمتُ عليه، ومن صلى عليك صليتُ عليه)[1].

وبعد : فلا إشكال ولا لبس في حدوث عملية الوحي بين عالم الملائكة متمثلاً بجبريل عليه السلام **وبين عالم البشر متمثلاً بالنبي** صلى الله عليه وآله وسلم **حتى تتلقف من قبل بعض الألسنة بالغمز أو اللمز...تلك كانت شنشنة المستكبرين من قبل إذ قالوا** ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ﴾ [ص/ 8]**... فلقد رأينا في عصرنا صوراً من الوحي الخفي الذي يقع بين الناس بعد أن يتوافر فيه شرطان: وسيلة الإرسال المناسبة، ووسيلة الاستقبال الخاصة...فترى شخصاً في قرية أو مجتمع يتلقى المعلومات من شخص آخر بعيد، يملك جهاز الإرسال المناسب، فيسمعه بأدق ما يكون السماع ...ومن لا يملك جهاز الاستقبال بجواره لا يسمع شيئاً...بل يتعدى الأمر من السماع إلى الرؤية، فبواسطة الهاتف المرئي تستطيع أن تسمع بجهازك كما تستطيع أن ترى لكلام وصورة تبعد عنك آلاف الأميال وتحادثها ...فالشرط هو وجود جهاز الإرسال والاستقبال...فإذا كان هذا صنع الإنسان، وهو ما يزال يعد بالمزيد مستقبلاً...فإن الذهن يتقبل بتلقائية شديدة أن يكون خالق الإنسان قد زود المصطفين من رسله من الملائكة ومن الناس بما يمكنهم من الاتصال المباشر...وقد تقدمت مظاهر الإعداد الإلهي لجبريل** عليه السلام **في الفصل الأول ليكون أمين وحي الله**عز وجل، **كما سبقت آنفاً مظاهر من التهيئة الإلهية الخاصة للنبي الكريم** صلى الله عليه وآله وسلم

(1) سنن البيهقي الكبرى9/ 285.

فهي لمحات تبين أن الاتصال بين المستويين الفيزيائيَين لعالمي الملائكة والبشر أيسر ـ حتى ـ من الاتصال بين البشر والبشر.

ولذا فإن الاتصال المباشر بين مستويين من عالم الوجود الملائكي والبشري دون واسطة آلات لا شك يتطلب قدرة خاصة ليتم التلقي، وقدرة أخرى عند الاثنين (جبريلعليه السلام **والنبي** صلى الله عليه وآله وسلم**) ليتم الوحي ...ولذلك كنا نرى الآثار الشديدة للاتصال بينهما تظهر على الرسول** صلى الله عليه وآله وسلم **وهو يتلقى الوحي بعد أن هيأه الله لذلك الاتصال...**

المبحث الثالث: هيئات مجيء الملك بالوحي القرآني (من حيث عموم الوحي)

يرجعان إلى ما ورد في حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها-أن الحارث بنهشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله! كيف يأتيك الوحي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهوأشده علي، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال وأحياناًيتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني، فأعي ما يقول) قالت عائشة-رضي الله تعالى عنها-:ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً[1]، وفي لفظ له: (كل ذاك: يأتي الملك أحياناً في مثل صلصلة الجرس...).

(1) البخاري 1/ 4.

قال ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «قوله: (كل ذلك يأتي الملك): أي كل ذلك حالتان»[1].

والمقتضى المنهجي لذلك: غرس الاطمئنان على دقة نقل الوحي القرآني من حيث مجيئه في صورة محسوسة، فلا لبس فيها أولاً، ولا يتطرق القادح إليها بسبب الخفاء ثانياً، بخلاف الإلهام في كل ذلك حيث يمكن ادعاء ذلك فيه لخفائه.

وقد آن أوان الخوض في المقصود الأساسي من البحث بعد هذه التهيئة، بيد أن كل ماسبق وما سيتلو مبينٌ لعالم الضباب والتيه اليوم كيف حفظ الله عز وجل كلامه من كل شوائب الدخل، أو لوامع الدخن، ليبقى هدى الحيارى في أزمنة استعار الضلال...

هدى سيبقى وما عشر وأربعة من الزمان سيبقى ما الزمان بقي

الله أنزله، والله حافظه، والله ينجي به الدنيا من الرهقِ

(1) فتح الباري 1/ 22.

الفصل الثالث : هيئة تلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألفاظ القرآن من جبريل عليه السلام

إننا ندلف إلى هالات موكبٍ تعليمي تتضآل الكلمات عن وصفه...يرسم لعوالم الاغتراب: أيُ شيءٍ كان قادة هذه الأمة، وأيُ نورٍ كانت هذه الأمة من بعد...

أنا قصة من بدر أرسلها الهدى محمد يرويها، وجبريل يكتب

وكعبتي الغراء بيتي وقبلتي وبستاني المعمور بالحب يثرب

سنحاول إعطاء صورة نموذجية واقعية لتلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألفاظ القرآن الكريم بأمر الله عز وجل من جبريل عليه السلام.

ويتكون من ثمانية مباحث:

المبحث الأول: كيفية نزول جبريل عليه السلام لإلقاء الوحي القرآني.

المبحث الثاني: الإلقاء إلى القلب ورؤيا الفؤاد.

المبحث الثالث: مظاهر اجتهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تلقي القرآن من جبريل عليه السلام قبل نزول التوقيف الإلهي.

المبحث الرابع: سمات الرسول صلى الله عليه وآله وسلمحين نزول الوحي القرآني عليه.

المبحث الخامس: حديث المعالجة ودلالاته العامة.

المبحث السادس: التلقي (والتلقين) في التعلم النبوي القرآن تلقين وليس إلهاماً.

المبحث السابع: كيفية قراءة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم القرآن على جبريل عليه السلام من حيث الأمر الشرعي، والواقع التطبيقي.

المبحث الثامن: تحليل حديث المدارسة (المعارضة).

المبحث الأول: كيفية نزول جبريل عليه السلام لإلقاء الوحي القرآني[1]:

جل هذا الوصف في سورة النجم كما قال أبو السعود في تفسيره (5/ 43)، مرجع سابق: «في قوله تعالى ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ عطف على ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ بطريق التفسير، فإنه إلى قوله تعالى ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ بيان لكيفية التعليم»، فلما قال **عز وجل** ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم/ 4]، **استؤنف الكلام استئنافاً بيانياً، كأنه قيل: فكيف يأتيه هذا الوحي؟، ومن يأتيه به؟، وكيف يلقيه إليه فيعيه، ولا يفارقنا؟، وكيف يأتيه الوحي القرآني وهو كلام الله**عز وجل، **فيطيقه وهو بشر؟**، فقال الله عز وجل ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم/ 5].

فلنتتبع هذا الوصف القرآني[2] لتلقي جبريلعليه السلام الوحي القرآني من الله عز وجل[3]، وكيفية نزوله إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أولاً: يسمع من الله عز وجل **جبريل عليه السلام الوحي الذي ينزل به:** كما في حديث النواس بن سمعان السابق، وفيه (فينتهي جبريل إلى حيث أُمر من سماء أو أرض).

---

(1) المراد المجيء الخاص لأجل الوحي القرآني.

(2) ففيه كما قال في التحرير والتنوير (27/ 95): «تمثيل لأحوال عجيبة بأقرب ما يفهمه الناس؛ لقصد بيان إمكان تلقي الوحي عن الله تعالى؛ إذ كان المشركون يحيلونه، فبين لهم إمكان الوحي بوصف طريق الوحي إجمالاً وهذه كيفية من صور الوحي».

(3) وقد أعرض البحث عن الأقوال الواردة في كيفية تلقي الملك للوحي، لأنها محض تخمين في أمر غيبي، لا يظهر فيه للتحقيق العلمي أثر إلا بالتسليم لظاهر النصوص الدالة على السماع....

ثانياً: وهو معلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذي الصفات البالغة في قدرة حاملها على أداء هذه الرسالة على أتم وجه وأحسنه، فليس مُعَلِّم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مخلوقاً عادياً بل لقد علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم/ 5-6].

ثالثاً: عندما يريد الله **عز وجل** من جبريل عليه السلام الوصول إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتبليغه الوحي-إرادة أمر وإذن - فإنه يستعد للقيام بأمرالله، وهو بالأفق الأعلى، **فاستعداده هنا فعليٌ بعد أن كان استعداداً فطرياً**؛ ذلك بأن الأفق هو اسم للجو الذي يبدو للناظر ملتقى بين طرف منتهى النظر من الأرض وبين منتهى ما يلوح كالقبة الزرقاء، وغلب إطلاقه على ناحية بعيدة عن موطن القوم ومنه أفق المشرق وأفق المغرب،ووصفه بالأعلى ليفيد أنه من ناحية السماء[1]، ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ أي قام بعزيمة لتلقي رسالة الله عز وجل، ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النجم/ 7] أي قبل أن ينزل إلى العالم الأرضي[2].

رابعاً: ثم **يبدأ بالنزول بسرعة يعلم مقدارها** من أودع فيه القوة الهائلة لتبليغ الوحي القرآني إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان، فلا يبالي بمكانه في بيت أوفي فراش أو بين أصحابه أوفي جهاده ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم/ 8]، **أي** انخفض من علو

(1) وقيل هي رؤيته له بحراء قد سد الأفق . انظر: (أبو حيان) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي ت754 هـ: البحر المحيط 8/ 157، ط2 1411هـ - 1990م، دار إحياء التراث العربي - بيروت، وقوله ﴿دَنَا﴾ تبعد ذلك، وقيل فيها دنا: أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جبريل عليه السلام. انظر: تفسير أبي السعود 5/ 218، وواضح وهن هذا القول من حيث سياق الآيات، ومن حيث طبيعة قصة الإسراء.

(2) التحرير والتنوير 27/ 96.

قليلاً، أي ينـزل من طبقات إلى ما تحتها، كما يتدلى الشيء المعلق في الهواء بحيث لو رآه الرائي يحسبه متدلياً، وهو ينـزل إلى السماء غير منقضٍ»[1].

خامساً: يزداد اقترابه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم **حتى يصبح على مسافة قوسين** منه أو أدنى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم / 9] **إشارة إلى أن التقدير لا مبالغة فيه.**

وفي قوله عز وجل: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم/ 11]، **تأكيدٌ على أن القُرْبَ قرب حسي لا مجرد اتصال روحاني،**فعن مسروق قال: قلت لعائشة: فأين قوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾؟. قالت: ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل، وإنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الأفق[2].

المبحث الثاني: الإلقاء إلى القلب ورؤيا الفؤاد

وبناء على ما سبق فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يرى جبريل عليه السلام رؤيا حقيقية، لكنها رؤيا فؤاد كما أن العين ترى ضوءاً فترسل إشاراتها الضوئية إلى المخ فيتم وعيها في المخ...فهل كانت رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل عليه السلام تصل مباشرة إلى مركز الإبصار في المخ، كما أن استماعه لقراءته يصل إلى مركز السمع في المخ...والمخ متصل بالمركز العقلي المتحكم المسمى بالفؤاد...؟ قد يكون الأمر كذلك؛ إذ لو كانت رؤيا جارحة لرآها كل من له الجارحة ذاتها ممن يكون موجوداً مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مكان تلقي الوحي، وقد يقال

(1) انظر: التحرير والتنوير 26/ 96.
(2) البخاري 3/ 1181.

باختلاف جارحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جارحة غيره، ولذا تمت تهيئته صلى الله عليه وآله وسلم لتلقي الوحي القرآني كما سبق في الفصل الثاني، ويُقَرِّبُ هذا: أننا نعلم أن الحيوانات تشترك في جارحة السمع والبصر مع تفاوتها في دقتهما، ومدى تركيزهما.

وبعد ذا القرب تكون مرحلة الإلقاء والتعليم: حيث يلقي الملَك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أمره الله عز وجل به أن يلقيه ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم/ 10]، وليس إلقاء الملَك من فمٍ إلى فمٍ فحسب، بل يلقيه على قلبه صلى الله عليه وآله وسلم... **كأن جبريل عليه السلام يصل رأساً إلى مركز السمع والبصر والوعي الكامل في الفؤاد...إذ إن جارحة البصر (العين)، وجارحة السمع (الأذن) ما هما إلا تحويل وترجمة لما يُشاهَد ويُسْمَعُ من العالم الخارجي إلى مراكز وعيها في الدماغ ومنه إلى المركز الأصلي للوعي (الفؤاد)...أما الملَك فيصل مباشرة بكلام مسموع، كما أن صورته تصل مباشرة إلى مركز الفؤاد، فيلقي بالوحي الإلهي على قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويسمعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم سماع أذن وفؤاد بدليل تحريك لسانه بعد الملَك ــ وسيُفصَل ذلك في المبحث الذي بعد هذا إن شاء الله** عز وجل -، **في حين يرى الصحابة آثار ذلك من الشدة التي تعتري النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والتي سموها (بُرحاء الوحي)**...فيلقي الملَك الوحي حال كون هذا المُلْقَى بلسان عربي مبين، **فيقرؤه جبريلعليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما أمره الله** عز وجل **أن يقرأه؛ ولذا نسب الفعل إلى ذاته العلية سبحانه في قوله ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ مبالغة في التأكيد على أن ما قرأه جبريلعليه السلام هو اللفظ الذي أراد الله عز وجلأن يقرأه، وبالهيئة ذاتها التي أرادها** عز وجل، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم حال قراءة جبريل

عليه السلام مطرق مستمع لا يحرك لسانه ــبعد تعليمه ذاك ــ حتى يقضي جبريل عليه السلام قراءة الوحي عليه، فإذا قضى انطلق جبريل عليه السلام، وقرأه النبي صلى الله عليه وآله وسلمكما قرأه جبريل عليه السلام ، فلا يعترض معترض على هذا الموضع بالقول: إنا لا نراه يحرك لسانه ترديداً، إذ الإلقاء على قلبه، ومعلوم أن عدم تحريك لسانه كان بعد نزول سورة القيامة.

جبريل عليه السلام ليس ملكاً عادياً، بل هو الروحكما أن القرآن روح... فتجتمع الحياة الحقة منهما فما ظنك بروحٍ يُلَقِّنُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم روحاً،﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء/ 194]، **ويضاف إلى هذا أن قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلمقد نُزع منه حظ الشيطان، وتم إعداده إعداداً إلهياً، فلا مجال فيه لمانعٍ ذاتي يمنع أو يشوش على تلقي ألفاظ القرآن الكريم.**

الالتقاء:

ينخلع النبي صلى الله عليه وآله وسلم **من صفته البشرية** عند رؤيته الملَك، وسماعه الوحي مع بقائه على خلقته البشرية، فالمراد انخلاع القوى الباطنة، لا الخلقة الظاهرة[1]، **فالرؤية والسماع يكونان من المركزين المباشرين للسمع والبصر في الفؤاد؛ إذ** ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم/ 11][2] ؛ ولذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يأتيه الوحي شديداً عنيفاً؛ **إذ يتوجب عليه بذل قُوى فوق الطاقة البشرية للسماع غير المعتاد**

(1) فلا يَرِدُ على هذا الكلام القول بالتناسخ، أو قدرة البشر على التشكل؛ إذ ذاك ليس لهم، ولا في إمكانهم، وينبغي أن يفسر كلام العلماء في هذا الموضوع بهذا التفسير؛ إذ إن بقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خلقته البشرية آن نزول الوحي عليه ثابت تواتراً كما يُلاحظ ذلك في النصوص التي ترد في هذا البحث.

(2) وما علاقة ذلك بمركزي السمع والبصر الكائنين في الدماغ ؟، محل نظر وبحث بدأت بعض الإشارات العلمية بالتلميح إليها، والمستقبل واعد بمزيد تجلية لهذا الموضوع.

بشرياً، والرؤية غير المعتادة بشـرياً، والملكة القوية في الحفظ مما لا يعتاد بشـرياً، زيـادة في التأكيد على المحفوظ إذ كان ذلك من لوازم جمعه في صدره، وليتمكن من رؤية جبريـل عليه السلام وسماعه، وهو ما لا يراه من حوله، ولا يستطيعون سـماعه[1]، وعـبر عـن ذلك ابن خلدون-رحمه الله تعالى- فقال: «وصنفٌ مفطورٌ على الانسلاخ من البشـرية جملة، جسمانيتها وروحانيتها إلى الملائكة من الأفق الأعلى، ليصير في لمحة من اللمحات ملكاً بالفعل، ويحصل له شهود الملأ الأعلى في أفقهم، وسماعُ الكلام... [2].

- **وغير خافٍ أن المقتضى المنهجي هنا** يجب أن يتركـز في أن جهـود الحفـظ البشـرية الضخمة للقرآن الكـريم خـلال القـرون، المؤيـدة بالرعايـة الإلهيـة إنشـاء، وإعـداداً، وإمداداً، ومتابعة، يجب أن تساوي في وزنها وتركيزها هذه اللحظات التي يتلقـى فيهـا النبي صلى الله عليه وآله وسلم.وبعد ذلك يكون النـزول بالقرآن على قلب النبي صـلى الله عليه وآله وسلم.

---

(1) وقال الأصفهاني في أوائل تفسيره: «اتفق أهل السنة والجماعة على أن كلام الله عز وجل منـزل، ـإلى أن قال مبيناً أن الله عز وجل عَلَّم جبريلعليه السلام كيفية قراءة كلامه في السماء وهـو مـا سـبق في المباحـث الماضيةـ ثم جبريل عليه السلام أداه في الأرض وهو يهبط إلى المكان، وفي ذلك طريقتان:
إحداهما: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انخلع من صورة البشرية، إلى صورة الملكية، وأخذه من جبريـل عليه السلام، وثانيهما: أن الملك نخلع إلى البشرية حتى يأخـذه النبـي صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم منـه، والأولى أصعب الحالين» فتح الباري 3/ 123، ولا شك أن الصورتين واردتان كما في حـديث الحـارث بن هشام المتقدم.
(2) في الأصل: الكلام النفساني...والبحث قائم على ما قرره محققو أهـل السـنة والجماعـة مـن أن الكـلام حقيقي لا نفساني دون تمثيل أو تشبيه.

النـزول على القلب [1]: إن إلقاء جبريل عليه السلام ألفاظ القرآن عـلى النبـي صـلى الله عليه وآله وسلم لا يكون خطاب فمٍ لفم، بل قراءة فمٍ على قلب ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، فـلا يكون ثم أي ضعفٍ للبشر، ولا نقـصٍ يتسـم بـه البشـر، ولا لجلجـةٍ تصـحب إدراك البشـر؛ إذ القراءة موجهة إلى مركز إدراك البشـر مباشرة، وهو المركـز الـذي نـزع منـه جبريل عليه السلام حظ الشيطان، وملئ حكمة.

وقال الآلوسي -رحمه الله تعالى-: «وكون الإنزال عليه؛ لأنه المدرك، والمكلـف دون الجسد، وقد يقال: لما كانت له صلى الله عليه وآله وسلم:جهتان: جهةٌ ملكيةٌ يسـتفيض بها، وجهة بشرية يفيض بها ـ جعل الإنزال على روحهصـلى الله عليـه وآلـه وسـلملأنها المتصفة بالصفات الملكية التي يستفيض بهـا مـن الـروح الأمـين، وللإشـارة إلى ذلـك قيل﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾»[2].

وتخصيصه بالإنزال عليه قيل: للإشارة إلى كمال تعقلـه صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم وفهمه ذلـك المنـزل، حيـث لم تعتـبر واسـطة في وصـوله إلى القلـب الـذي هـو محـل العقل...وقيل: للإشارة إلى صلاح قلبه صلى الله عليه وآله وسلم وتقدسه حيـث كـان مَنْـزِلاً لكلامه تعالى؛ ليعلم منه حال سائر أجزائه صلى الله عليه وآله وسلم، فإن القلب رئيس جميع الأعضاء، وملكها، ومتى صلح الملك صلحت الرعية»[3].

وقد فتح الله ــ تعالى ذكره- أذهان البشرية في عصرها الحاضر عـلى حقـائق علميـة ضخمة تقرب لنا سر نزول جبريل عليه السلام **بألفاظ القرآن على قلب النبي** صـلى الله

(1) أفرد بالعنونة لجلالته، وعظيم خطره.
(2) روح المعاني 19/ 181.
(3) روح المعاني19/ 182.

عليه وآله وسلم، **فإن جبريل** عليه السلام **تعدى أداة التوصيل السمعي لدى البشر وهي الأذن الخارجية إلى مركز السمع مباشرة، وأداة التوصيل البصري لدى البشر وهي العين الخارجية إلى مركز البصر مباشرة...ويزيد هذا تقريباً أن يقال: لما كان القلب يتلقى الصوت كما يرى الصورة في المنام...والجارحة المباشرة من عين وأذن نائمة مغطاة...ثم إذا استيقظ تذكر كله في اليقظة...وقد جاء التشريح الطبي مؤكداً حقيقة مراكز السمع والبصر، وأنها مراكز في المخ تعي ما يصل إليه عن طريق الجوارح كما تعي ما يصل إليها عن طريق الرؤى المنامية، وما قد كُشف يقرب لنا ما لم يكشف مما قد غاب عنا، وقد كانت أُولى مراحل الوحي التي هيأ بها النبي** صلى الله عليه وآله وسلم**لتلقي الوحي المباشر هي الرؤى المنامية الصادقة، ثم رؤيته للملَك في منامه، وحالة الوحي في النوم مقربةٌ لحالة الوحي في اليقظة...مما قد يقرب لنا فهم كيفية الوحي وحدوثه، واستيعاب كيفية تلقي النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **للوحي بواسطة الاتصال بعالم الملائكة ...بطريقة يرى الصحابة آثارها في النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **من تصبب العرق في اليوم الشديد البرد، وترجيع اللسان، وثقل جسم النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **دون أن تشاهد أبصارهم صورة الملك، أو تسمع آذانهم صوته...لأن الاتصال كان في مستوى لا يدركونه، ولكنهم يسمعون قرآناً معجزاً لا تنقضي عجائبه، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد.**

ذكر حرف الجر ﴿عَلَىٰ﴾ لبيان أن **الاستعلاء مستغرقٌ للملكية**، مهيمنٌ على المحل، فارضٌ لسلطانه، ولذا قال الصاوي ـــ رحمه الله تعالى-: «عبر بـ﴿عَلَىٰ﴾ لتمكنه، وانصبابه، ورسوخه؛ فإن الشيء إذا صب من أعلى لأسفل رسخ وثبت»[1].

اشتمل النزول على قلبه صلى الله عليه وآله وسلم:

1. **على التحفيظ والتفهيم والتثبت**: كما قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى-: «أي حَفَّظَكه، وفَهَّمَك إياه، وأثبته في قلبك إثبات ما لا ينسى كقوله **عز وجل** ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾»[2].

2. **ولعل من أعظم أسرار** قوله تعالى ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، أن القرآن الكريم لا ينساه النبي صلى الله عليه وآله وسلم نسياناً كلياً كما روى ابن سعد من طريق أبي سلمة الماجشون أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: (كان الوحي يأتيني على نحوين: يأتيني به جبريل فيلقيه علي كما يلقي الرجل على الرجل فذلك ينفلت مني، ويأتيني في شيء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي فذاك الذي لا يتفلت مني) وقال ابن حجر-رحمه الله تعالى-: «وهذا مرسل مع ثقة رجاله، فإن صح فهو محمول على ما كان قبل نزول قولهعز وجل ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾، فإن الملَك قد تمثل رجلاً في صور كثيرة، ولم ينفلت منه ما أتاه به، كما في قصة مجيئه في صورة دحية، وفي صورة أعرابي، وغير ذلك، وكلها في الصحيح»[3].

---

(1) حاشية الصاوي 1/ 72.

(2) الكشاف3/ 126.

(3) فتح الباري 1/ 19.

3. **كما اشتمل النزول على قلبه** صلى الله عليه وآله وسلم **على اللفظ كما هو على المعنى تصريحاً لا تلويحاً**: كما قال الزمخشري:«ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك، دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروفٍ لا تفهم معانيها ولا تعيها» [1].

واستدل أبو حيان -رحمه الله تعالى- على أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم يسمع من جبريل عليه السلام الأحرف بقوله **عز وجل**: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء/ 195]، فقال: «الظاهر تعلق ﴿بِلِسَانٍ﴾ بـ ﴿نَزَلَ﴾، فكان يسمع من جبريل عليه السلام حروفاً عربية»، قال ابن عطية -رحمه الله تعالى-: «وهو القول الصحيح، وتكون صلصلة الجرس صفة لشدة الصوت، وتداخل حروفه، وعجلة مورده، وإغلاظه» [2]، وعندي أن الصلصلة تدل على شدة معاناة الخلقة البشرية لخروج الطاقة غير البشرية واستماعها لما هو فوق مألوفها.

اعلُ موكب الوحي على كل رائمٍ طمس النور بفمه ....اعلُ موكب الوحي..أو ما يكفي: جبريل عليه السلام **في قيادتك، ومحمد** صلى الله عليه وآله وسلم **في ريادتك؟..اعلُ موكب الوحي..يتراءى لنا خبرُك..حتى ترتفع أعلام الحب فداءً بالمهج...**

طرقتك زائرة، فحي خيالها ... بيضاء، تخلط بالحياء دلالها
قادت فؤادك، فاستقاد، وقبلها ... قاد القلوب إلى الصبا فأمالها
هل يطمسون من السماء نجومها ... بأكفهم؟ أم يسترون هلالها؟
أم يدفعون مقالة عن ربه؟ ... جبريل بلغها النبي فقالها

(1) الكشاف3/ 127، وانظر: تفسير القرطبي 13/ 138.
(2) تفسير ابن عطية 11/ 148.

المبحث الثالث: مظاهر اجتهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تلقي القرآن من جبريل عليه السلام قبل نزول التوقيف الإلهي

اجتهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تطبيق هيئات تمكنه من حفظ القرآن عند إلقاء الملك له، بيد أن جلالة الأمر، وعظمة قضية التلقي من السماء للأرض منعته من الاجتهاد حتى في مثل هذه الجزئية بل صار فعله توقيفياً، فلم يقر على اجتهاد، وبين له هيئة تلقيه، ولعل أهم حكم تأخير إنزال الأمر له بكيفية تلقي القرآن أن يعلم المسلمون من بعده ضرورة الوقوف عند التوقيف الإلهي في تلقي القرآن، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلمنُهي عن بعض اجتهاداته المخالفة للتوقيف الإلهي في طريقة التلقي فكيف غيره ؟.

فمن مظاهر اجتهاده الأولى:

المظهر الأول: تحريك اللسان بالقرآن قبل فراغ جبريل عليه السلام **منه**: وهو ظاهر آية سورة طه ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ [طه/ 114]، وآيات سورة القيامة ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة/ 16] فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملَك في قراءته، ولهذا قالعز وجل ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾ كما قال ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ﴾»[1].

المظهر الثاني: وهذه الحركة تأخذ طابع العجلة لاستذكار السابق ودراك اللاحق، وفي رواية لحديث ابن عباسرضي الله عنه في المعالجة: (كان رسول الله إذا نزل عليه الوحي يلقى منه شدة، وكان إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفتيه، يتلقى أوله ويحرك به

(1) تفسير ابن كثير4/ 383.

شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره .. الحديث[1]، وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن: كان يحرك به لسانه يتذكره فقيل له: إنا سنحفظه عليك[2]، وللطبري من طريق الشعبي: (كان إذا نزل عليه عجل يتكلم به من حبه إياه).

المظهر الثالث: دراسته بحيث يشق عليه (وهذا أعم من السابق)كما قال الضحاك:»السبب أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم يخاف أن ينسى القرآن، فكان يدرسه متى غلب ذلك عليه وشق فنزلت»[3].

عند ذاك نزلت آيات سورة القيامة فقيل له﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل عليه السلام منه ﴿ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ أي بقراءته، وحفظه خوف أن ينفلت منه[4] فنُهِيَ عن اجتهاده، وبُيِّنَ له كيف يتلقى القرآن.

المبحث الرابع: سمات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين نزول الوحي القرآني عليه

إذا كان المبحث السابق قد تحدث عن مظاهر اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تلقي الوحي القرآني، وعن نهيه عن ذلك؛ فقد لزم معرفة سماته صلى الله عليه وآله وسلم حين تلقى الوحي القرآني، التي أبان بها عن خصائص التوقيف الإلهي في تلقي الوحي القرآني، وهو المراد من هذا المبحث.وهذه السمات تتلخص في الآتي:

---

(1)انظر: تفسير ابن كثير 4/ 450، وقد بحثت عن هذا النص بلفظه في مظانه من كتب الحديث فلم أجده، والألفاظ الأخرى تدل على معناه، وانظر فتح الباري 1/ 30.

(2) تفسير الطبري 28/ 188، وانظر: فتح الباري 8/ 682.

(3) البحر المحيط 8 / 387.

(4) تفسير الصاوي 45/ 353.

أولاً: تفريغ قلبه صلى الله عليه وآله وسلم **وحسه، وتخلية فكره إلا في المُتَلَقى**: ولذا كانت الغطة في أول نزول جبريل عليه السلام عليه، كما رواه البخاري، وفي النهاية في غريب الأثر: «في حديث المَبْعث: (فأخذَ جِبريلُ بحلْقي فسأَبني حتى أجْهَشْتُ بالبُكاء): السَّأْب العَصْر في الحَلْق كالخَنق ومثله غتت ففي حديث المَبْعَث (فأخذَني جبريل فَغَّتني حتَّى بلَغ مِنّي الجَهْد): الغَتُّ والغَطُّ سواء كأنه أراد عَصَرني عَصْراً شديداً حتى وجَدْت منه المَشقَّة كما يَجِد مَن يُغْمَس في الماء قَهراً»، وفي فتح الباري 1/ 10، مرجع سابق: «قوله (فغطنى) بغين معجمة وطاء مهملة وفي رواية الطبري بتاء مثناة من فوق كأنه أراد ضمنى وعصرني، والغط حبس النفس، ومنه غطة في الماء، أو أراد عمني ومنه الخنق، ولأبي داود الطيالسي في مسنده بسند حسن (فأخذ بحلقى)»

كما كان الوحي القرآني يأتيه في مثل صلصلة الجرس.

والحكمة في تقدم هذا الصوت الشديد: أن يقرع الوحي سمعه صلى الله عليه وآله وسلم فلا يبقى فيه مكان لغيره[1].

فقد كانت هذه الظاهرة الصوتية تدل على جلالة الخطب، وعظم الأمر، وتصاحب نزول الملَك وفعله القوي الشديد، وهي لا شك داعية إلى تفريغ القلب وانشغاله بما صاحبها دون غيره.

(1) فتح الباري 1/ 37.

ثانياً: المعاناة في تلقي الوحي:

يقول ابن حجر-رحمه الله تعالى-: «معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي لما فيه من مخالفة العادة، وهو كثرة العرق فإنه يشعر بوجود أمر طارئ على الطباع البشرية»[1]، على أن هذه المعاناة دليل حسي على إتمام عملية الوحي.

واتخذت هذه الشدة مظاهر متعددة، منها:

المظهر الأول: ما يؤدي إلى تغير ملامح وجهه: فعن عبادة بن الصامت:أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه[2].

المظهر الثاني: ومنها ما يؤدي إلى شعوره بشدةٍ في نَفْسِهِ ونَفَسِهِ حتى يظنه الموت، وهذا يذكر بحديث الغطة في أول الوحي: فعن عبد الله بن عمرورضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله! هل تحس بالوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (نعم أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحي إلى إلا ظننت أن نفسي تفيض)[3].

المظهر الثالث: ومنها ما يُخرِج ملامح جسده عن تأثير بيئته من حيث ظهور شدة الإجهاد عليه: فعن زيد بن ثابترضي الله عنه:(كان إذا نزل عليه الوحي ثقل لذلك، وتحدر جبينه عرقاً كأنه جمان، وإن كان في البرد)[4].

---

(1) انظر: فتح بشرح البخاري 1/ 30.

(2) مسلم 3/ 1316.

(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل 2/ 222، وفيه: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا قتيبة ثنا بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عمروبن الوليد وقد تقرر في قواعد المصطلح قبول رواية قتيبة عن ابن لهيعة.

(4) رواه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم 4793.

المظهر الرابع: ومنها ما يؤدي إلى ظهوره بمظهر تذلل العبد بياناً لضعفه: فعن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه:(كان إذا أنزل عليه الوحي نكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم، فإذا أقلع عنه رفع رأسه)[1].

المظهر الخامس: بل يُؤَثِّر على ما لامسهصلى الله عليه وآله وسلم**من بشر أو حيوان:** فعن زيد بن ثابت رضي الله عنهقال: (كنت أكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان إذا نزل عليه أخذته بُرحاء[2] شديدة، وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان، ثم سري عنه، فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف، أو كسرة، فأكتب، وهو يملي علي، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن، وحتى أقول لا أمشي على رجلي أبداً، فإذا فرغت، قال: (اقرأه)، فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس[3]، وعند البيهقي: (وإن كان ليوحى إليه، وهو على ناقته فيضرب حزامها من ثقل ما يُوحى إليه)[4].

وعن عائشة -رضي الله تعالى عنها-: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلمكان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جِرانها، فلم تستطع أن تتحرك، وتلت قول اللهعز

---

(1) رواه مسلم 4/ 1817.

(2) في مختار الصحاح ص19، : «بُرَحاءُ الحمى وغيرها بالضم والمد شدة الأذى تقول منه بَرَّحَ به الأمر تَبْريحاً أي جهده».

(3) المعجم الأوسط 2/ 544.

(4) دلائل النبوة 3/ 4، وعند ابن سعد 1/ 197، من مراسيل عكرمة: (كان إذا أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقذ ـ أي ضعف وسكن ـ لذلك ساعة كهيئة السكران)، وعنده 1/ 197عن أبي أروى الدوسي قال: (رأيت الوحي ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلموإنه على راحلته فترغو وتفتل يديها، حتى أظن أن ذراعها تنقصم، فربما بركت، وربما قامت موتدة يديها حتى يسرى عنه من ثقل الوحي، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان).

وجل﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل/ 4][1]، وفي لفظ: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته لا تستطيع أن تتحول حتى سرَى عنه[2].

ولثقل الوحي ومعاناة النبي صلى الله عليه وآله وسلم **دلائل عدة من حيث موضوع البحث:**

فأولها: التأكيد على توثيق النص القرآني حال إنزاله، برفع مستوى النبي صلى الله عليه وآله وسلمعن المستوى البشري وهو ما يؤدي إلى غرس المُلْقَى إليه من القرآن الكريم في فؤاده غرساً، ونقشها في قلبه نقشاً.

وثانيها: وجود العلامة الحسية المشعرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلمبنزول الوحي، وهو ما يدفع تطرق التوهم إليه فيطمئن قلبه ـ بعد ـ إذا استيقن، ويدفع تطرق التوهم إلى غيره، فيعلمون سبل الاتصال الرسول الملَك والرسول البشر، فيغدو ما يستنكرونه من هذا الاتصال كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

وفي عصرنا يمكن للإنسان أن يسمع إنساناً، ويرى آخر عن طريق الهاتف المرئي دون أن يشترك معه غيره من المحيطين به في زمان التكلم والرؤية إذا توافر الجهاز المرسِل عند من يتكلم، والمستقبِل عند من يسمع ...وهكذا نقرر بأن الله ــتعالى ذكره- قد هيأ القدرة لجبريل عليه السلام **للاتصال برسوله** صلى الله عليه وآله وسلم ، **وهيأ الرسول**

---

(1) المستدرك على الصحيحين2/ 549، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» . وقال الذهبي في التلخيص: «صحيح».

(2) (ابن راهويه) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي ت 238هـ: مسند إسحاق بن راهويه 2/ 254 مراجعة: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي 1412هـ ـ 1991م، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة.

صلى الله عليه وآله وسلم **بمستقبلات لما يُوحى إليه تدرك آثارها، ولا ترى حقيقتها وكيفيتها**.

ورابعها: أن المقتضى المنهجي لهذه الشدة التي يعانيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند إنزال الوحي القرآني: أن يستشعر ذلك من يَحْفَظُ ألفاظ القرآن، ويُحَفِّظُها، ولا يتعامل مع لفظ القرآن بتساهلٍ يذهب بركة القرآن....

ثالثاً: تلقي الوحي القرآني تلقي استماع لصوت متكلم بأحرف: إذ الوحي القرآني ليس إلقاء محضاً فجائياً في النفس (كالإلهام)، بل حركة وصوت مقطع حرفاً حرفاً متتابع على هيئة التعليم، ويدل له صريحاً قوله عز وجل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة/ 16] ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه/ 114] ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم/ 5]، وفي لفظ للبيهقي لحديث الحارث ابن هشام (فيعلمني)[1]، وهي تطبيق واقعي لحقيقة ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم/ 5]، ويدل لها قوله في الرواية المشهورة (فيكلمني) وعند أحمد (فيخبرني)[2]، ولذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلميحرك شفتيه عند تلقي الوحي القرآني، وما ذاك إلا لمتابعة الحرف الحرف.

رابعاً: جمع القرآن في صدره صلى الله عليه وآله وسلم:إذ الوحي القرآني كله إنزال على القلب، ولما في قوله تعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة/ 17] ولا ينافي ذلك أن تعليم جبريل عليه السلام هو إقراء لكلمات من حروف متتابعة.

---

(1) وقال ابن حجر في فتح الباري 1/ 18، : «هي تصحيف»، مع أنها لا تستبعد كما هو واضح.
(2) أحمد 6/ 163.

خامساً: ارتقاء القوى البشرية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: لتسد كل ثغرة ضعف فيها عند التلقي حتى وقت الإبلاغ، كما قال تعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة/ 17] ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى/ 6]، وقد قال ابن حجر -رحمه الله تعالى- في قولهعز وجل ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق/ 1]: «أي لا تقرؤه بقوتك، ولا بمعرفتك، لكن بحول ربك وإعانته»[1].

سادساً: الاستماع والإنصات: وهذا متجلٍ في الأمر العام ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف/ 204]، فإن نوزع فيه فالأمر الخاص ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة/ 18]، أي: فاستمع له وأنصت: كما في تفسير ابن عباسرضي الله عنه، ويجعله نصاً في هذه المسألة نهيه عن تحريك لسانه.

والفرق بين الاستماع والإنصات: أن الاستماع أخص من الإنصات؛ لأن الاستماع الإصغاء، والإنصات السكوت، ولا يلزم من السكوت الإصغاء[2]، فأصغوا ولا تتكلموا أثناء ذلك.

سابعاً: الوعي لما يقوله الملَك: وذا أمر قد تكفل الله به ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة/ 17] ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى/ 6]، وحدد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إسقاطه الواقعي في قوله: (فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال).

---

(1) فتح الباري بشرح البخاري 1/ 35.

(2) فتح الباري شرح البخاري 8/ 683، ومثله: الديباج على مسلم 2/ 158.

وقوله: (وقد وعيت عنه) أي حفظت عنه أي أجده في قلبي مكشوفاً مُتَبَيَّناً بلا التباس، ولا إشكال[1].

ثامناً: استعداد الملكات النفسية في النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحفظ: حيث اقترن تلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكمال الرغبة في الحفظ وحب المحفوظ، ففي رواية الطبري عن الشعبي: (عجل يتكلم من حبه إياه)، ولا تنافي بين محبته إياه والشدة التي تلحقه في ذلك، فأُمِرَ بأن ينصت حتى يقضي الله عز وجل وحيه، ووعد بأنه آمن من تفلته منه بالنسيان أو غيره، ونحوه قوله عز وجل ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه/ 114] أي بالقراءة[2]، **وعدم التنافي بين الحب والخوف** لأن الحب ولد الخوف فكان ما هو معلوم[3].

والمقتضى المنهجي لذلك: غرس الإجلال لحفظ القرآن في نفس المتقدم لحفظه من حيث شرف الحفظ، ومن حيث رهبة ادعاء الانتساب إلى زمرة الحفاظ إن لم يكن قائماً بالقرآن تقويماً لألفاظه، وقياماً بأحكامه، وتمثلاً لأخلاقه...[4].

ومازال حادي الشوق يأرز إلى الحرم المطهر والمسجد النبوي حيث آثار جبريل عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم...إذ ثم كان مركز تَعَلُّم ألفاظ القرآن الكريم من أمين الوحي في السماء عليه السلام لأمين الوحي في الأرض صلى الله عليه وآله وسلم...

---

(1) حاشية السندي على النسائي 2/ 150.

(2) انظر: فتح الباري بشرح البخاري 1/ 44، وانظر: تفسير القرطبي 19/ 106.

(3) تفسير الطبري29/ 187، وانظر: روح المعاني 29/ 243.

(4) إذ يُلاحَظ تساهلٌ بالغٌ في حفظ القرآن من قبل المتقدِّم له...فلا هيبة له، ولا إجلال يعتريه... لكأنما يشربه شربَ الماء، غيرَ مصطحبٍ معه في مسيرة حفظه حباً أو خوفاً.

مـــا لمطايانـــا تميـــل مالـــها؟ أظـــن رمـــلَ رامـــة بـــدا لهـــا[1]
لا تحســـبنَّ ميلـــها مـــن ملـــلٍ وإنـــما ســـكرُ الهـــوى أمالـــها
تجـــدُّ وجـــداً في الحُـــزون كلـــما تـــذكرت مـــن يثـــرب أطـــلالها[2]
وإن حـــدا الحـــادي بـــذكر طيبـــةٍ هيـــج ذكـــر طيـــبةٍ بَلبـــالها [3]
فشـــوقُها يـــدفعُها حتـــى تـــرى آمـــَالها هنـــاك، أو آجـــالها

المبحث الخامس: حديث المعالجة ودلالاته العامة

حديث المعالجة المشهور في تلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألفاظ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام، حيث ظهر فيه اجتهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا التلقي قبل نزول التوقيف الإلهي، والتزامه بمفردات التوقيف الإلهي بعد ذلك، وقد دل هذا الحديث على دلالات هامة في مسألة تلقي القرآن من جبريل عليه السلام:

متن حديث المعالجة برواياته المختلفة:

عن ابن عباسرضي الله عنه في قوله تعالى﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعالج من التنزيل شدة [وفي المعجم الكبير: إذا نزل عليه القرآن تلقاه بلسانه وشفتيه] وكان مما يحرك به [لسانه و]شفتيه [وفي السنن

(1) رامة: موضع في البادية، وأراد به التكنية عن البلد التي هواها فؤاده، كما هوتها القلوب...وصَرَّحَ بأنها طيبة بعد.

(2) الحُزون: جمع حزْن، وهي ما غلظ من الأرض...يكني عن مشقة السفر.

(3) البَلْبال: شدَّة الهم والوَسْواس في الصدور وحديث النفس، فأَما البِلْبال، بالكسر، فمصدر انظر: لسان العرب 11/ 69.

الكبرى للنسائي مخافة أن يفلت منه] [فيشتد عليه وكان يعرف منه] فقال ابن عباس ﷺ: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحركهما، وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباسرضي الله عنه يحركهما، فحرك شفتيه، فأنزل الله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ قال: جمعه له في صدرك وتقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾، قال: فاستمع له وأنصت، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريلعليه السلام استمع [وأطرق]، فإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبي صلى الله عليه وآله وسلمكما قرأه [كما وعده الله][1]، وفي لفظ للبخاري: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه الوحي حرك به لسانه -ووصف سفيان يريد أن يحفظه- فأنزل الله ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾، وفي لفظ له: فقيل له ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ يخشى أن ينفلت منه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أن نجمعه في صدرك، وقرآنه أن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ يقول أنزل عليه ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ أن نبينه على لسانك، وفي السنن الكبرى للنسائي: إذا نزل القرآن عليه يعجل بقراءتها ليحفظه[2]، وفي لفظ: كان يعالج من ذلك شدة فأنزل الله **عز وجل** ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾يقول: لتعجل بأخذه، يقول: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ يقول: جمعه أن نجمعه في صدرك، وأن تقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ فإذا أنزلناه، ﴿فَٱتَّبِعْ

(1) البخاري 1/ 6، والزيادات غير المعزوة هي للبخاري من طرق أخرى.

(2) ونحوه في: (الحميدي) أبو بكر عبد الله بن الزبير ت219هـ: مسند الحميدي، مراجعة: حبيب الرحمن الأعظمي، 1381هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

قُرْءَانَهُۥ﴾ يقول: فاستمع وأنصت، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾: أن نبينه بلسانك فاستراح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

سبب المعاناة:

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعاني عند إنزال القرآن عليه، وتلقيه له من صوت المَلَك من مشكلة استيعاب قواه البشرية للفظه؛ إذ يخاف من ضعفها مع عظم المُنْزل، فيتعجل أخذه من المَلَك متلقياً إياه بلسانه وشفتيه[2]، لا لصعوبة حفظه؛ إذ هو من قوم اشتهروا بالحافظة المدهشة حتى أقاموها مقام الكتابة، **وإنما لعلمه أنه قد كُلِّفَ في حدود** ما تطيقه قواه البشرية؛ فيتنفر النبي صلى الله عليه وآله وسلم -عند نزول الوحي عليه- جميع قواه خوفاً من التقصير.

فنُهِيَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن اتباع أساليبه الخاصة في تلقي القرآن وحفظه من العجلة بأخذه، وتحريك اللسان لأجل ذلك في موضعين من القرآن الكريم، هما موضعا طه والقيامة، وأُخبر أن هيئة تلقي القرآن توقيف، وليست اجتهاداً، وبُيِّن له الأساليب التي يتلقى بها القرآن، **وَوُعِدَ بثلاثة أمور (من حيث اللفظ** حيث أُمِرَ بذلك، وضُمِنَ له تحقيقه):

---

(1) المعجم الكبير 11/ 458.

(2) وفيه دليل على وجوب حفظ القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ لو كان يريد حفظ المعنى لما احتاج لبذل هذا الجهد، كما أن فيه دليلاً على أن القرآن ليس بإلهام.

الأمـر الأول: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَـا جَمْعَـهُۥ﴾: (حفـظ أصـل اللفـظ)أي **علينـا أن نجمعـه في صدرك** كما جاء عن ابن عباسرضي الله عنه[1]، وتأليفه كما رواه الطبري عن قتادة[2].

الأمر الثاني: ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾: وقع في رواية الطبري في معناها: وتقرأه بعد[3].

﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ﴾: فإذا جمعناه وألفناه، ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ لها معنيان:

1. أي ما جمع فيه، فاعمل بما أمرك، وانته عما نهاك الله[4].

2. فاستمع له وأنصت: «أي أنصت إلى قراءتنا»[5]، وقال الزمخشـري: «فكن مصغياً له فيه، ولا تراسله، **وطمئن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ؛ فنحن في ضمان تحفيظه**».

الأمر الثالث: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾:أي أن نبينه بلسانك[6] وتعمل به[7]، وقد صـح من رواية الشيخين وغيرهما وجماعة عن الحبر أنـه قـال في ذلـك:ثـم إن علينـا أن نبينـه بلسانك» [8].

---

(1) انظر: فتح الباري 8/ 637.

(2) تفسير الطبري 29/ 188.

(3) حاشية الصاوي بهامش تفسير الجلالين 4 / 353.

(4) البخاري 4/ 1770.

(5) التحرير والتنوير 29/ 349.

(6) وعند البخاري في خلق أفعال العباد84، : « أن نثبته على لسانك « ولا يعترض بأنه يحتمل أن يكـون قـد اعتراها التصحيف؛إذ قد ورد في قولـه تعـالى ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجـرات/ 6] القـراءة الأخـرى﴿فتثبتـوا﴾ والمعنى مرتبط بينهما؛ إذ التثبت ثمرة التبين.

(7) تفسير الطبري29/ 189.

(8) روح المعاني 29/ 244.

ففي هذه الآيات: تكفل الله له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له، ويفسره، ويوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته وبيانه في مخارج لفظه حق بيانه، والثالثة تفسيره، وإيضاح معناه[1].

وتلخيصاً للمعالم السابقة مع ما ورد في الفصل الأول يقال: انطلاقاً من قاعدتي الإثبات والنفي الحاصرتين المانعتين لأي تدخلٍ من الخلق في أداء كلام اللهعز وجل، وهما الوارتان في قوله ــ تعالى ذكره-:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر/ 9] إثباتاً، ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام/ 115] نفياً، **فإن الحفظ الإلهي للكتاب الكريم في عالم المخلوقين قد بدأت أدواته الواقعية بالتشكل مذ تكلم به الخالق ـ تعالى ذكره-: فقد اختار الله عز وجل حافظاً قوياً أميناً لنقل كلامه، وتعليمه للخلق بدقة متناهية، ونحن نعرف من وسائل العصر ما يتمكن به الإنسان من حفظ كلامه بلا تغير، بل بنفس المؤثرات التي تحف بكلامه...كالمُسَجِلة التي إذا وجهت رسالة بواسطتها لشخص، أمكنك أن تقول له: قد قلت لك كذا وكذا مع أنك قلته في وقت آخر، ومكان آخر...ولا تكون كاذباً بذلك، وإن كان لم يسمع منك مباشرة...بل سمع من المسجل، لكن المسجلة لدقة حفظها، وضبطها نقلت نقلاً أميناً ...ولله المثل الأعلى، فقد جعل الله ــتعالى ذكره-جبريل** عليه السلام **أميناً على الوحي قوياً على نقله لدرجة يكاد من دقتها أن يصح القول بأن الذي اقرأ النبي** صلى الله عليه وآله وسلم**هو الله ــ تعالى ذكره-، ولذا جاز نسبة إقراء جبريل** عليه السلام **النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **كلام الله إلى**

---

(1) انظر: (ابن كثير) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت774هـ: تفسير القرآن العظيم 4/ 383، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، أعد فهارسها: رياض عبد الله عبد الهادي ط1، 1417ـ 1997م، دار إحياء التراث العربيبيروت.

الله ـ تعالى ذكره- لشدة ضبطه وإتقانه ودقته...وهذا هو سر إسناد الفعل إلى الله في قوله عز وجل ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ **مع أن القائم به هو جبريل** عليه السلام**...فكانت قراءة جبريل**عليه السلام **مطابقة أمينة تماماً كما تلقاه عن الله ــ جل وعلا-.**

من فوائد حديث المعالجة [1]**: أن الحفظ للألفاظ مقدم على استلهام المعنى وبيانه**[2]، وهي القاعدة المستنتجة من قوله**عز وجل** ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾، فليس المعنى سابقاً للحفظ، والمراد ليس إيجاد المعنى إذ هو قبل اللفظ في حيز العدم والخفاء، وليس المراد استحضاره في الذهن، وهو يدل من جهةٍ أخرى على أهمية ضبط اللفظ، لا على ما زُعِمَ من أن المعاني الأولية هي المقصودة بقطع النظر عن قالبها، وهي ما سمي أصولياً بالمعاني الثانوية[3]، ثم كانت هذه التسمية، وذا التقسيم سبباً في التهوين من الجانب اللفظي للكلمات...وبذا استبان غرور من ادعى سبق الاهتمام بالمعنى، وقد يُسَّلم في أن المعنى يسبق اللفظ من حيث الوجود النفسي، ولكن الكلام هنا عن معنى موجود في الخارج عُبّر عنه بلفظٍ...فأنّى له أن يُعرف دون عبور ممره الموصل إليه وهو اللفظ؟، وهذا هو حال ألفاظ القرآن الكريم؛ إذ لا يُعرف المعنى الذي يُريده اللهعز وجل في كلامه إلا بمعرفة لفظه، ولفظه هو عز وجل لا لفظ غيره، وهذا على القول بأن﴿ثُمَّ﴾ في قولهعز وجل ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ للتراخي الزمني، إما على القول بأنها للتراخي الرتبي، فلا تنخرم القاعدة كلياً لكنها تعدل بحيث يقيد بيان المعنى بملازمة إتقان اللفظ إذ هو طريقه.

---

(1) عدا ما تقدم.

(2) وهو ما رجحه العلماء في فهم الآية كما سبق، على أن الترجيح فرع التضاد، ولا تضاد بحمد الله...

(3) واستنتج البعض هذا من فهم خاطئ لكلام الإمام الشاطبي في الموافقات 2/ 66، فإنه إنما مهد بكلامه ذاك عن مسألة الترجمة للقرآن.

ولعل هذا المعنى هو الذي يسوغ تعليم الصبيان ألفاظ القرآن، وتحفيظهم إياها، وإن لم يتقنوا معناها.

المبحث السادس: التلقي (والتلقين) في التعلُّم النبوي

القرآن ليس إلهاماًبل هو تعليم وتعلمٌ مباشر وليس إلهاماً:

فقد جاء في العقيدة الطحاوية عند قول الإمام الطحاوي-رحمه الله تعالى-: «نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين» قال الشارح: «تصريحٌ بتعليم جبرائيل إياه إبطالاً لتوهم القرامطة وغيرهم أنه تصوره في نفسه إلهاماً»[1].

ومن أدلة كون الوحي القرآني تلقيناً:

1. قوله عز وجل:﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل/ 6].

2. قوله عز وجل:﴿ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة/ 18]؛ ففيها الأمر بالاستماع والانصات؛ إذ الاستماع والإنصات للملَك ينافي الإلهام الذي يقع في النفس دون استماع لأحد،ويُنظر المبحث السابق في معنى الآية.

3. قوله عز وجل: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى/ 6]؛ إذ الإقراء ينافي الإلهام منافاة لغوية وشرعية.

4. **أول لقاء لجبريل**عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في غار حراء؛ إذ أقرأه ولم يُلْهِمْه، بل أكد له الإقراء بضمه إليه.

5. **حديث الحارث بن هشام** ؛ إذ حالتا الوحي المذكورتان تنافيان الإلهام.

---

(1) شرح الطحاوية 315.

6. ويدل على ذلك الباء في قوله عز وجل ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء/ 194] إذ هي: للملابسة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال، كأنه قال: نزل في حال ملابسة له على حد خرج زيد بثيابه[1]، ولو كان إلهاماً لما احتيج للنزول به.

7. حديثا المعالجة والمدارسة.

حكم التلقين:

يجب التزامه منهجاً وحيداً في تعليم ألفاظ القرآن الكريم، ونبذ ما سواه من حيث التقعيد العام[2]، ويؤكد هذا الحكم أسلوب أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن عن جبريلعليه السلام ؛ إذ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلمفي ابتداء الأمر إذا لقن القرآن نازع جبريل عليه السلام القراءة، ولم يصبر حتى يتمها مسارعة إلى الحفظ...قاله الحسن وغير واحد[3]، وقد جاء في رواية ابن أبي حاتم: **يتلقى أوله، ويحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره**، حتى وعده الله بما جاء في سورة القيامة، وإن كان الوعد إلهي كذلك: **فما فائدة إقراء جبريل**عليه السلام **له** ؟ أما كان كافياً جمع اللهعز وجل القرآن في صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلهاماً أو قذفاً إلى قلبه بالقدرة الإلهية التي وسعت كل شيء؟.

---

(1) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين 3/ 224.

(2) ولم يكن استدلال صاحب كتاب الحلقات القرآنية على وجوب التلقين وسيلة وحيدة في تعليم القرآن الكريم، وتعلمه موفقاً؛ إذ حصر الأمر في دائرة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) وذلك مما يُضْعفُ الحكم، ويجعل الاستدلال على أصل القضية مضيعاً لها . انظر: عبد المعطي محمد رياض طليمات: الحلقات القرآنية، دراسة منهجية شاملة، ط1، 1417هـ1997م، إصدار برنامج تحفيظ القرآن الكريمجدة .

(3) فتح الباري 8/ 633.

والجواب: هاهنا أعظم دليل على وجوب التزام منهج التلقي والتلقين كأساس للمنهجيات التعليمية في إقراء ألفاظ القرآن الكريم...فلا وزن لرسم «خط» المصحف، ولا للغة، ولا لتعلم فردي أحادي دون شيخ(سند)...في تلقي لفظ القرآن الكريم...ولو لم تكن هذه الحكمة، فما كان فائدة إلقاء جبريل عليه السلام القرآن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قراءتَه،ونزوله بالقرآن (على) ــ وليس في- قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ مع أن الإلهام لا يستدعي النزول.

ومنه نأخذ جلالة الركن الأعظم في تعلم القرآن وقبول قراءة لفظ لتعد قرآناً، **وهو السند المقبول قرائياً الضامن للمشافهة**.

وتظهر حكمةٌ بالغةٌ من التعبير عن قراءة جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ ﴿قَرَأْنَهُ﴾؛ إذ لم يقل قرأه جبريل عليه السلام، وذلك ليكون من قبيل إسناد ما هو للمأمور للآمر[1]، فقوله: «﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ﴾ أي إذا قرأه جبريل عليه السلام عنا فأسندت القراءة إلى ضمير الجلالة على طريقة المجاز العقلي والقرنية واضحة»[2]...نفياً لأي حدسٍ، أو تخمينٍ، أو بارقةٍ تتلجلج في الصدور عن عدم إتقان جبريل عليه السلام للقراءة كما أرادها اللهعز وجل من حيث هيئاتها الصوتية المصاحبة (الداخلية والمشتركة)[3] فضلاً عن الألفاظ في ذاتها فأوجز لنا في ﴿قَرَأْنَهُ﴾ إخباره عز وجل بإزالة دخل شيطانٍ قد يطرأ عند تحليل الموقف القرآني بين جبريل عليه السلام

(1) حاشية الصاوي، وبهامشه تفسير الجلالين 3/ 354.

(2) انظر: التحرير والتنوير 29/ 349.

(3) المراد بالمشترَكة الصوت المصاحب للحرف عند التقائه حرفاً آخر في كلمته أوفي كلمة أخرى، كالإدغام مثلاً.

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان القارئ هو الله عز وجل بإسناد القراءة إليه...**ويُقَرِّبُ هذا بأن يقال: كأن أداء جبريل عليه السلام لألفاظ القرآن الكريم عبارة عن مسجلةٍ تعيد ما تكلم اللهعز وجلبه، وجبريل عليه السلام كأنه مسجل يعيد ما تكلم الله ــ تعالى ذكره- به...دون زلل أو خطل في أدق الهيئات الأدائية للحرف فيما خلا الصفة الإلهية المنزهة عن التمثيل والتخيل...فيقرأه جبريل عليه السلام كما نقله عن الله ـ تعالى ذكره- كما تنقل المسجلة، فجعل الله ـ تعالى ذكره- إقراء جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إقراء من الله ـ تعالى ذكره- لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم لشدة دقة جبريل عليه السلام في بيانه للأحرف؛ إذ هو الواسطة بين الله ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينقله كما أقرأه الله عز وجلله تماماً لكل حرف، وأحسن تفصيلاً لكل كلمة.**

وفي هذا يقول ابن كثير: «وأن ييسره على الوجه الذي ألقاه إليه»[1]، وقال الزمخشري:«جعل قراءة جبريل عليه السلام قراءته»[2]، وقال الآلوسي:«أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام المبلغ عنا»[3]، وفي المقابل **فقد ضمن الله عز وجل قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألفاظ القرآن كما أنزله الله عز وجل، وبالهيئة التي سمعها من جبريل عليه السلام**، ولذاقال ابن عباس ﷺ كما في البخاري: «فكان إذا أتاه جبريل عليه السلام أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله **عز وجل**»[4].

---

(1) ابن كثير 4/ 383.

(2) الكشاف 4/ 165.

(3) روح المعاني 29/ 117.

(4) البخاري6/ 240.

قواعد التلقي والتلقين:

من خلال ما سبق يمكن إجمال قواعد التلقي والتلقين في:

القاعدة الأولى: قراءة الشيخ على الطالب، وهو ما كان جبريل عليه السلام يفعله مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم (السماع من لفظ الشيخ).

القاعدة الثانية: إنصات الطالب لشيخه عند استماعه قراءته، وهو ما أُمِرَ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

القاعدة الثالثة: استماع الطالب من شيخه، استماع أُذن وفؤاد، وهو ما أُمِرَ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

القاعدة الرابعة: إعادة الطالب المقروء الذي قرأه الشيخ على الطالب، وهو ما أُمِرَ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وهاهنا سؤال متعلق بهذه القاعدة:إذ نرى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم يؤمر بإعادة المقروء كما قرأه الملك مع أن لا حاجة لذلك ما دام قد وعد بجمع القرآن في صدره وإجرائه على لسانه **فلم يكرره بعد استماعه للملك؟**.

والجواب: لتثبيت القاعدة الثالثة والرابعة من قواعد التلقي، وَلِمَ يكرره صلى الله عليه وآله وسلم إلا لتبيان أسلوب التلقي؟...ولرسم خطواته بدقة فائقة النظير تؤذن بتوقيفية تلقي اللفظ القرآني من جميع زواياه...وما ظن أنه اجتهاد فهو إلى التوقيف يعود في أصله...إذ التكرار لأمور منها: تثبيت تلاوة القرآن بالهيئة ذاتها، وتنغيماتِها التي

سُمِعَتْ من الشيخ، بغض النظر عن الصوت من حيث الملاحة ونقيضها، ومنها تثبيت المحفوظ أو المقروء.

القاعدة الخامسة: أن يكون المُعاد موافقاً لقراءة الشيخ ومطابقاً لها، والمراد من الموافقة: الموافقة في أصل الألفاظ وأدائها، وهو ما تراه عند عامة الناس من المقرئين والقارئين... **ويبقى تفاوتهم بعد ذلك من حيث الملاحة في الصوت، والاختلاف في العوامل النفسية إلى تؤدي إلى اختلاف المشاعر والأحاسيس، ويظهر أثرها في القراءة، وقد ترى أن هذه العوامل التي يسمح فيها الاجتهاد في أداء لفظ القرآن ليس مما كلف بها العبد عموماً إذ هي تعود إلى أمر خارج عن نطاق قدرته، وإن كان ثم قدرٌ من الحث على التزام مسلك معين في هذه الناحية: كتدبر القراءة، وقراءة القرآن بحزن.**

وهذا مأخوذ مما سبق في قول ابن عباس ﷺ: كما قرأه، ويدل له قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد)[1].

القاعدة السادسة: أن يصحب القراءة تحريك للشفتين، وهو ما يعني نوعاً من الجهر بالقراءة، ويدل له فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في هذا الحديث؛ إذ النهي مؤقت حتى يقضي جبريل عليه السلام الوحي، فالإنكار عليه ليس لتحريك لسانه وشفتيه، بل لكون هذا التحريك حاصلاً حال قراءة جبريل عليه السلام ، فيبقى التحريك هو الأصل عندما ينتهي توقيت النهي، كما يدل له ما سيرد في المقتضيات

(1) السنن الكبرى للنسائي 5/ 71، سنن ابن ماجه 1/ 49، ابن حبان 15/ 543، الحاكم 2/ 247، مسند أحمد 4/ 278.

اللغوية لتعريف القرآن الكريم في مُلحق الكتاب، على أن التلقين لا يتأتى وجوده إلا بالجهر بالقرآن الكريم على ما هو بديهي.

وهل يشترط أداء هذه القواعد كلها في التلقي والتلقين ؟ الظاهر عدم الاشتراط للأول؛ إذا استبدل به قراءة الطالب على شيخه، إما ابتداء، وإما حفظاً مباشراً عن ظهر قلب، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرض القرآن على جبريلعليه السلام في رمضان، وأما قراءة جبريل عليه السلام في أول نزول الآيات فسببه عدم معرفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بها ابتداء؛ ولذلك عامل العلماء قراءة العالم معاملة عرض الطالب كما سيأتي تفصيله في حديث المعارضة، وقد يترجح أحدهما (السماع من لفظ الشيخ، أو عرض الطالب على الشيخ) لعارض يراه الشيخ في تلميذه من نجابة أو بلادة...**وهو المعمول به عند المسلمين إلى اليوم**.

وها هنا مسألة في غاية الأهمية من ناحية دراسة وسائل المعرفة المُكْسِبَة لليقين في المنهج الإسلامي وهي: أن ثَمَّ نوعاً من التواتر الذي يفيد اليقين الضروري أو النظري، **وهو التواتر العملي** بأن يتناقل المسلمون العمل في العبادة جيلاً جيلاً دون نكير، فيأخذ حكم المتواتر، ولو كان مستنده آحاداً كأركان الصلاة ومقادير الزكاة، وألفاظ الأذان، ورمي الجمار في مناسك الحج، وكثير من مثل ذلك...ووجود جزئياتٍ في هذا النوع مختلف فيها أمرٌ لا يخرم هذه القاعدة...فاضمم إلى هذه الأمثلة أداء القرآن تجده أولى منها جميعاً، من حيث ثبوت اليقينية له، وهذا تكرار لأمرٍ سبق ذكره في المنهج، أوجبه الاعتناء بالمقام، كما أن تفصيله ليس هنا.

المقتضى المنهجي لما سبق:

قرره الصاوي-رحمه الله تعالى- في قوله: «**والحكمة في تلقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عليه السلام ظاهراً أنه يكون سنة متبعة لأمته، فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشايخ، ولا يُفْلِح من أخذ العلم أو القرآن من السطور، بل التلقي له سر آخر**»[1]، وهذا أمر مقرر في أذهان المسلمين لم تَمِلْ دائرة تعليمهم عنه مثقال ذرة[2]، وهذا ما يعطي تصوراً عن مدى الواقعية الحقيقة قولهعز وجل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر/ 9].

المبحث السابع: كيفية قراءة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم القرآن على جبريل عليه السلام من حيث الأمر الشرعي، والواقع التطبيقي[3]:

لِيُعَلَمَ أي عظمة كانتللنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأي شيء كان تعلمه لألفاظ القرآن الكريم، وتعليمه...وأي قوم ـ بعد ـ هم المسلمون:

أناسٌ علي الخير منهم، وجعفرٌ وحمزة، والسجاد ذو الثفناتِ

إذا افتخروا يوماً أتوا بمحمدٍ وجبريل، والقرآن، والسورات

---

(1) حاشية الصاوي 3/ 80.

(2) وقد أسهب في الكلام عن ذلك الإمام الشاطبي في الموافقات، المقدمة الثانية عشرة 1/ 91.

(3) أُريد بالأمر الشرعي: مجموع التوجيهات الشرعية التي أمر الله عز وجلنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بتطبيقها وأن يقرأ القرآن بها من حيث انتماؤها إلى الأحكام الخمسة، وأُريد بالواقع التطبيقي: واقع النبيصلى الله عليه وآله وسلم من حيث التزامه بتلك التوجيهات، والهدف من ذلك كما سيُذكر أعلاه التأكيد على التوقيفية في لفظ القرآن وأدائه، بالإضافة إلى الأهداف المنهجية الأخرى.

وقد تلخص ذلك فيما يلي:

أولاً: تبدأ باستشعار المصدرية الإلهية للقرآن الكريم دائماً عند قراءة القرآن الكريم: ويظهر أنموذج هذا في قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾، ثم قال بعد: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه/ 114] فأكد على المصدرية الإلهية في عدة ألفاظ: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ على الرغم من أن المباشر للإنزال هو جبريل عليه السلام، ﴿وَصَرَّفْنَا﴾، ﴿**نقضي**﴾ في قراءة يعقوب على الرغم من أن المباشر للقراءة هو جبريل عليه السلام، وأشار إلى تفرده بهبة المنح الإلهية، ورأسها القرآن الكريم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾، ثم وسط بين الآيتين بقوله ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ وهي جملة اعتراضية، وفي تفريع الجملة الاعتراضية على إنزال القرآن إشارةٌ أيضاً إلى أن القرآن قانون ذلك الملك، وأن ما جاء به هو السياسة الكاملة الضامنة صلاح أحوال متبعيه في الدنيا والآخرة[1]، وفي هذا السبيل ترى التعبير عن إنزال القرآن يرجع إلى هذه المصدرية عند الكلام على النازل، والمنزَل به، والمنزَل عليه.

ومن **الإشارة إلى هذه المصدرية**: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة/ 97].

ثم تتجلى هذه المصدرية في موقف تعليمه الإقراء في إضافة اسم إلى الاسم الظاهر (ربك) المضاف إلى الكاف، ثم تجلت تارة أخرى في قولهعز وجل ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ الثلاث الآيات كالاستئناف البياني، كأنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: وكيف اقرأ، ولست بقارئ ؟ فأجيب: **الذي علم القراءة بالقلم، يعلمك ما لم تعلم، ولا عجب**

(1) التحرير والتنوير 16/ 316، وراجع روح المعاني 16/ 391، والبحر المحيط لأبي حيان 6/ 281.

في أن تقرأ، إذ العلم يحصل بوسائل أخرى مثل الإملاء والتلقين والإلهام، وتأمل في وصفه عز وجل في هذا الموقف بالأكرم....

واستشعار المصدرية الإلهية للقرآن له مقتضياته الهامة، وفيما يتعلق بمدار البحث هنا تبرز المقتضيات التالية:

أ- يقذف في قلب الإنسان كل ما تصل إليه مشاعره الداخلية وانفعالاته العاطفية وحركات أركانه الخارجية من التعظيم لله عز وجل، وبذل الوسع في تحقيق كلامه، وقد نقل الآلوسي عن الطيبي ما يؤكد هذا من حيث اللفظ، فمما قاله: «﴿وَلَا تَعۡجَلۡ﴾ عطف على قوله عز وجل﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ لما فيه من إنشاء التعجب، فكأنه قيل: حيث نبهت على عظمة جلالة المنزِل، وأرشدت إلى فخامة المنزَل، **فعَظِّمْ جنابه الملك الحق المتصرف في الملك والملكوت، واقبل بكلك على تحفظ كتابه، وتحقق مبانيه، ولا تعجل به**»[1]، وقال سيد قطب:»**فتعالى الله الملك الحق الذي تعنو له الوجوه، ويخيب في حضرته الظالمون، ويأمن في ظله المؤمنون الصالحون، هو منزِل هذا القرآن من عليائه، فلا يعجل به لسانك**، فقد أنزل القرآن لحكمة ولن يضيعه، إنما عليك أن تدعو ربك ليزيدك من العلم، وأنت مطمئن إلى ما يعطيك، لا تخشى عليه الذهاب، وما العلم إلا ما يعلمه الله؛ فهو الباقي الذي ينفع ولا يضيع، ويثمر ولا يخيب»[2].

ب- استمداد العون والتوفيق في تحقيق لفظه، وإتقان مبناه[3]، وعدم نِسيِّه أو تفلته من قائله عز وجل.

---

(1) روح المعاني 16/ 393.

(2) في ظلال القرآن 4/ 2353.

(3) لم يُتكلم عن المعنى؛ إذ ليس مدار البحث، كما سبق.

كان ذلك فحوى الأمر الإلهي.

والصورة التطبيقية لهذا قبل التوقيف القرآني على هيئة تلقي القرآن لاستشعار هذه المصدرية: تعجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزول القرآن واستكثاره منه، ولذا قال صاحب التحرير والتنوير:«لما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حريصاً على صلاح الأمة شديد الاهتمام بنجاتهم؛ لا جرم خطرت بقلبه الشريف عقب سماع تلك الآيات رغبةً، أو طلبةً في الإكثار من نزول القرآن، وفي التعجيل به إسراعاً بعظة الناس وصلاحهم، فعلمه اللهعز وجل أن يكل الأمر إليه»[1].

والصورة التطبيقية بعد التوقيف القرآني على هيئة تلقي القرآن: هو استراحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم[2] من خوف تفلت القرآن منه صلى الله عليه وآله وسلم بعد تكفل اللهعز وجل بعدم ذلك، والإكثار من دعاء ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا.

ثانياً: الاستماع والإطراق عند تلاوة جبريل عليه السلام عليه: وذلك تنفيذاً لقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة/ 18] على ما تقدم.

والصورة التطبيقية لذلك ما قاله ابن عباسرضي الله عنه :فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع [وأطرق].

ثالثاً: ترديد القرآن بعد انتهاء جبريل عليه السلام من قراءته، ليطمئن القلب بتحفظه: وهو صريح في الأمر القرآني، والوعدالإلهي ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ كما تقدم، وقال الزمخشري –رحمه الله تعالى– في قولهعز وجل ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ

(1) التحرير والتنوير 19/ 316، ونقل الآلوسي ـرحمه الله تعالىـ نحوه عن الماوردي.
(2) كما عبر ابن عباس في حديث المعالجة.

أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه/ 114]:«لما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد: «وإذا لقنك جبريلعليه السلامما يُوحى إليك من القرآن، فتأنَّ عليه ريثما يسمعك ويفهمك، ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك، ولاتكن قراءتك مساوقةً لقراءته، ونحوه قولهعز وجل ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾»[1].

والصورة التطبيقية لذلك ما وصفه ابن عباسرضي الله عنه في حديث المعالجة: فإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قرأه.

رابعاً: تحريك فمه وشفتيه عند الحفظ أو القراءة: وهذا مأخوذٌ من منطوق آيات القيامة، ومن مفهوم حديث المعالجة وقد مضى، ومن الحديث الآتي في الجهر بالقرآن.

خامساً: (الترتيل)[2] **تبيين الحروف**: التَّرْتِيلُ، في القراءة الترسل فيها، والتبيين بغير بغي[3]، وقد عرفه مجاهد بقوله في قوله عز وجل:﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ قال: «بعضه أثر بعض على تؤدة»[4]، وعن قتادة قال: «بينه بياناً»[5].

فالترتيل يتضمن عنصرين يشكلان ماهيته الذاتية، هما: التأني (التؤدة)، وتبيين الحروف وهما متلازمان، **وهما يقتضيان أمراً ثالثاً**: هو إشباع الحركات، **ويستلزم الترتيل أمراً رابعاً** هو: السكينة والوقار التي تميز قارئ القرآن عن مطرب الألحان، فاجتمعت في الترتيل أربع متضَمَنات: التأني والتؤدة، وتبيين الحروف، وإشباع الحركات،

---

(1) الكشاف 2/ 488.

(2) حكم الترتيل، وتحليل عناصره الذاتية والطارئة ليس من ميدان البحث، ولذا لن يكون توسع في ذلك.

(3) مختار الصحاح ص98.

(4) رواه الطبري قال ابن حجرـرحمه الله تعالى ـ في فتح الباري شرح البخاري 9/ 89، : «بسند صحيح».

(5) تفسير الطبري 28/ 127.

والسكينة والوقار[1]، وقال ابن حجر: «قوله عز وجل :﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ **أي اقرأه مترسلاً بتبيين الحروف، وإشباع الحركات**»[2].

وفي القرآن الكريم تذكر لنا صورة تطبيقية ملائكية[3] لمبدأ الترتيل في قول اللهعز وجل﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان/ 32] فهو خبر عن الملأ الأعلى، ولأن القراءة توقيفٌ؛ فإن هيئة قراءة القرآن يجب أن تتماثل، ولم يأخذها جبريلعليه السلام في الملأ الأعلى إلا عن الله عز وجل، فحكى الله عز وجل كيفية قراءة جبريل عليه السلام ثم أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقراءة القرآن على الهيئة ذاتها فقال عز وجل: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ **وصلة ما بين خبر الملأ الأعلى، والأمر الإلهي الكريم مضمرٌ تدل عليه الأخبار الأخرى والتقدير**: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾، وذلك على نسق ما سمعته من جبريل عليه السلام إذ قد رتلناه على لسانه ترتيلاً، وفي أضواء البيان: «**هذه الآية نصٌ بترتيل القرآن ترتيلاً**، وأكد بالمصدر تأكيداً لإرادة هذا المعنى[4] كما قال ابن مسعود ﷺ:لا تنثروه نثر الدقل، ولا تهذوه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة»[5].

---

(1) وذا موضح التأصيل الشرعي لمراتب القراءة المعروفة في علم التجويد.

(2) فتح الباري شرح البخاري 3/ 23، وقال في 9/ 89: «تبيين حروفها والتأني في أدائها، ليكون أدعى إلى فهم معانيها ».

(3) واغتفرت النسبة إلى الجمع خوفاً من اللبس.

(4) واستدل صاحب التحرير والتنوير 29/ 316، : بالمصدر على تأكيد إرادة المعنى، وفي هذا رد على من يتوهم الترتيل هنا بمعنى التنجيم.

(5) أضواء البيان 8/ 610.

والصورة التطبيقية لذلك: ما وصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلام نبي اللهعز وجل حيث كان يرتل كلامه، ويترسل فيه فجابر بن عبد اللهرضي الله عنه يقول: (كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترتيل أوترسيل)[1]، وعن عائشة -رضي الله تعالى عنها-: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحدث حديثاً لوعده العاد لأحصاه لم يكن يسرد الحديث كسردكم)[2]، وأنكرتْ على أبي هريرة رضي الله عنه سرعة حديثه، وقالت: (ولو أدركته لرددت عليه)[3]، أي لأنكرتُ عليه، وبينتْ له أن الترتيل في التحديث أولى من السرد، فقولها «لم يكن يسرد الحديث كسردكم أي يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض لئلا يلتبس على المستمع، زاد الإسماعيلي من رواية بن المبارك عن يونس: (إنما كان حديث رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم فصلاً فهماً تفهمه القلوب)»[4]، وقال في موضع آخر: «قولها (لو عده العاد لأحصاه) أي لوعد كلماته، أو مفرداته، أو حروفه لأطاق ذلك، وبلغ آخرها، والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهيم»[5].

وإذا كان ذا في حديثه المعتاد، فكيف في تلاوة كلام اللهعز وجل؟.

وتصف أم سلمة -رضي الله تعالى عنها- **الصورة التطبيقية** لترتيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم(بأن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت: بسم الله الرحمن

---

(1) سنن أبي داود 4/ 260، قال الشيخ الألباني: صحيح.
(2) البخاري 3/ 1307.
(3) البخاري 3/ 1307، مسلم 3/ 1940.
(4) فتح الباري شرح البخاري 6/ 579.
(5) فتح الباري شرح البخاري 6/ 578.

الرحيم الحمد لله رب العالمين يعني كلمة كلمة)[1]، وعن ابن أبى مليكة أن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلمولا أعلمها إلا حفصة سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: (إنكم لاتطيقونها قالت: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ تعني الترتيل[2]، وقد صرح متتبعو سننه بأن الترتيل عادته في قراءته، ويقرنون ذلك بعادته في اعتدال أركانه في الصلاة[3]، قال ابن حجر-رحمه الله تعالى-: «ومن المعلوم من عادته صلى الله عليه وآله وسلمترتيل القراءة، وتعديل الأركان»[4].

وقد كان ترتيله صلى الله عليه وآله وسلم للسورة يصيرها أطول من أطول منها، **وهو الموافق لقراءة معتدلي قراء المسلمين في هذه الأيام**، فقد روى مسلم من حديث حفصة -رضي الله تعالى عنها- أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها[5].

وعن يعلى بن مملك: أنه سأل أم سلمة -رضي الله تعالى عنها- عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلاته، فقالت: (وما لكم وصلاته؟، كان يصلي وينام قدر

---

(1) سنن البيهقي الكبرى2/ 44.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل 6/ 286.

(3) وفيه بيان ماهية الترتيل في عرفهم، وأنه ليس التنجيم الزمني.

(4) فتح الباري شرح البخاري 2/ 27.

(5) مسلم 6/ 3352، ولا مكان لما ادعاه ابن حبان ـ رحمه الله تعالى ـ أن الركعة الأولى من صلاة الظهر إنما طالت على الثانية بالزيادة في الترتيل فيها مع استواء المقروء فيهما، إذ ما الدليل على استواء المقروء؟وما الدليل على ترتيله في الأولى دون الثانية، مع أن عادته المستمرة هي الترتيل؟.

ما صلى، ثم يصلي قدر ما نام، ثم ينام قدر ما صلى، حتى يصبح)، ونعتت قراءته فإذا هي تنعت قراءته حرفاً حرفاً[1].

وفي معنى قولها(ثم نعتت قراءته) يقول السندي: «أي وصفت وبينت بالقول، أو بالفعل بأن قرأت كقراءته صلى الله عليه وآله وسلم. وقوله: (حرفاً حرفاً)، وقال أبو البقاء: نصبهما على الحال أي مرتلة»[2].

وقوله (حرفاً حرفاً) **يبين العلاقة بين أصل الوضع اللغوي والاستعمال العرفي لكلمة ترتيل.**

فالجواب: كان الأمر بالترتيل مبكراً على سنن نزول الوحي، فقد كان جملة ما نزل من القرآن حين نزول أوائل سورة المزمل سورتين أو ثلاث على أصح الأقوال[3]، ويشير قوله عز وجل فيها﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل/ 4] [4] إلى أن القرآن بادئ بالنزول، وهذه بدايةٌ إضافية لا حقيقية أوجب تقريرها الكثرة الكاثرة لما سينزل من الوحي بعدها مقارنة بما سبق...ولما كان جبريلعليه السلام هو المقرئ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلمما ينزل من القرآن، كما أنه الذي يعارضه به تعاهداً، ومراجعة، وتثبيتاً، فقد لزم أن يكون جبريلعليه السلام هو الذي يقرئه بالترتيل ابتداء، وهو ما صرح به في قوله عز وجل ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان/ 32].

---

(1) سنن أبي داود 2/ 73، وقال الألباني: « ضعيف ».

(2) حاشية السندي على النسائي 2/ 181.

(3) انظر: الإتقان 1/ 20.

(4) والقول الثقيل هو القرآن كما تقرر عند أئمة التفسير، انظر: التحرير والتنوير 29/ 260.

سابعاً: التغني بالقرآن، والجهر به: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي يتغنى[1] بالقرآن)، وقال صاحبٌ له:يريد يجهربه[2]، زاد في لفظ له: قال سفيان: تفسيره يستغني به[3]، وفي لفظ: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به)، وعن معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يأذن الله لشيء إذنه لأذان المؤذنين، والصوت الحسن بالقرآن) [4]، وعند ابن حبان (ما أذن الله لشيء كأذنه للذي يتغنى بالقرآن يجهر به)[5].

والمعنى: «ما استمع الله لشيء كاسْتماعه لنبيتَغنَّى بالقرآن أي يْتلُوه يَجْهَربه»[6].

وقال أبوحاتم بن حبان: «قوله صلى الله عليه وآله وسلميتغنى بالقرآن يريد يتحزن به، وليس هذا من الغُنية، ولوكان ذلك من الغنية لقال (يتغانى به)، ولم يقل (يتغنى به)

---

(1) قال ابن حجر في الفتح 9/ 70، : «قال ابن الجوزي: اختلفوا في معنى قوله (يتغنى) على أربعة أقوال: أحدها: تحسين الصوت، والثاني: الاستغناء، والثالث: التحزن، قاله الشافعي، والرابع: التشاغل به، تقول العرب: تغني بالمكان أقام به، وفيه قول آخر حكاه ابن الأنباري في الزاهر قال: المراد التلذذ والاستحلاء له، كما يستلذ أهل الطرب بالغناء، فأطلق عليه تغنياً من حديث {أنه يفعل عنده ما يفعل عند الغناء}، وهو كقول لنابغة:

بكاء حمامة تدعو هديلاً مفجعةٍ على فَنَنٍ تغني،

أَطْلَق على صوتها غناءً؛ لأنه يطرب كما يطرب الغناء، وإن لم يكن غناء حقيقة».

(2) البخاري 4/ 1918.

(3) وفي سنن الدارمي 1/ 765، : وقال: «يريد به الاستغناء»، ولا شك في ضعف هذا الرأي إن أُريد به نفي الآخر، وليس المقام بمتسعٍ لتفصيل ذلك، فيُكتفَى بالإشارة العابرة أعلاه.

(4) المعجم الكبير 20/ 216.

(5) ابن حبان 3/ 30.

(6) النهاية في غريب الأثر 1/ 33.

وليس التحزن بالقرآن وطيب الصوت، وطاعة اللهوات بأنواع النغم بوفاق الوقاع، **ولكن التحزن بالقرآن** هو: أن يقارنه شيئان: الأسف والتلهف: الأسف على ما وقع من التقصير، والتلهف على ما يؤمل من التوقير، فإذا تألم القلب، وتوجع، وتحزن الصوت، ورَجَّع، بدر الجفنُ بالدموع، والقلب باللموع، فحينئذٍ يستلذ المتهجد بالمناجاة، ويفر من الخلق إلى وكر الخلوات، رجاء غفران السالف من الذنوب، والتجاوز عن الجنايات والعيوب، فنسأل الله التوفيق له»[1]، وواضحٌ أن هذه مرتبة فوق مرتبة الترتيل.

ثامناً: **الترجيع في القرآن**: هو تقارب ضروب الحركات في القراءة، وأصله الترديد، وترجيع الصوت: ترديده في الحلق[2].

والصورة التطبيقية لذلك: ما رواه معاوية بن قرة عن عبد الله بن المغفل المزنيرضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الفتح على ناقة له يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح – قال –: فرجع فيها، قال: ثم قرأ معاوية يحكي قراءة ابن مغفل، وقال: لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجعت كما رجع ابن مغفل يحكي النبي صلى الله عليه وآله وسلمفقلت لمعاوية كيف كان ترجيعه قال آ آ آ ثلاث مرات[3].

قال ابن حجر: «**والذي يظهر أن في الترجيع قدراً زائداً على الترتيل**، فعند ابن أبي داود من طريق أبي إسحاق عن علقمة قال: بت مع عبد الله بن مسعود في داره، فنام، ثم قام، فكان يقرأ قراءة الرجل في مسجد حيه لا يرفع صوته، ويسمع من حوله،

(1) ابن حبان 3/ 27.
(2) فتح الباري 9/ 92.
(3) البخاري 6/ 2742.

ويرتل، ولا يرجع»[1]، ويدل لهذا الكلام ما جاء عن أم هانئ ــرضي الله تعالى عنهاــ: كنت أسمع صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأ وأنا نائمة على فراشي يُرَجِّعُ القرآن[2].

كما يدل هذا الحديث على أن الترجيع غالب فعله في تلاوة القرآن الكريم.

فقد تحصل من هذا أن أداء القرآن يستلزم: تحريك اللسان والشفتين(القراءة)، والترتيل، والتغني، والترجيع.

ويتضح مما سبق أن **أداء القرآن ينقسم إلى قسمين:**

أ- **الأداء الأصلي**، ويمثل الترتيل بعناصر حقيقته، وهو المسمى في علم التجويد: حق الحروف.

ب- **الأداء الفرعي**: ويمثل التغني والترجيع حقيقة، ويسمى في علم التجويد مستحق الحروف.

واللفظ يستحيل معناه بتغير الأداء الأصلي، أو تركه، وقد يحدث ذلك بترك الأداء الفرعي.

فالمراتب في أداء لفظ القرآن الكريم أربعة من حيث الماهية اللغوية، والمدلول الشرعي (وترجع هيئات الترتيل من تحقيقٍ، وحدرٍ، وتدويرٍ إليها):

---

(1) فتح الباري 9/ 92.

(2) (الطحاوي) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة 321هـ: شرح معاني الآثار 1/ 344، مراجعة محمد زهري النجار ـ ط1، 1410 هـ ــ 1990م، دار الكتب العلمية ــبيروت.

أ- **القراءة**: ولا تكون إلا بإخراج كل حرفٍ من مخرجه، وهي جنسٌ عامٌ للقرآن وغيره، وأصبحت القراءة تنصرف إلى قراءة القرآن عن ظهر قلبٍ عندهم، وهو المفهوم من كلمة (القرآن) أي المقروء من الصدر، في مقابل لفظ الكتاب أي المكتوب، ويقتضي هذا المفهوم أن يُقْرَأ من الصحف التي كُتِبَ فيها، أو من الصدور التي حُفظ فيها بالتلقي من الأفواه.

ب- **الترتيل**: وهو هيئةٌ خاصةٌ بالقرآن الكريم، فهو مرتبةٌ أعلى من القراءة، وعلى هذا فإن الترتيل يحتوي مراتب القراءة الثلاثة الشهيرة: التحقيق، والحدر، والتدوير بحسب تفاوت درجات الترتيل ليكون أحدها.

ج- **التغني**: وهو هيئةٌ خاصةٌ بالقرآن الكريم، فهو مرتبةٌ أعلى من الترتيل، ففيه تنغيمٌ للصوت على القواعد المتلقاة، فلا يَرِدُ عليه الغناء المعروف عند البشر.

د- **الترجيع**: وهو ترديدٌ للفظ المقروء المرتَل المُتَغنى به، أو زيادة تحبيره وتحسين أدائه بزيادة تحقيق المد ونحوه.

تاسعاً: مماثلة قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم**لقراءة جبريل** عليه السلام: ويدخل في ذلك مماثلة أصل اللفظ، وهيئة أدائه الداخلية.

والصورة التطبيقية لهذا عبر عنها ابن عباسرضي الله عنه بقوله: (فإذا انطلق جبريلعليه السلام قرأه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قرأه [كما وعده الله][1]، والضمير في قوله: ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ لجبريلعليه السلام والتقدير: فإذا انتهت قراءة جبريلعليه السلام فأقرأ أنت.

---

(1) البخاري 1/ 6.

عاشراً: قراءته صلى الله عليه وآله وسلم **على الناس كما أقرأه جبريل** عليه السلام **من حيث أصلُ اللفظ وأداؤه**: ويختلف عن البند السابق في أنه أخص منه مطلقاً من حيث أنه مأمورٌ بتلاوته على الناس لقوله عز وجل ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام/ 19]، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ﴾ [النمل/ 91]، والسابق أعم من حيث أنه يقرؤه لنفسه أو للناس.

وإنما أُفْرِدت هذه النقطة بالذكر مع دخولها فيما سبق لأهميتها في إحداث اليقين القطعي بحقيقة: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلمكان يقرأ ألفاظ كما أقرأه جبريل عليه السلام لا يَخْرِمُ منها حرفاً، ولا هيئةً لعموم قول ابن عباسرضي الله عنه:(كما أقرأه)، ولقولهعز وجل ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ﴾ [يونس/ 15].

فإذا اجتمع ــ كما سبق ــ:

1- **الأمر الإلهي الموجب اتباع هيئةٍ معينةٍ للنطق بالقرآن (الأداء)، وهو قوله** عز وجل﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل/ 4] **ونحوها.**

2- **والتطبيق الملائكي (جبريل)**عليه السلام **لذلك الأمر مبالغة في اتباع تلك الهيئة كما في قوله**عز وجل ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان/ 32] [(1)].

3- **والنص النبوي عليها (اقرأ وارق ورتل)[(2)]...ونحوه.**

---

(1) ويُلاحَظ بعين التأمل أن إيراد هذه الجملة كان أثناء حجاج الخصماء فيه، ليظهر بالغ أهميتها.

(2) ابن حبان 3/ 43، ؛ إذ مفهومه دال على مراد التقرير، وكأحاديث التغني بالقرآن.

4- **والتطبيقُ النبويُّ لها.**

5- **ودقة وصف الصحابة لتلك الهيئة.**

6- **مع تناقل هذه الهيئة عبر الأجيال...**

كانت النتيجة التلقائية لهذه المقدمات هي: التوقيفية المحضة في نقل هيئة أداء القرآن، كنقل أصل ألفاظه....

فإذا أُضيف إلى هذا: أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه كما قرأه، وأن الصحابة حفظوه وكتبوه كما أقرأهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم...وأن حلقات الحفظ هذه قد توالت من الله ــجل وعلا- إلى رسوله من أهل السماء عليه السلام إلى رسوله من أهل الأرض صلى الله عليه وآله وسلم، ثم إلى صحابة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم إلى الأمة باختلاف مكانها وزمانها...بأعلى درجات الحفظ والضبط...كما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقوم بالعرض اليومي للصحابة عند نزول القرآن، وفي الصلوات الجهرية، وفي نوافله الليلية التي كان يصل وردُه فيها إلى سدس القرآن الكريم في كل ليلة غالباً...فقد ضمن الله عز وجل للقرآن حفظه: كتابةً بالقلم، وأداءً بالصوت الذي حُفِظَتْ حروفه في أدق صفاتها ومخارجها من حيث مقاطعُ الأداء(أماكن الخروج) وما يصاحبه من غنةٍ، أو مدٍ، أو ترقيقٍ، أو تفخيمٍ، أو استعلاءٍ، أو استفالٍ...كما حُفِظَتْ أماكن الوقف والابتداء، والسكتات الواجبة والجائزة....

فحفظ الله ــتعالى ذكره- ألفاظ القرآن في هذه الأمة بالأدوات الواقعية الإنسانية التي تتسم بأعلى قواعد الحفظ، وأدق مقاييس الضبط.

أحد عشر: **تكرار المحفوظ**: ليرسخ فيه، فقد قال الزمخشري -رحمه الله تعالى: «فأمر أن يستنصت له، ملقياً إليه بقلبه وسمعه حتى يقضي إليه، ثم يقضيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه»[1].

اثنا عشر: تركيز المراجعة في قيام الليل:

فهو ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي: «أثبت في الخير»، **وخاصٌ** فهو﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي:«أبلغ في الحفظ»[2].

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإن لم يقم به نسيه)[3] ومن أحق منه صلى الله عليه وآله وسلم بوصف صاحب القرآن؟.

---

(1) الكشاف 4/ 165، ومثله: أبو السعود 5/ 340.

(2) تفسير الطبري 29/ 170.

(3) رواه مسلم 1/ 536، عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، وقوله (لم يقم به) تحتمل معنى قيام الليل، وتحتمل معنى العمل به، وقد قال المباركفوري في معنى قول الصحابي يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أن لا أقوم بها): كما في تحفة الأحوذي 150/ 8: «أي في صلاة الليل»، انظر: (المباركفوري) أبو العُلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، ط 1، 1410هـ - 1990م، دار الكتب العلمية - بيروت.
ويؤكد هذا المعنى الحديث الذي وردت فيه هذه العبارة ما روى الترمذي 156/ 5 عن أبي هريرة ﷺ قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثاً، وهم نفر فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (ماذا معكم من القرآن ؟) فاستقرأهم، حتى مرَّ على رجلٍ منهم هو من أحدثهم سناً، فقال : (ماذا معك يا فلان ؟) قال: معي كذا، وكذا، وسورة البقرة . قال: (معك سورة البقرة؟) . قال: نعم!. قال: (اذهب، فأنت أميرهم) فقال رجلٌ -هو أشرفهم-: والذي كذا وكذا يا رسول الله !ما منعني أن لا أتعلم القرآن إلا خشيت أن لا أقوم به . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (تعلم القرآن، واقرأه، وارقد، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه، وقام به كمثل جراب محشو مسكاً تفوح ريحه كل مكان، ومن تعلمه، فرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكيء على مسك) حسنه الترمذي، وضعفه الألباني، وصححه ابن حبان، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على ابن حبان: «رجاله ثقات رجال الصحيح غير عطاء مولى أبي أحمد» .

بل كان يؤكد على المراجعة ببيان وسائل التدارك عند الفوات فعن عبد الرحمن ابن عبد القاري:قال سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من نام عن حزبه، أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل)[1]، وقد شمل قوله (حزبه) الصلاة والقرآن.

ثالث عشر: **التعاهد السنوي**: وذلك بمراجعة القرآن على جبريل عليه السلام سنوياً في كل رمضان، ويأتي تحليل هذا الموقف التعليمي، **وهذا هو الأصل الشرعي المنهجي في العرضة الثانية أو الثالثة** تأكيداً وتثبيتاً للمحفوظ، وهذا التعاهد غير التعاهد الدائم (المراجعة الدائمة)؛

وفي آخر هذا المبحث: فهل أتاك نبأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **إذ يتلقى ألفاظ القرآن الكريم؟، وجبريل** عليه السلام **إذ يعلمه لفظ القرآن المجيد؟... فيا حاديَ الشوق أشعل سُرُجَ العزيمة...وأمط عنا ـ بذاك ـ في الظلماء ذلَ الهزيمة....ويا رسول الله:**

قد كنت بدراً ونوراً يُستضاء به ... عليك تَنزِل من ذي العزة الكتبُ

وكان جبريل بالآيات يحضرنا ... فغاب عنا، وكلُ الشوق ينسكبُ

(1) مسلم 1/ 515.

المبحث الثامن: تحليل حديث المدارسة (المعارضة)

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس ﷺ قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في [وفي لفظ من] رمضان، حتى ينسلخ، [كان يلقاه في كل سنة في رمضان][1]، يعرض عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم [2] القرآن،[فيدارسه القرآن][3]، فإذا لقيه جبريلعليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة[وروي أبو هريرة وفاطمة -رضي الله تعالى عنهما- عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن جبريل كان يعارضه القرآن][4]، ووقع عند أحمد في آخر هذا الحديث:لا يسأل شيئاً إلا أعطاه([5]). وحديث فاطمة الذي أشار إليه البخاري هو ما روته عائشة -رضي الله تعالى عنها- قالت: إنا كنا أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنده جميعاً، لم تغادر منا واحدة، فأقبلت فاطمة -عليها السلام- تمشي، ولا والله ما تخفى مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رآها رحب وقال:مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم سارها فبكت بكاء شديداً، فلما رأى حزنها سارها الثانية، فإذا هي تضحك، فقلت لها أنا من بين نسائه: خصك

---

(1) مسلم 4/ 1803.

(2) ومثل هذا التصريح في مسلم 4/ 1803، وعند أحمد 1/ 230، : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض الكتاب على جبريل عليه السلامفي كل رمضان، فإذا أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الليلة التي يعرض فيها ما يعرض....

(3) ما بين الأقواس ألفاظٌ أخرى للبخاري.

(4) البخاري 3/ 1177.

(5) مسند الإمام أحمد 1/ 326.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسر من بيننا، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألتها: عم سارك؟، قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سره .فلما تُوفي، قلت لها: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما أخبرتني . قالت: أما الآن فنعم، فأخبرتني، قالت: أما حين سارني في الأمر الأول، فإنه أخبرني (أن جبريلعليه السلام كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة، وإنه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقي الله، واصبري، فإني نعم السلف أنا لك) قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جَزَعي سارني الثانية، قال: (يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أوسيدة نساء هذه الأمة)[1].

الدلالات العامة لحديث المعارضة:

والدلالات المأخوذة من هذا الحديث هي:

1 . اعتماد مبدأ المدارسة في مفردات التعليم المنهجي لألفاظ القرآن الكريم: فقدتنوعت روايات الحديث في وصف هذا الموقف التعليمي بين جبريل عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فوصفه بعضها بأنه (مدارسة)، وبعضها بأنه (معارضة)، وبعضها (يعرض عليه القرآن)، وبعضها أبهم الفاعل، وصرَّح البعض بأن الفاعل للعرض هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم،والبعض أن الذي كان يعرض هو جبريل عليه السلام ومنه استنباط الإمام النسائي: أن جبريل عليه السلام هو الذي كان يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ما أشار إليه البخاري في قوله: وروى أبو هريرة وفاطمة -رضي الله تعالى عنهما- عن النبي صلى الله عليه وآله

(1) البخاري، 5/ 2317.

وسلمأن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن...**وهذه الأوصاف مستلزمةٌ سبرَ معانيها اللغوية والاصطلاحية، للتمكن من تحليل هذا الموقف التعليمي المتميز، والخروج بنتائج حقيقيةٍ تترتب عليه .**

2 . **تأكيد المعارضة السنوية، وتعويضها عند فواتها لعارض**: فقد اختلف في سبب معارضته صلى الله عليه وآله وسلم مرتين في العام الذي توفي بعده، ولا شك أن مجرد العلم الإلهي بوفاته سبب كافٍ في التأكيد على أصل أصول الدين، ويجعل ذلك كالمقطوع به استنباطه صلى الله عليه وآله وسلم حيث قالت ابنته فاطمة: (أخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة وإنه قد عارضني به العام مرتين ولا أرى الأجل إلا قد اقترب)، لكن هذا لا يفسر اعتكافه مرتين على المستوى ذاته من القوة...وقد عرض ابن حجر-رحمه الله تعالى- اختلاف العلماء في سبب اعتكافه في العام الذي توفي بعده عشرين يوماً فقال: «قيل: السبب في ذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم علم بانقضاء أجله، فأراد أن يستكثر من أعمال الخير؛ ليبين لأمته الاجتهاد في العمل إذا بلغوا أقصى العمل ليلقوا الله عز وجل على خير أحوالهم[1]، وقيل: السبب فيه أن جبريل عليه السلام كان يعارضه بالقرآن في كل رمضان مرة، فلما كان العام الذي قُبِضَ فيه عارضه به مرتين؛ فلذلك اعتكف قدر ما كان يعتكف مرتين، ويؤيده أن عند ابن ماجة: (وكان يعرض عليه القرآن في كل عام مرةً، فلما كان العام الذي

(1) يُضَعِّف هذا أنه أخبر عن نفسه بعدم العلم باقتراب أجله إلا بعد أن رأى جبريل عليه السلام عارضه القرآن مرتين، وذاك كائنٌ في منتهى رمضان فكذلك الاعتكاف فيقوى من هنا أن يكون للاعتكاف علاقة في معارضة القرآن، ولكن يقوي الاستنباط الأول النعي العام له صلى الله عليه وآله وسلم في سورة النصر وكانت بعد فتح مكة، فلقائل ذاك القول أن يقول: استكثر من الخير بعدما نزلت عليه هذه السورة ومن ذلك الاعتكاف، وأما المعارضة فكانت تحديداً أدق من النعي العام.

قبض فيه عرضه عليه مرتين)[1]، وقال ابن العربي: يحتمل أن يكون سببُ ذلك أنه لما ترك الاعتكاف في العشر الأخير بسبب ما وقع من أزواجه، واعتكف بدله عشراً من شوال ــ اعتكف في العام الذي يليه عشرين ليتحقق قضاء العشر في رمضان انتهى، وأقوى من ذلك أنه إنما اعتكف في ذلك العام عشرين لأنه كان العام الذي قبله مسافراً، ويدل لذلك ما أخرجه النسائي وللفظ له وأبو داود وصححه ابن حبان وغيره من حديث بن أبي بن كعب ﷺ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فسافر عاماً فلم يعتكف فلما كان العام المقبل اعتكف عشرين، وقال في موضع آخر: ويحتمل أيضاً أن يكون السر في ذلك أن رمضان من السنة الأولى لم يقع فيه مدارسة لوقوع ابتداء النزول في رمضان ثم فتر الوحي، ثم تتابع، فوقعت المدارسة في السنة الأخيرة مرتين ليستوي عدد السنين والعرض، ويحتمل تعدد هذه القصة بتعدد السبب، فيكون مرة بسبب ترك الاعتكاف لعذر السفر، ومرة بسبب عرض القرآن مرتين»[2].

1. **التركيز في عنصر الوقت لتثبيت ومراجعة لفظ القرآن الكريم: وذلك باعتماد الدرس الليلي**: إذ كانت المعارضة تتم ليلاً، ليتم الوصول إلى الكمال في الإحاطة بالدرس القرآني إذ يتم حفظ، أو مراجعة ما يراد تثبيته من الليل، ثم يعقبه نومٌ، ثم تجري مراجعته سحراً أو بكرة؛ لأنه إذا تساوى زمن الحفظ واليقظة بين التعلم والتذكر؛ فإن زمن النوم أقل ضرراً على الحفظ من زمن اليقظة؛ لعدم التعرض لخبراتٍ جديدة خلال النوم يحصل بسببها النسيان؛ فإن النسيان إنما يحدث من جراء حصول

(1) سنن ابن ماجة 2/ 345.
(2) فتح الباري 4/ 285.

خبراتٍ جديدة، يفسح لها الدماغ مجالاً، فيطمس أشياء قبلها[1]، ولذا قال ابن حجر- رحمه الله تعالى: «اختيار الليل لأن المقصود من التلاوة الحضور والفهم، لأن الليل مظنة ذلك، لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية». وقد مر نحو هذا في فوائد آيات المزمل.

2. **متضَمَّنات المعارضة**: تتضمن المعارضة بين جبريل عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم المفاهيم التالية:

3. **الإراءة**: إذ: «عرض الشيء عليه يعرضه عرضةً أراه إياه»[2]... فعَرْضُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن على جبريل عليه السلام يتضمن نظر جبريل عليه السلام في لفظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأدائه تصويباً، وتفهيماً، وتعبداً، وعرض جبريل عليه السلام يتضمن نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في لفظ جبريل عليه السلام تعلماً، وتفهماً، وتعبداً، إذ كلٌ منهما يُرِي الآخر لفظه، وأداءه، ويحتمل أيضاً: ومعناه، ولذا جاء في مادة عرض: «وعرضت الكتاب، وعرضت الجند عرض العين إذا أمررتهم عليك، ونظرت في حالهم»[3].

4. **المقابلة**: من قولهم عارض الكتاب بالكتاب قابله به[4]، ويشترط أن يكون ثَمَّ أصلٌ مقابَلٌ عليه، وفرعٌ مقابَلٌ به، فيظهر من ذلك أرقى ما يمكن أن يصل إليه التدقيق، مما هو خارجٌ عن نطاق البشر في مقابلة حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله

(1) المهارات الدراسية ص124 بواسطة: مقال ظاهرة النسيان، مجلة البيان، عدد 105.
(2) لسان العرب 9/ 137.
(3) لسان العرب 9/ 138.
(4) مختار الصحاح ص270، النهاية في غريب الأثر 3/ 133.

وسلم على ما أُمِر جبريل عليه السلام بحفظه من ربه، وأهم صفةٍ ذاتيةٍ لجبريل عليه السلام عند نزوله من السماء أنه ما ينزله ربه عز وجل إلا بالحق[1].

5. **الظهور**: ففي مختار الصحاح: «عرض له كذا أي ظهر، وعرضته له أظهرته له وأبرزته إليه»[2].

6. **عرض القرآن بالحروف المأذون بالقراءة بها**[3]: إذ قد حُسِمَ أمر عرضه للقرآن كله (لكل ما نزل منه) في كل رمضان بحديث العرضتين الثابت عن ابن عباس، وفاطمة، وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم، وفي ذلك دلالة على أمرين:

---

(1) من قوله عز وجل﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [الحجر/ 8]، بل إن مجرد النزول لا يكون إلا بأمر من الله، لقوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم/ 64]، وليس للملك الاجتهاد في إنشاء أمر، أو تنفيذه كما في قوله جل جلاله: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء / 27]، فالحق صفة ذاتية في النزول والنازل والمنزَل به، فلا مس من باطل يعتريه، ولا اجتهاد من مخلوق يأتيه.

(2) مختار الصحاح 178.

(3) لا يمكن لنطاق البحث أن يتوسع في شرح مدلول حديث الأحرف السبعة؛ ولكن يقال على سبيل الإجمال: محصِّل ما ورد في هذا الموضوع من أقوال يرجع إلى: أن المراد من الأحرف السبعة من حيث العموم ومراد الحديث، لا من حيث التحديد هو «ما يشمل اختلاف اللهجات، وتباين مستويات الأداء الناشئة عن اختلاف الألسن، وتفاوت التعليم، وكذلك ما يشمل اختلاف بعض الألفاظ، وترتيب الجمل، بما لا يتغير به المعنى المراد «، أو يتغير المعنى بما لا يتضاد به المعنيان الواردان في القراءتين، ويكون الجميع مراداً، دون تكرار للآية، أو تطويلٍ للمصحف، وفي ذلك تيسير ظاهر، «وهذا دون محاولة حصر تلك الوجوه في سبع لغات، أو وجوه من الخلاف، ويظل معنى الحديث بعد ذلك يشير إلى الرخصة التي جاءت تيسيراً وحلاً لمشكلة واجهت الجماعة المسلمة، دون تحديد لأبعاد تلك الرخصة، لكنها لا تخرج عن إطار وجوه القراءات المروية ».

وما بين علامتي التنصيص الأوليين هو من كلام الدكتور عبد الصبور شاهين، انظر: تاريخ القرآن 61، دار القلم 1966م، وما بين علامتي التنصيص الأُخريين هو من كلام غانم قدوري الحمد، انظر: رسم المصحف 144، وانظر أيضاً: (الباقلاني) محمد بن الطيب ت 403هـ: نُكت الانتصار لنقل القرآن، تحقيق د. محمد زغلول سلام، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة بدون لكل ما سبق.

أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرض كل ما نزل، وأنه كان يقسم ذلك العروض على ليالي رمضان[1]، ويدل لذلك حديث ابن عباس ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف)[2].

(1) وقد صرح ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ ببعض ذلك في فتح الباري 9/ 45، فقال: «ولولا التصريح بأنه كان يعرضه مرة واحدة، وفي السنة الأخيرة مرتين ـ لجاز أنه كان يعرض جميع ما نزل عليه كل ليلة، ثم يعيده في بقية الليالي».

(2) البخاري 3/ 1177.

تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم

د. أيمن صبحي/ د. يوسف العبادي
أستاذان مشاركان بجامعة الطائف

ملخص البحث

يهدف الباحثان من خلال هذه الدراسة إلى التعريف بتلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم، من خلال الحديث عن: تلقي القرآن الكريم وطرقه وأهميته، وتحقيق القول في مسألة تلقي جبريل عليه السلام القرآن الكريم، ثم بيان تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم، ومصدر هذا التلقي، وكيفيات مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ ، وكيفية تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام، وهيئة جبريل عليه السلام عند النزول بالقرآن، وشدة الوحي وثقله على النبي ﷺ. ثم إزالة الإشكال الوارد في موضوع التلقي من خلال التوصل إلى التعريف الاصطلاحي للتلقي، وإثبات أن القراءة بطريقتي السماع والعرض كانت موجودة عند المتقدمين، خلافا لما هو متداول من أن قراءة المتقدمين كانت بالسماع فقط. ودفع وتفنيد ما أثير حول تلقي القرآن الكريم من شبهات ومزاعم باطلة.

وقد اعتمد الباحثان في هذه الدراسة على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي؛ بهدف بيان الحق في تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم.

توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج، التي من أهمها: أن للتلقي في تعلم القرآن الكريم أهمية كبيرة، وأن جبريل عليه السلام تَلَقَّى القرآن الكريم وأخذه سماعا عن الله تعالى، وفي تلقي جبريل عليه السلام القرآن من ربه دون وساطة إعظام للقرآن وتفخيم لشأنه، وتنبيه إلى غاية العناية به، والحرص والمحافظة عليه، ومبالغة في صيانته عن التحريف، والتبديل. وأن القرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام، ولم يأت شيء منه عن تكليم أو إلهام أو منام، بل كله أوحي به في اليقظة وحيا جليّا. وأن جبريل عليه السلام عند نزوله بالقرآن على النبي ﷺ ينزل في هيئة صلصلة الجرس لا غير على الراجح من أقوال العلماء. وأن النبي ﷺ تلقى القرآن الكريم عن طريقي السماع من جبريل عليه السلام والعرض عليه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليما كثيرا.

وبعد، فالقرآن الكريم هو كتاب رب العالمين، وحبله المتين ، وصراطه المستقيم ، وهو المنهج الكامل لإصلاح الفرد والمجتمع، وهو المعجزة الكبرى الخالدة ما دامت السماوات والأرض، وهو الحجة البالغة.

أنزله الله على خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ ، فكشف به ظلمات الجهل وأسباب العذاب، وفتح به الطريق إلى سعادة الدارين ، وأمر بتدبره، وتكفل بحفظه.

ومن عوامل حفظ القرآن الكريم: الاعتماد في نقله على التلقي له من الصدور لا على مجرد أخذه من المصاحف والسطور، فقد تلقاه جبريل عليه السلام من الله تعالى، وتلقاه النبي محمد ﷺ من جبريل عليه السلام، ثم تلقاه الصحابة من النبي ﷺ ، ثم تلقاه المسلمون خلفا عن سلف. فالقرآن الذي بين أيدينا وفي صدورنا اليوم هو نفسه ما نزل على النبي ﷺ بالأمس، محفوظا من الزيادة والنقصان، ومصونا من التحريف والتبديل.

ولا شك أن المعرفة بألفاظ القرآن الكريم وكيفية أدائه مقدَّمة في الرتبة على جميع علومه؛ لأن الألفاظ هي الأصل في الخطاب، وبها يحصل التفاهم، فإذا عُرِفَت ترتبت

معرفة المعاني عليها. ولهذا كان الاهتمام ببيان النطق الصحيح، وطرق الوصول إليه أولى، وتقديمه في الرتبة على غيره أهم.

وهذه الدراسة من الأهمية بمكان؛ لأنها اشتملت على إزالة الإشكال الوارد في موضوع التلقي من خلال ما يلي:

أولا: التعريف الاصطلاحي للتلقي؛ حيث تكلم شيوخ الإقراء كثيرا عن أهمية التلقي ، وضرورة أخذ القرآن الكريم من أفواه الشيوخ المتقنين، وكذلك تكلم أهل اللغة عن تعريف التلقي، إلا أننا لم نقف على تعريف اصطلاحي له، فاجتهدنا في التعريف الاصطلاحي له.

ثانيا : إثبات أن القراءة بطريقتي السماع والعرض كانت موجودة عند المتقدمين، خلافا لما هو متداول من أن قراءة المتقدمين كانت بالسماع فقط.

ثالثا: دفع وتفنيد ما أثير حول تلقي القرآن الكريم من شبهات ومزاعم باطلة، كزعم بعض الحاقدين أن جبريل عليه السلام إنما نزل بالمعاني خاصة، وألفاظ القرآن لجبريل أو لمحمد ـ عليهما السلام ـ، وزعمهم أن الحالة التي كانت تعتري النبي ﷺ عند تلقي الوحي من جبريل عليه السلام هي حالة صرع، وزعمهم أن بعض القرآن الكريم نزل على النبي ﷺ أثناء نومه.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي. وسرنا فيه على القواعد العلمية المتعارف عليها في البحث العلمي.

وقد اشتمل على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، ومنج البحث، وخطته.

المبحث الأول: التعريف بالتلقي وطرقه وأهميته.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بتلقي القرآن الكريم.

المطلب الثاني: طرق تلقي القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أهمية التلقي.

المبحث الثاني: تلقي جبريل عليه السلام القرآن الكريم.

المبحث الثالث: تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم .

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مصدر تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم.

المطلب الثاني: كيفيات مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ .

المطلب الثالث: كيفية تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام.

المطلب الرابع: هيئة جبريل عليه السلام عند النزول بالقرآن.

المطلب الخامس: شدة الوحي وثقله على النبي ﷺ .

المبحث الرابع: شبهات حول تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم والرد عليها.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج، ثم فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وبعد، فهذا جهد المقل، ونستغفر الله مما فيه من التقصير، ونسأله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يرزق عملنا القبول، وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (1)

الباحثان:

د. يوسف أبو علي عبادي

د. أيمن صبحي صديق

(1) سورة الممتحنة، من الآية: 4

المبحث الأول: التعريف بالتلقي وطرقه وأهميته

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بتلقي القرآن الكريم.

المطلب الثاني: طرق تلقي القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أهمية التلقي.

المطلب الأول
التعريف بتلقي القرآن الكريم

أولا: التلقي في اللغة والاصطلاح:

❖ **التلقي في اللغة:**

(تلقّى)، فيه إعلال بالقلب، أصله تلقّي ـ بفتح الياء ـ تحرّكت الياء بعد فتح وقلبت ألفا فأصبح وزنه تفعّل. [1]

قال ابن فارس: « (لقي) اللام والقاف والحرف المعتل أصول ثلاثة: أحدها يدل على عوج، والآخر على توافي شيئين، والآخر على طرح شيء». [2]

وكل شيء من الأشياء إذا استقبل شيئاً أو صادفه فقد لَقِيَه. [3] ومنه لقاء البيت وهو استقباله. وألقيت الشيء ـ بالألف ـ: طرحته، وألقيت إليه القول، وبالقول: أبلغته، وألقيته عليه بمعنى أمليته، وهو كالتعليم، وألقيت المتاع على الدابة: وضعته، واللقى ـ مثال العصا ـ: الشيء الملقى المطروح، وكانوا إذا أتوا البيت للطواف قالوا: لا نطوف

---

(1) الجدول في إعراب القرآن (1/ 108)

(2) مقاييس اللغة (5/ 260)

(3) العين (5/ 216)، تهذيب اللغة (9/ 227)، لسان العرب (15/ 254)، المصباح المنير (2/ 558) مادة: (لقي).

في ثياب عصينا الله فيها، فيلقونها، وتسمى اللقى، ثم أطلق على كل شيء مطروح كاللقطة وغيرها، واللقوة: داء يصيب الوجه. [1]

ومما سبق يظهر المعنى اللغوي الذي يدور حول الأخذ والاستقبال بين الطرفين.

❖ **التلقي في الاصطلاح:**

لا يوجد فرق كبير بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، ومن خلال عبارات علماء التجويد والقراءات وكلامهم في التلقي وأهميته لأخذ القرآن الكريم يمكن تعريف التلقي في الاصطلاح بأنه: (تعلم القرآن الكريم سماعا من مهرة القراء أو عرضا عليهم).

وقد اخترنا كلمة (تعلم) دون غيرها من الألفاظ الأخرى كالأخذ والنقل؛ لأنها أعم من جهة، ودالة على أنه لابد من ضبط الطالب وإتقانه من جهة أخرى، وقيدنا هذا التعلم بالسماع من مهرة القراء أو العرض عليهم؛ لأنه لا يصح تلقي القرآن بغير ذلك.

ثانيا: العلاقة بين التلقي والإكرام:

قد يفهم من كلام بعض العلماء تقييد التلقي باستقبال الإكرام، كما في قول الإمام ابن عاشور: «وَالتَّلَقِّي: اسْتِقْبَالُ إِكْرَامٍ وَمَسَرَّةٍ، قال تعالى: ﴿**وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ**﴾[2]، ووجه دلالته على ذلك: أنه صيغة تَفَعَّلَ من لقيه، وهي دالة على التكلف لحصوله وتطلبه، وإنما يتكلف ويتطلب لقاء الأمر المحبوب، بخلاف لاقى،

(1) المصباح المنير (2/ 558) مادة: (لقي).
(2) سورة الأنبياء، من الآية: 103

فلا يدل على كون الملاقى محبوبا، بل تقول: لاقى العدو. واللقاء: الحضور نحو الغير بقصد أو بغير قصد».[1]

وقول الإمام الآلوسي في تفسيره لقوله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[2]: «المراد بتلقي الكلمات: استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها، فهو مستعار من استقبال الناس بعض الأحبة ـ إذا قدم بعد طول الغيبة ـ؛ لأنهم لا يدعون شيئا من الإكرام إلا فعلوه، وإكرام الكلمات الواردة من الحضرة: الأخذ والقبول والعمل بها».[3]

قلت: هذا كلام يصح في موضعه، وهو تفسير الآية الكريمة، ولكنه لا يصح على جهة العموم، إذ ليس بلازم أن يكون التلقي في الإكرام والمسرة، بل قد يطلق على غير ذلك، كما في قوله تعالى﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾[4]، وكما في قول أبي هريرة ﷺ: «**نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ التَّلَقِّي، وَأَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ**».[5]

---

(1) التحرير والتنوير (1/ 437)

(2) سورة البقرة، من الآية: 37

(3) روح المعاني (1/ 238)

(4) سورة النور، الآية: 15

(5) أخرجه البخاري في صحيحه (3/ 72) حديث (2162)، كتاب البيوع، باب النهي عن تلقي الركبان وأن بيعه مردود لأن صاحبه عاص آثم إذا كان به عالما وهو خداع في البيع، والخداع لا يجوز، ومسلم في صحيحه (3/ 1155) حديث (1515) كتاب البيوع، باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه، وسومه على سومه، وتحريم النجش، وتحريم التصرية، وأخرجه غيرهما.

والتلقي في الحديث معناه: « أن يستقبل الحضري البدوي قبل وصوله إلى البلد، ويخبره بكساد ما معه كذبا؛ ليشتري منه سلعته بالوكس، وأقل من ثمن المثل، وذلك تغرير محرم».[1]

ثالثا: الفرق بين التلقي والتلقين:

التلقين يدور حول التفهيم، ومعناه يتقارب مع التلقي، غير أن معنى التلقين أوسع من التلقي؛ لأنه يصدق على الأخذ مشافهة وعلى الأخذ من المصحف، بخلاف التلقي.

قال صاحب المصباح المنير: «لقن الرجل الشيء لقنا فهو لقن ـ من باب تعب ـ: فهمه، ويعدى بالتضعيف إلى ثان فيقال: لقنته الشيء فتلقنه إذا أخذه من فيك مشافهة. وقال الفارابي: تلقن الكلام: أخذه وتمكن منه. وقال الأزهري وابن فارس: لقن الشيء وتلقنه فهمه وهذا يصدق على الأخذ مشافهة وعلى الأخذ من المصحف».[2]

رابعا: الفرق بين التلقي والتلقف:

التلقي يفيد الاستقبال، والتلقف يفيد الخطف بسرعة.

يقال: لقفت الشئ ـ بالكسر ـ ألقفه لَقَفاً، وتَلَقَّفْتُهُ أيضاً، أي تناولته بسرعة[3]، وَرَجُلٌ ثَقِفٌ لَقِفٌ، وثَقْفٌ لَقْف: أي خفيف حاذق، وقيل: سريع الفهم لما يرمى إليه

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر (4/ 266)، ويراجع: فتح الباري لابن حجر (1/ 184)
(2) المصباح المنير (2/ 558)
(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (4/ 1428) مادة (لقف).

من كلام باللسان وسريع الأخذ لما يرمى إليه باليد، وقيل: هو إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به. [1]

وخلاصة القول: أن الألفاظ الثلاثة (التلقي، والتلقين والتلقف) متقاربة المعني، على حد قول الإمام الآلوسي: «والتلقي والتلقف والتلقن متقاربة المعاني إلا أن في التلقي معنى الاستقبال وفي التلقف معنى الخطف والأخذ بسرعة وفي التلقن معنى الحذق والمهارة». [2]

❁❁❁

(1) لسان العرب (9/ 320) مادة (لقف).
(2) روح المعاني (9/ 315)

المطلب الثاني
طرق تلقي القرآن الكريم

بداية تلقي القرآن الكريم وأول كيفياته هي السماع له من الغير، ولكن السماع ليس هو الطريق الوحيد للتلقي، فقد ثبت أن النبي ﷺ تلقاه بالسماع وبطريق العرض أيضا على جبريل عليه السلام، وتلقاه الصحابة عن النبي ﷺ بطريقي السماع والعرض أيضا.

فلابد في تلقي القرآن الكريم من السماع من الشيخ أو العرض عليه؛ لأن المقصود من تلقي القرآن الكريم هو كيفية الأداء لألفاظه، ولن يتحقق ذلك إلا بسماعه من الشيخ أو عرضه عليه، ومهما أوتي الطالب من الفصاحة والعلم فلابد له من الرجوع إلى الشيوخ المتقنين لسماع القرآن الكريم من أفواههم أو عرضه عليهم، وإلا وقع في التحريف والتصحيف الذي لا تصح به القراءة، ولا تحل به التلاوة، وأجاز بعض العلماء الإقراء بالإجازة مطلقا، ومنعه آخرون، بل عدوه من الكبائر.

والصواب عند المحققين هو التفصيل، قالوا: والظاهر أنه إن تلا بذلك على غير ذلك الشيخ أو سمعه ثم أراد أن يعلي سنده بذلك الشيخ أو يكثر طرقه جاز وحسن؛ لأنه جعلها متابعة. وقد ثبت ذلك عن كثيرين.[1] وهو الذي نميل إليه.

أما الإجازة من غير اشتراط الأهلية فلا تجوز بحال؛ لأن الأهلية هي الشرط المعتمد في هذه المسألة.

---

(1) شرح طيبة النشر للنويري (1/ 63)، منجد المقرئين لابن الجزري (ص: 15)

وقد قسم العلماء تحمل القرآن الكريم وطرق نقله إلى طريقين لا ثالث لهما، حيث قالوا:

الأخذ من الشيوخ على نوعين:

أحدهما: أن يسمع من لسان المشايخ، وهو طريقة المتقدمين.

ثانيهما: أن يقرأ في حضرتهم وهم يسمعون، وهذا مسلك المتأخرين.[1]

والذي اتضح لنا بعد طول البحث أن طريقة المتقدمين لم تكن مقتصرة على السماع وحده، بل كانت بالعرض أيضا، والأدلة على هذا كثيرة جدا، منها:

1 – أحاديث الأحرف السبعة، وعلى الخصوص الأحاديث التي فيها التصريح بحدوث خلاف بين الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ. وفي جميعها تكون حجة كل المختلفين هي: «**أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ**»[2]، وبعضهم يقول: « **وَاللهِ لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ**»[3]، وعندما يذهبون إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهم يأمرهم ﷺ بالقراءة عليه.

فهذا صريح في وجود طريقة العرض عند المتقدمين، وأولهم صحابة رسول الله ﷺ .

---

(1) ذهب جُلُّ العلماء إلى هذا الرأي. يراجع: المنح الفكرية لملا علي القارئ (ص: 20)، نهاية القول المفيد لمحمد مكي نصر (ص: 13)، ملخص أحكام التجويد، للدكتور شعبان محمد إسماعيل (ص:20)، كيف تحفظ القرآن للشيخ محمد محمود عبد الله (ص: 27)، بغية الكمال شرح تحفة الأطفال للشيخ أسامة عبد الوهاب (ص: 131)، أساليب التعليم عند القراء والمقرئين للشيخ زيدان محمود العقرباوي (ص:42)، أحكام قراءة القرآن الكريم للشيخ محمود خليل الحصري (ص: 32).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (6/ 184) حديث (4992) كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، وأخرجه غيره.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (1/ 551) حديث (801) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر، وأخرجه غيره.

2- عَنْ عَبْدِ الله بن مَسْعُود، قَالَ: كُنْتُ بِحِمْصَ، فَقَالَ لِي بَعْضُ الْقَوْمِ: اقْـرَأْ عَلَيْنَـا، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ سُورَةَ يُوسُفَ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: وَالله مَا هَكَـذَا أُنْزِلَـتْ، قَـالَ: قُلْتُ: وَيْحَكَ، وَالله لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لِي: «أَحْسَنْتَ»... الحديث. (1)

والشاهد قوله ﷺ: « وَالله لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ».

3- عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَـذِهِ الآيَـةِ: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴾ (2)، قَـالَ: «**حَسْـبُكَ الآنَ**» فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. (3)

قال صاحب المنح الفكرية بعد أن أورد هذا الحديث: «وفي الحديث الوارد في الصحيحين إيماء إلى بيان الطريقتين في الأخذ عن الشيوخ». (4) إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة.

ولأهل العلم كلام في أي الطريقين أولى وأفضل في الإقراء، والذي نراه أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فمن كان مبتدءًا في القراءة فالأفضل في حقه

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه (1/ 551) حديث (801) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر، وأخرجه غيره.

(2) سورة النساء، الآية: 41

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (6/ 196) حديث (5050) كتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ حسبك، ومسلم في صحيحه (1/ 551) حديث (800) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر، وأخرجه غيرهما.

(4) المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية للشيخ ملا علي القاري (ص: 22)

هو الجمع بين الطريقتين، وأما غير المبتدئ فإن كان يقع في اللحن الخفي فواجب الشيخ أن يقوّم خطأه بما يراه أنسب لحاله من السماع أو العرض.

وأما المنتهي البارع في القراءة فالأفضل في حقه طريقة العرض على الشيخ، اللهم إلا في دقائق القراءة التي لا تضبط إلا بالسماع. [1]

❁❁❁

(1) تلقي القرآن الكريم – دراسة موضوعية – د. يوسف عبادي (ص: 22، 23) رسالة ماجستير بجامعة الأزهر.

المطلب الثالث: أهمية التلقي

لابد لقبول القراءة من أركان ثلاثة:

أولها: صحة السند.

الركن الثانى: موافقة الرسم العثمانى ولو احتمالا.

الركن الثالث: أن تكون القراءة موافقة لوجه من أوجه اللغة العربية.

وأهم هذه الأركان: صحة السند؛ فإن تحقق تحققت معه الأركان الأخرى.[1]

وقد استمرت قراءة القرآن الكريم ونقله بالتلقي، وأخذه الآخر عن الأول بالأسانيد الصحيحة المتصلة إلى رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن رب العزة — عز وجل — في جميع الأمصار والأعصار.

فمعرفة كيفية النطق الصحيح في كل حكم، لا يمكن معرفته حق المعرفة إلّا بالمشافهة، والأخذ والتلقي من أفواه العلماء والشيوخ المقرئين.

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام: خطورة الاعتماد على المصاحف وحدها في قراءة القرآن دون الرجوع إلى المتقنين من القراء.

---

(1) القول السديد في علم التجويد، لعلى الله بن علي أبو الوفا (ص: 38)

قال العلامة الجزائري: «وقد ظن بعض الناس أن القراءات أخذت من المصحف، وليس كذلك لخلوّه في أول الأمر من النقط والشكل. قال المازري: ليس الإعراب وبابه في الاختلاف بين القراء مما يرجع فيه إلى المصحف. وقال غيره: إن المصحف إمام ودليل فيما يعنيه من ترتيب بمنع التقديم والتأخير، ومن حصر بمنع الزيادة والنقصان، وإبدال لفظ بلفظ آخر وإن كان بمعناه، دون مالا يعنيه من كيفية النطق باللفظ».[1]

ومن ثم قرر العلماء أن «للتلقي في تعلم القرآن الكريم أهمية كبيرة، فلا يكفي تعلمه من المصاحف دون تلقيه من الحافظين له؛ وذلك لأن من الكلمات القرآنية ما يختلف نطقه عن رسمه في المصحف، ومنها ما يختلف القراء في أدائه مع اتحاد حروفه لفظا ورسما؛ تبعا لتفاوتهم في فهم معاني هذه الكلمات وأصولها وما يتوفر لهم من حسن الذوق وحساسية الأذن، ومراعاة ذلك كله عند إلقائها، لدرجة أن بعضهم يخطئ في أدائها بما يكاد يخرجها عن معانيها المرادة منها؛ لتساهله وعدم تحريه النطق السليم بها، كما أن أحكام القرآن لا يكفي مجرد العلم بها من الكتب، بل لابد فيها من السماع والتلقي والمشافهة والتوقيف؛ اقتداء بالسنة من أنه ﷺ تلقى القرآن بأحكامه عن جبريل مشافهة عن الله تعالى».[2]

(1) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الاتقان، لطاهر الجزائري (ص: 117)
(2) العميد في علم التجويد، لمحمود علي بسه (ص: 10، 11)

ومما يؤكد ضرورة التلقي من الشيوخ المهرة ويوضح قيمته لطالب القرآن الكريم: أداء الروم[1] والإشمام[2] والاختلاس[3] والتسهيل[4] ونحوها من الأحكام التجويدية التي لا يمكن النطق بها وضبط القراءة بها بمجرد قراءة تعريفها من الكتب، بل لابد فيها من السماع من الشيوخ المتقنين.

❁❁❁

(1) الرّوم: عبارة عن النطق ببعض الحركة. فهو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها، ويستعمل في الضم والكسر. (النشر في القراءات العشر (2/ 121)، الكنز في القراءات العشر (1/ 198)

(2) الإشمام: عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت، بأن تجعل شفتيك على صورتها إذا لفظت بالضمة. ولا تكون الإشارة إلا بعد سكون الحرف. فهو إيماء بالشّفتين إلى الحركة بعد إخلاص السكون للحروف يدركه المبصر دون الأعمى، ويستعمل في الرفع والضم. (النشر في القراءات العشر (2/ 121)، الكنز في القراءات العشر (1/ 198)، شرح طيبة النشر للنويري (2/ 434)

(3) الاختلاس: هو الإسراع بنطق الحركة إسراعا يحكم السامع به أنّ الحركة قد ذهبت بينما هي كاملة في الوزن. والحرف المختلس حركته يسرع اللفظ به بحيث يظن السامع أنّ حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع في حين أنها كاملة في الوزن تامة في الحقيقة إلا أنها لم تمطط. (غيث النفع في القراءات السبع (ص: 219)، الكنز في القراءات العشر (1/ 220)

(4) التسهيل: هو النطق بالهمزة بحالة متوسطة بين الهمزة المحققة، وبين حرف المد المجانس لحركتها، فتجعل المفتوحة بين الهمزة والألف، وتجعل الكسرة بين الهمزة والياء المدية، وتجعل المضمومة بين الهمزة والواو المدية. (كيف تقرأ القرآن الكريم برواية الإمام قالون عن نافع المدني، للمختار المقروش (ص: 61)، مقدمات في علم القراءات، لمحمد القضاة، وآخرون (ص: 133)

المبحث الثاني

تلقي جبريل عليه السلام القرآن الكريم

تلقي جبريل عليه السلام القرآن الكريم هو التلقي الأول، وكيفية أخذ جبريل للقرآن وعمن أخذ من أنباء الغيب، فلا يطمئن الإنسان إلى رأي فيه إلا إن ورد بدليل صحيح عن المعصوم ﷺ. [1] «والمنقول عن السلف اتفاقهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، تلقاه جبريل عن الله، وبلغه جبريل إلى محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبلغه ﷺ إلى أمته». [2]

وفي كيفية هذا التلقي آراء بيانها فيما يلي:

الرأي الأول: أن بين جبريل وبين الله تعالى واسطة.

ومع اتفاق أصحاب هذا القول على وجود الواسطة بين جبريل وبين الله تعالى إلا أنهم اختلفوا في تحديد الواسطة، وفيما يلي بيان ذلك.

قال الإمام الماوردي: «فأما معرفة الملك من ربه فهو غير مشاهد لذاته، واختلف أهل العلم في معرفته به على مذهبين كالرسول إن كلمه أحدهما بأن يضطره إلى العلم به والثاني بسماع الخطاب المقترن بالآيات». [3]

---

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن (1/ 47)، المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: 60)

(2) فتح الباري لابن حجر (13/ 463)

(3) أعلام النبوة للماوردي (ص: 48)

والملاحظ في صدر هذا الكلام إثبات الأخذ عن الله تعالى، وهو قول سديد وإن كان فيه النفي لمشاهدة الملك للذات الإلهية، والقول بإمكانها غير مستبعد، ولا يتعارض مع المعقول والمنقول، والله أعلم بحقيقة الحال. وأما القول الثاني الذي حكاه ففيه إثبات هذا الأخذ بطريق السماع ــ وهو الحق ــ لولا عدم التعريف بهذا الملك، وأما القول الأول فلا دليل عليه، ومن ثم فهو غير مقبول.

وقال الإمام الرازي: « فإن قيل: كيف سمع جبريل كلام الله تعالى؟ وكلامه ليس من الحروف والأصوات عندكم؟ قلنا: يحتمل أن يخلق الله ـ تعالى ـ له سمعا لكلامه، ثم أقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم، ويجوز أن يكون الله خلق في اللوح المحفوظ كتابة بهذا النظم المخصوص فقرأه جبريل عليه السلام فحفظه، ويجوز أن يخلق الله أصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص في جسم مخصوص، فيتلقفه جبريل عليه السلام ويخلق له علما ضروريا بأنه هو العبارة المؤدية لمعنى ذلك الكلام القديم».[1]

وكل ما ذكره الإمام الرازي ليس إلا إيرادات، وأجوبته عليها ما هي إلا احتمالات أو تجويزات عقلية فحسب، ولم يقطع برأي تطمئن إليه النفس، أو يدل عليه الشرع.

وللإمام العيني عبارة يقول فيها: « وحكي القرافي خلافا للعلماء في ابتداء الوحي هل كان جبريل عليه السلام ينقل له ملك عن الله ـ عز وجل ـ أو يخلق له علم ضروري بأن الله ـ تعالى ـ طلب منه أن يأتي محمدا أو غيره من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بسورة كذا أو خلق له علما ضروريا بأن يأتي اللوح المحفوظ فينقل منه كذا».[2]

---

(1) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (2/ 277)

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (1/ 45)

وينقل الإمام السيوطي في فتاويه عن البعض تحديد هذا الملك الناقل لجبريل عن الله ــ تعالى ـ، وأنه إسرافيل عليه السلام فيقول: « جاء جبريل عليه السلام به سماعا من إسرافيل، وإسرافيل من اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ متفرقا، ويقال: جاء به جبريل في ليلة القدر بما يحتاج له من سنة إلى سماء الدنيا، ثم نزل به على محمد متفرقا».[1]

فالعبارتان متفقتان في وجود ملك ينقل لجبريل عليه السلام ، غير أن ما نقله السيوطي فيه أن هذا الملك ينقل لجبريل عن اللوح المحفوظ، وهذا يختلف عن قول العيني ان هذا الملك ينقل عن الله تعالى.

وهناك نقل ثالث يختلف عن العبارتين مع اتفاقه معهما في وجود الواسطة بين جبريل وبين الله ـ تعالى ـ، وهو ما « روى ابن عباس ــ رضي الله عنهما ـ أنه قال: نزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله ـ تعالى ـ في اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفرة على جبريل في عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على النبي ﷺ في عشرين سنة، وكان ينزل على مواقع النجوم أرسالا في الشهور والأيام».[2]

---

(1) الحاوي للفتاوي للسيوطي (1/ 399)

(2) ذكره الماوردي في النكت والعيون (6/ 311) والعز بن عبد السلام في تفسيره (3/ 472)، وابن كثير في تفسيره (7/ 544)، وأورده السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (5/ 345)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم ومحمد بن نصر وابن الأنباري في المصاحف من طريق الضحاك عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ـ، والخطيب الشربيني في تفسيره (4/ 565)، والآلوسي في تفسيره (8/ 177) قلت: الضحاك لم يلق ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ولم يسمع منه قط. (تهذيب التهذيب (4/ 453).

قال العلامة الزرقاني: «ومعنى هذا أن جبريل أخذ القرآن عن الحفظة نجوما عشرين، ولكنا لا نعرف لصاحب هذا الرأي دليلا ولا شبه دليل».[1]

ولهذا استغرب ابن حجر هذا القول حيث قال: « وحكى الماوردي في تفسير ليلة القدر أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة وأن جبريل نجمه على النبي ﷺ في عشرين سنة وهذا أيضا غريب».[2]

وهناك قول رابع يتناقض تماما مع هذا ، ويرى قائله أن جبريل عليه السلام هو الذي أملى الوحي على السفرة. يقول الإمام السيوطي: « وقد سئل الإمام أبو إسحاق إسماعيل البخاري الصفار عن تبليغ الوحي من جبريل إلى أنبياء الله، هل سمع من الله تعالى جملة أم جاء به من اللوح المحفوظ؟ قال: كلا الوجهين جائز، وذكر في تفسير سورة القدر أن الله تعالى أسمع جبريل كله جملة واحدة، ثم أملاه جبريل على السفرة ـ وهم ملائكة في سماء الدنيا ـ لكي لا يكون لهم احتياج حين أسمعهم الله تعالى القرآن».[3]

وقد استدل أصحاب هذا القول بآثار ضعيفة، ذكرها الإمام السيوطي في كتابه الحاوي للفتاوي، ثم قال بعدها: «فهذه الأحاديث والآثار تدل على أمر خلاف القولين السابقين، وهو أن جبريل يأخذ الوحي من إسرافيل، وإسرافيل يأخذه مما كتب تلك الساعة في اللوح، ويمكن الجمع لمن تأمل فلا يكون بينهما اختلاف».[4]

---

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن (1/ 47)
(2) فتح الباري لابن حجر (9/ 4، 5)
(3) الحاوي للفتاوي للسيوطي (1/ 398)
(4) الحاوي للفتاوي (1/ 400)

قلت: القول بوجود واسطة بين جبريل عليه السلام وبين الله تعالى قول باطل؛ إذ لا دليل عليه من الشرع، بل دلت الأدلة الصحيحة على خلافه كما سيأتي.

ومن ثم حَكَمَ الإمام ابن العربي بجهالة قائليه، وبيَّن بطلان قولهم حيث قال: «ومن جهالة المفسرين أنهم قالوا: إن السفرة ألقته إلى جبريل في عشرين ليلة، وألقاه جبريل إلى محمد ـ عليهما السلام ـ في عشرين سنة. وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله تعالى واسطة، ولا بين جبريل وبين محمد ﷺ واسطة».[1]

الرأي الثاني: أن جبريل عليه السلام أُلْهِمَ القرآن الكريم.

ويرى أصحاب هذا القول «أن اللهَّ ـ تعالى ـ ألهم كلامه جبريل وعلمه قراءته، ثم جبريل أداه في الأرض. وقال الطيبي في حاشية الكشاف: لعل نزول القرآن على الرسول ﷺ أن يتلقفه الملك من الله تلقفا روحانيا، أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به إلى الرسول ويلقيه عليه، وقال القطب الرازي في حواشي الكشاف: المراد بإنزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفا روحانيا، أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم. انتهى. وقد سألت شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجي عن كيفية التلقف الروحاني فقال لي: لا يكيف. قال الإمام السيوطي: وقول التلقف الروحاني، الظاهر أنه الإلهام».[2]

---

(1) أحكام القرآن لابن العربي (4/ 427)

(2) الحاوي للفتاوي للسيوطي (1/ 397، 398)، ويراجع: البرهان في علوم القرآن (1/ 229)، الإتقان في علوم القرآن (1/ 149)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (2/ 262)

ومفاد هذا القول أن القرآن عبارة جبريل عليه السلام هو الذي ألفها بإلهام الله تعالى له ذلك. [1]

قلت: هذا قول باطل أيضا كسابقه؛ إذ لا دليل عليه من الشرع، ويكفي أن أصحابه لم يستدلوا عليه، بل دلت الأدلة الصحيحة على خلافه كما سيأتي.

الرأي الثالث: أن جبريل عليه السلام تلقى القرآن الكريم عن اللوح المحفوظ.

وهذا القول حكاه ابن القيم فقال:

وتكايست أخرى وقالت: إنه نقل من اللوح الرفيع الشأن

فاللوح مبدؤه، ورب اللوح قد أنشاه خلقا فيه ذا حدثان

هذي مقالات لهم، فانظر ترى في كتبهم يا من له عينان[2]

قلت: هذا قول باطل كسابقيه، ولهذا ذكره الشيخ مناع القطان ثم عقب عليه بقوله: «**وأما الرأي الثاني فلا اعتبار له**؛ إذ إن ثبوت القرآن في اللّوح المحفوظ كثبوت سائر المغيبات التي لا يخرج القرآن عن أن يكون من جملتها». [3]

الرأي الرابع: أن جبريل عليه السلام تلقى القرآن الكريم وأخذه سماعا عن الله تعالى، ليس بينه وبين الله في هذا واسطة ولا ترجمان.

وهذا هو القول الراجح الذي تدل عليه نصوص الشرع، فإن كلام الله ـ تعالى ـ مع الملائكة ـ عموما ـ ثابت بالقرآن والسنة، من مثل قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ**

(1) المناظرة في القرآن (حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة) لابن قدامة (ص: 18)

(2) نونية ابن القيم = الكافية الشافية (ص: 39)

(3) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: 32)

﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا .....﴾[1]، والنصوص ثابتة صراحة في كلام الله ـ تعالى ـ لجبريل عليه السلام من مثل ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: « **إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ** ».[2]

وهذا الحديث صريح في عدم وجود واسطة بين جبريل عليه السلام وبين الله ـ تعالى ـ، ولذا بوب الإمام البخاري بذلك فقال: بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ مَعَ جِبْرِيلَ، وفِقْهُ الإمام البخاري في تراجمه.

ومن ثم نستطيع القطع بأن سماع جبريل عليه السلام لكلام الله ـ تعالى ـ ليس بمستحيل، ولا وجه لاستبعاده بعد هذه النصوص.

ومما يدل على صحة هذا القول ورجحانه: ما ورد عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِيَ بِأَمْرٍ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، فَإِذَا تَكَلَّمَ أَخَذَتِ السَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ مِنْ خَوْفِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ، صُعِقُوا وَخَرُّوا سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَيُكَلِّمُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، فَيَنْتَهِي بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ قَالَ أَهْلُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ:**

---

(1) سورة البقرة، من الآية: 30

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (4/ 111) حديث (3209) كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، باب ذكر الملائكة، (8/ 14) حديث (6040) كتاب الأدب، بَابُ المِقَةِ ـ أي المحبة ـ مِنَ اللهِ تَعَالَى، (9/ 142) حديث (7485) كتاب التوحيد، بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ مَعَ جِبْرِيلَ، وَنِدَاءِ اللهِ المَلاَئِكَةَ، ومسلم في صحيحه (4/ 2030) حديث (2637) كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حببه لعباده، وأخرجه غيرهما.

قَالَ الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. قَالَ: فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِمْ جِبْرِيلُ حَيْثُ أَمْرَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ». (1)

قال الدكتور/ محمد أبو شهبة: «والحديث وإن لم يكن نصّا في القرآن إلا أن «الوحي» يشمل وحي القرآن، وغيره، بل يدخل فيه الوحي بالقرآن دخولا أوليا». (2)

وهذا الرأي هو ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة، ولذا رجحه جمهور أهل العلم، قال الشيخ مناع القطان: «والرأي الأول هو الصواب، وهو ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة، ويؤيده حديث النوَّاس بن سمعان السابق. فالقرآن الكريم كلام الله بألفاظه لا كلام جبريل أو محمد». (3)

وقال الدكتور/ محمد أبو شهبة: «وفي تلقي «جبريل» عليه السلام القرآن من ربه دون وساطة إعظام للقرآن وتفخيم لشأنه، وتنبيه إلى غاية العناية به، والحرص والمحافظة عليه، ومبالغة في صيانته عن التحريف، والتبديل.

---

(1) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (1/ 226) حديث (515)، وقال الألباني في تخريجه له: إسناده ضعيف، نعيم بن حماد سيء الحفظ خرج له البخاري مقرونا بغيره واتهمه الأزدي. وقال الحافظ في «التقريب»: صدوق يخطىء كثيرا. وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (1/ 236) حديث (216)، وابن خزيمة في التوحيد (1/ 348)، وابن الأعرابي في معجمه (2/ 452) حديث (884)، والآجُرِّيُّ في الشريعة (3/ 1092) حديث (668)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (2/ 501)، والبيهقي في الأسماء والصفات (1/ 511) حديث (435)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (7/ 95) وقال: رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح وقد وثق وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين، وبقية رجاله ثقات.

(2) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: 61)

(3) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: 32)

ألا ترى في دنيا الناس أن الملوك والرؤساء حينما يرسلون رسولا برسالة كتابية أو شفهية فإنهم يسلمونها لهم بأيديهم أو يقرءونها عليهم مبالغة في الحرص عليها، وشدة الاعتناء بها، وتحذيرا لهم من الخيانة فيها أو عدم تبليغها بنصها، وكمالها، فما بالك بملك الملوك، وبالقرآن الذي هو رسالة الرسالات! ألا ترى أن أحد الملوك أو الرؤساء أو الأمراء إذا أرسل رسالة مهمة، في أمر مهم، لرجل ذي شأن فإنه يتخير لها الرسول، ويأبى إلا أن يختمها بختمه، وأن يناولها إليه بيده، أو أن يقرأها عليه بنفسه مبالغة منهم في الحرص عليها، وصيانتها، وعلى تبليغها كما تلقاها بنصها وفصها من غير تحريف لها ولا تزيد فيها ».[1]

❁❁❁

(1) المدخل لدراسة القرآن الكريم، د. محمد أبو شهبة (ص: 61)

المبحث الثالث: تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مصدر تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم.

المطلب الثاني: كيفيات مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ .

المطلب الثالث: كيفية تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام.

المطلب الرابع: هيئة جبريل عليه السلام عند النزول بالقرآن.

المطلب الخامس: شدة الوحي وثقله على النبي ﷺ .

المطلب الأول
مصدر تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم

الذي علَّم النبي ﷺ القرآن الكريم هو الله ـ تعالى ـ، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢﴾[1] قال الحسن: يعني: النطق. وقال الضحاك، وقتادة، وغيرهما: يعني الخير والشر.[2] وقيل: هذا جواب لأهل مكة حين قالوا: إنما يعلمه بشر، فقال تعالى ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢﴾ يعني: علّم محمدا القرآن.[3]

قلت: الأولى حمل الآية على العموم ، فقد قيل: تقديره: علم جبريل القرآن، وقيل: علم محمداً ﷺ ، وقيل: علم الإنسان، وهذا أولى لعمومه.[4]

ورجح ابن كثير ـ رحمه الله ـ قول الحسن ﷺ فقال: «وقول الحسن ها هنا أحسن وأقوى؛ لأن السياق في تعليمه ـ تعالى ـ القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين، على اختلاف مخارجها وأنواعها».[5]

---

(1) سورة الرحمن، الآيتان: 1، 2
(2) تفسير ابن كثير (7/ 489)
(3) لباب التأويل في معاني التنزيل (4/ 225)
(4) السراج المنير (4/ 158)، روح المعاني (14/ 98)
(5) تفسير ابن كثير (7/ 489)

وتلقي النبي ﷺ القرآن الكريم كان عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام. قال ـ تعالى ـ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾[1] «يعني جبريل علَّم محمدا ﷺ ما أوحى الله ـ عز وجل ـ إليه».[2]

وفي سياق بيان أنواع الوحي قال العلامة الزرقاني: «ومنه ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام وهو ملك كريم ذو قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين. وذلك النوع هو أشهر الأنواع وأكثرها. ووحي القرآن كله من هذا القبيل، وهو المصطلح عليه بالوحي الجلي. قال الله تعالى في سورة الشعراء: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾»[3].[4]

قال الإمام الماتريدي: « وقوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾، ذكر أن الرحمن علم القرآن، ولم يذكر لمن علمه؛ فجاز أن يكون المراد منه: أنه ـ تبارك وتعالى ـ علم القرآن رسولنا ﷺ. **ثم يخرج ذلك على وجوه:**

أحدها: أنه جبريل عليه السلام حيث قال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ﴾[5]، لكن خرجت الإضافة إلى اللهَّ ـ تعالى ـ؛ لما أنه علمه بأمره.

---

(1) سورة النجم، الآية: 5

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل (4/ 203)

(3) سورة الشعراء، الآيات: 193 – 195

(4) مناهل العرفان في علوم القرآن (1/ 64)

(5) سورة النجم، الآيتان: 5 ، 6

والثاني: أضاف التعليم إلى نفسه؛ لما أنه هو الذي أثبته في قلبه حتى لا ينساه؛ كقوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى)، وقوله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾[1]، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾.[2]

والثالث: أضاف إلى نفسه، وإن علمه جبريل عليه السلام؛ لأنه هو الخالق لفعل التعليم من جبريل عليه السلام».[3]

وقال في موضع آخر: «**ثم أضاف التعليم مرة إلى جبريل عليه السلام ومرة إلى نفسه، فالإضافة إلى جبريل** ـ صلوات اللهَّ عليه ـ لما منه سمع النبي ﷺ وتلقف.

والإضافة إلى اللهَّ تعالى تخرج على وجهين:

أحدهما: أضاف إلى نفسه؛ لما أنه هو الباعث لجبريل إليه، والآمر له بالتعليم، والخالق لفعل التعليم من جبريل عليه السلام.

والثاني: لما يكون من اللهَّ ـ سبحانه وتعالى ـ من اللطف الذي يحصل به العلم عند التعليم؛ ولهذا يختلف المتعلمون في حصول العلم مع التساوي في التعليم؛ لاختلافهم في آثار اللطف، واللهَّ الموفق».[4]

---

(1) سورة القيامة، الآيتان: 16، 17

(2) سورة الفرقان، من الآية: 32

(3) تأويلات أهل السنة (9/ 417)

(4) تأويلات أهل السنة (9/ 417)

ويدل عليه أيضا قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[1]، والخطاب للنبي ﷺ. قال الإمام الطبري: «يقول تعالى ذكره: سنقرئك يا محمد هذا القرآن فلا تنساه، إلا ما شاء الله».[2]

وقد أقام القرآن الكريم الأدلة على صدق محمد ﷺ في أن ما جاء به من القرآن الكريم ليس إلا من عند الله ـ تعالى ـ. قال ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝٤٨﴾[3]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾[4].

وقد كان ﷺ حريصا على تلقي القرآن من جبريل ومساوقته في القراءة فنزل قوله ـ تعالى ـ ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ﴾[5]، وقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾[6]. قال الإمام البيضاوي: «نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل عليه السلام ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه».[7]

وخلاصة القول: أن النبي ﷺ تلقى القرآن من ربه بواسطة جبريل عليه السلام، ولم يتلقَّه من أحد من البشر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ۝١٠٣﴾.[8]

---

(1) سورة الأعلى، الآيتان: 6، 7

(2) جامع البيان (24/ 370، 371)

(3) سورة العنكبوت، الآية: 47

(4) سورة النمل، الآية: 6

(5) سورة طه، من الآية: 114

(6) سورة القيامة، الآيتان: 16، 17

(7) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (4/ 40)

(8) سورة النحل، الآية: 103

المطلب الثاني

كيفيات مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ

القرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام، ولم يأت شيء منه عن تكليم أو إلهام أو منام، بل كله أوحي به في اليقظة وحيا جليّا. (1)

وقد ذكر العلماء للوحي كيفيات:

إحداها: أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس، كما في الصحيح عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رضي الله عنه سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**» قَالَتْ عَائِشَةُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا. (2)

قال الخطابي(3): والمراد أنه صوت متدارك يسمعه، ولا يبين له أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد. وقيل: هو صوت خفق أجنحة الملك، والحكمة في تقدمه أن يفرغ سمعه

---

(1) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: 63)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه ـ واللفظ له ـ (1/ 6) حديث(2) كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ؟، ومسلم في صحيحه (4/ 1816) حديث (2333) كتاب الرؤيا، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، وأخرجه غيرهما.

(3) ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح (2/ 225)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (9/ 3736)، شرح السيوطي على مسلم (5/ 328)

للوحي، فلا يُبْقِي فيه مكانا لغيره.[1] وفي الصحيح أن هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه، وقيل: إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد وتهديد.[2]

الثانية: أن ينفث في روعه الكلام نفثا كما قال ﷺ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِيَ أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ**»[3]، وهذا قد يرجع إلى الحالة الأولى أو التي بعدها، بأن يأتيه في إحدى الكيفيتين وينفث في روعه.

الثالثة: أن يأتيه في صورة الرجل فيكلمه كما في الحديث المذكور في الحالة الأولى: «**وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**».

الرابعة: أن يأتيه الملك في النوم. قلت: وليس في القرآن من هذا النوع شيء، بل إن القرآن كله نزل في اليقظة.

الخامسة: أن يكلمه الله إما في اليقظة كما في ليلة الإسراء أو في النوم كما في حديث: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ،، قَالَ أَحْسَبُهُ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ**

---

(1) قيل: الحكمة في ذلك أن يتفرغ سمعه ﷺ ولا يبقى فيه مكان لغير صوت الملك ولا في قلبه. (شرح البخاري للسفيري (1/ 168)

(2) الإتقان في علوم القرآن (1/ 160، 161)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (2/ 265)

(3) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (7/ 79) حديث (34332)، وابن ماجه في سننه (3/ 275) حديث (2144) كتاب أبواب التجارات، باب الاقتصاد في طلب المعيشة، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه علي: صحيح، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 268) حديث (3109)، وقال: لم يرو هذا الحديث عن أبي الزبير إلا ابن جريج، ولا يروى عن جابر إلا بهذا الإسناد، وأخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 4) حديث (2134) كتاب البيوع ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه «وشاهده عن أبي الزبير، عن جابر» صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي في التلخيص، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ـ واللفظ له ـ (10/ 27)، وأخرجه غيرهم.

تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ .... » الحديث.[1]

قال الإمام السيوطي: وليس في القرآن من هذا النوع شيء فيما أعلم.[2]

وذكر ابن القيم ثمانية كيفيات ومراتب للوحي حيث قال: «وكَمَّل الله له من مراتب الوحي مراتب عديدة:

إحداها: الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحيه ﷺ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه.

الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانا.

الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه، فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها.

الخامسة: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده (36/ 422) حديث (22109)، وقال شعيب الأرنؤوط: ضعيف لاضطرابه، ومداره على عبد الرحمن ابن عائش، وقد اختُلف فيه عليه ، والترمذي في سننه ـ واللفظ له ـ (5/ 219) حديث (3233) كتاب أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ (ص)، والبزار في مسنده (7/ 110) حديث (2668)، وأخرجه غيرهم.

(2) الإتقان في علوم القرآن (1/ 160، 161)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (2/ 265)

السادسة: ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى بن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعا بنص القرآن، وثبوتها لنبينا ﷺ هو في حديث الإسراء.

وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة، وهي تكليم الله له كفاحا من غير حجاب، وهذا على مذهب من يقول: إنه ﷺ رأى ربه تبارك وتعالى، وهي مسألة خلاف بين السلف والخلف، وإن كان جمهور الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بل كلهم مع عائشة ـ رضي الله عنها ـ[1] كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمي إجماعا للصحابة. [2]

❁❁❁

(1) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «**مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ**». (أخرجه البخاري في صحيحه ـ واللفظ له ـ (4/ 115) حديث (3234) كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، وأخرجه مسلم في صحيحه صحيح مسلم (1/ 159) حديث (177) كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: {ولقد رآه نزلة أخرى} [النجم: 13]، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء، وأخرجه غيرهما.

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد (1/ 77 – 79) باختصار.

المطلب الثالث

كيفية تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام

تلقى النبي ﷺ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام بكيفيتين:

أولاهما: السماع منه، بمعنى أن جبريل عليه السلام كان يقرأ القرآن الكريم والرسول ﷺ يستمع إليه، وهذه الطريقة علمها الله تعالى لنبيه ﷺ في قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [1]، وقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾. [2]

قال ابن كثير: « هذا تعليم من الله ـ عز وجل ـ لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله ـ عز وجل ـ إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه». [3]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ - فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ ـ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾

---

(1) سورة طه، من الآية: 114

(2) سورة القيامة، الآيتان: 16، 17

(3) تفسير ابن كثير (8/ 278)

قَالَ: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾﴾ [1] قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ [2] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَقْرَأَهُ. [3]

وفي رواية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ حَرَّكَ بِهِ لِسَانَهُ ـ وَوَصَفَ سُفْيَانُ ـ يُرِيدُ أَنْ يَحْفَظَهُ» فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾. [4]

إلى غير ذلك من الروايات الواردة في الصحيح. [5]

وفي سبل الهدى والرشاد: «قال ابن كثير: تحريكه ﷺ لسانه عند إلقاء الوحي إليه كان في الابتداء، كان ﷺ من شدة حرصه على أخذه من الملك ما يوحيه إليه عن اللهَّ تعالى يساويه في التلاوة، فأمره اللهَّ تعالى أن ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحي، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [6].

---

(1) سورة القيامة، الآية: 18

(2) سورة القيامة، الآية: 19

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (1/ 8) حديث (5) كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ؟ (9/ 153) حديث (7524) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾، ومسلم في صحيحه (1/ 330) حديث (448) كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة، وأخرجه غيرهما.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه (6/ 163) حديث (4927) كتاب التفسير، باب سورة القيامة، وأخرجه غيره.

(5) ينظر: صحيح البخاري (6/ 163) حديث (4928)، (4929)

(6) سورة طه، من الآية: 114

وقال الحافظ: اختلف في سبب تحريكه ﷺ لسانه وشفتيه. ففي رواية: يخشى أن يتفلّت منه. وفي لفظ: خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فيشتد عليه، وفي رواية: أنه كان إذا نزل عليه جعل يتكلم من حبّه إياه. قال الحافظ: وظاهر الرواية الثانية أن السبب في المبادرة حصول المشقة التي يجدها عند النزول، فكان يتعجل ما يأخذه لتزول المشقة سريعا. وظاهر الثالثة أنه كان يتكلم بما يلقي اللهَّ منه أولا فأولا، من شدة حبه إياه فأمر أن يتأنّى إلى أن ينقضي النزول. قال الحافظ: ولا بعد في تعدد السبب». [1]

الكيفية الثانية في تلقى النبي ﷺ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام: العرض عليه:

بمعنى أن النبي ﷺ يقرأ وجبريل عليه السلام يستمع إليه، وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه بذلك فقال: باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ . [2] وفِقْهُ الإمام البخاري في تراجمه.

قال ابن حجر: « (قوله: باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ) بكسر الراء، من العرض، وهو بفتح العين وسكون الراء، أي يقرأ، والمراد: يستعرضه ما أقرأه إياه. والمعارضة مفاعلة من الجانبين، كأن كلا منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع». [3]

وفي شرح المشكاة للطيبي: «يعنى يأتيه جبريل عليه السلام ، ويقرأ النبي ﷺ القرآن عليه من أوله إلى آخره؛ لتجديد اللفظ، وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها؛ وليكون

(1) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (2/ 260)

(2) صحيح البخاري (6/ 186)، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ .

(3) فتح الباري لابن حجر (9/ 43)، ويراجع: عمدة القاري للعيني (20/ 23)، إرشاد الساري للقسطلاني (7/ 455)

سنة في حق الأمة لتجدد التلامذة على الشيوخ قراءتهم».[1]

والدليل على تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام بهذه الطريقة: ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: «**كَانَ يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ القُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، وَكَانَ يَعْتَكِفُ كُلَّ عَامٍ عَشْرًا، فَاعْتَكَفَ عِشْرِينَ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ**».[2]

وفي رواية عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «**أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ بِهِ فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ، وَلا أُرَانِي إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي**».[3]

وفي رواية: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ: «**أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**».[4]

ومفاد هذه الرواية: الجمع بين الطريقتين السابقتين معا.

❁❁❁

(1) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (5/ 1629)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (6/ 186) حديث (4998) كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ ، وأخرجه غيره.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه (4/ 1905) حديث (2450) ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام، وأخرجه غيره.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه (4/ 113) حديث (3219) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (6/ 184) حديث (4991) كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ومسلم في صحيحه (1/ 561) حديث (819) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان معناه، وأخرجه غيرهما.

المطلب الرابع

هيئة جبريل عليه السلام عند النزول بالقرآن

ذكرنا فيما سبق كيفيات مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ، وعلمنا منها أن الحالات التي كان ينزل بها جبريل عليه السلام على النبي ﷺ متعددة، والسؤال هنا: هل كان جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن الكريم بجميع هذه الهيئات؟

والجواب: أن تلقي النبي ﷺ القرآن من جبريل عليه السلام كان في الهيئة التي كان يتمثل فيها جبريل عليه السلام كصلصلة الجرس. ومما يدل على هذا ما ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ ـ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ ..... الحديث. (1)

وهذه الشدة التي كان ﷺ يعالجها تدل على أن تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم كان في هيئة صلصلة الجرس.

وقد ذكر الدكتور أبو شهبة أن النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كان يتلقى عن جبريل ـ عليه السلام على حالتين:

1 - أن ينسلخ النبي ﷺ من حالته الشريفة العادية، إلى حالة أخرى، بها يحصل له استعداد، لتلقي الوحي من «جبريل» عليه السلام، وهو على حالته الملكية وفي هذه الحالة قد يسمع عند مجيء الوحي صوت شديد كصلصلة الجرس .. وأحيانا يسمع

(1) سبق تخريجه.

الحاضرون صوتا عند مجيء الوحي كدويّ النحل .. وتأخذ النبي ﷺ حالة شديدة روحانية، يغيب فيها عما حوله، ويثقل جسمه، حتى لتكاد الناقة التي يركبها تبرك، وإذا جاءت فخذه على فخذ إنسان تكاد ترضّها ويتصبب عرقه، وربما يسمع له غطيط كغطيط النائم، فإذا ما سرّي عنه وجد نفسه واعيا لكل ما سمع من الوحي فيبلغه كما سمعه، وهذه الحالة أشد حالات الوحي على النبي ﷺ ، ويشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾[1]، وعلى هذه الحالة تلقى القرآن.

2 – أن يتحول «جبريل» عليه السلام من الملكية إلى الصورة البشرية، فيأتي في صورة رجل، فيأخذ عنه الرسول ويسمع منه.[2]

وذهب الدكتور عبد المنعم القيعي إلى أن تلقي النبي ﷺ القرآن كان في الهيئتين: هيئة الصلصلة وهيئة البشرية.[3] ولم يذكر صاحب هذا الرأي ما استند إليه من أدلة تؤيد رأيه.

ونرى أن صاحب هذا القول قد جانبه الصواب فيما ذهب إليه ؛ لأننا لم نقف على دليل واحد يفيد نزول شيء من القرآن عن طريق جبريل وهو في صورة بشر.

ومن ثم فالرأي الراجح هو القائل بأن هيئة صلصلة الجرس هي الهيئة الوحيدة التي كان يتمثل بها جبريل عندما كان ينزل بالقرآن على الرسول ﷺ.

وهذا ما ذهب إليه الدكتور أبو شهبة حيث ذكر أن تلقي النبي ﷺ القرآن إنما كان على الحالة الأولى، وقد أيد هذا بقوله: « والذي نقطع به ـ والله أعلم ـ أن القرآن الكريم كله نزل في الحالة الأولى، وهي الحالة التي يكون فيها جبريل على ملكيته، وهذا هو

---

(1) سورة المزمل، الآية: 5

(2) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: 61، 62)

(3) الأصلان في علوم القرآن، د. عبد المنعم القيعي (ص: 39)

الذي يليق بالقرآن الكريم، ونفي أي احتمال، أو تلبيس في تلقيه، ولم أقف قط على رواية تفيد نزول شيء من القرآن عن طريق جبريل، وهو في صورة رجل، وكل ما جاء من ذلك في الأحاديث الصحاح كحديث جبريل المشهور وسؤاله النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، فإنما هو في وحي السنة لا في وحي القرآن.

نعم هناك قرائن لا تصل إلى حد الأدلة تدل على نزول القرآن بالطريق الأول، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾[1] أي ثقيلا تلقيه، وثقيلا علمه، وذلك إنما يكون في الحالة التي تسود فيها الملائكية عند تلقي الوحي، وقيل: ثقيلا العمل به، والقيام بفرائضه وحدوده، وقيل: ثقيل من الوجهين معا.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ...الحديث.[2] وهذه الشدّة لن تكون إلا في الحالة الأولى.

وأيضا فلو أنزل شيء من القرآن في الحالة الثانية وهي مجيء جبريل عليه السلام في صورة رجل لكان هذا مثارا للشك، والتلبيس على ضعفاء الإيمان، ولكان فيه مستند للمشركين في قولهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾[3].... فكان من الرحمة بالعباد، وعدم التلبيس عليهم أن لا ينزل القرآن إلا في هذا الجو الملائكيّ، الروحانيّ». [4]

❁❁❁

(1) سورة المزمل، الآية: 5

(2) سبق تخريجه.

(3) سورة النحل، من الآية: 103

(4) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: 65، 66) باختصار.

المطلب الخامس

شدة الوحي وثقله على النبي ﷺ

لقد كان لقاء الملك برسول الله ﷺ شديدًا عليه رغم الممهدات السابقة من سماع الصوت، وتسليم الحجر، والرؤيا الصادقة الواضحة، إنه أمر عظيم وجليل أن يتلقى القلب البشري كلام الله الخالق بواسطة المَلَك العظيم، رجف له فؤاد رسول الله ﷺ وارتاع حتى طلب من أهله أن يُزَمِّلُوه ويُدَثِّروه حتى يذهب عنه الرَّوع، وكانت طريقة جبريل معه في أول لقاء فيها شدة وجهد ليبين له عظمة الأمر وضخامة المسؤولية والشدة التي سيلاقيها في نشر الدعوة، فهي من الإعداد له ﷺ والتهيئة النفسية.[1] على حد قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾.[2]

يتضح من الروايات التي ذكرناها سابقا في كيفيات الوحي أن النبي ﷺ كان يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، ويجسد هذه الشدة التي كان يعالجها رسول الله ﷺ ما ورد في الصحيح عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ ﷺ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**» قَالَتْ عَائِشَةُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا.[3]

---

(1) صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر ﷺ، محمد بن صامل السُّلَميُّ، وآخرون (ص: 98)

(2) سورة المزمل، الآية: 5

(3) سبق تخريجه.

قال ابن حجر: «قوله «**وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ**» يفهم منه أن الوحي كله شديد، ولكن هذه الصفة أشدها».[1] وقال الإمام العيني: «وفيه من المؤكدات: واو القسم، أكدت به عائشة ـ رضي الله عنها ـ ما قاله ﷺ من قوله «**وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ**»، ولام التأكيد، وقد التي وضعها للتحقيق في مثل هذا الموضع؛ وذلك لأن مرادها الإشارة إلى كثرة معاناته ﷺ والتعب والكرب الذي يعانيه عند نزول الوحي؛ وذلك لأنه ﷺ كان إذا ورد عليه الوحي يجد له مشقة ويغشاه الكرب؛ لثقل ما يلقى عليه قال تعالى ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ۝٥﴾[2]، ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم كما روي أنه كان يأخذه عند الوحي الرحضاء أي البهر[3] والعرق من الشدة، وأكثر ما يسمى به عرق الحمى، ولذلك كان جبينه يتفصد عرقا ، وإنما كان ذلك ليبلو صبره ويحسن تأديبه، فيرتاض لاحتمال ما كلفه من أعباء النبوة».[4]

ومن الأحاديث الدالة على شدة الوحي وثقله على رسول الله ﷺ : ما ورد عن صَفْوَان بْنِ يَعْلَى أَنَّ يَعْلَى قَالَ لِعُمَرَ ﷺ : أَرِنِي النَّبِيَّ ﷺ حِينَ يُوحَى إِلَيْهِ، قَالَ: « فَبَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ وَهُوَ مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاعَةً، فَجَاءَهُ الْوَحْيُ، فَأَشَارَ عُمَرُ ﷺ إِلَى يَعْلَى، فَجَاءَ يَعْلَى وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَوْبٌ قَدْ أُظِلَّ بِهِ، فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ،

---

(1) فتح الباري لابن حجر (1/ 20)

(2) سورة المزمل، الآية: 5

(3) الرحضاء ـ بضم الراء وفتح الحاء المهملة وبالضاد المعجمة الممدودة ـ : العرق في أثر الحمى، والبهر ـ بالضم ـ: تتابع النفس، وبالفتح المصدر. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري (1/ 43)

(4) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (1/ 43)

فَإِذَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ مُحْمَرُّ الوَجْهِ، وَهُوَ يَغِطُّ[1]، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَالَ: «**أَيْنَ الَّذِي سَأَلَ عَنِ العُمْرَةِ؟**».... الحديث. [2]

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: «**كَانَ نَبِيُّ الله ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ كُرِبَ لِذَلِكَ وَتَرَبَّدَ[3] وَجْهُهُ**». [4] وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ نَكَسَ رَأْسَهُ وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُءُوسَهُمْ، فَلَمَّا أُتْلِيَ عَنْهُ رَفَعَ رَأْسَهُ**». [5]

وفي حديث الإفك: قَالَتْ عائشة ـ رضي الله عنها ـ: **فَوَاللهِ مَا رَامَ رَسُولُ الله ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ[6] عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ[7] مِنَ الْعَرَقِ، فِي فِي الْيَوْمِ الشَّاتِي، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ**. [8]

---

(1) قوله: (يغط): من الغطيط، وهو صوت يخرجه النائم مع نفسه. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري (1/ 43)

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (2/ 136) حديث (1536) كتاب الحج، باب غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب، وأخرجه غيره.

(3) قوله: تربد بتشديد الباء الموحدة أي تغير لونه. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري (1/ 43)

(4) أخرجه مسلم في صحيحه (4/ 1817) حديث (2334) كتاب الرؤيا، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، وأخرجه غيره.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه (4/ 1817) حديث (2335) كتاب الرؤيا، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، وأخرجه غيره.

(6) قوله: (البرحاء): بضم الباء الموحدة وفتح الراء وبالحاء المهملة الممدودة ، وهو شدة الكرب وشدة الحمى أيضا. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري (1/ 43)

(7) قوله: (مثل الجمان): بضم الجيم وتخفيف الميم، جمع جمانة، وهي حبة تعمل من فضة كالدرة. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري (1/ 43)

(8) أخرجه مسلم في صحيحه (4/ 2129) حديث (2770) كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، وأخرجه غيره.

وعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: «**إِنْ كَانَ لَيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَتَضْرِبُ بِجِرَانِهَا**[1] ».[2] زاد البيهقي: « **مِنْ ثِقَلِ مَا يُوحَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَإِنْ كَانَ جَبِينُهُ لَيَطُفُّ بِالْعَرَقِ فِي اليوم الشاتي، إِذَا أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ** »[3].

وعن زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ : ... «**فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ**»..... الحديث.[4]

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على شدة الوحي وثقله على رسول الله ﷺ .

وقد دلت هذه الأحاديث بمجموعها على ما كان يعانيه رسول الله ﷺ من شدة عند نزول الوحي عليه، ودلت أيضا على أن الصحابة كانوا يشاهدون هذه الشدة ويرون آثارها على رسول الله ﷺ ، ومن ثم استطاعوا وصف ذلك.

والسبب في هذه الشدة التي كان رسول الله ﷺ يجدها عند نزول الوحي عليه: «أن الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به، **وقال بعضهم**: وإنما كان شديدا

---

(1) الجِرانُ: بَاطِنُ العُنُق، وَقِيلَ: مُقدَّم الْعُنُقِ مِنْ مَذْبَحِ الْبَعِيرِ إِلَى مَنْحَرِهِ، فَإِذَا برَك البعيرُ وَمَدَّ عنُقَه عَلَى الأَرض قِيلَ: أَلقى جِرانَه بالأَرض. (لسان العرب (13/ 86) مادة: (جَرَنَ).

(2) أخرجه أحمد في مسنده (41/ 362) حديث (24868)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (8/ 257) وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(3) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (7/ 53)

(4) أخرجه البخاري في صحيحه (4/ 25) حديث (2832) كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، (6/ 47) حديث (4592) كتاب أصحاب النبي ﷺ ، باب ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وأخرجه غيره.

عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع. **وقيل**: إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد أو تهديد. قال ابن حجر: وهذا فيه نظر.»[1]

وقال البعض: إنما كان ذَلِكَ ليبلو صبره ويحسن تأديبه، ويرتاض لاحتمال ما كُلِّف من أعباء النبوة. [2]

قال شيخ الإسلام البلقيني: «هذا الذي كان يحصل له حين تلقي الوحي من الجهد حال يؤخذ فيه عن حال الدنيا من غير موت، وهو مقام برزخي يحصل له عند تلقي الوحي، ولما كان البرزخ العام ينكشف فيه للميت كثير من الأحوال خص اللهَّ تعالى نبيه ﷺ ببرزخ في الحياة يلقي إليه فيه وحيه المشتمل على كثير من الأسرار».[3]

وفائدة هذه الشدة: ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى والدرجات. [4]

❁❁❁

(1) فتح الباري لابن حجر (1/ 20)، ويراجع: حاشية السيوطي على سنن النسائي (2/ 147)

(2) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (2/ 230)، إكمال المعلم بفوائد مسلم (1/ 483)، شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى (ص: 118)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (1/ 43)، شرح البخاري للسفيري (1/ 171)

(3) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (2/ 259، 260)

(4) فتح الباري لابن حجر (1/ 20)، حاشية السيوطي على سنن النسائي (2/ 147)، شرح الزرقاني على الموطأ (2/ 12)

المبحث الرابع

شبهات حول تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم والرد عليها

لقد أثار أعداء الإسلام شبهات كثيرة حول تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم ، وتهدف هذه الشبهات في أغلب أحوالها إلى التأكيد على أن الوحي القرآني ليس مرتبطاً بالسماء، وإنما هو نابع من ذات محمد ﷺ .

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض هذه الشبهات في عدة مواضع[1]، ونحن هنا نذكر بعض هذه الشبهات ونقوم بتفنيدها والرد عليها.

الشبهة الأول: أن جبريل عليه السلام إنما نزل بالمعاني خاصة، وألفاظ القرآن لجبريل أو لمحمد ـ عليهما السلام ـ.

عرض الشبهة: أن بعض الناس زعم أن جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي ﷺ بمعاني القرآن والرسول يعبر عنها بلغة العرب. وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل، وأن الله كان يوحي إليه المعنى فقط.[2]

تفنيد هذه الشبهة:

القرآن الكريم كلام رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[3]، وألفاظ القرآن ومعانيه من عند الله تعالى، وقد دلت على ذلك الآيات العديدة، من نحو قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(1) منها على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾(سورة النحل، الآية: 103).

(2) مناهل العرفان في علوم القرآن (1/ 49)

(3) سورة التوبة، من الآية: 6

﴿ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾[1]، وقوله عز وجل: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ ﴾[4]، وقوله عز وجل: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾[5].

وقد نزل بهذا القرآن جبريل عليه السلام، بدليل قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥ ﴾.[6]

قال الدكتور أبو شهبة: «الذي نزل به جبريل هو هذا اللفظ العربي من غير أن يكون له فيه شيء ما، ومن غير أن يزيد فيه حرفا، أو ينقص منه حرفا.

وكذلك ليس للنبي ﷺ في القرآن شيء إلا التبليغ، وهذا هو الحق الذي يجب على كل مسلم أن يعتقده ويؤمن به، ولا تلتفت إلى ما زعمه بعض من يهرف[7] بما لا يعرف، يعرف، أو من يفتري ويختلق؛ من أن جبريل أوحي إليه المعنى، وأنه عبر بهذه الألفاظ الدالة على المعاني بلغة العرب، ثم نزل على النبي كذلك، أو أن جبريل أوحى إلى النبي ﷺ المعنى، وأن النبي ﷺ عبر عن هذه المعاني بلفظ من عنده، متمسّكا بظاهر قوله

---

(1) سورة السجدة، الآيتان: 2، 3

(2) سورة الزمر، الآيتان: 1، 2

(3) سورة غافر، الآية: 1

(4) سورة الجاثية، وسورة الأحقاف، الآية: 2

(5) سورة الإسراء، من الآية: 5

(6) سورة الشعراء، الآيات: 193 – 195

(7) يهرف أي يهذي، والهَرْفُ: مُجاوزةُ القَدْر فِي الثَّناء والمدْح والإِطْناب فِي ذَلِكَ حَتَّى كأَنه يَهْذِر. وهَرَفَ إِذَا هَذَى. (تهذيب اللغة (6/ 149)، لسان العرب (9/ 347) مادة (هَرَفَ).

تعـــالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [1]، فإنه زعم وخرص لم تقم عليه أثارة من علم، وما تمسك به هذا الزاعم من الآية لا يشهد له؛ فإن القلب كما ينزل عليه المعنى، ينزل عليه اللفظ، وإنما آثر الحق ـ تبارك وتعالى ـ هذا التعبير للدلالة على أن القرآن كما وعته الأذنان، وعاه القلب اليقظان.

وهذا القول خلاف ما تواتر عليه القرآن والسنة، وانعقد عليه إجماع الأئمة من أن القرآن ـ لفظه ومعناه ـ كلام الله، ومن عند الله، ولو جاز هذا الزعم لما كان القرآن معجزا، ولما كان متعبّدا بتلاوته.

وهذا الزعم لا يقول به إلا جاهل استولت عليه الغفلة، أو زنديق يدسّ في الدين والعلم ما ليس منه، ولا تغتر بوجوده في بعض الكتب الإسلامية فأغلب الظن أنه مدسوس على الإسلام والمسلمين. وإنا لنبرأ إلى الله أن يقول هذا عالم مسلم، متثبّت.

وقد بلغ النبي ﷺ القرآن كما نزل إلى الأمة من غير زيادة ولا نقصان، ولا تحريف ولا تبديل، ولا كتمان لشيء منه، ولو كان النبي ﷺ كاتما شيئا من الوحي، لكتم الآيات التي فيها عتاب له وتنبيه بلطف إلى ترك الأولى في باب الاجتهاد، وبحسبك أن تقرأ معي قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [2]، وقول الله سبحانه: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ

(1) ذكر ذلك الإمام السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (1/ 157)، ولم يعقب عليه.

(2) سورة المائدة، من الآية: 67

(3) سورة يونس، الآية: 15

عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1] ». [2]

وقال العلامة الزرقاني مفندًا هذه الشبهة بشِقَّيْها: «وكلاهما قول باطل أثيم مصادم لصريح الكتاب والسنة والإجماع، ولا يساوي قيمة المداد الذي يكتب به. وعقيدتي أنه مدسوس على المسلمين في كتبهم. وإلا فكيف يكون القرآن حينئذ معجزا واللفظ لمحمد أو لجبريل؟ ثم كيف تصح نسبته إلى الله واللفظ ليس لله؟ مع أن الله يقول: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[3] إلى غير ذلك مما يطول بنا تفصيله.

والحق أنه ليس لجبريل في هذا القرآن سوى حكايته للرسول ﷺ وإيحائه إليه، وليس للرسول ﷺ في هذا القرآن سوى وعيه وحفظه، ثم حكايته وتبليغه، ثم بيانه وتفسيره، ثم تطبيقه وتنفيذه. نقرأ في القرآن نفسه أنه ليس من إنشاء جبريل ولا محمد نحو ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾[4].

وصفوة القول في هذا المقام أن القرآن أوحيت ألفاظه من الله اتفاقا وأن الحديث القدسي أوحيت ألفاظه من الله على المشهور والحديث النبوي أوحيت معانيه في غير ما اجتهد فيه الرسول والألفاظ من الرسول ﷺ. بيد أن القرآن له خصائصه من الإعجاز والتعبد به ووجوب المحافظة على أدائه بلفظه ونحو ذلك، وليس للحديث القدسي والنبوي شيء من هذه الخصائص. والحكمة في هذا التفريق أن الإعجاز منوط بألفاظ

---

(1) سورة الحاقة، الآيات: 44 – 47

(2) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: 67، 68)

(3) سورة التوبة، من الآية: 6

(4) سورة النمل، الآية: 6

القرآن، فلو أبيح أداؤه بالمعنى لذهب إعجازه وكان مظنة للتغيير والتبديل واختلاف الناس في أصل التشريع والتنزيل. أما الحديث القدسي والحديث النبوي فليست ألفاظهما مناط إعجاز، ولهذا أباح الله روايتهما بالمعنى، ولم يمنحهما تلك الخصائص والقداسة الممتازة التي منحها القرآن الكريم؛ تخفيفا على الأمة، ورعاية لمصالح الخلق في الحالين من منح ومنع». [1]

ومن خلال ما سبق يتبن أن هذه الشبهة باطلة من عدة وجوه:

أولها: أن هذا القول مجرد زعم وخرص لم تقم عليه أثارة من علم.

ثانيها: دَلَّ القرآن الكريم على أن ألفاظه ومعانيه من عند الله تعالى، ولم تفرق بين اللفظ والمعنى، وعلى من فرَّق أن يأتي بالدليل.

ثالثها: هذا القول خلاف ما تواتر عليه القرآن والسنة، وانعقد عليه إجماع الأئمة من أن القرآن ـ لفظه ومعناه ـ كلام الله، ومن عند الله، ومن ثم فهو قول مصادم لصريح الكتاب والسنة والإجماع.

رابعها: لو جاز هذا الزعم لما كان القرآن معجزا، ولما كان متعبّدا بتلاوته. وكيف يكون القرآن حينئذ معجزا واللفظ لمحمد أو لجبريل؟ ثم كيف تصح نسبته إلى الله واللفظ ليس لله؟

خامسها: لو صح هذا القول لما كان هناك فرق بين القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي.

---

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن (1/ 49 – 51) باختصار

سادسها: إن هذه الشبهة مخالفة لما هو مشهور من حال النبي ﷺ عند نزول القرآن عليه، فقد كان ﷺ من شدة حرصه يبادر بترديد من ينزل عليه من القرآن ويحرك بذلك شفتيه قبل أن يفرغ جبريل عليه السلام حتى خاطبه ربه بقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾[1]، وقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾.[2]

ومما سبق يتجلى بوضح بطلان هذه الشبهة وجهل أصحابها.

الشبهة الثانية: أن الحالة التي كانت تعتري النبي ﷺ عند تلقي الوحي من جبريل عليه السلام هي حالة صرع.

عرض الشبهة: أن بعض المستشرقين والمبشرين زعموا أن الحالة التي كانت تعتري النبي ﷺ عند تلقي الوحي من جبريل عليه السلام، وهو على حالته الملكية، وهي الحالة التي كان النبي يغيب فيها عن الناس وعما حوله، ويسمع له غطيط كغطيط[3] النائم، ويتصبب عرقه، ويثقل جسمه، هي حالة صرع تتمخض عما يخبر به أنه وحي.[4]

تفنيد هذه الشبهة:

يمكن رد هذه الشبهة وإبطالها من عدة وجوه[5]:

---

(1) سورة طه، من الآية: 114

(2) سورة القيامة، الآيتان: 16، 17

(3) غطيط النائم والمخنوق صوتهما. (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (8/ 4887)

(4) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: 103)

(5) ذكر هذه الوجوه الدكتور محمد أبو شهبة في (المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: 103 – 108)

1 – إن النبي ﷺ بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء كان أصح الناس بدنا وأقواهم جسما. وأوصافه التي تناقلها الرواة الثقات تدل على البطولة الجسمانية، وقد بلغ من قوته أنه صارع ركانة بن عبد يزيد فصرعه، وكان ركانة هذا مصارعا ماهرا، ما قدر أحد أن يأتي بجانبه إلى الأرض، ولما عرض عليه النبي الدعوة قال: صارعني فإن أنت غلبتني آمنت أنك رسول الله، فصارعه الرسول فغلبه، فقيل إنه أسلم عقب ذلك. والمصاب بالصرع لا يكون على هذه القوة، وقد شهد للنبي رجل غريب عن الإسلام ولكنه منصف قال الكاتب الأجنبي (بودلي) في كتابه (الرسول حياة محمد) مفنّدا هذا الزعم: (لا يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي كان يتمتع بها محمد ﷺ حتى قبل وفاته بأسبوع واحد، وما كان الصرع ليجعل من أحد نبيا أو مشرعا، وما رفع الصرع أحدا إلى مراكز التقدير والسلطان يوما، وإن كان ممن تنتابه حالات الصرع كان يعتبر مجنونا، ولو كان هناك من يوصف بالعقل ورجاحته، فهو محمد) [1].

2 – إن مريض الصرع يصاب بآلام حادة في كافة أعضاء جسمه يحس بها إذا ما انتهت نوبة الصرع، ويظل حزينا كاسف البال بسببها، وكثيرا ما يحاول مرضى الصرع الانتحار من قسوة ما يعانون من آلام في النوبات فلو كان ما يعتري النبي ﷺ عند الوحي صرعا لأسف لذلك وحزن لوقوعه ولسعد بانقطاع هذه الحالة عنه، ولكن الأمر كان على خلاف ذلك.

(1) ينظر: الرسول حياة محمد، بودلي (ص: 58، 59)

لقد فتر الوحي عن الرسول مدة فحزن لذلك حزنا شديدا، وكان يذهب إلى غار حراء وقمم الجبال عسى أن يعثر على الملك الذي جاءه بحراء وبقي محزون النفس من هذه الحالة حتى سري عنه ربه بوصل ما انفصم من الوحي.

3 – إن الوحي لم يكن يأتي النبي ﷺ على هذه الحال التي قالوا عنها إنها صرع إلا أحيانا وأحيانا كان يأتيه وهو في حالته الطبيعية، فلا غيبوبة ولا قلق ولا غطيط، وذلك حينما كان يأتيه جبريل في صورة رجل، وكان الجالسون لا يعرفون أنه جبريل، ولكن النبي ﷺ كان يعلم ذلك حق العلم، وذلك كما حدث في الحديث الطويل الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما والذي يعتبر سجلا جامعا لأصول الإيمان والإسلام والإحسان.

4 – إن الثابت علميّا أن المصروع حالة الصرع يتعطل تفكيره وإدراكه تعطلا تامّا، فلا يدري المريض في نوبته شيئا عما يدور حوله، ولا ما يجيش في نفسه، كما أنه يغيب عن صوابه، وتعتريه تشنجات تتوقف فيها حركة الشعور ويصبح المريض بلا إحساس.

ولكن الرسول ﷺ كان بعد الوحي يتلو على الناس آيات بينات، وتشريعات محكمات، وعظات بليغات، وأخلاقا عظيمة، وكلاما بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة تحدى به الناس قاطبة– عربهم وعجمهم– أن يأتوا بأقصر سورة منه فما استطاعوا فهل يعقل من المصروع أن يأتي بشيء من هذا اللهم إن هذا أمر لا يجوز إلا في عقول المجانين إن كانت لهم عقول.

5 – لما تقدمت وسائل الطب، واستخدمت الأجهزة والكهرباء في التشخيص والعلاج، إذا الطب يضيف دليلا لا ينقض، ويقيم حجة لا تحتاج إلى مناقشة على كذب فرية الصرع، ويؤكد أن ما كان يعتري رسول الله ﷺ إنما هو وحي من الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن يكون شيئا آخر.

لقد ثبت أن نوبات الصرع ناتجة عن تغيرات فسيولوجية عضوية في المخ، والدليل على ذلك أنه أمكن تسجيل تغيرات كهربائية في المخ في أثناء النوبات الصرعية مهما كان مظهرها الخارجي، وعلى أية صورة كانت هذه النوبات ومهما ضعفت حدة هذه النوبات، ولقد أثبت الطب الحديث أخيرا بعد الاستعانة بالأجهزة والرسم الكهربائي أن هناك مظاهر عديدة ومختلفة للنوبات الصرعية، وذلك تبعا لمراكز المخ التي تبدأ فيها التغيرات الكهربائية، وطريقة وسرعة انتشارها، وأهم أنواع الصرع ما يسمى بالنوبات الصرعية النفسية، وهو ما يشبه أن يكون النوع الذي افتراه الخصوم على الرسول بأنه مصاب به، وفي هذه الحالة تمر بذهن المريض ذكريات أو أحلام مرئية أو سمعية أو الاثنان معا وتسمى «بالهلاوس» وقد أثبت الطب أيضا أن الذكريات التي تمر بالمريض لا بد أن يكون قد عاش فيها المريض نفسه حتما؛ إذ إن النوبة الصرعية ما هي إلا تنبيه لصورة أو صوت مَرَّ بالإنسان ثم احتفظ به في ثنايا المخ ...

وبتطبيق ما قرره الطب الحديث في حقائق الصرع على ما كان يعتري النبي ﷺ نجده يردد آيات لا يمكن إطلاقا أن يكون قد سمعها من قبل في حياته، فهي آيات واردة على لسان الحق سبحانه وتعالى قبل أن يعمر البشر الأرض. وآيات أخرى فيها قول الله يوم

القيامة، وكذلك الآيات التي تحكي عصور ما قبل الإسلام، والمحاورات التي جرت بين أقوام عاشوا قبل الرسول بآلاف السنين.[1]

6- وفي تفنيد هذه الشبهة يقول الدكتور عبد الكريم الخطيب: « أمجنون مصروع يبنى دولة، وينشئ نظاما، ويقيم دينا يعيش في الناس منذ قام إلى اليوم دون أن يصاب بنكسة أو خلل؟ ثم أمجنون، مصروع، ثبت لهذه العواصف العاتية المزمجرة وحيدا في وجه أمة صحراوية النفوس صخرية الطباع ثم لا يكون منه في حال من الأحوال تخاذل أو ضعف، حتى تخصب هذه النفوس، وتلين تلك الطباع، وتخرج من أحشاء هذه الصحراء قادة الإنسانية، ومطلع شموس العلم والمدنية فيها؟

ثم! ثم أمجنون مصروع مختلط العقل هذا الذي يأسر قلوب معاشريه، ويملك أنفسهم، فإذا القلوب خافقة بحبه، وإذا النفوس لا تعرف لها غذاء إلا من ينابيع الحبّ له، ولولاء لشخصه، والتفانى في سبيل مرضاته؟

إن التاريخ، لا يذكر في سجله يوما أن إنسانا كان له في الناس رصيد من الحب والولاء ما كان لمحمد في هذه الدنيا من حب وولاء..!

ولا نسوق لهذا كثيرا من الأمثال، ففى كل خطوة من خطوات النبي، على مسيرة دعوته، شواهد تقوم من كل جانب، تنطق بما كان لمحمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من سلطان على النفوس، ملكها بالإعجاب، والحب والولاء».[2]

---

(1) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: 103 - 108) باختصار.

(2) التفسير القرآني للقرآن (10/ 164) باختصار.

الشبهة الثالثة: أن سورة الكوثر نزلت على النبي ﷺ أثناء نومه.

عرض الشبهة: قال الإمام السيوطي: « وأما النومي: فمن أمثلته سورة الكوثر؛ لما روى مسلم عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ الله قَالَ: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**» فَقَرَأَ: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾[1]. [2]

وقال الإمام الرافعي في أماليه: فهم فاهمون من الحديث أن السورة نزلت في تلك الإغفاءة وقالوا: من الوحي ما كان يأتيه في النوم؛ لأن رؤيا الأنبياء وحي».[3]

تفنيد هذه الشبهة:

نقل الإمام السيوطي عن الإمام الرافعي قوله: «وهذا صحيح، لكن الأشبه أن يقال: إن القرآن كله نزل في اليقظة، وكأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة، أو عرض عليه الكوثر الذي وردت فيه السورة، فقرأها عليهم وفسرها لهم.

ثم قال: وورد في بعض الروايات أنه أغمي عليه، وقد يحمل ذلك على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي ويقال لها: برحاء الوحي». انتهى.

---

(1) سورة الكوثر، الآيات: 1 – 3

(2) أخرجه مسلم في صحيحه (1/ 300) حديث (400) كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، وأخرجه غيره.

(3) الإتقان في علوم القرآن (1/ 88، 89)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (2/ 266)

ثم عقَّب الإمام السيوطي بقوله: «قلت: الذي قاله الرافعي في غاية الاتجاه وهو الذي كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه والتأويل الأخير أصح من الأول؛ لأن قوله: «أنزل علي آنفا »، يدفع كونها نزلت قبل ذلك، بل نقول نزلت في تلك الحالة، وليس الإغفاء إغفاء نوم، بل الحالة التي كانت تعتريه عند الوحي، فقد ذكر العلماء أنه كان يؤخذ عن الدنيا».[1]

وكذلك قال الإمام السيوطى عند ذكر الوحى المنامى: (وليس في القرآن من هذا النوع شيء فيما أعلم). [2]

ومن ثم: يترجح القول بأن القرآن الكريم قد نزل كله على النبى ﷺ فى حالة اليقظة، ولم يكن شيء منه في حال النوم.

وبعد، فقد كانت هذه بعض الشبهات التي أثيرت حول تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم مقرونة بتفنيدها وإثبات بطلانها، نكتفي بها ونضرب صفحا عن غيرها؛ إذ كلها على هذه الشاكلة من التفاهة ومجانبة الصواب.

(1) الإتقان في علوم القرآن (1/ 89)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (2/ 266)، ويراجع: المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: 63)، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: 34)، الأصلان في علوم القرآن (ص: 10)

(2) الإتقان في علوم القرآن (1/ 161)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (2/ 267)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالرحمات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلَّم تسليما كثيرا.

وبعد، فقد كشفت هذه الدراسة عن العديد من النتائج التي كان من أهمها ما يلي:

1- للتلقي في تعلم القرآن الكريم أهمية كبيرة، فلا يكفي تعلمه من المصاحف دون تلقيه من الحافظين له، ومن ثم ينبغي التنبيه إلى خطورة الاعتماد على المصاحف في قراءة القرآن دون الرجوع إلى المتقنين من القراء.

2- تَلَقَّى جبريل عليه السلام القرآن الكريم وأخذه سماعا عن الله تعالى، وَتَلَقِّي جبريل عليه السلام هو التلقي الأول الخاص بالقرآن الكريم، وليس بين جبريل عليه السلام وبين الله تعالى واسطة في هذا التلقي، والقول بوجود هذه الواسطة قول باطل؛ لا دليل عليه.

3- في تلقي جبريل عليه السلام القرآن من ربه دون وساطة إعظام للقرآن وتفخيم لشأنه، وتنبيه إلى غاية العناية به، والحرص والمحافظة عليه، ومبالغة في صيانته عن التحريف، والتبديل.

4- لم ينزل شيء من القرآن الكريم إلا عن طريق جبريل عليه السلام، ولم يأت شيء منه عن تكليم أو إلهام أو منام، بل كله أوحي به في اليقظة وحيا جليّا.

5- كان جبريل عليه السلام عند نزوله بالقرآن على النبي ﷺ ينزل في هيئة صلصلة الجرس لا غير على الراجح من أقوال العلماء.

6- أن النبي ﷺ تلقى القرآن الكريم عن طريقي السماع من جبريل عليه السلام والعرض عليه.

7- كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، حتى إن الوحي كان ينزل عليه في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا.

8- السبب في شدة الوحي على النبي ﷺ: أن الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به. وإنما كان ذَلِكَ ليبلو صبره ويحسن تأديبه، ويرتاض لاحتمال ما كُلِّف من أعباء النبوة. وفائدة هذه الشدة: ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى والدرجات.

وبعد: فإن كان من توفيق فبفضل الله وتوفيقه، وإن كانت الأخرى فمن النفس والشيطان، ونستغفر الله لأنفسنا، ونعوذ به من نزغات الشيطان، ونسأله ـ تعالى ـ العفو والغفران.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❁❁❁

(1) سورة البقرة، من الآية: 286

فهرس المصادر والمراجع

1- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م.

2- أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ ـ 2003 م.

3- أحكام قراءة القرآن الكريم للشيخ محمود خليل الحصري، مطبعة المكتبة المكية، الطبعة الأولى، 1416هـ 1995م

4- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، 1323 هـ.

5- الأسماء والصفات، للبيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1413 هـ ــ 1993 م.

6- الأصلان في علوم القرآن، د. عبد المنعم القيعي، نشر المؤلف، الطبعة: الرابعة مزيدة ومنقحة 1417هـ- 1996م.

7- أعلام النبوة للماوردي، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت، الطبعة: الأول ـ 1409 هـ.

8- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى ـ 1418 هـ.

9- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، 1376 هـ ـ 1957 م.

10- بغية الكمال شرح تحفة الأطفال للشيخ أسامة عبد الوهاب ، مكتبة الإيمان، الطبعة الثانية، 1403هـ ـ 1993م.
11- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الاتقان، لطاهر الجزائري، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، 1412هـ.
12- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لابن عاشور، الدار التونسية للنشر ـ تونس، 1984 هـ.
13- تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر ـ المَرْوَزِي، تحقيق: د. عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار ـ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1406هـ.
14- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، لعز الدين بن عبد السلام، تحقيق: د. عبد الله ابن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ/ 1996م.
15- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع
16- التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.
17- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، لأبي منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ ـ 2005 م
18- تلقي القرآن الكريم ـ دراسة موضوعية ـ د. يوسف عبادي، رسالة ماجستير بجامعة الأزهر.

19- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الأولى، 1326هـ.
20- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
21- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، نشر: دار النوادر، دمشق ـ سوريا، الطبعة: الأولى، 1429هـ ـ 2008م.
22- جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ ـ 2000 م.
23- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق ـ مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ.
24- حاشية السندي على سنن النسائي (مطبوع السنن)، للسيوطي، مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب، الطبعة: الثانية، 1406هـ ـ 1986م.
25- الحاوي للفتاوي للسيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1424هـ ـ 2004م.
26- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، نشر: السعادة ـ بجوار محافظة مصر، 1394هـ ـ 1974م.
27- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، دار الفكر ـ بيروت. السراج المنير

28- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للسيوطي، تحقيق: أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع ـ المملكة العربية السعودية ـ الخبر، الطبعة: الأولى 1416 هـ ـ 1996 م.

29- الرسول حياة محمد، ر. ف. بودلي، ترجمة: محمد محمد فرج، عبد الحميد جودة السحار، نشر مكتبة مصر بلفجالة، القاهرة.

30- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

31- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، 1414 هـ ـ 1993 م.

32- السنة، لابن أبي عاصم الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

33- سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسى البابي الحلبي.

34- شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى، لعبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة، تحقيق: جمال عزون، مكتبة العمرين العلمية ـ الشارقة/ الإمارات، الطبعة: الأولى، 1420هـ/ 1999 م.

35- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية ــ القاهرة، الطبعة: الأولى، 1424هـ ـ 2003م.

36- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة ـ الرياض)، الطبعة: الأولى، 1417 هـ ـ 1997 م.

37- شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض الْمُسَمَّى إِكْمَالُ الْمُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ ـ 1998 م.

38- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محب الدين النُّوَيْري، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ ـ 2003 م.

39- الشريعة، لمحمد بن الحسين الآجُرِّيُّ، تحقيق: د. عبد الله الدميجي، دار الوطن ـ الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، 1420 هـ ـ 1999 م.

40- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: د حسين العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر (بيروت ـ لبنان)، دار الفكر (دمشق ـ سورية)، الطبعة: الأولى، 1420 هـ ـ 1999 م.

41- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ ـ 1987 م.

42- صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر ﷺ، محمد بن صامل السُّلَميُّ، وآخرون، مكتبة روائع المملكة ـ جدة، الطبعة: الأولى، 1431 هـ ـ 2010 م.

43- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

44- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

45- العظمة، لأبِي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة ـ الرياض، الطبعة: الأولى، 1408هـ.

46- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العينى، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

47- العميد في علم التجويد، لمحمود علي بسه، تحقيق: محمد الصادق قمحاوى، دار العقيدة – الإسكندرية، الطبعة: الأولى، 1425 هـ ـ 2004 م.

48- غيث النفع في القراءات السبع، للصفاقسي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، تحقيق: أحمد ي الحفيان، الطبعة: الأولى، 1425 هـ ـ 2004 م.

49- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد عبد الباقي، دار المعرفة ـ بيروت، 1379هـ.

50- القول السديد في علم التجويد، لعلى الله بن علي أبو الوفا، دار الوفاء ـ المنصورة، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ ـ 2003 م.

51- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، مكتبة الرشد ـ السعودية ـ الرياض، الطبعة: الخامسة، 1414هـ ـ 1994م.

52- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
53- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة: الأولى، 1409هـ.
54- الكنز في القراءات العشر، لعبد الله بن عبد المؤمن الواسطيّ المقرئ، تحقيق: د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة، الطبعة: الأولى، 1425 هـ ـ 2004 م.
55- كيف تحفظ القرآن للشيخ محمد محمود عبد الله ، مكتبة القدس، الطبعة الأولى، 1416هـ 1996م.
56- كيف تقرأ القرآن الكريم برواية الإمام قالون عن نافع المدني، للمختار المقروش، نشر: فاليتا- مالطا، الطبعة: 2001م.
57- لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى ـ 1415 هـ.
58- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت،الطبعة: الثالثة1414هـ.
59- مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة 1421هـ ـ 2000م.
60- متن القصيدة النونية = الكافية الشافية، لابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1417هـ.

61- المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري، لمحمد بن عمر ابن السفيري، تحقيق: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، 1425 هـ ـ 2004 م.

62- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ ـ 1994 م.

63- المدخل لدراسة القرآن الكريم، د. محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، مكتبه السنة ـ القاهرة، الطبعة: الثانية، 1423 هـ ـ 2003 م.

64- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن (سلطان) محمد، الملا القاري، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ ـ 2002م.

65- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ ـ 2001م.

66- مسند البزار (البحر الزخار)، للبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).

67- المصباح المنير، للفيومي، المكتبة العلمية ـ بيروت.

68- معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولى 1408 هـ ـ 1988 م.

69- معجم ابن الأعرابي، لأحمد بن محمد بن الأعرابي، تحقيق: عبد المحسن الحسيني، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1418 هـ ـ 1997 م.
70- المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين ـ القاهرة.
71- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ ـ 1979م.
72- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الثالثة ـ 1420 هـ.
73- مقدمات في علم القراءات، لمحمد القضاة، وآخرون، دار عمار ـ عمان (الأردن)، الطبعة: الأولى، 1422 هـ ـ 2001 م.
74- ملخص أحكام التجويد، للدكتور شعبان محمد إسماعيل، مكتبة نصير، الطبعة الأولى، 1406هـ ـ 1986م.
75- المناظرة في القرآن (حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة) لابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله يوسف الجديع، مكتبة الرشد ـ الرياض، الطبعة: الأولى، 1409هـ.
76- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني، نشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الثالثة.
77- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1420هـ ـ1999م.

78- المنح الفكرية لملا علي القارئ، نشر مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
79- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تحقيق : علي محمد الضباع، نشر المطبعة التجارية الكبرى ، تصوير دار الكتاب العلمية.
80- النكت والعيون، للماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.
81- نهاية القول المفيد لمحمد مكي نصر، راجعه الشيخ علي محمد الضباع، نشر مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1349هـ.
82- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوى ـ محمود الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت، 1399هـ ـ 1979م.

المنهج النبوي في تلقي ألفاظ القرءان الكريم وتعاهده

د. محمد مصطفى أحمد شعيب
رئيس قسم البحوث والمناهج
بالهيئة العالمية لتحفيظ القرءان بجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

إنه لشرف لي أن أشارك في هذا المؤتمر العالمي الثاني للقراءات القرآنية، والذي يقيمه مركز الإمام أبي عمرو الداني للدراسات القرآنية المتخصصة، بالرابطة المحمدية للعلماء، بمدينة مراكش – المملكة المغربية.

أهمية البحث:

وقد أجاد الإخوة المشرفون على هذا المؤتمر المبارك عندما جعلوا عنوانه (التلقي القرآني في العهد النبوي؛أنماط ومآلات)، ذلك أن تلقي القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام أول الأمر – ثم تلقي الصحابة الكرام رضوان الله عليهم للقرآن عن النبي ﷺ، وهكذا تلقي كل خلف عن سلفهم – هو أصل التعليم القرآني وأساسه، وبدون التلقي والمشافهة ليس ثمة تعليم قرآني أصلاً، وهذا يؤكد أهمية هذا العنوان، وأهمية تدارس محاوره، لاسيما والموضوع يتحدث عن أصل التلقي ومصدره، وهو تلقي النبي ﷺ للقرآن من جبريل عليه السلام، وهو أصل الإسلام وأساسه، وهو المرجع الجامع لعلم التجويد والقراءات.

ومما يزيد من أهمية الموضوع: هذا الكم الهائل من البرامج التقنية في تعليم القرآن الكريم، وظن البعض أنه يمكنه الاستغناء بهذه البرامج والأجهزة الحديثة عن المشافهة والتلقي من القراء المجيدين، وليس ذلك بصواب، فالقرآن لا بد فيه من التلقي عن الشيخ، والسماع والعرض والمشافهة، وبدون ذلك لا يمكن أن يحصل إتقانٌ لتلاوة القرآن.

ويسعدني أن تكون مشاركتي في هذا المؤتمر، من خلال المحور الأول: (تلقي النبي ﷺ ألفاظَ القرآن الكريم)، وستكون ورقة بحثي بمشيئة الله تعالى بعنوان: (المنهج النبوي في تلقي ألفاظ القرآن الكريم وتعاهده) .

أهداف البحث: تتجلى أهدافه هذا البحث وتظهر في ما يلي:

1- بيان كيفية وصول القرآن – المصدر الأول للشريعة الإسلامية – وتلقي النبي ﷺ له من جبريل عليه السلام .

2- التأكيد على أن التلقي والمشافهة أهم خصائص القرآن الكريم.

3- الوقوف على منهج النبي ﷺ في تلقي ألفاظ القرآن الكريم، ومن ثمَّ تقويم وتسديد المناهج السائدة اليوم في تلقي القرآن وتعلمه وتعليمه.

4- العيش مع قضايا علم التجويد والتلاوة في سيرتها الأولى، وصورتها الصافية، في العهد النبوي الشريف؛ قبل حدوث الأقوال، ونشوء الاختلافات.

5- بيان حفظ الله جل وعلا لكتابه، ودقة نقل ألفاظ القرآن الكريم، وعدم طروء أي تطورٍ مخالفٍ لما كان عليه الأمر في زمن النبي ﷺ.

خطة البحث

سأتناول بإذن الله تعالى هذا البحث من خلال مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

الفصل الأول

التلقي والمشافهة في تعلم القرآن

المبحث الأول: معنى التلقي لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: أهمية التلقي والمشافهة في تعلم القرآن.

المبحث الثالث: أقوال العلماء في التلقي للقرآن والمشافهة به.

المبحث الرابع: طرق تلقي القرآن الكريم وأدائه.

الفصل الثاني:

تلقي النبي ﷺ لألفاظ القرآن الكريم

المبحث الأول: التلقي والمشافهة عن جبريل عليه السلام.

المبحث الثاني: التلقي النبوي للقرآن كان مجوَّداً مُرَتَّلاً.

المبحث الثالث: تدرج النبي ﷺ في تلقي القرآن وتعليمه.

المبحث الرابع: حكم وفوائد التدرج في تلقي القرآن الكريم.

المبحث الخامس: السلف والتدرج في تلقي القرآن الكريم.

الفصل الثالث :

حفظ القرآن الكريم واستظهاره

المبحث الأول: ماهية الحفظ ومقتضياته.

المبحث الثاني: حفظ النبي ﷺ للقرآن الكريم.

المبحث الثالث: الحث على حفظ القرآن الكريم واستظهاره.

المبحث الرابع: حكم حفظ القرآن.

المبحث الخامس: سهولة حفظ القرآن.

الفصل الرابع:

تعاهد القرآن أزمانه ومواطنه

المبحث الأول: أهمية تعاهد القرآن بالمراجعة والحث عليه.

المبحث الثاني: تعاهد النبي ﷺ للقرآن.

المبحث الثالث: مقدار ما يقرأ في ورد المراجعة.

الخاتمة، وفيها أهم نتائج الدراسة.

الفصل الأول: التلقي والمشافهة في تعلم القرآن[1]

المبحث الأول: معنى التلقي لغة واصطلاحا

التلقي لغةً: الاستقبال والأخذ، لأنه مأخوذ من لقيه لقاء ولُقَى ولُقِيّا بالضم والتشديد، وتلقاه: استقبله، وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾[2] أي: يأخذ بعضكم عن بعض، وجلس تلقاءه: أي: حذاءه[3].

قال القفال: أصل التلقي هو التعرض للقاء ثم يوضع في موضع الاستقبال للشيء الجائي، ثم يوضع موضع القبول والأخذ؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[4]، أي تلقنه، ويقال: تلقينا الحجاج أي: استقبلناهم، ويقال: تلقيت هذه الكلمة من فلان، أي: أخذتها منه[5].

---

(1) ما تناولته هنا هو بعض الجوانب المتعلقة بالتلقي وأهميته، وينظر مزيداً مما يتعلق بالتلقي مثل (فوائد التلقي على الشيوخ، وأضرار الاقتصار على المصحف أو الكتب في الطلب، وكيفية اختيار الشيخ، والأدب مع المصحف والشيخ جميعاً) ينظر في بيان كل ذلك: كتاب: «هكذا فلنحفظ القرآن» للمؤلف، ط3، الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم (ص 164-176).

(2) سورة النور: آية 15 .

(3) «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ- 1987م (6/ 2484)، و«تاج العروس من جواهر القاموس» للعلامة محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط دار الهداية (39/ 473).

(4) سورة النمل: آية 6 .

(5) «مفاتيح الغيب = التفسير الكبير» للإمام محمد بن عمر بن الحسن الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606 هـ) ط 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ (3/ 465).

وقال الرازيفي قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[1] أي: أخذها ووعاها واستقبلها بالقبول[2].

وهذه المعاني من التلقي والأخذ والاستقبال والقبول والتلقُّن كلها تعرب عن معنى واحد، وهو الوسيلة الشفوية التي كان يتم بها الاتصال بمصدر الوحي، والمشافهة تتضمن معنى التلقي، إلا أنها أخص منه من جهة الدلالة على كيفية التلقي والأخذ؛ قال الإمام ابن منظور: «شافهه: أدنى شفته من شفته فكلَّمه، وكلَّمه مشافهةً... وقال الجوهري: المشافهة المخاطبة من فيك إلى فيه»[3].

وعلى هذا **فالتلقي اصطلاحاًا** يخرج عن المعنى اللغوي، ويمكن تعريفه بأنه:

إقبال الطالب على شيخه–المقرئ – وأخذ القرآن عنه مشافهة.

أو: استماع الطالب إلى تلاوة شيخه ووعيها بغية استظهارها بمثل ما تُلِيَت عليه.

المبحث الثاني: أهمية التلقي والمشافهة في تعلم القرآن

القرآن الكريم كلام الله جل وعلا، المعجز في رسمه ونظمه، المنزل على نبينا محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته،المتحدَّى بأقصر سورة منه[4].

---

(1) سورة البقرة: آية 37.

(2) «التفسير الكبير» (3/ 465).

(3) «»لسان العرب»للإمام محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، ط3، دار صادر، بيروت 1414هـ (13/ 507)

(4) انظر:«مناهل العرفان في علوم القرآن» للعلامة محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ)، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه (1/ 19).

هذا تعريف القرآن الكريم، وهو يشتمل على بعض الخصائص العظمى التي امتاز بها القرآن الكريم –وقد امتاز بكثير سواها– وهي توجب علينا تلقيه بالمشافهة الموصولة بالحضرة النبوية، حتى نحافظ على هذه الخصائص الفريدة لكتاب الله جل وعلا .

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[1].

فالروح الأمين، جبريل عليه السلام؛ تلقاه عن الله تعالى، ثم تلقّاه النبيﷺعن أمين السماء بالعرض عليه عقب السماع منه[2]،ثم تلقاه الصحابة الكرام –رضوان الله عليهم– عن النبي ﷺ، سماعاً منه، وقراءة عليه، وكتابة للقرآن بين يديه ﷺ[3].

---

(1) سورة الشعراء: الآيات192– 195.

(2) لما رواه البخاري (7524) (9/ 153) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾[القيامة: 16]؛ «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه = صحيح البخاري» للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) 1422هـ، ومسلم (448) (1/ 330) كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: «فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما أقرأه»؛ « صحيح مسلم» للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ولا تكون قراءة النبيﷺمطابقة لقراءة جبريل عليه السلام إلا بالعرض عليه، وهو ما يفهم من لفظ (أقرأه)، ويقتضيه حديث المدارسة في رمضان. وسيأتي مزيد بيان لذلك في مبحث: التلقي والمشافهة عن جبريل عليه السلام (ص19).

(3) أكثر الصحابة الكرام تلقوا القرآن سماعاً من النبي ﷺ، ومنهم من جمع بين السماع منه ﷺوالقراءة عليه، وبعضهم جمع بين السماع والقراءة والكتابة بين يدي النبي ﷺ، وهم كتبة الوحي، وعلى رأسهم سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه .

وهذا التلقي كان له بالغ الأثر في حفظ النص القرآني من التبديل والتحريف، تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، فالمحافظة على المشافهة وضبط التلقي للقرآن وحفظه في صدور المتلقين له كما تلقوه، من أعظم وسائل حفظه، كما قال جل وعلا: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾[2]، وقال جل وعلا: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[3]، ولأجل ذلك كان يؤكِّد النبي ﷺ على ضرورة التقيد والالتزام بقضية التلقي والمشافهة، وأن يلتزم القارئ الطريقة التي سمعها وتلقاها وتعلمها من غير تغيير ولا تبديل، ففي مسند الإمام أحمد وغيره عن علي رضي الله عنه قال: «إنَّ رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرءوا كما عُلِّمتم»[4].

وفي الصحيحين وغيرهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأُبيِّ بن كعب**»[5].

---

(1) سورة الحجر: آية 9.

(2) سورة العنكبوت: آية 49.

(3) سورة فاطر: آية 32.

(4) رواه أحمد في (المسند) (832) (2/ 199) ط1، الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، 1421هـ- 2001م، وابن حبان في صحيحه (746) (3/ 21) ط2، الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، 1414هـ- 1993م، وقال محققو المسند: «إسناده حسن، عاصم- وهو ابن أبي النجود- حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين»، وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط أيضاً.

(5) رواه البخاري (4999)(6/ 186) كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ؛ ومسلم (2464) (4/ 1913) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله تعالى عنهما.

وممن حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ، وأُخِذَ عنهم عرضاً، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبيُّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وزيد ابن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وأبو الدرداء، قال الإمام الذهبي: «وقد جمع القرآن غيرُهم من الصحابة كمعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي زيد، وغيرهم كثير، ولكن لَمْ يتصل بنا قراءتهم».«معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار» للإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: 748هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، 1417هـ- 1997م (ص 20).

وفي الحديث إشارة إلى تحرِّي الضابطين من أهل القرآن للأخذ عنهم والتلقي منهم، فهذا القرآن لا يؤخذ من كل أحد، وفيه إشارة إلى محبة أهل القرآن، الحافظين والمتقنين على وجه الخصوص.

وقوله: »**خذوا القرآن من أربعة**« ليس على وجه الحصر، وإنما خصَّ هؤلاء الأربعة بالذكر تقديماً لهم على غيرهم في وقت صدور الحديث منه عليه الصَّلاة والسَّلام، وهذا لا يمنع أن يوجد بعدهم مَنْ هم مثلهم أو أقرأ منهم .

وهكذا تعلَّم الصحابة ومَنْ بَعدهم إلى وقتنا هذا، أخذ كل خلف عن سلفِه هذا القرآن مشافهةً، بالعرض والسماع.

عن شقيق بن سلمة، قال: خطبنا عبد الله بن مسعود فقال: «والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم»، قال شقيق: فجلست في الحِلَق أسمع ما يقولون، فما سمعت راداً يقول غير ذلك[1] .

وفي رواية عنه: «لقد قرأت على رسول الله بضعاً وسبعين سورة وقد علم أصحاب رسول الله أني أعلمهم بكتاب الله ولو أعلم أن أحداً أعلم به مني لرحلت إليه». قال شقيق: فجلست في حِلَقِ أصحاب رسول الله فما سمعت أحداً يعيب ذلك ولا يردُّه[2].

---

(1)رواه البخاري (5000)(6/ 186) كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبيﷺ؛، ومسلم (2462) (4/ 1912) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله تعالى عنهما.

(2) فضائل القرآن، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، تحقيق:د. فاروق حمادة، ط2، دار إحياء العلوم، ودار الثقافة، بيروت، والدار البيضاء، 1413هـ - 1992م (ص 76، 77) برقم (22).

وأخذ بقية سور القرآن الكريم ممن تلقاها عن النبي ﷺ من الصحابة رضوان الله عليهم[1].

ولإدراك ابن مسعود ﷺ لأهمية التلقي والمشافهة كان إذا سُئِلَ عن سورة لم يأخذها مِن فِي رسول الله ﷺ صرح لهم بذلك، وأخبرهم بمن تلقاها مشافهة عن النبي ﷺ؛ فعن معد يكرب قال:»أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ علينا ﴿طسٓمٓ﴾[2] المئتين، فقال: ما هي معي، ولكن عليكم مَنْ أخذها من رسول الله ﷺ: خباب بن الأرت، قال: فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا»[3].

وبوَّب الرازي في كتابه «فضائل القرآن وتلاوته» بقوله: (باب في عرض معاذ رحمة الله عليه القرآن على النبي ﷺ، ثم روى بسنده عن عطاء بن ميسرة، قال: قال معاذ بن جبل ﷺ: عرضت على النبي ﷺ القرآن فقرأت قراءةً سَفْرَاً، وقال:«**هكذا فاقرأ يا معاذ**»، وبإسناده، قال عطاء بن ميسرة: سَفَرْتَهَا هَذَذْتَهَا)[4].

وعن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال النبى ﷺ لأُبَيّ: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾**[5]» قال: وسماني؟ قال:«**نعم**» فبكى[6].

---

(1) انظر: «فتح الباري» (9/ 48) .

(2) سورة الشعراء: آية ١.

(3) رواه أحمد في «المسند» (3980) (7/ 87)، وقال الشيخ أحمد شاكر- في تحقيقه للمسند (4/ 106) -: «إسناده صحيح».

(4) فضائل القرآن وتلاوته للرازي، للإمام أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي المقرىء (المتوفى: 454هـ)، تحقيق: د عامر حسن صبري، ط 1، 1415هـ- 1994م (ص 58، 59) برقم (14).

(5) سورة البينة: آية 1.

(6) رواه البخاري (3809) (5/ 36) كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أبي بن كعب ﷺ، ومسلم (799) (4/ 1915)كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بن كعب، وجماعة من الأنصار رضي الله تعالى عنهم. وقوله ﷺ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: السورة التي تبدأ بهذه الجملة وهي سورة البينة، وقوله: (وسماني) هل نصَّ علي باسمي، وقوله: (فبكى) منشدة الفرح والسرور، وقيل:خوفا من تقصيره في شكر هذه النعمة.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام – رحمه الله –: «معنى هذا الحديث عندنا أن رسول الله ﷺ إنما أراد بذلك العرض على أُبيّ أن يتعلم منه القراءة، ويستثبت فيها، وليكون عرض القرآن سنة، وليس هذا على أن يستذكر النبي ﷺ منه شيئاً بذلك العرض»[1].

وقال الإمام ابن الجزري – رحمه الله – في ترجمة أبي بن كعب ﷺ: «سيد القراء بالاستحقاق، وأقرأ هذه الأمة على الإطلاق، قرأ على النبي ﷺ القرآن العظيم، وقرأ عليه النبي ﷺ بعض القرآن للإرشاد والتعليم»[2].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليّ**»، قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك، وعليك أنزل، قال: «**نعم**»، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية:

---

(1) «فضائل القرآن» للإمام أبي عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ)، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، ط1، دار ابن كثير (دمشق – بيروت)، 1415هـ-1995م (ص 358).

وينبغي أن ننتبه هنا إلى أن قراءته عليه الصلاة والسلام لما قرأه على أُبيٍّ بن كعب ﷺمن القرآن ليس فيه من الجديد الذي يلفت النظر إلا نزول الأمر به من عند الله بخصوص أبيّ بن كعب دون غيره، ومن تأمله وجد فيه ذلك المعنى الخاص الذي نبه عليه أبو عبيد، وهو (أن يكون عرض القرآن سنة) بمعنى أن يحذو كل قارئ حذو رسول الله ﷺ في العرض على مقرئ أو أكثر، حتى تستكمل الرواية جانبي الكمال والوفاء، وذلك بقراءة المقرئ على القارئ تلقيناً له وتعليماً، وقراءة القارئ على المقرئ عرضاً وتثبتاً وتحقيقاً وتوثيقاً، وإلا فلا خصوصية لأُبيّ في قراءة النبي ﷺ عليه القرآن أو ما أمر أن يقرأه عليه، فقد قرأ النبي القرآن على عدد لا يحصى من الصحابة، أي: أنه أسمعهم إياه، وأملاه على كتاب الوحي، وفيهم عثمان، وعلي، وزيد بن ثابت، وغيرهم.

(2)«غاية النهاية في طبقات القراء» للإمام شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، ط مكتبة ابن تيمية (1/ 31) .

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[1]، قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان[2].

بل إنَّ التلقي والمشافهة في تعلم وتعليم القرآن هو ما قامت عليه دولة الإسلام الأولى في عهد النَّبيِّ ﷺ؛ فقد رَوَى البخاريُّ في صحيحه عن البراء بن عازب ﷺ قال: «أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺمصعب بن عمير، وابن أم مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن»[3]... الحديث.

وحين فتح النبي ﷺ مكة خَلَّفَ على أهلها عَتَّابَ بْنَ أَسِيدٍ لِيُعَلِّمَ الناس القرآن[4].

وقد اقتدى بسنته من بعده الخلفاءُ الراشدون؛ لاسيما عثمان بن عفان ﷺ، فإنه حين بعث المصاحف إلى الآفاق أرسل مع كل مصحف قارئاً ليعلم الناس القراءة الصحيحة[5].

وهذا يؤكِّد على أن الأمر في القراءة يقوم على التلقي ولا مجال للاجتهاد، فلو كانت القراءة تصح من المصحف مباشرة بلا تلقي، لما أرسل عثمان بن عفانﷺ- حينما بعث المصاحف إلى الآفاق –قارئاً مع كل مصحف، ليعلمهم القراءة ويلقنهم إياها.

وهذا هو الواجب الآن، أن نأخذ القرآن مشافهةً من القُرَّاء المتقنين، والحفاظ المجيدين، وأن نصحِّح عليهم، وأن لا يعتمد القارئ على نفسه في قراءة القرآن، حتى

---

(1) سورة النساء: آية 41.

(2) رواه البخاري (5050) (6/ 196)كتاب فضائل القرآن، باب قول القارئ للمقرئ: حسبك.

(3) رواه البخاري (4941) (6/ 168) كتاب تفسير القرآن، سورة سبح اسم ربك الأعلى.

(4) انظر: «خصائص القرآن الكريم» للدكتور فهد الرومي(ص 169).

(5) انظر: «مناهل العرفان في علوم القرآن» (1/ 413).

ولو كان مُلِمّاً باللغة العربية، عليماً بقواعدها، وذلك لأن في القرآن آيات كثيرة قد تأتي على خلاف المشهور من قواعد العربية.

وإذا كان النَّبيُّ ﷺ - وهو أفصح مَنْ نطق بالضاد - عُلِّم القراءة تعليماً، وتلقَّاهَا مُشَافهةً وتلقيناً من جبريلَ عليه السَّلام؛ عرضاً وسماعاً.

وإذا كان أصحابه رضوان الله عليهم -وهم أفصح الأمة بعد رسولها- وهم عربٌ أقحاح، أُمِروا بتلقِّي القرآن وتَعَلُّمه من أفواه القراء المتقنين، ولم يُرخَّص لهم في أن يقرأ كل منهم حسب ما يتيسر على لسانه، فغيرهم من باب أولى[1].

فالتلقي ثابت في حق الأمة كلها، يأخذه الخلف عن السلف، حتى يصل السند إلى أعلاه، إلى النبي ﷺ، فهو معلم الأمة ومزكِّيها؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2]، أي: يُعلِّم الصحابة ويُعلِّم آخرين من الأميين لما يلحقوا بهم إلى يوم الدين، فكما تلقّى الصحابة يتلقى من جاء بعدهم؛ ليحصل العلم، ويخشع القلب، وتستقيم الجوارح، ومن قام بذلك التلقي كما أراده الله، وحصَّل هذا القرآن كما أنزله الله جل وعلا، فهو ممن تفضل الله عليهم وأكرمهم، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

ومما يدل على أهمية التلقي والمشافهة في تعلم القرآن وتعليمه - إضافة إلى ما سبق -:

---

(1) وانظر: «سنن القراء ومناهج المجودين» د عبد العزيز الفتاح القاري، ط. مكتبة الدار. المدينة النبوية (ص45 – 49، 110 – 119)، فهو مهمّ في هذا الباب، وقد ذكر فيه حكم تجويد القرآن فأفاد وأجاد، جزاه الله خيراً.

(2) سورة الجمعة: الآيات 2 – 4.

* أَنَّ هناك كلمات قرآنية يختلف نطقها عن الطريقة التي رُسمت بها في المصحف الشريف، كما هو الحال في بعض فواتح السور، كقوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[1]، و﴿الٓمٓصٓ﴾[2]، و﴿الٓمٓرٰ﴾[3]، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾[4]، ومثل زيادة بعض الحروف في الرسم وعدم نطقها عند التلاوة، كالواو في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ﴾[5]، وغير ذلك كثير مما بينته كتب الرسم والضبط لآيات القرآن الكريم، ولا يمكن ضبط ذلك ومعرفته إلا من خلال التلقي والمشافهة.

* أَنَّ معظم أحكام التجويد لا يمكن إتقانها وإحكامها إلا بالتلقي والمشافهة، كالمد، والقصر، والتفخيم، والترقيق، والإظهار، والإدغام، والإخفاء، والإقلاب، والروم والإشمام، والإبدال والاختلاس،وغير ذلك من أحكام التجويد وضوابط القراءة المعروفة والمدونة في كتب التجويد.

ولأجل كل ما تقدم في بيان أهمية التلقي والمشافهة في تعليم وتعلم القرآن -وهو غيض من فيض-؛ أصبح تلقي القرآن مشافهة من أفواه المشايخ قاعدة متبعة، ولا يعتد بالأخذ من المصاحف المكتوبة دون معلم، لما يقع في ذلك من اللحن والتصحيف، فيغير المعنى المراد.

---

(1) سورة مريم: آية 1.
(2) سورة الأعراف: آية 1.
(3) سورة الرعد: آية 1.
(4) سورة الشورى: الآيات 2،1.
(5) سورة المائدة: آية 33.

قال أبو زيد اللغوي: «قلت لأبي عمرو: أكلَّما أخذته وقرأت به سمعته؟ قال: لو لم أسمعه لم أقرأ به، لأنَّ القراءة سنة»[1].

وقال الإمام أبو بكر بن مجاهد البغدادي: «والقراءة التي عليها الناس بالمدينة، ومكة، والكوفة، والبصرة، والشام، هي القراءة التي تلقوها عن أوليهم تلقياً، وقام بها في كل مصر من هذه الأمصار رجلٌ ممن أخذ عن التابعين، أجمعت الخاصة والعامة على قراءته، وسلكوا فيها طريقه، وتمسكوا بمذهبه، على ما رُوي عن عمر بن الخطاب ﷺ، وزيد بن ثابت، وعروة بن الزبير، ومحمد بن المنكدر، وعمر بن عبدالعزيز،وعامر الشعبي»[2].

وتقدم بيان أن النَّبيّ ﷺ – وهو أفصح الخلقِ –تلقى القرآن من جبريلَ مشافهةً، وجبريلُ تلقاه من الله تبارك وتعالى، فسلسلة السماع تنتهي إلى مقام الإلهية، فما أعظمَها من سلسلة.

وممن ساق إسناده منوِّهاً بهذه الفضيلة العظيمة، وهذا الشرف في اتصال سنده بالحضرة الإلهية: الحافظُ الذَّهبيُّ، حيث ساق إسنادَه برواية حفص بن سليمان الكوفي، وذلك في كتابه (معرفة القراء)، فانتهى به إلى رب العالمين، جل وعلا.

---

(1) «محاضرات في علوم القرآن» لغانم بن قدوري الناصري التكريتي، ط1، دار عمار، عمان، 1423هـ-2003م (ص 136)، وعزاه لـ مكي، في التبصرة (ص 235).

(2) «كتاب السبعة في القراءات» للإمام أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: 324هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر، 1400هـ (ص 49).

وهذا هو معنى قول الجزري في المقدمة:

والأخـذ بالتجويـد حـتمٌ لازمُ ... مـن لم يُجـوِّد القـرآن آثـمُ
لأنـه بـه الإلـهُ أَنْـزلا ... وهكـذا منـه إلينـا وصـلا

ولأجل ما تقدم ذكرُه قال سلفنا الصالح: «لا تأخذوا العلم عن صُحُفيٍّ، ولا القرآن من مُصْحَفيٍّ»[1].

المبحث الثالث: أقوال العلماء في التلقي للقرآن والمشافهة به

بناء على ما تقدم في المباحث السابقة، أفتى العلماء العاملون بوجوب تلقي القرآن مشافهة عليشيخ متقن، وعدم جواز أخذ القرآن الكريم بدون معلم، وها هي بعض أقوالهم في هذا السبب:

قال الإمام الحسين بن مسعود البغوي- رحمه الله -: «إن الناس كما أنهم متعبدون باتباع أحكام القرآن وحفظ حدوده، فهم متعبدون بتلاوته وحفظ حروفه على سنن خط المصحف الإمام الذي اتفقت عليه الصحابة، وأن لا يجاوزوا فيما يوافق الخط عم

(1) «الجرح والتعديل» للإمام عبد الرحمن بن محمد الرازي، ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1271هـ- 1952م (2/ 31)، و«تصحيفات المحدثين» للإمام الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري (المتوفى: 382هـ)، تحقيق: محمود أحمد ميرة، ط1، 1402هـ (1/ 7).

والصُحُفي: هو الذي تعلم مِنَ الصحف والكتب وحدها دون الرجوع إلى العلماء والتلقي عنهم.

وهكذا مُصْحَفِي: أي: أخذ القرآن من المصحف بنفسه دون المراجعة على قارئ مُتقن.

اقرأ بـه القـراء المعروفـون الـذين خلفـوا الصـحابة والتـابعين، واتفقـت الأئمـة عـلى اختيارهـم»[1].

وقال الإمام ابن الجزري – رحمه الله–: (ولاشك أن الأمة كـما هـم متعبـدون بفهـم معاني القرآن، وإقامة حدوده، متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفـه، عـلى الصـفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرهـا، والنـاس في ذلـك بـين محسـن مـأجور، ومسيء آثـم، أو معذور، فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح العربي الفصيح، وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمي، أو النبطِيِّ القبيح، استغناءً بنفسه، واستبداداً برأيه وحدسه، واتكالاً على ما ألف من حفظه، واستكباراً عن الرجـوع إلى عـالم يوقفـه عـلى صـحيح لفظه، فإنه مقصـر بلا شك، وآثم بلا ريب، وغاش بلا مريـة، فقـد قـال رسـول الله ﷺ وسلم: «الدين النصيحة؛ لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[2] أما من كان لا يطاوعه لسانه، أو لا يجد من يهديه إلى الصواب بيانه، فإن الله لا يكلف نفسـاً إلا وسعها، ولهذا أجمع من نعلمه من العلماء على أنه لا تصح صلاة قارئ خلف أمي، وهو من لا يحسن القراءة)[3].

---

(1) «تفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن» للإمام محيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510 هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ- 1997م (1/ 37).

(2)رواه مسلم (55) (1/ 74) كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، من حديث تميم الداري.

(3) «النشر في القراءات العشر « للإمام شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمـد بـن يوسـف (المتـوفى: 833 هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (المتـوفى 1380هـ)، ط المطبعـة التجاريـة الكـبرى، تصـوير دار الكتـاب العلمية (1/ 210، 211).

وقال الإمام ابن الجزري- أيضاً - في تعريفه للمقرئ: «والمقرئ العالم بها- أي بالقراءات ورواها مشافهة، فلو حفظ «التيسير» - كتاب في القراءات لأبي عمرو الداني- مثلاً ليس له أن يقرأ بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلاً، لأنَّ في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة»[1].

وقال الشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني- الشهير بالحداد – شيخ القرَّاء والمقارئ بالديار المصرية سابقاً- رحمه الله تعالى - بعدما ذكر فرضية التجويد وساق الأدلة عليه، وبين أن كيفية الأداء والنطق بالقرآن على الصفة التي نزل بها، متوقفة على التلقي والأخذ بالسماع من أفواه المشايخ الآخذين لها، كذلك المتصل سندهم بالحضرة النبوية، لأن القارئ لا يمكن معرفة الإدغام والإخفاء والتفخيم والترقيق والإمالة المحضة أو المتوسطة ...إلخ إلا بالسماع والإسماع حتى يمكنه أن يحترز عن اللحن والخطأ، وتقع القراءة المعتبرة شرعاً.

قال - رحمه الله -: «إذا علمت ذلك، تبين لك أن التلقي المذكور واجب؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما هو معلوم، ولأن صحة السند عن النبي ﷺ عن روح القدس عن الله العزيز عز وجل بالصفة المتواترة أمر ضروري للكتاب العزيز الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2]، ليتحقق بذلك دوام ما وعد به تعالى في قوله جل ذكره: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[3]، وحينئذ فأخذ القرآن من المصحف بدون معلم لا يكفي بل لا يجوز ولو كان المصحف مضبوطاً،

(1) «منجد المقرئين ومرشد الطالبين» للإمام شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، ط 1، دار الكتب العلمية، 1420هـ-1999م (ص 9).

(2) سورة فصلت: آية 42.

(3) سورة الحجر: آية 9.

فالحاصل أنه لابد من التلقي من أفواه المشايخ الضابطين المتقنين على ما تقدم، ولا يعتد بالأخذ من المصاحف بدون معلم أصلاً، ولا قائل بذلك، ومرتكبه لاحظ له في الدين؛ لتركه الواجب، وارتكابه المحرم هذا محصل ما كتبه في هذا الموضوع من فطاحل الأئمة ممن يوثق بقولهم، ومن جهابذة الأمة ممن يؤخذ برأيهم في المعقول يرجع إليهم،وفي المنقول يعتمد عليهم؛ لذا قيل:

مَنْ يَأْخُذِ الْعِلْمَ عَنْ شَيْخٍ مُشَافَهَةً ... يَكُنْ عَنِ الزَّيْغِ وَالتَّصْحِيفِ فِي حَرَمِ

وَمَنْ يَكُ آخِذًا لِلْعِلْمِ مِنْ صُحُفٍ ... فَعِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ كَالْعَدَمِ»[1]

المبحث الرابع: طرق تلقي القرآن الكريم وأدائه

تلقي القرآن الكريم وأداؤه له طرق في التلقي والأداء، وهذه الطرق لا تخرج عن أربعة، وهي:

الطريقة الأولى:التلقين، وهو التفهيم، يقال: لَقِنْتُ الكلام بالكسر: فهِمته، لَقَناً، كالتفهيم، وغلامٌ لَقِنٌ: سريع الفهم[2]، وتكون بالسماع من الشيخ، ثم العرض عليه؛ ليؤدِّي مثلَ ما سَمِع.

---

(1)ينظر: «القول السديد في بيان حكم التجويد،» للشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني، طبعة مصطفى مصطفى بابي الحلبي، القاهرة (ص9) وما بعدها.

(2) «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (6/ 2196)، و«معجم مقاييس اللغة» للإمام أحمد بن فارس بن بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر، 1399هـ- 1979م (5/ 260).

وتُسمى هذه الطريقة: (روايةً وتـلاوةً)، أو (روايـةً وعرضـاً) أو (تلقينـاً)؛ أن يقـرأ المعلِّمُ الآية أو جزءاً منها- ويكرر ما قرأه عند الحاجة-، ثم يستمع المعلم من الطالـب ما قرأه عليه، فيقرّه أو يعاود التلقي حتى يتقن مـا سـمعه، وهكـذا إلى نهايـة مـا يقـرره المعلم للطالب، وفي هذه الحالة يلاحظ المعلم تطبيق جميـع أحكـام الـتلاوة مـع حسـن الأداء، والوقف والابتداء، وهذه الطريقة أفضل الطرق في تلقي القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه، لكمال الضبط فيها، ولمراعاة حالة المتلقي، وكمال الأخذ من الشيخ والإصغاء إليه.

وهذه الطريقة هي التي كان جبريل عليه السلام ينتهجها مع الرسول ﷺ، كما سوف يأتي بيانه قريباً بإذن الله تعالى[1].

وقد كان من السلف طائفة قعدوا لتلقين القرآن ولتعليمه، وكان منهم طائفـة تلقـوا القرآن بالتلقين، ومنهم: قالون، أحد الرواة عن القراء السـبعة، فقـد أخـذ قـراءة نـافع تلقيناً.

ومنهم: أبو بكر بن عياش أخذ القراءة من عاصم بن أبي النجود تلقيناً، قال أبو بكر بن عياش: «إنما تعلمت من عاصم كما يتعلم الصبى من المعلم»، وقال: «تعلمت القرآن من عاصم خمساً خمساً، ولم أتعلم من غيره، ولا قرأت على غيره»[2].

---

(1) انظر ما سيأتي في مبحث: التلقي والمشافهة عن جبريل عليه السلام (ص 18).

(2) جمال القراء وكمال الإقراء، للإمام علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبـو الحسـن، علم الدين السخاوي (المتوفى: 643هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة، و د. محسن خرابة، ط1، دار المـأمون للتراث، دمشق، بيروت، 1418هـ- 1997م (ص 562).

ويراعى في التلقين: التيسير على المتعلم، وألا يكلف من الآيات ما لا يطيق، وقد كان طائفة من السلف يلقنون القرآن خمس آيات في اليوم[1].

الطريقة الثانية: العرض على الشيخ، وهو أن يقرأ الطالب على شيخه القرآن الكريم، والشيخ يعي ما يسمع، ويصحح له ما يخطئ فيه أثناء العرض، وتُسمى هذه الطريقة: (عرضاً)، أو (تلاوةً).

وهي الطريقة الغالبة على القراء، ولا تتهيأ إلا لمن أتم حفظ ما يعرضه على الشيخ.

قال الإمام ابن الصلاح- رحمه الله-: «من أقسام الأخذ والتحمل: القراءة على الشيخ وأكثر المحدثين يسمونها عرضا من حيث إن القارئ يعرض على الشيخ ما يقرؤه كما يعرض القرآن على المقرئ»[2].

وقال الإمام السيوطي- رحمه الله -: «وأما القراءة على الشيخ فهي المستعملة سلفاً وخلفاً»[3].

---

(1)، سيأتي لهذا مزيد بيان في مبحث: تدرج النبي ﷺ في تلقي القرآن وتعليمه (ص 25)، ومبحث: السلف والتدرج في تلقي القرآن الكريم (ص 35).

(2) «التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح» للإمام زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (المتوفى: 806هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط1، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، 1389هـ-1969م (ص 168).

(3) «الإتقان في علوم القرآن» للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ- 1974م (1/ 343).

الطريقة الثالثة: السماع من الشيخ، وهو أن يسمع من شيخه القرآن دون أن يقرأ الطالب، وتسمى هذه الطريقة: (سماعاً)، أو (رواية)، وهذه الطريقة هي أضعف طرق التلقي، ولهذا لا يعتمد عليها القرَّاء في الإجازة ولا في التعليم.

قال الإمام السيوطي- رحمه الله -: «وأمَّا السماع من لفظ الشيخ فيحتمل أنْ يقال به هنا، لأن الصحابة رضي الله عنهم إنما أخذوا القرآن من النبي ﷺ، لكن لم يأخذ به أحد من القراء، والمنع فيه ظاهر، لأنَّ المقصود هنا كيفية الأداء، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته بخلاف الحديث فإن المقصود فيه المعنى أو اللفظ لا بالهيئات المعتبرة في أداء القرآن، وأما الصحابة فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه من النبيﷺلأنه نزل بلغتهم»[1].

ومع هذا فقد وجد من أئمة الإقراء من أخذ بهذا النوع من أنواع التلقي، ومنهم: الكسائي- رحمه الله -كان يقرأ الْقُرْآن على المنبر، والناس ينقطون مصاحفهم على قراءته.

قال خلف بن هشام بن غالب - رحمه الله -: «كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم»[2].

وقال ابن مجاهد- رحمه الله-:«كان الناس يأخذون عنه ألفاظه بقراءته عليهم»[3].

وقد يجوز أن يكون وقع الترخص في هذا النوع من أنواع التلقي لأجل الضرورة، وازدحام الناس على المقرئين، فقد ذكر الحافظ السيوطي أن شمس الدين ابن الجزري لما

---

(1) «الإتقان في علوم القرآن» (1/ 343، 244).

(2) «كتاب السبعة في القراءات» (ص 78).

(3) «معرفة القراء الكبار»(ص 73).

قدم القاهرة وازدحمت عليه الخلق لم يتسع وقته لقراءة الجميع، فكان يقرأ عليهم الآية ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة[1].

الطريقة الرابعة: قراءة الحروف، والمراد بها: تلقي الحروف المختلف فيها عن القرَّاء مُجَرَّدة عن التلاوة، وُيعبر عنها بـ (رواية الحروف)، و(سماع الحروف)، لأنها تكون بلفظ الطالب على الشيخ والعكس[2].

ورواية الحروف عن المقرئ دون القراءة عليه قليل جداً بين المقرئين، وقد يفعله بعضهم عند قراءة كتاب أو مصنف في الحروف، وغالب من ألف في علوم القرآن وذكر كيفية تحمله لم يذكر هذا الوجه من أوجه التلقي عند القراء، مع أن بعض المقرئين كان يأخذ به.

فقد ذكر غير واحد ممن ترجموا لأبي بكر بن عياش: أنه قطع الإقراء قبل وفاته بزمن، وأنَّ روايته لا ترد سماعاً من أجل ذلك، وإنما رواية للحروف من طريق يحيى بن آدم.

وقد جاء عن يحيى بن آدم بن سليمان– رحمه الله – أنه قال: سألت أبا بكر بن عياش عن هذه الحروف فحدثني بها كلها وقرأتها عليه حرفاً حرفاً، وقيدتها على ما حدثني بها، وأثبت جماعة قراءته عليه عرضاً، والأقل أثبت سماعاً، والله أعلم[3].

---

(1) «الإتقان في علوم القرآن» (1/ 344) .

(2) «مختصر العبارات لمعجم مصطلحات القراءات» لإبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، ط1، دار الحضارة للنشر، الرياض ،المملكة العربية السعودية، 1429هـ- 2008م (ص 96).

(3) «غاية النهاية في طبقات القراء» (2/ 363) .

وقد تلقى القراء رواية يحيى بن آدم عن أبي بكر بالقبول، مما يصحح هذا النوع من التلقي، لكن يمكن قصره على الحفاظ المتقنين، والله أعلم .

وقد أفادني الإخوة المحكمون لهذا البحث، من مشايخ الإقراء في بلاد المغرب، أن الاقتصار في التلقي على حروف الخلاف بغية السرعة في الانتهاء من الأخذ عن الشيخ، مما جرى العمل به في المغرب إلى وقت قريب، عند طلاب القراءات، ويسمونه بالاختبار، وهي قراءة المواضع التي تخالف فيها القراءة قراءة نافع، ولا تكون هذه الطريقة في التلقي إلا من المتقنين، وهناك نسخ في كل قراءة تسمى بنسخة الاختبار، تتضمن مواضع الخلاف فيها.

الفصل الثاني: تلقي النبي ﷺ لألفاظ القرآن الكريم

المبحث الأول: التلقي والسماع عن جبريل عليه السلام

كان جبريل عليه السلام يأتي بالوحي للنبي ﷺ، فيقرأ عليه الآيات التي نزل بها، فكان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك لسانه بقراءة القرآن قبل أن ينتهي جبريل من قراءتها، وذلك حرصاً منه ﷺ على حفظها وعدم نسيانها، فنهاه الله جل وعلا عن التعجل والإسراع في تكرار الآيات قبل أن ينتهي من سماعها كاملة، وطمأنه بأنه سبحانه سيجمع له القرآن ويثبته في صدره بمجرد سماعه له من مرة واحدة، فيحفظه فلا ينساه أبداً؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[3].

قال الإمام ابن كثير- رحمه الله تعالى-: «وقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ﴾[4]كقوله تعالى في سورة (لا أقسم بيوم القيامة): ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[5]، وثبت في

(1) سورة طه: آية 114.
(2) سورة القيامة: الآيات 16- 19.
(3) سورة الأعلى: آية 6 .
(4) سورة طه: آية 114.
(5) سورة القيامة: الآيات 16-19.

الصحيح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يعالج من الوحي شدة، فكان مما يحرك لسانه، فأنزل الله هذه الآية[1].

يعني: أنه عليه السلام كان إذا جاءه جبريل بالوحي، كلما قال جبريل آية قالها معه، من شدة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه؛ لئلا يشق عليه؛ فقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[2] أي: أن نجمعه في صدرك، ثم تقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئاً ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[3]، وقال في هذه الآية: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾[4] أي: بل أنصت، فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأه بعده»[5].

---

(1) رواه البخاري(1/ 8) (5) في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ؟، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة (448) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه – فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما، وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرك شفتيه – فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قال: فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ ثم إنَّ علينا أن تقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه.

ومعنى: (يعالج) من المعالجة وهي محاولة الشيء بمشقة، و(التنزيل) أي: تنزيل القرآن عليه. (وكان مما يحرك شفتيه) أي كانت الشدة من كثرة تحريكه شفتيه؛ خشية أن ينسى ما أوحي إليه.

(2) سورة القيامة: الآيات 16، 17.

(3) سورة القيامة: الآيات 18، 19.

(4) سورة طه: آية 114.

(5) «تفسير القرآن العظيم» للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط 2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ- 1999م (5/ 319).

وقال الحافظ ابن كثير- رحمه الله تعالى- في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ الخ الآيات[1]: «هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفَّل الله له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه عليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه، فالحالة الأولى: جمعه في صدره، والثانية: تلاوته، والثالثة: تفسيره وإيضاح معناه.

ولهذا قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ أي: بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[2]، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ أي: في صدرك، و ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي: أن تقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي: إذا تلاه الملك عن الله تعالى ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي: فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أي: بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا»[3].

وقد كان جبريل عليه السلام يعارض النبي ﷺ بالقرآن مرة كل سنة، وفي سنة وفاته عارضه القرآن مرتين، وذلك ليطمئن النبي ﷺ إلى ضبطه للقرآن، وحفظه له، وعدم نسيان شيء منه.

وقد بوب البخاري في صحيحه لذلك بقوله: (باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ؛ وقال مسروق: عن عائشة، عن فاطمة عليها السلام: أسرَّ إليَّ النبي ﷺ: «أنَّ

(1) سورة القيامة: الآيات 16- 19.
(2) سورة طه: آية 114.
(3) «تفسير ابن كثير» (8/ 286).

جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي»[1].

والمعارضة: هي المقابلة في القراءة عن ظهر قلب، وصفتها: أن يقرأ أحدهما، ويستمع الآخر.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «قوله: (باب كان جبريل يعرِض القرآن على النبي ﷺ) بكسر الراء من العَرْض- وهو بفتح العين وسكون الراء- أي: يقرأ، والمراد يستعرضه ما أقرأه إياه ...والمعارضة مفاعلة من الجانبين،كأن كلاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع»[2].

ومعارضة جبريل النبي ﷺ في السنة التي توفي فيها مرتين تُسمَّى (العرضة الأخيرة)، وهذه العرضة الأخيرة هي التي جمع عثمان بن عفان ﷺ الناس عليها؛ قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «روى أحمد، وابن أبي داود، والطبري من طريق عبيدة بن عمرو السلماني: أن الذي جمع عليه عثمان الناس يوافق العرضة الأخيرة»[3] .

---

(1) «صحيح البخاري» (6/ 186)، ورواه البخاري موصولاً في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (4/ 203) (3624)، كما رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبيﷺ (4/ 1904) (2450).

ومعنى «**حضر أجلي**» أي:قرب موتي.

(2) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» للإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى: 852 ه) ط دارالمعرفة - بيروت، 1379ه، بترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، وتصحيح: محب الدين الخطيب، وتعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (9/ 43).

(3) «فتح الباري» (9/ 44) .

والعرضات الأخرى- التي سبقت تلك العرضة الأخيرة - كانت في شهر رمضان من كل عام، فكان جبريل - عليه السلام - ينزل على النبي فيدارسه القرآن، فعن ابنعباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كلِّ ليلة من رمضان في دارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[1].

فهذه المعارضة الحاصلة بين النبي ﷺ وبين جبريل عليه السلام، وتكرارها كل عام، وكل ليلة من ليالي رمضان؛ ما هي إلا زيادة في الحرص على التلقي والمشافهة والضبط والإتقان لآيات القرآن الكريم، ليسمعها النبي ﷺ كما أنزلت من عند الله تعالى، ومن ثمَّ ينقلها لأصحابه وأمته كما سمعها ﷺ من جبريل عليه السلام.

المبحث الثاني: التلقي النبوي للقرآن كان مجودا مرتلا

كان هذا التلقي من النبي ﷺ للقرآن مرتلاً مجوَّداً، وأحكام التلاوة وتفاصيل علم التجويد الموجودة الآن مستنبطة من قراءته ﷺ، والتي تلقاها أصحابه عنه، وتلقتها الأمة كلها من بعد عن الصحابة الكرام وتابعيهم بإحسان إلى يومنا هذا، ويدل على ذلك أدلة عديدة، منها:

* قوله تعالى في سورة المزمل- وهي من أوائل ما نزلمن القرآن -: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[2]؛ أي: فصِّله تفصيلاً، وبيِّنه تبييناً، وترسَّل فيه ترسيلاً، وَالتَّرتيل معناه: أن

(1) رواه البخاري (1/ 8) (6) في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ؟، ومسلم (4/ 1803) (2308) في الفضائل باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير.

(2) سورة المزمل: آية 4.

تكونَ كلماتُ القرآن واضحةً مميزةً، كلمة بعد أخرى، بحيث لا يكون بينها تداخل في النطق، وقد عبر علي بن أبي طالب ﷺ عن هذا بقوله:«الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف»[1].

والمعنى: اقرأ القرآن على تمهل وتؤدة وذلك بإشباع الحركات وتبيين الحروف، ولا تعجل في قراءته، وهذا أمرٌ من الله تعالى لنبيه ﷺ وللأمة من بعده، والأصل في الأمر أن يكون للوجوب ما لم تصرفه قرينة إلى الاستحباب، وأولى الناس بالاستجابة للأمر وتنفيذه هو نبينا محمد ﷺ؛ وقد امتثل النبي ﷺ هذا الأمر على أكمل وجه، كما امتثل أمر الله له بالتلاوة في قوله جل وعلا: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[4].

*قوله جل وعلا- على سبيل الإخبار- في سورة الفرقان: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[5]، أي فرقناه آية بعد آية، يقال: رتَّله القارئ، أي: تمهَّل في قراءَته ولم يَعْجل به، وإسناد الفعل إلى الله جل وعلا من باب إسناد ما هو للمأمور للآمر، زيادةً في التأكيد على أن ما أدَّاه جبريل عليه السلام للنبي ﷺ هو ما أُمِرَ بتأديته حرفياً؛ ويدل على هذا ويؤكِّده قول ابن

(1) «التمهيد في علم التجويد» للإمام شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، تحقيق: الدكتور على حسين البواب، ط 1، مكتبة المعارف، الرياض، 1405هـ- 1985م (ص 48).

(2) سورة النمل: الآيات 91 – 92.

(3) سورة الكهف: آية 27.

(4) سورة العنكبوت: آية 45.

(5) سورة الفرقان: آية 32.

عباس رضي الله عنهما:«فُصِلَ القرآنُ من الذِّكْرِ، فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزله على النبي ﷺ يرتِّله ترتيلاً»[1] .

*قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[2]، استدل الإمام البخاري- رحمه الله - بهذه الآية على الترتيل، فقد بوب في صحيحه بقوله: (باب الترتيل فى القراءة وقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[3]، وقوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾[4]، «وما يُكره أن يُهَذَّ كهَذِّ الشعر »، ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾[5]:«يُفَصَّل» قال ابن عباس: ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾[6]:«فصَّلناه»)[7].

*وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن جهر النبي ﷺ بالقراءة بالليل فقال:«كان يقرأ في حجرته قراءة لو أراد حافظ أن يحفظها فعل»[8].

---

(1) رواه الطبراني في (المعجم الكبير) (12381) (12/ 32)؛ «المعجم الكبير» للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

(2) سورة الإسراء: آية 106.

(3) سورة المزمل: آية 4.

(4) سورة الإسراء: آية 106.

(5) سورة الدخان: آية 4.

(6) سورة الإسراء: آية 106.

(7) «صحيح البخاري» (6/ 194) ط دار طوق النجاة، ووقع في هذه الطبعة: («وما يُكره أن يُهَذَّ كهَذِّ الشعر فيها»، ﴿يُفْرَقُ﴾)، والصواب هكذا: («وما يُكره أن يُهَذَّ كهَذِّ الشعر»، ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾) فكلمة (فيها) من ألفاظ الآية.

(8)«مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر» للإمام أبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: 294هـ)، اختصره: العلامة أحمد بن علي المقريزي، ط1، للناشر: حديث أكادمي، فيصل أباد، باكستان، 1408هـ- 1988م (ص 133) .

*وعن حذيفة ﷺقال: «أتيت رسول الله ﷺ ذات ليلة لأصلى بصلاته، فافتتح فقرأ قراءة ليست بالخفيضة- وفي نسخة أخرى للمسند: ليست بالخفية - ولا بالرفيعة، قراءة حسنةً يرتل فيها يُسمعنا»[1].

*وسُئلت أم سلمة رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ- عن قراءة النبي ﷺ وصلاته، فقالت: «ما لكم وصلاته؟ كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى، ثم يصلي قدر ما نام، ثم ينام قدر ما صلى، حتى يصبح»، ثم نعتت قراءته، فإذا هي تنعت قراءةً مفسَّرة حرفاً حرفاً»[2].

قال الإمام ابن بطال - رحمه الله -: «يقطع قراءته، وإنما كان يفعل ذلك والله أعلم لأمر الله له بالترتيل، وأن يقرأه على مكث، وألا يحرك به لسانه ليعجل به، فامتثل أمر

(1) رواه الإمام أحمد (23411) (38/ 413)، وقال محققو المسند: «إسناده ضعيف لجهالة ابن أخي حذيفة».

(2) رواه الترمذي (2923) (5/ 182)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث حديث ليث بن سعد، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، عن أم سلمة، وقدروى ابن جريج، هذا الحديث عن ابن أبي مليكة، عن أم سلمة «أن النبيﷺ كان يقطع قراءته»، وحديث الليث أصح)؛ «سنن الترمذي» للإمام محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، بتحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5) ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ- 1975م. ورواه الحاكم في المستدرك (1165) (1/ 453) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه »، «المستدرك على الصحيحين» للإمام أبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ- 1990م.

به تعالى فكان يقرؤه على مهل ليبين لأمته كيف يقرءون، وكيف يمكنهم تدبر القرآن وفهمه»[1].

وقال العلامة المبارك فوري: «أي كان يقرأ بحيث يمكن عد حروف ما يقرأ والمراد حسن الترتيل والتلاوة على نعت التجويد»[2]، ويؤخذ من كلامه – رحمه الله – أن العلماء يوقعون التسمية الاصطلاحية الحادثة (التجويد) لهذه الطريقة في القراءة.

*وعن حفصة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ صلَّى في سُبْحَتِهِ قاعداً، حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سُبْحَتِهِ قاعداً، وكان يقرأ بالسورة فيرتِّلها حتى تكون أطولَ من أطول منها»[3] أي: إذا قُرئت بغير ترتيل[4].

قال الإمام الشوكاني- رحمه الله -: «وفيه استحباب ترتيل القراءة، والمراد بقولها:(حتى تكون أطول من أطول منها) أن مدة قراءته لها أطول من قراءة سورة

(1) «شرح صحيح البخاري» للإمام ابن بطال، أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، 1423هـ- 2003م (10/ 274).

(2) «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» للعلامة محمد عبد الرحمن المبارك فوري (المتوفى: 1353هـ)، ط دار الكتب العلمية، بيروت (8/ 194).

(3) رواه مسلم (733) (1/ 507) كتاب صلاة المسافرين، باب جواز النافلة قائماً وقاعداً، وفعل بعض الركعة قائما وبعضها قاعداً.

(4) «شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك» للإمام محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري (المتوفى: 1122هـ)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1424هـ- 2003م (1/ 487).

أخرى أطول منها إذا قرئت غير مرتلة، وإلا فلا يمكن أن تكون السورة نفسها أطول من أطول منها من غير تقييد بالترتيل والإسراع»[1].

*وعن موسى بن يزيد الكندي، قال: كان ابن مسعود يقرئ القرآن رجلاً فقرأ الرجل: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ}[2] مُرْسَلةً، فقال ابن مسعود: «ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ قال: أَقْرَأَنِيهَا: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ فَمَدَّدَها»[3].

*وعن قتادة- رحمه الله -قال: سُئل أنس رضي الله عنه كيف كانت قراءة النبي ﷺ ؟فقال: «كانت مداً»، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[4] يمدُّ ببسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم[5].

قال الإمام أبو عمرو الداني- رحمه الله- مُعلِّقاً على حديث أنس السابق: «وهذا حديث مُخَرَّج من الصحيح، وهو أصل في تحقيق القراءة، وتجويد الألفاظ، وإخراج الحروف من مواضعها، والنطق بها على مراتبها، وإيفائها صيغتها، وكل حق هو لها، من

(1) «نيل الأوطار» للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط1، دار الحديث، مصر، 1413هـ- 1993م (3/ 98).

(2) سورة التوبة: آية 60.

(3) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (8677)(9/ 137)، وقال الإمام الهيثمي: «رجاله ثقات»؛ «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للإمام أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط: مكتبة القدسي، القاهرة 1414هـ، 1994م. والحديث ذكره الألباني «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» ط 1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض (2237) (5/ 279).

(4) سورة الفاتحة: آية 1.

(5) رواه البخاري (5046) (6/ 195).

تلخيصٍ وتبيينٍ، ومدٍّ وتمكينٍ، وإطباقٍ وتفشٍّ، وصفيرٍ وغنةٍ، وتكريرٍ واستطالةٍ، وغير ذلك، على مقدار الصيغة وطبع الخلقة، من غير زيادةٍ ولانقصانٍ»[1].

وقال الإمام ابن الملقن – رحمه الله– في بيان السبب في مدِّ النبي ﷺ في قراءته: «سبب فعل ذلك– والله أعلم– أمره تعالى له بالترتيل، وأن يقرأه على مكث، وأن لايحرك به لسانه ليعجل به، فامتثل أمر ربه، فكان يقرؤه على مهل؛ ليسن لأمته كيف يقرءون وكيف عليه متدبر القرآن وفهمه»[2].

وقال الحافظ ابن حجر– رحمه الله–: «أخرج ابن أبي داود من طريق قطبة بن مالكﷺ: سمعت رسول الله ﷺ قرأ في الفجر (ق) فمر بهذا الحرف ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾[3] فمدَّ نضيد، وهو شاهد جيد لحديث أنس ﷺ، وأصله عند مسلم والترمذي والنسائي من حديث قطبة نفسه»[4].

ومن هذه الآثار وأمثالها استنبط المؤلفون في تجويد القرآن ما دونوه من قواعد وأحكام أدائية ألزموا بها القارئ والمقرئ، ومنها عرف علماؤنا معظم الضوابط التي نصوا على وجوب الالتزام بها في القراءة والتجويد.

---

(1) «التحديد في الإتقان والتجويد» للإمام عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ)، تحقيق: الدكتورغانمقدوريحمد، ط1، مكتبة دار الأنبار، بغداد، 1407هـ– 1988م (ص 80، 81).

(2) «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» للإمام ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي، وتحقيق التراث، ط1، دار النوادر، دمشق، سوريا، 1429هـ–2008م (24/ 154).

(3) سورة ق: آية 10.

(4) «فتح الباري» (9/ 91).

وقد صُرِّح بمصطلح (التحقيق) في حديثٍ عزيزٍ أسنده الإمام أبو عمرو الداني، مما يدل على تلقي هذه المرتبة من القراءة عن النبي ﷺ، قال الإمام أبو عمرو: «باب ذكر الوارد في قراءة التحقيق وتجويد الألفاظ ورياضة الألسن بالحروف: حدثنا أبو الفتح شيخنا، حدثنا عمر بن محمد، حدثنا الحسن بن أبي الحسن العسكري، حدثنا محمد بن الحسن بن عمير، حدثنا عبد الرحمن بن داود بن أبي طيبة، قال: قرأت على أبي التحقيق، وأخبرني أن هقرأ على ورش التحقيق، قال: وأخبرني ورش أنه قرأ على نافع التحقيق، قال نافع: إنه قرأ على الخمسة التحقيق، قال: وأخبرني الخمسة أنهم قرأوا على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة التحقيق، وأخبرهم عبد الله أنه قرأ على أبي بن كعب ﷺ التحقيق، وأخبره أنه قرأ على رسول الله ﷺ التحقيق، قال: وقرأ النبي ﷺ على التحقيق».

ثم قال الإمام أبو عمرو الداني: «هذا الخبر الوارد بتوقيف قراءة التحقيق من الأخبار الغريبة والسنن العزيزة التي لا توجد روايته إلا عند المكثرين الباحثين، ولا يكتب إلا عن الحفاظ الماهرين، وهو أصل كبير في وجوب استعمال قراءة التحقيق وتعلم الاتقان والتجويد، لاتصال سنده وعدالة نقلته، ولا أعلمه يأتي متصلاً إلا من هذا الوجه»[1].

(1) «التحديد في الإتقان والتجويد» (ص 79، 80).

*وإذا كان النبي ﷺ في كلامه العادي، يتكلم كلاماً فصلاً محرَّراً تفهمه القلوب، لو عدَّه العادُّ لأحصاه -كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها[1]-فكيف يكون في تلاوته للآيات؟ وكيف يكون في ترتيله لألفاظ القرآن؟.

المبحث الثالث: تدرج النبي ﷺ في تلقي القرآن وتعليمه

لم يكن نزول القرآن على النبي ﷺ جملة واحدة، وإنما امتد نزوله وتلقي النبي ﷺ له تدريجياً طوال ثلاث وعشرين سنة [2] مفرَّقاً على الحوادث والأزمنة المختلفة.

قال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[3].

(أي: وأنزلنا عليك – يا محمد – قرآناً، عظيماً أوحيناه إليك وأيدناك به – أَنزلناه منجماً مفرقاً، على حسب الأحداث والمناسبات؛ لتبلِّغه الناسَ على تؤدة وتأنٍّ، ليكون أيسر للحفظ، وأعون على الفهم، وأبين لوجوه الإعجاز به، في هدايته وبشارته ونذارته، ولذا أكد هذا المعنى فقال: ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾، أَي: نزلناه بحسب الحوادث والمصالح، حيث لم

---

(1) رواه البخاري (3567) (4/ 190) في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، عن عائشة رضي الله عنها :«أن النبيﷺ، كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه»، ورواه الترمذي (3639) (5/ 600) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما كان رسول اللهﷺ يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه، فصلٌ، يحفظه من جلس إليه». وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح، لا نعرفه إلا من حديث الزهري».

(2) ابتدأ نزول القرآن مع مبعثه عليه الصلاة والسلام وانتهى بقرب انتهاء حياته الشريفة، وتقدر هذه المدة بعشرين أو ثلاثة وعشرين أو خمسة وعشرين عاماً تبعاً للخلاف في مدة إقامته في مكة بعد البعثة؛ أكانت عشر سنين، أم ثلاث عشرة أم خمس عشرة سنة، أما مدة إقامته بالمدينة فعشر سنين اتفاقاً. انظر: «مناهل العرفان في علوم القرآن» (1/ 51).

(3) سورة الإسراء: آية 106.

ينزل جملة واحدة، للحِكَم التي مر بيانها.

وقد نزل القرآن الكريم مفرقاً حسب الحوادث المقتضية لنزوله في مدة الرسالة المحمدية، وهي ثلاثة وعشرون عاماً تقريباً.

وهذا التنزيل المفرَّق خاصٌ بالقرآن الكريم، دون سائر الكتب السابقة، لأنه أنزل على خاتم النبيِّين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فكان لهذا آخر كتاب أُنزل من عند الله ليبقى حتى تقوم الساعة، وقد تكفَّل الله بحفظه، وجعل من أسباب حفظه نزوله مفرَّقًا حسب الوقائع، حتى يكون أيسر لحفظه، وأعون على فهمه، وأدعى إلى الحرص على نصوصه، أما غيره من الكتب السماوية فقد نزل كل منها جملة واحدة، ولم يتكفل الله تعالى بحفظها كما تكفل بحفظ الكتاب العزيز، لأنها كانت موقوتة بأزمنتها، ومن هنا وقع فيها التغيير والتبديل بعد أن وضح الحق، وأسفر الصبح لذى عينين)[1].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[2].

لقد عاب الكفار من يهود ومشركين على النبي ﷺ نزولَ القرآن مفرَّقاً واقترحوا عليه أن ينزل جملة فأنزل الله هاتين الآيتين رداً عليهم.

روى الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسيره، عن ابن جريج، قال: (قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ﴾ كما أنزلت التوراة على موسى، قال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ قال: كان القرآن ينزل عليه جواباً لقولهم؛ ليعلم محمد أن الله

(1) «التفسير الوسيط للقرآن الكريم»، تأليف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى.

(2) سورة الفرقان: الآيات 32، 33 .

يجيب القوم بما يقولون بالحق، ويعني بقوله: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾: لنصحح به عزيمة قلبك ويقين نفسك، ونشجعك به)[1].

وروى الإمام الطبري – رحمه الله –أيضاً، عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال:»كان الله ينزل عليه الآية، فإذا علمها نبي الله نزلت آية أخرى، ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب، ويثبت به فؤاده»[2].

وقال الإمام البغوي – رحمه الله –: «﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ كما أنزلت التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود.

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ فعلت ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي: أنزلناه متفرقاً ليقوى به قلبك فتعيه وتحفظه، فإن الكتب أنزلت على الأنبياء يكتبون ويقرءون، وأنزل الله القرآن على نبي أمي لايكتب ولا يقرأ، ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، ففرقناه ليكون أوعى لرسول الله ﷺ وأيسر على العامل به ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾قال ابن عباس: بيناه بياناً، والترتيل: التبيين في ترسل وتثبت. وقال السدي: فصلناه تفصيلاً. وقال مجاهد: بعضه في إثر بعض. وقال النخعي والحسن وقتادة: فرقناه تفريقا، آية بعد آية»[3].

---

(1) «تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للإمام محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار، ط1، دار هجر للطباعة والنشر، 1422هـ- 2001م (17/ 446)

(2) «تفسيرالطبري»(17/ 445) .

(3) «تفسير البغوي» (6/ 83) .

قال الإمام أبو عمر بن عبد البر – رحمه الله-: «القرآن كان ينزل على رسول الله ﷺ شيئاً بعد شيء، وفي حال بعد حال على حسب الحاجة إليه، حتى أكمل الله دينه وقبض رسوله ﷺ، وإنما أنزل القرآن جملة واحدة ليلة القدر إلى سماء الدنيا، ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام نجماً بعد نجم، وحيناً بعد حين، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[1] يعني: القرآن، قالوا: إلى سماء الدنيا»[2].

قال الإمام السيوطي- رحمه الله -: «الذي استقرئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آياتٍ، وعشراً، وأكثر، وأقل، وقد صحَّ نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة، وصح نزول عشر آيات من أول «المؤمنون» جملة، وصح نزول ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾[3]، وحدها وهي بعض آية، وكذا قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾[4] إلى آخر الآية، نزلت بعد نزول أول الآية كما حررناه في أسباب النزول، وذلك بعض آية.

وأخرج ابن أشتة في كتاب المصاحف عن عكرمة في قوله: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[5] قال: أنزل الله القرآن نجوماً ثلاث آيات، وأربع آيات، وخمس آيات.

---

(1) سورة القدر: آية 1.

(2) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، ط وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387 هـ (17/ 46).

(3) سورة النساء: آية 95.

(4) سورة التوبة: آية 28.

(5) سورة القيامة: آية 75.

وقال النكزاوي في كتاب الوقف: كان القرآن ينزل مفرقاً الآية، والآيتين، والثلاث، والأربع، وأكثر من ذلك.

وأخرجه ابن عساكر من طريق أبي نضرة قال: كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة، وخمس آيات بالعشي، ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات»[1].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «فُصِلَ القرآنُ من الذِّكْرِ، فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزله على النبي ﷺ يرتِّله ترتيلاً»[2] قال سفيان:»خمس آيات ونحوها»[3]. ومثل هذا لا يقال بمحض الرأي.

وعن أبي عبد الرحمن السُّلَمي-رحمه الله تعالى- قال: «حدَّثني الذين كانوا يُقرِؤوننا القرآن؛ عثمان بن عفان، وابن مسعود، وأُبيُّبنكعب - رضي الله عنهم - أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرئهم العشر آيات فلا يجاوزنها إلى عشر أخرى، حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعاً»[4].

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» بسنده عن أبي العالية قال: قال عمر ﷺ: «تعلموا القرآن خمساً خمساً، فإن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن على النبي ﷺ خمساً خمساً»، قال

---

(1) «الإتقان في علوم القرآن» (1/ 155، 156).

(2) رواه الطبراني في «المعجم الكبير»(12381) (12/ 32) .

(3) رواه الضياء في «المختارة» (10/ 154) (153)؛ «الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما» للإمام ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: 643هـ)، دراسةوتحقيق: د عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط3، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1420هـ- 2000م.

(4)»معرفة القراء الكبار»(ص 29).

علي بن بكار: «قال بعض أهل العلم: من تعلم خمساً خمساً لم ينسَه»[1].

وقال أبوخَلْدَة: سمعت أبا العالية يقول:»تعلموا القرآن خمس آيات، خمس آيات، فإنه أحفظ عليكم، وجبريل كان ينزل به خمس آيات، خمس آيات»[2].

وكان ﷺ يحثهم على قراءة عدد معين من الآيات؛ كآيتين، وثلاث آيات، وعشر آيات، وأكثر من ذلك .

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفَّة، فقال: «**أيُّكم يُحِبُّ أن يغدو كل يوم إلى بُطْحَان، أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم أو قطيعة رحم؟**»، فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك. قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيَعْلَم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهنَّ من الإبل**»[3].

وقوله: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلَّم**»، في هذا الحديث والذي قبله إشارة

---

(1)»شعب الإيمان» للإمام أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) تحقيق: د عبد العلي عبد الحميد حامد، ط 1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، 1423هـ- 2003م (1807) (3/ 346).

وقال الإمام البيهقي عقبه: «خالف وكيعاً في رفعه إلى عمر رضي الله عنه، ورواية وكيع أصح». اهـ، أي أن الصحيح أنه من كلام أبي العالية – رحمه الله- لكنه مع هذا في حكم المرفوع، فمثل هذا لا يقال بالرأي، وانظر أيضاً: «الإتقان في علوم القرآن» (1/ 156).

(2) «سير أعلام النبلاء»، للإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، 1405هـ- 1985م (4/ 211).

(3) رواه مسلم (803) (1/ 552)كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه. وقوله: «يغدو» أي: يذهب في الغدوة وهي أول النهار. وقوله «**بطحان**»: اسم موضع بقرب المدينة، و»**العقيق**»: واد بالمدينة، و»**كوماوين**»: الكوماء مِنَ الإبل: عظيمة السنام طويلته. وانظر: »لسان العرب» (12/ 529)، و»صحيح مسلم» ط. دار الكتب العلمية (1/ 552) حاشية.

إلى أن جوَّ المسجد أنسب للتعلم والحفظ من غيره، مع ما في المكث فيه من الأجر والثواب، إضافة إلى نزول السكينة عليهم فتطمئن نفوسهم وتزكو أرواحهم، فلا يصيبهم ما يصيب غيرهم من الهموم والغموم، والأنكاد والأحزان،والقلق والاضطراب، وغير ذلك من أمراض نفسية تجعل الحياة جحيماً لا يطاق.

وعن أبي أمامة ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، اشتريت مقسم بني فلان، فربحت فيه كذا وكذا، فقال ﷺ: «**ألا أنبئك بما هو أكثر منه ربحا؟**»قال: هل يوجد؟ قال:«**رجل تعلم عشر آيات**»، فذهب الرجل فتعلم عشر آيات، فأتى النبي ﷺ فأخبره[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما - أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ قام بعشر آيات لَمْ يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتب من القانتين، ومن قام بألف آية كُتب من المقنطرين**»[2].

---

(1) رواه الحاكم في «المستدرك» (2044) (1/ 743) كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضائل القرآن جملة، والطبراني في «المعجم الأوسط» (2872) (3/ 185)؛ «المعجم الأوسط» للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط دار الحرمين، القاهرة، والبيهقي في «شعب الإيمان» (1794) (3/ 340)، وقال الإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد» (11665) (7/ 165): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح».

(2) رواه أبو داود (1398) (2/ 57) أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله، باب تحزيب القرآن، وابن خزيمة في صحيحه (1142)(2/ 181) كتاب الصلاة، باب ذكر فضيلة قراءة مائة آية في صلاة الليل، إذ قارئ مائة آية في ليلة لا يكتب من الغافلين؛ «صحيح ابن خزيمة» للإمام أبي بكر محمد ابن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (المتوفى: 311هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، ط المكتب الإسلامي، بيروت، وابن حبان في «صحيحه» (2572) (6/ 310) كتاب الصلاة، ذكر نفي الغفلة عمن قام الليل بعشر آيات مع كتبة من قام بمائة آية من القانتين، ومن قامها بألف من المقنطرين. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «إسناده حسن».

و«القانتين» قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القنوت دوام الطاعة، والمصلي إذا أطال قيامه أو ركوعه أو سجوده فهو قانت». و«المقنطرين» أي: ممن كُتب لهم قنطار مِنَ الأجر.

المبحث الرابع: حكم وفوائد التدرج في تلقي القرآن الكريم[1]

من الفوائد والحكم والدلالات التي تستفاد من التدرج في تلقي القرآن وتعلمه وتعليمه:

1 -تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتقوية الإيمان واليقين في قلبه ﷺ، ففي تجدد الوحي وتكرار نزول الملك به من جانب الحق إلى رسوله ﷺ سرور يملأ قلبه، وغبطة تشرح صدره، وكلاهما يتجدد عليه بسبب ما يشعر به من هذه العناية الإلهية، وتعهد مولاه إياه في كل نوبة من نوبات هذا النزول.

2 - التدرج في تربية هذه الأمة الناشئة، علماً وعملاً، وهذا يشتمل على أمور منها: تيسير حفظ القرآن على هذه الأمة الأُميَّة، ولو نزل القرآن جملة واحدة لعجزوا عن حفظه، فاقتضت حكمة الله أن ينزله إليهم مفرقاً؛ ليسهل عليهم حفظه، ويتهيأ لهم استظهاره، ومنها: تسهيل فهمه عليهم.

3 - تثبيت قلوب المؤمنين وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين بسبب ما كان يقصه القرآن عليهم من قصص الأنبياء السابقين ومعاناتهم من أقوامهم وكيف أن الغلبة والنصر والأجر والتأييد والتمكين كانت لهم ولعباد الله الصالحين في نهاية الأمر، والهزيمة لأعداء الله المخالفين، وتكرار نزول ذلك عليهم بين حين وآخر، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

---

(1) ينظر في تفصيل هذه الحكم والفوائد الأربعة السالفة الذكر: «مناهل العرفان في علوم القرآن» للزرقاني (1/ 53 - 63)، و«نزول القرآن والعناية به في عهد النبي ﷺ «للشيخ: عبد الودود مقبول حنيف، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة (ص 14-28).

4- تيسير حفظ القرآن وفهمه على الرسول ﷺ، فإنه كان يتعجل الأخذ من الوحي، ولقد بلغ من حرص النبي ﷺ أنه كان لا ينتظر حتى يفرغ جبريل من قراءته، بل كان يتعجل بالقراءة فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[1]، فتكفل الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بالحفظ والفهم، وذلك مطمئن له على وعي ما يوحى إليه حفظا وفهما، كما أن فيه تقوية لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله، ولا شك أن في تنجيم نزول القرآن وتفريقه على الأيام والليالي تيسيراً عليه من الله في حفظه وفهمه ومعرفة أحكامه وحكمه.

5- تيسير حفظ القرآن وفهمه، ومعرفة أحكامه وحِكَمه على الأمة، وكما هو معلوم أن القرآن الكريم نزل على أمة أمية لا تعرف القراءة والكتابة، كما قال جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3]، وكانت ظروف المسلمين في مكة المكرمة صعبة، حيث كانوا مضطهدين من كفار قريش، مستضعفين لقلة عددهم وضعف عُدتهم، ولم يكن لديهم من القوة والمنعة ما يحميهم من عدوهم، كما لم يكن لهم من فراغ الوقت وهدوء البال ما يمكنهم من الانقطاع لحفظ القرآن الكريم، فلو نزل القرآن جملةً واحدة لوجدت هذه الأمة الأمية- في ظل هذه الظروف - صعوبةً في حفظ القرآن واستيعاب آياته، فكان من رحمة الله عز وجل أن نزل القرآن مفرقاً لكي يسهل حفظه وفهمه، فكانت الآيات تنزل مفرقةً على الأيام والحوادث

(1) سورة القيامة: الآيات 16-19.
(2) سورة الأعراف: آية 157.
(3) سورة الجمعة: آية 2.

وكان النبي يعلمها أصحابه فور نزولها، فكلما نزلت الآية أو الآيات حفظها الصحابة، وتدبروا معانيها، ووقفوا عند أحكامها، بل صار الصحابة والتابعون يعلمون من بعدهم بنفس الطريقة، فصار التدرج في الحفظ سنة متبعة، وأصبح الصحابة وتابعوهم بإحسان يتعلمون القرآن ويعلمونه عشر آيات عشر آيات، أو خمس آيات خمس آيات، ونحو ذلك على التدريج، وسيأتي لذلك مزيد بيان قريباً بإذن الله تعالى.

6- رسم صورة المجتمع الآخَر أو الفئات الثانية من المشركين والمنافقين، وفضح أساليبهم ونواياهم، ومفاجأتهم بحقيقة ما يقولون ويُبَيِّتُون ويمكرون، كما في قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾[1].

وقد كان المنافقون يتظاهرون بالإسلام ويختلطون بالمسلمين ويقفون على أسرارهم وأحوالهم، فكانوا كلما عزموا أمراً نقضه الله تعالى، أو بيتوا كيداً أظهره الله، فأظهر فضائحهم، وجعل مكنون أسرارهم معلوماً لرسوله ولمن آمن معه، واقرأ إن شئت قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[2]، وقوله جل وعلا: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[3]، وغير ذلك من الآيات التي كانت تنزل على النبي ﷺ مفرقةً تنبيهاً له وتحذيراً له وللمؤمنين.

---

(1) سورة التوبة: آية 64.

(2) سورة البقرة: الآيات 8، 9.

(3) سورة المنافقون: آية 1.

7- التحدي والإعجاز، وهو ظاهر وواضح في كل مرحلة من مراحل نزوله مفرَّقاً؛ فقد تحداهم الله تعالى أن يأتوا بالقرآن فلم يستطيعوا، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فلم يستطيعوا، وتحداهم أن يأتوا بحديث مثله فلم يستطيعوا، وأتاح لجميع المشركين والمعارضين الدخول في معركة التحدي فلم يفلحوا؛ قال سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[3].

بل إنَّ المشركين تمادَوا في غيهم وأسئلتهم للرسول ﷺ فكانوا يسألون الرسول ﷺ أسئلة تعجيز وتحد ومبالغة، مثل سؤالهم عن الساعة، وعن الروح، وتعجبهم من نزول القرآن منجماً، ومن أن يكون الرسول بشراً رسولاً، وغير ذلك، وفي كل مرة يجيبهم القرآن بما يؤكد أنه كلام الخالق الحكيم الخبير سبحانه.

ومن أوجه إعجاز القرآن أيضاً: أنه محكم الاتصال والترابط، متين النسج والسرد، متآلف البدايات والنهايات؛ مع خضوعه لعوامل خارجة عن مقدور البشر، وهي وقائع الزمن وأحداثه التي يجيء كل جزء من أجزاء هذا القرآن تبعاً لها، ومتحدثا عنها، سبباً بعد سبب، وداعية إثر داعية، مع اختلاف ما بين هذه الدواعي، وتغاير ما بين تلك الأسباب، ومع تراخي زمان نزول القرآن إلى أكثر من عشرين عاماً، ولا ريب أن هذا

(1) سورة الطور: الآيات33، 34.
(2) سورة هود: آية 13.
(3) سورة البقرة: آية 23.

الانفصال الزماني، وذاك الاختلاف الملحوظ بين هاتين الدواعي؛ يستلزمان في مجرى العادة التفكك والانحلال، ولايدعان مجالاً للارتباط والاتصال بين أجزاء هذا الكلام.

لكن القرآن الكريم خرق العادة في هذه الناحية، فقد نزل مفرقاً منجَّماً، ولكنه تم مترابطاً محكماً منسجماً بعضه مع بعض، وهذا برهان ساطع على أنه كلام الخالق القوى القادر، قال جل وعلا: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

وحيث عجبوا من نزول القرآن منجماً بين الله لهم الحق في ذلك، فإن تحديهم به مفرَّقاً مع عجزهم عن الإتيان بمثله أدخل في الإعجاز، وأبلغ في الحجة من أن ينزل جملة، ويقال لهم: جيئوا بمثله، ولهذا جاءت الآية عقب اعتراضهم ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ﴾[2]: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[3] (أي:ولا يأتونك بمثلِ سؤالٍ عجيبٍ كأنه مَثَلٌ في البطلان يريدون به القدح في نبوتك؛ إلا جئناك ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ الدامغ له في جوابه ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ وبما هو أحسن بياناً أو معنى من سؤالهم، أو لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله، إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا، وما هو أحسن كشفاً لما بعثت له)[4].

8- التدرج في التشريع، ويندرج تحته: التدرج في فعل الطاعات، والتخلي عن فعل

---

(1) سورة الفرقان: آية 6.

(2) سورة الفرقان: آية 32.

(3) سورة الفرقان: آية 33.

(4) «تفسير البيضاوي= أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للإمام ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 هـ (4/ 124).

المحرمات والموبقات، فلو أن القرآن نزل جملة واحدة وطالبهم بالتخلي عما هم منغمسون فيه من كفر وجهل وشرك مرة واحدة لما استجاب إليه أحد؛ تقول عائشة رضي الله عنها: «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المُفصَّل،فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، قالوا: لا ندع الزنا أبداً»[1].

ولكن القرآن تدرج معهم في مطالبتهم بالتخلي عن كل منكر ومحرم، شيئاً فشيئاً حتى وصلوا إلى اكتمال التشريع الإسلامي بكل حدوده ومعالمه؛ فأول ما نزلت الآيات المتعلقة بالإيمان والتوحيد وأمور العقيدة وربط النفوس بالله وتعميق الإيمان باليوم الآخر،فإذا اطمأنت قلوبهم بالإيمان والتوحيد، انتقل بهم القرآن بعدُ إلى العبادات والتشريعات، فبدأهم بالصلاة، ثم الزكاة، ثم الصوم، ثم الحج، وهكذا سائر العبادات والمعاملات والأخلاق، متخللاً كل ذلك بقصص الأمم مع رسلها وأحوال المكذبين والمصدقين ومصائرهم، مما له بالغ الأثر في تربية النفوس وتطهيرها، وقد كان الغالب على الآيات في المرحلة المكية هو إثبات العقائد والفضائل التي لا تختلف باختلاف الشرائع، كما كان الغالب على المرحلة المدنية هو نزول التشريعات والأحكام العملية التفصيلية.

9- مسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرُّقها، فكلما جدَّ منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه وفصل الله لهم من أحكامه ما يوافقه، ويندرج تحت هذه الحكمة أمورٌ أربعة:

---

(1) رواه البخاري (4993) (6/ 185) كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن .

أولها: إجابة السائلين على أسئلتهم عندما يوجهونها إلى الرسول ﷺ.

ثانيها: مجاراة الأقضية والوقائع في حينها ببيان حكم الله فيها عند حدوثها ووقوعها.

ثالثها: لفت أنظار المسلمين إلى تصحيح أغلاطهم التي يخطئون فيها وإرشادهم إلى شاكلة الصواب في الوقت نفسه.

رابعها: كشف حال أعداء الله المنافقين وهتك أستارهم وسرائرهم للنبي والمسلمين كي ما يأخذوا منهم حذرهم فيأمنوا شرهم، وحتى يتوب من شاء منهم.

10- توثيق وقائع السيرة النبوية، وأحداث التاريخ من خلال الآيات التي تعرضت للأحداث ووثقتها، وذلك من خلال معرفة الحادثة، ووقتها، وأين كانت ومتى، فنستطيع أن نرتب السيرة النبوية، وضمها إلى قصص الأنبياء، وسير المرسلين، وحياة الأمم السابقين.

11- أن في القرآن الكريم ناسخاً ومنسوخاً، ولا يمكن أن يكون ذلك إذا نزل القرآن جملةً على النبي ﷺ إذ لا يُتصور النسخ إلا مع التفريق، ولا يمكن أن يحدث ذلك إلا على تباعد الزمن، وتفرق الآيات، فإن حكمة التربية الانتقالية قد تقتضي تشريعاً تجيء به آية إلى أجل مسمى، ثم تجيء آية أخرى بتشريع آخر، ولا يكون هذا إلا مع تفريق النزول.

المبحث الخامس: السلف والتدرج في تلقي القرآن الكريم:

تقدم أن القرآن نزل منجماً مفرقاً على الأحداث والأزمنة المختلفة، متدرجاً في نزوله شيئاً فشيئاً، وذكرت عدداً من الحكم والدلالات لذلك.

ولأجل ذلك تكلم السلف على أهمية التدرج، وأخذوا أنفسهم وغيرهم بالاقتصاد

والتدرُّج في تلقي القرآن خاصة، وغيره من السنة النبوية وسائر العلوم بوجه عام، وسار على منوالهم مَنْ جاء بعدهم ممن سلك سبيلهم إلى أيامنا هذه.

قال علي بن أبي طالب ﷺ: «روحوا القلوب، وابتغوا لها طُرَفَ الحكمة، فإنها تملُّ كما تملُّ الأبدان»[1].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: »إن للقلوب شهوة وإدباراً، فاغتنموها عند شهوتها، ودعوها عند فترتها وإدبارها»[2].

وكان يقول: «لا تُكرِه قلبك؛ إن القلب إذا أُكره عَمي»[3].

وقال ابن شهاب الزهري ليونس بن زيد:»يا يونس! لا تكابر العلم فإن العلم أودية، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملةً، فإن مَنْ أخذه جملة نسيه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي»[4].

---

(1) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للإمام أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: د. محمود الطحان، ط مكتبة المعارف، الرياض (2/ 129).

(2) «الفوائد» للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1393هـ- 1973م (ص 147).

(3)»كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال» للإمام علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان، الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: 975هـ) تحقيق: بكري حياني، صفوت السقا، ط5، مؤسسة الرسالة، 1401هـ- 1981م (1703) (1/ 398).

(4)»جامع بيان العلم وفضله» للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1414 هـ- 1994 م (ص431).

وقال الخطيب البغدادي – رحمَه الله –: «واعلم أن القلب جارحة من الجوارح تحتمل أشياء، وتعجز عن أشياء كالجسم، فبعض الناس يستطيع حمل مئتي رطل، ومنهم مَنْ يعجز عن عشرين رطلاً، ومن الناس مَنْ يمشي فراسخ في يوم ولا يعجزه، ومنهم مَنْ يمشي بعض ميل فيضره ذلك، ومنهم مَنْ يأكل من الطعام أرطالاً، ومنهم مَنْ يتخمه الرطل فما دونه.

فكذلك القلب: من الناس مَنْ يحفظ عشر ورقات في ساعة، ومنهم مَنْ لا يحفظ صفحة في أيام، فإذا ذهب الذي مقدار حفظه نصف صفحة يروم أن يحفظ عشر ورقات تشبُّهاً بغيره: لحقه الملل، وأدركه الضجر، ونسي ما حفظ، ولم ينتفع بما سمع.

فليقتصر كل امريء من نفسه على مقدار يبقى فيه ما لا يستفرغ كلَّ نشاطه، فإن ذلك أعون له على التعليم مع الذهن الجيد، والمعلِّم الحاذق.

وينبغي أن يجعل لنفسه مقداراً كلما بلغه وقف عنده، ولا يزيد عليه؛ فإن ذلك بمنزلة البنيان. ألا ترى أنَّ مَنْ أراد أن يستجيدَ البناء بنى أذرعاً يسيرة ثُمَّ ترك حتى يستقر، ثُمَّ يبني فوقَه، ولو بنى البناء كله في يوم واحد، لم يكن بالذي يُستجاد، وربما انهدم بسرعة، وإن بقي كان غير محكم؛ فكذلك المتعلم ينبغي أن يجعل لنفسه حدَّاً، كلما انتهى إليه وقف عنده؛ حتى يستقر ما في قلبه، ويريح بتلك الوقفة نفسه»[1].

وقال أبو هلال العسكري – رحمه الله –: »رأى معلم محمد بن داود ابن الجراح على دفترٍ له دماً فسأله عنه فقال: إني كنت على السراج أدرس في الليالي الحارة فأرعَفُ،

(1) «الفقيه والمتفقه» للإمام أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي، ط2، دار ابن الجوزي، السعودية، 1421هـ (2/ 215).

فقال له: إنما تطلب العلم لنفسك، فإذا أتلفتَ نفسَك، فما ينفعك علمُكَ؟ وقد قال عمر بن عبد العزيز: «إن نفسي مطيتي فإذا حملت عليها خسرتها»، فقال محمد بن داود: قال بعض الأوائل:«إن لَمْ تصبر على تعبِ العلمِ صبرت على شقاء الجهلِ»، فقال له المعلم:«صدق هذا القائل، ولكنَّ تجاوُزَ الاعتدالِ في طلب العلم ربما أدَّى إلى تضييعه»[1].

وروى البيهقي- رحمه الله - بسنده في «شعب الإيمان» عن إسحاق بن عيسى قال: سمعت مالكاً يوم عاب العجلة في الأمور، ثم قال: «قرأ ابن عمر البقرة في ثمان سنين»[2].

قال إسماعيل بن أبي خالد- رحمه الله -:«كان أبو عبد الرحمن السلمي يعلمنا القرآن خمس آيات خمس آيات»[3] .

وقال أبو رجاء العطاردي- رحمه الله -: «كان أبو موسى يعلمنا القرآن خمس آيات خمس آيات»[4].

---

(1) «الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه» للإمام الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (المتوفى: نحو 395هـ) تحقيق: د. مروان قباني، ط1، المكتب الإسلامي–بيروت، 1406هـ - 1986م (ص 87).

(2) «شعب الإيمان» للإمام البيهقي (1803) (3/ 345)، وقال الزرقاني في «شرح الموطأ» (2/ 22): «وأخرج الخطيب في رواية مالك عن ابن عمر قال: تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحرجزوراً»؛ «شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك» للعلامة محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1424هـ-2003م.

(3) «معرفة القراء الكبار»(ص 29) .

(4) «غاية النهاية في طبقات القراء» (1/ 604) .

وهذا سفيان الثوري – رحمه الله – يقول: «كنت آتي الأعمشَ ومنصوراً فأسَمَعُ أربعة أحاديث، خمسةً، ثُمَّ أنصرف كراهة أن تكثُر وتَفْلِت»[1].

وهذا شعبة – رحمه الله – يقول: «كنت آتي قتادة فأسأله عن حديثين فيحدِّثني ثُمَّ يقول: أزيدك؟ فأقول: لا، حتى أحفظهما وأتقنهما»[2].

فعلى مَنْ أراد الحفظ أو الدراسة والتحصيل-أو أي عمل من أعمال الخير- أن يراعيَ سنَّة التدرج، وأن يترفَّق بنفسه، وأن يقتصر على ما يمكنه فهمه واستيعابه، فإنه بذلك يحصِّل علوماً كثيرةً جداً مع راحة نفسه وعدم إملالها.

(1) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (1/ 232).
(2) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (1/ 232).

الفصل الثالث : حفظ القرآن الكريم واستظهاره

المبحث الأول: ماهية الحفظ ومقتضياته

الحفظ لغةً: ضد النسيان، وهو التعاهد وقلة الغفلة.

قال ابن منظور: المحافظة: المواظبة على الأمر، وفي مُحكم التنزيل: ﴿**حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ**﴾[1].

أي: صلّوها في أوقاتِها، وحفظتُ الشيء، أي: استظهَرتُه شيئاً بعد شيء[2].

ويقال: حمل فلانٌ القرآنَ على ظهر لسانه، كما يقال: حفظَه عن ظهر قلبِه... تقول: قرأت القرآن عن ظهر قلبي، أي: قرأتُه من حفظي، وظهرُ القلبِ: حِفْظُه عَنْ غير كتاب، وقد قرأه ظاهراً واستظهرَه، أي: حفظَه وقرأه ظاهراً[3].

ومادة »حفظ»جاءت في القرآن بمعانٍ متعدِّدةٍ، منها: الصيانةُ والرعاية، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَنَحْفَظُ أَخَانَا**﴾[4]، أي: نصونُه ونرعاه .

ومنها: الإمساك عن المحرَّم، ومنه قوله تعالى:﴿**وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ**﴾[5]، أي: أمسَكوا فروجَهم عن الحرام.

وفي»مختار الصحاح»: («حَفِظَ» الشيء بالكسر حِفظاً: حَرَسَه، وحفظَه أيضاً:

---

(1) سورة البقرة: آية 238 .

(2) انظر: «لسان العرب» (7/ 441) مادة «حفظ».

(3) انظر: «لسان العرب» (4/ 526) مادة «ظهر».

(4) سورة يوسف: آية 65.

(5) سورة المؤمنون: آية 5 .

استظهَرَه، ... ويُقال: «احْتَفِظْ»بهذا الشيء،أي: احفظه، و«تحفَّظ» الكتاب: استظهرَه شيئاً بعد شيء)[1].

و(تَحَفَّظَ) الْكِتَابَ اسْتَظْهَرَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، و(حَفَّظَهُ) الْكِتَابَ (تَحْفِيظًا) حَمَلَهُ عَلَى حِفْظِه، و(اسْتَحْفَظَهُ) كَذَا سَأَلَهُ أَنْ يَحْفَظَهُ.

فالحفظ والاستِظهار لغةً: التمكُّن من حفظِ القرآن واستظهاره عن ظهر قلب، وأداؤه من غير كتاب.

والحفظ اصطلاحاً: لا يختلف عن المعنى اللغوي، ويراد به إيداع القرآن في ذاكرة الحافظ، وصدره[2]، وضبطه ضبطاً متقناً يؤهِّله لأدائه إلى غيرِه مرتَّلاً مجوداً كما تلقاه، فإن حفظَه ثُمَّ أهملَه وأغفَل مراجعتَه حتى نسيَه، أو نَسيَ بعضَه أو جلَّه؛ فمثل هذا لا يسمَّى حافظاً، ولا يستحق لقب (حامل القرآن).

---

(1) انظر: «مختار الصحاح» لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا،1420هـ- 1999م (ص 76) مادة «حفظ».

(2) ظاهر النصوص الشرعية أن محل الحفظ الصدر، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: آية 49]، ومن ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[سورة القيامة: آية 17] حيث فُسِّر الجمع هنا بجمعه في صدر النبي ﷺ فلا ينساه، وقد تقدم بيان ذلك (ص 19)، ولذلك يسمون الحفظ استظهاراً عن ظهر قلب.

وقد ورد لفظ الحفظ صريحاً موصوفاً به إيداع القرآن في الذاكرة في حديث أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال**»[1].

ولفظ الحفظ يطلق على ذلك المعنى الاصطلاحي، حتى غدا حقيقةً عرفيةً معلومة للجميع؛ فإن أُطْلِقَ لفظ (حافظ) أو (حفظ) لم ينصرف لغير حفظ وحافظ القرآن، وإن أُريد به غير القرآن فلا بد من التقييد، فرسخ بذلك مفهوم الحفظ في الصدر كمرادف للقراءة من الذاكرة في خصوص القرآن الكريم.

والحفظ يقتضي ثلاثة أمور:

1 – شدة العناية، وضبط الصورة المدركة في الذهن، بحيث يمكن أداؤها من غير كتاب.

2 – وكثرة التكرار والدرس، فإذا لَمْ يكن درس لَمْ يكن حفظ، وتقدم قول الإمام الرازي في «مختار الصحاح»: (تحفَّظ الكتاب: استظهرَه شيئاً بعد شيء)[2].

3 – المواظبة والمعاهدة للمحفوظ، وطول المذاكرة، فإذا لَمْ تكن مذاكرة قلَّت منفعة الدرس.

فهذه الثلاثة أمور – شدة العناية، وكثرة الدرس، وطول المذاكرة – سبيل الحفظ والإتقان، وبدونها لا يكون حفظ ولا إتقان.

---

(1) رواه مسلم (809) (1/ 555، 556) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي.

(2) «مختار الصحاح» (ص 76) مادة «حفظ».

قيل للإمام أحمد – رحمه الله –: ما الحفظ؟. قال: «الإتقان هو الحفظ».

وقال الإمام عبد الرحمن بن مهدي– رحمه الله –: «الحفظ الإتقان».

وقيل للإمام البخاري– رحمه الله –: هل تتناول دواءً للحفظ؟فقال: «لا أعلم من ذلك شيئاً إلا: نهْمة الرجل– أي: همته العالية –، ومداومة النظر»[1].

المبحث الثاني: حفظ النبي ﷺ للقرآن الكريم

بعكس الكتب السماوية السابقة، تكفل الله جل وعلا بحفظ القرآن الكريم من الضياع، ومن التحريف والتبديل، والزيادة والنقصان؛ قال الله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2].

قال الإمام الفخر الرازي – رحمه الله – في تفسير لهذه الآية: «يعني وإنا نحفظ ذلك الذكر من التحريف والزيادة والنقصان، ونظيره قوله تعالى في صفة القرآن: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[3]، وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[4]»[5].

وما من كتاب من الكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله إلا ودخله التحريف والتبديل، والزيادة والنقصان، إلا هذا القرآن العظيم، فإنه باق كما أنزله الله تعالى سالما من التحريف والتبديل إلى يوم القيامة.

---

(1) انظر: «هكذا فلنحفظ القرآن» للمؤلف، (ص89، و90).

(2) سورة الحجر: آية 9.

(3) سورة فصلت: آية 42.

(4) سورة النساء: آية 82.

(5) «التفسير الكبير» (19/ 123).

قال الإمام الفخر الرازي – رحمه الله – أيضاً في تفسير هذه الآية: «واعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ، فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير، إما في الكثير منه أو في القليل، وبقاء هذا الكتاب مصوناً عن جميع جهات التحريف، مع أن دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده؛ من أعظم المعجزات، وأيضاً أخبر الله تعالى عن بقائه محفوظاً عن التغيير والتحريف، وانقضى الآن قريباً من ستمائة سنة، فكان هذا إخباراً عن الغيب، فكان ذلك أيضاً معجزاً قاهراً»[1].

وقال الإمام القرطبي – رحمه الله– في تفسيره: «قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ يعني القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من أن يزاد فيه أو ينقص منه.

قال قتادة، وثابت البناني: حفظه الله من أن تزيد فيه الشياطين باطلاً، أو تنقص منه حقاً، فتولى سبحانه وتعالى حفظه، فلم يزل محفوظاً، وقال في غيره: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾[2]، فوكل حفظه إليهم، فبدلوا وغيروا»[3].

وكان من وسائل حفظ القرآن: جمعه في صدر النبي ﷺ وتثبيت الله جل وعلا له في قلبه، فلا ينسى منه شيئاً أبداً؛ قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ

---

(1) «التفسير الكبير» (19/ 123، 124).

(2) يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾[سورة المائدة: آية 44].

(3) «الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي»، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671 هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية – القاهرة، 1384هـ- 1964م (10/ 5).

﴿وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[2]، ومن ثمَّ، يبلغه لأصحابه والأمة من بعدهم أحسن بلاغ وأتمَّه .

كما أنَّ من وسائل حفظه: حفظهذه الأمة المحمدية للقرآن بِاتِّبَاعِهَا منهجَ التَّلقِّي في تعلم القرآن وتعليمه، فالحمد لله تعالى على واسع نعمته وكريم فضله .

المبحث الثالث: الحث على حفظ القرآن الكريم واستظهاره

إن حفظ القرآن من أجلِّ القُرُبات، وأفضل الطاعات، وبه ينال العبد رضا ربِّ الأرض والسموات، وقد حث الشرع الحكيم على حفظ القرآن الكريم واستظهاره، وذلك من خلال نصوص عديدة من الوحيين، ومن ذلك:

* قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3].

قال الحافظُ ابن كثير – رحمه الله –: «أي: هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق أمراً ونهياً وخبراً يحفظه العلماء، يسَّره الله عليهم حفظاً وتلاوةً وتفسيراً»[4].

فالحافظ للقرآن من الذين أوتوا العلم، ويكفي الحافظ لكتاب الله تعالى عزَّاً وشرفاً أن يُوْصَف بهذا الوصف، وأن ينال تلك المنزلة والمكانة.

---

(1) سورة القيامة: الآيات 16 – 19.
(2) سورة الأعلى: آية 6.
(3) سورة العنكبوت: الآيات 48، 49.
(4) «تفسير ابن كثير» (6/ 286).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - في تفسيره:« ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: هذا القرآن ﴿ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ﴾ لا خفيَّات ﴿فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ هم سادة الخلق وعقلاؤهم، وأولو الألباب، والكُمَّل منهم، فإذا كانت آيات بينات في صدور أمثال هؤلاء، كانوا حجة على غيرهم»[1].

وآيات الله عز وجل محفوظة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[2].

ومن أسباب حفظها: صدور الذين أوتوا العلم، وكفى بهذا شرفاً وفضلاً لمن حفظ القرآن والسنَّة، فإنه من أسباب حفظ الدين ووسائل حفظ الشريعة.

* وعن أبي الدرداء ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف**- وفي روايةٍ: « **من آخر سورة الكهف**»-**عُصم من الدجال**»[3].

فإذا كان هذا الفضل والثواب، وهذا العطاء والجزاء، وهو العصمة من أكبر فتنة على ظهر الأرض منذ خلق آدم وإلى قيام الساعة، ألا وهي فتنة الدجال؛ فإذا كان المسلم ناجياً من فتنة الدجال بحفظه عشر آيات من سورة الكهف، أولها أو آخرها،

---

(1) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان» للعلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)ط. الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء (6/ 96).

(2) سورة الحجر: آية 9.

(3)رواه مسلم (809) (1/ 555، 556) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي.

وأخرج ابن أبي داود بإسناد صحيح - كما قال الحافظُ ابن حجر في «فتح البَارِي» (8/ 697)- عن أبي أمامة ﷺ قال: «اقرؤوا القرآن ولا تغرَّنكم هذه المصاحف المعلّقة، فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن».

فكيف بمن حفظ كتاب الله كله، لا شك أن ثوابه عند الله أعظم، وأجره عند ربه أوسع وأعم.

* وحافظ القرآن مقدَّم في دنياه وأخراه؛ فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله تعالى إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطان المقسط**»[1].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال:«**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**»[2].

ومن المواطن التي يقدَّم فيها حافظ القرآن على غيره ما يلي:

أ – في إمامة الصلاة؛ فعن أبي مسعود البدري ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**يَؤُمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله...** »[3]الحديث.

فالأقرأ لكتاب الله تعالى هو المقدَّم في إمامة الصلاة، وإن كان صبياً مُمَيِّزاً، فعن عمرو

---

(1) رواه أبو داود (4843) (7/ 212)كتاب الأدب، باب في تنزيلِ الناسِ منازلَهم؛ «سنن أبي داود» أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قرهبللي، ط1، دار الرسالة العالمية، 1430هـ- 2009م، والحديث صححه الألباني في «صحيح أبي داود» (4053).

وقوله:«**غير الغالي فيه**»: الغلو: تجاوز الحد سواء في التجويد وأداء الحروف والمخارج، أو في معناه بالتأويل الباطل، والشطط في الفهم كما هو حال أهل البدع.وقوله:«**والجافي عنه**»: الجفاء: الإعراض والتباعد عن تلاوته وتدبره، وإحكام قراءته، وفهم معانيه، والعمل بما فيه. والله أعلم.

(2) رواه مسلم (817) (1/ 559) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة منفقه، أو غيره فعمل بها وعلمها .

(3) رواه مسلم (673) (1/ 465) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة.

ابن سلمة ﷺ قال: (لَمَّا كانت وقعة الفتح، بادر كل قومٍ بإسلامهم، وبادر أبي قومي بإسلامهم، فلمَّا قدِمَ قال: جئتكم من عند النَّبيِّ ﷺ حقاً. فقال: «**صلُّوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة، فليؤذِّن أحدكم وليؤمّكم أكثركم قرآناً**»، فنظروا فلم يكن أحدٌ أكثر قرآناً مني، فقدَّموني بين أيديهم، وأنا ابن ستّ أو سبعِ سنين..)[1] الحديث.

ب – **في المشورة والرأي**؛ فعن ابنِ عبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قال: «كان القُرَّاءُ أصحابَ مجلس عمر ومشاورته،كُهُولاً كانوا أو شُبَّاناً»[2].

ج – **في الدفن بعد الموت**؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: (كان النبيﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: «**أيهم أكثر أخذاً للقرآن**»، فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد، وقال:«**أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة**»، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يغسلوا، ولم يصل عليهم)[3].

د – **في الإمارة**؛ فعن أبي هُرَيْرة ﷺ قال: (بعث رسول الله ﷺ بعثاً، وهم ذوو عدد فاستقرأهم، فاستقرأ كلَّ واحد منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجل منهم من أحدثهم سِنَّاً، فقال: «**ما معك يا فلان؟**» قال: معي كذا وكذا، وسورة البقرة، فقال: «**أمعك سورة البقرة؟**» قال: نعم. قال: «**فاذهب؛ أنت أميرهم**». فقال رجل من أشرافهم: والله يارسول الله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة، إلا خشية ألاَّ أقوم بها، فقال رسول الله ﷺ: «**تعلَّموا القرآن، فاقرؤوه وأقرئوه، فإن مَثلَ القرآن لمن تعلَّمه فقرأه**

(1) رواه البخاري (4302) (5/ 150) كتاب المغازي.
(2) رواه البخاري (7286) (9/ 94) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.
(3) رواه البخاري (1343) (2/ 91) كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد.

وقام به كمثل جِرَابٍ محشوٍّ مِسْكاً، يفوح بريحه كلُّ مكانٍ، ومَثلُ مَنْ تعلَّمه فيرقد وهو في جوفه كمَثل جراب وُكِيَء على مسكٍ»[1].

ولَمَّا قَدِم وفد ثقيف للمدينة، وأعلنوا إسلامهم، وكتب النَّبيُّ ﷺ كتابهم، وأراد أن يُؤمِّر عليهم؛ أشار أبو بكر الصديق ﷺ بعثمان بن أبي العاص، وكان أحدثهم سِنَّاً، فقال الصدِّيق: يارسول الله! إني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلُّم القرآن[2].

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما - عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ، ورتِّل كما كنت ترتِّل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آيةٍ تقرؤها**»[3].

وفي رواية أبي سعيد ﷺ مرفوعاً:«**يُقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد،**

---

(1) رواه التِّرمذي (2876) (5/ 156) في فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي؛ واللفظ له، وابن حبان في صحيحه (2578) (6/ 316) في قيام الليل، ذكر تمثيل المصطفى ﷺ المتهجد بالقرآن الذي آتاه الله والنائم عليه لنيله بما مثل له. وقال التِّرمذي: «حديث حسن».

(2) انظر: «تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين» د. جميل عبد الله المصري. ط1، مكتبة الدار، بالمدينة المنورة، 1407هـ (ص 152).

(3) رواه أبو داود (1464) (2/ 592) في أبواب فضائل القرآن، باب كيف يستحبُّ الترتيل في القراءة، والتِّرمذي (2914) (5/ 177) في أبواب فضائل القرآن، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (2/ 192)، وصححه الشيخ أحمد شاكر، وفي ط. الرسالة برقم (6799)، وقال محققو المسند: «صحيحٌ لغيره»، والحديث في «صحيح الجامع الصغير» (8122)، و«صحيح أبي داود» (1317).

وتأمل قولَه: «**لصاحب القرآن**»، والصاحب هو الذي يُلازَم ويُؤلَف ويُحبّ، فكأن حافظ القرآن له مِنَ الألفة مع القرآن والمحبة له، ما ليس لغيره، ولذا ذلَّ له لسانه، وسهل عليه قراءته، بخلاف مَنْ هجره وتركه فضيَّعه ونسيه، والله المستَعان، وقد تكررت لفظة «صاحب القرآن» في عدد مِنَ الأحاديث، وسيأتي شيء منها - إن شاء الله تعالى -.

فيقرأويصعدُ بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه»[1].

* وعن أبي هُرَيْرة ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا رب حَلِّه، فيُلبَس تاج الكرامة، ثُمَّ يقول: يارب زدهُ، فيلبس حُلَّة الكرامة، ثُمَّ يقول: يارَبِّ ارضَ عنه، فيرضى عنه، ويُقال له: اقرأ وارقَ، ويُزاد بكل آية حسنة**»[2].

وقالت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –: «إن عدد درج الجنة بعدد آي القرآن، فمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن فليس فوقه أحد»[3].

قال الإمام الخطابي– رحمَه الله – في «معالم السنن»: «جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة، يقال للقاريء: ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن، استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ

---

(1) رواه أحمد (11360) (17/ 455) وقال محققو المسند: «صحيحٌ لغيره»، وابن ماجه (3780) (4/ 699) أبواب الأدب، باب ثواب القرآن؛ «سنن ابن ماجه» للإمام ابن ماجة أبيعبد الله محمد بن يزيد القزويني(المتوفى: 273هـ)،ط. دار الكتب العلمية.

ورواه أحمد – أيضاً – في (10087)(16/ 104) موقوفاً على أبي هريرة أو أبي سعيد– شكَّ الأعمش– قال: «**يُقال لصاحب القرآنِ يوم القيامة: اقْرهْ وارْقَهْ، فإنَّ مَنزِلكَ عند آخرِ أيةٍ تَقرُؤُها**». وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط الشيخين، وهو في حكم المرفوع، فمثله لا يُقال بالرأي»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (8121).

(2) رواه التِّرمذي (2915)(5/ 178) في أبواب فضائل القرآن، وقال: »حسن صحيح»، ثُـمَّ رواه موقوفاً على أبي هُرَيْرة، وقال: «هذا أصح عندنا»، والحديث رواه الحاكم (2029) (1/ 738) في فضائل القرآن، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وأقرَّه الذهبي.

(3)»أخلاق أهل القرآن» للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى:360 هـ)، تحقيق: محمد عمرو عبد اللطيف، بإشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ- 2003م (ص49) برقم (10)، وكذا ذكره السُّيوطيُّ في «الجامع الصغير» وقال: «رواه البيهقي عن عائشة». «فيض القدير» (4/ 308)، ط. دار المعرفة.

جزءاً منها، كان رقيُّه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة»[1].

والخبر السابق يدل على فضيلة الحفظ،لأن الارتقاء يكون بحسبه، فيرتقي في الجنة من يحفظ القرآن عن ظهر قلب ويقرؤه غيباً، لا مَنْ يقرأ في المصحف، فلهذا تتفاوت منازلهم في الجنة بحسب تفاوت حفظهم.

فيالَسعادة المكثرين من التلاوة لكتاب الله رب العالمين، والحفظ لآياته وسوره، فدرجاتهم في الجنان عالية، وحسناتهم عند ربهم كثيرة ومتنامية.

ويالخسارة المقلِّين، وقد تخلَّفوا عن ركب السَّابقين المقرَّبين، وتحسَّروا على تفريطهم في تلاوة القرآن، وحفظ كلام ربهم الرحمن، وندموا حيث لا ينفعهم ندم.

* وعن بُرَيدة الأسلمي ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إن القرآن يلقى صاحبَه يوم القيامة حين ينشقُّ عنه قبرُهُ،كالرجل الشاحب، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك،فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلكَ، وإنَّ كلَّ تاجرٍ من وراءِ تجارته، وإني لك اليوم من وراء كل تجارة.**

فيُعطى المُلك بيمينه والخُلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكسى والداه حلَّتين لا يَقومُ لهما أهلُ الدنيا، فيقولان: بِمَ كُسينا هذا؟ فيُقال: بأخذ وَلَدِكُمَا القرآن، ثُمَّ يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو فيصعود ما كان يقرأ، هَذَّاً كان أو

(1)«معالم السنن شرح سنن أبي داود» للإمام أبي سليمان حمد بن محمد بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ)، ط1، المطبعة العلمية، حلب، 1351هـ- 1932م (1/ 289، 290).

ترتيلاً»[1].

* وعن أبي هُرَيْرة ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين، رجل علَّمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيتُ مثل ما أوتي فلان، فعملتُ مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجلٌ: ليتني أوتيتُ مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل**»[2].

والحسد المعني في الحديث: هو الغبطة، وهي أن تتمنى مثل ما للمحسودِ من النعم التي وهبها الله له دون أن تتمنى زوالها، فأمّا تمني زوال النعمة عن المحسودِ فهذا قبيحٌ مذموم، شرعاً وعقلاً.

* وعن أنس بن مالك ﷺ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**إن لله أهلين من الناس**». قيل: مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»[3].

والنصوص الدالة على فضيلة الحفظ وشرف أهله لا تقف عند ما ذكرت، واللبيب

---

(1) رواه أحمد (22950) (38/ 41)، وابن ماجه (3781)(4/ 700) أبواب الأدب، باب ثواب القرآن، وقال محققو المسند: «إسناده حسن في المتابعات والشواهد من أجل بشير بن المهاجر الغَنَوي، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، وحسنه الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (1/ 62)». وقال الألباني في «صحيح ابن ماجه» (3048): «يحتمل التحسين».

(2) رواه البخاري(5026) (6/ 191) كتاب فضائل القرآن، باب اغتباطصاحبالقرآن.

(3) رواه أحمد (12279) (19/ 296، 297) وقال محققو المسند: «إسناده حسن من أجل عبد الرحمن بن بديل العقيلي، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح»، وابن ماجه (215) (1/ 146) في المقدمة، والحاكم (2046) (1/ 743)كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضائل القرآن، والدارمي (3369) (4/ 2094) كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن. وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (178)، و«صحيح الجامع الصغير» (2165).

تكفيه الإشارة[1].

المبحث الرابع: حكم حفظ القرآن

الأصلفي تلقي القرآن ونقله عبر الأجيال هو الحفظ، سواء كان حفظ صدر أم حفظ كتاب، وحفظ الكتاب لا يستقل بذاته بل هو تابعٌ لحفظ الصدر، ولذا كانت تسمية القرآن بالقرآن أشهر من تسميته بالكتاب.

ومما يدل على أن حفظ الصدر هو الأساس الأول فيتلقي القرآن الكريم وإقرائه؛ قول أبي موسى الأشعري ﷺ: «احفظوا عنا كما حفظنا»[2].

وهذا يقودنا إلى سؤال مهم، وهو: ما حكم حفظ القرآن؟

وسوف أجيب على هذا السؤال من خلال مطلبين:

المطلب الأول: حكم حفظ القرآن في حق النبي ﷺ:

لقد كان حفظ القرآن الكريم واجباً على النبي ﷺ وجوباً مقطوعاً به، ويدل على ذلك عدة أمور، أبرزها:

* أول سورة نزلت عليه هي سورة (العلق)وفي أولها قوله سبحانه: ﴿اقْرَأْ﴾[3] وهذا أمر بالقراءة، والقراءة نطقٌ بكلامٍ معينٍ مكتوب أو محفوظٍ عن ظهر

(1) للمزيد من الكلام على فضل حفظ القرآن وشرف أهله، انظر: «هكذا فلنحفظ القرآن» للمؤلف (ص 63-85).

(2) «جامع بيان العلم وفضله» (1/ 282).

(3) سورة العلق: آية 1.

قلبٍ، وأنى له القراءة للمكتوب وهو الأمي الذي لا يحسن القراءة والكتابة[1]، فالمراد إذاً: أن يقرأ ما سيُقرأ عليه بأن يحفظه ويعيه ثم يقرأه ويعيده مرةً أخرى، وهذا بينٌ في وجوب الحفظ عليه ﷺ، ويؤكد هذا: حديث عائشة رضي الله عنها في قصة بدء الوحي، وفيه:(حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «**ما أنا بقارئ**»، قال: «**فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾**[2]» فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده– وفي رواية: ترجف بوادره) ... الحديث[3]؛ أي فرجع بالآيات التي قُرِئَتْ عليه ليحفظها لا ليكتبها، أي رجع حافظاً لها، وهذا يدل أن رسول الله ﷺ تلقى ما أوحي إليه، وقرأه حينئذٍ ووعاه وحفظه، ولم يُذْكَر لفعل ﴿**اقْرَأْ**﴾ مفعولٌ؛ إما لأنه

---

(1)كما قال جل وعلا: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ**﴾[سورة الأعراف: آية 157]، وقوله تعالى: ﴿**مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ**﴾[سورة الشورى: آية 52]، وفي الحديث: «**إنَّا أمةٌ أميةٌ لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا**» يعني مرة تسعة وعشرين، ومرة ثلاثين. رواه البخاري(1913) (3/ 27) كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: «**لا نكتب ولا نحسب**»، ومسلم(1080) (2/ 761) كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال.

(2) سورة العلق: الآيات 1-5 .

(3) رواه البخاري (3) (1/ 7) كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ ورواه في (4953) (6/ 173) كتاب تفسير القرآن، سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق، ومسلم (160) (1/ 139) كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

نُـزِّل منـزلة الـلازم، وأن المقصـود أوجـد القـراءة، وإمـا لظهـور المقـروء مـن المقـام، وتقديره: اقرأ ما سنلقيه إليك من القرآن[1].

* التبليغ الذي أوجبه الله تعالى على النبي ﷺ- وهو مقتضـى الرسالة التي أُرسل بها -؛ وعلى رأس ما يبلغه القرآن؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[2]، وقال جل وعلا: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[3]، ولا يكون مبلغاً رسالة ربه – وعلى رأسها القرآن – وهو لم يحفظ القرآن، وقد أكَّد هـذا المعنـى قـول الله جل وعلا: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[4].

* تكفل الله تعـالى لرسـوله ﷺ بـالحفظ وعـدم النسـيان، كـما في قولـه جـل وعـلا: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[5]، فإنه مقتضٍ إعانة الله ﷻ له على الحفظ المستلزم وجوبـه عليـه، وتزداد قوة الحفظ كلما ازدادت أهمية المحفوظ، وليس هنـاك مـا هـو أكثـر أهميـةً مـن القرآن الكريم.

وكما قـال سـبحانه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[6] أي: إن علينـا جمـع الـوحي، وأن تقرأه، وفوق ذلك أن تبينه للناس بلسانك، أي: عن ظهر قلبك، مبيِّناً لكـل سـامع، لا

(1) انظر: «التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»للعلامـة محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) ط الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ (30/ 434- 436).

(2) سورة المائدة: آية 67 .

(3) سورة الشورى: آية 48.

(4) سورة الأنعام: آية 19.

(5) سورة الأعلى: آية 6.

(6) سورة القيامة: آية 17.

يتوقف على مراجعةٍ، ولا على إحضار مصحفٍ من قرب أو بعد، فالبيان هنا بيان ألفاظه ليس بيان معانيه، لأن بيان معانيه ملازم لورود ألفاظه[1]؛ ويؤكد هذا قوله جل وعلا في الآيات التي بعدها: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[2]، فإذا فرغ الملك من قراءته يكون النبي ﷺ قد حفظه في صدره، ومن ثم يستطيع أن يقرأه مرة أخرى، وهذا معنى ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ ولا شك أن هذه القراءة من الذاكرة غيباً؛ لأن النبي ﷺ لم يقرأ كتاباً، وليس بقارئ، وما كان يدري ما الكتاب، وكذلك فإن جمعه في صدره يعني الحفظ في الصدر، فالقراءة في حق النبي ﷺ تعني قراءته من محفوظه، كما يظهر مما سبق.

* قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3]، فعجلة النبي ﷺ في تكرار القرآن الذي يتلوه عليه جبريل، قبل أن ينتهي جبريل من تلاوته،دليلٌ على حرصهﷺعلى حفظه ووعيه واستيعابه؛وهذا يستلزم وجوب حفظ القرآن عليه ﷺ[4].

ويؤكد هذا حديث المعالجة المتقدم عن ابن عباس، وفيه: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه...الخ[5]، فالنبي ﷺ يُجْهِدُ نفسه عند تلقيه الوحي بتحريك لسانه وشفتيه بسرعة يريد أن يحفظ ما يلقيه عليه جبريل، فلو لم يكن

---

(1) «التحرير والتنوير» (29/ 350).

(2) سورة القيامة: الآيات18، 19.

(3) سورة طه: آية 114.

(4) انظر ما تقدم هنا ص 18 – 20.

(5) تقدم نصه وتخريجه ص 18 .

حفظ القرآن واجباً عليه ﷺ لما أجهد النبي ﷺ نفسه كل هذا الإجهاد ليحفظ ما يلقيه عليه جبريل.

* حديث عياض بن حمارٍ المجاشعي ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ فيما يرويه عن رب العزة جل وعلا، وفيه: «**وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان**...»الحديث[1].

قال الإمام النووي – رحمه الله –: (أما قوله تعالى: «**لا يغسله الماء**» فمعناه محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على مر الأزمان، وأما قوله تعالى:«**تقرأه نائماً ويقظان**» فقال العلماء: معناه يكون محفوظاً لك في حالتي النوم واليقظة، وقيل: تقرأه في يسر وسهولة»[2].

المطلب الثاني: حكم حفظ القرآن في حق الأمة كلها

هل يجب حفظ القرآن كاملاً على كل أفراد الأمة؟ أو يجب حفظ بعضِه دون بعض؟ أو أن ذلك ليس بواجب أصلاً؟

صرَّح العلماء – رحمَهم الله – بأن حفظ القرآن واجب على الأمة في مجموعها؛ بحيث لا ينقطع عدد التواتر في حفَّاظه، ولا يتطرَّق إليه التبديل والتحريف، فإن قام بذلك قومٌ سقط الإثم عن باقي الأمة، وإلا فالكل آثم[3].

---

(1) رواه مسلم (2865) (4/ 2197) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(2) «شرح صحيح مسلم =المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1392هـ (17/ 198).

(3) «رد المحتار على الدر المختار» للإمام محمد أمين بن عمر، ابن عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: 1252هـ)، ط2، دار الفكر، بيروت، 1412هـ- 1992م (1/ 538)، و«الإقناع» (1/ 148)، و«منتهى الإرادات» (1/ 104).

قال الإمام أبو محمد الجويني– رحمه الله –: «تعلم القرآن وتعليمه فرض كفاية لئلا ينقطع عدد التواتر فيه فلا يتطرق إليه تبديل وتحريف»[1].

قال الإمام الزركشي– رحمَه الله –: (قال أصحابنا: تعليم القرآن فرض كفاية، وكذلك حفظه واجب على الأمة، صرح به الجرجاني في الشافي والعبادي وغيرهما، والمعنى فيه – كما قاله الجويني – ألاَّ ينقطع عدد التواتر فيه، ولا يتطرَّق إليه التبديل والتحريف، فإن قام بذلك قومٌ سقط عن الباقين، وإلا فالكل آثم.

فإذا لَمْ يكن في البلد أو في القرية مَنْ يتلو القرآن أثِموا بأسرِهم، وإذا كان هناك جماعةٌ يصلُحون للتعليم وطُلب من بعضِهم وامتنَع لَمْ يأثم في الأصح – كما قاله النَّوويُّ في «التبيان» وهو نظير ما صححه في كتاب «السير»: أن المفتي والمدرس لا يأثمان بالامتناع إذا كان هناك من يصلح غيره–وصورة المسألة: فيما إذا كانت المصلحة لا تفوت بالتأخير، فإن كانت تفوت لَمْ يَجُز الامتناع)[2].

هذا بالنسبة لحفظ القرآن كاملاً، أما حفظ بعضه؛ كالفاتحة– ونحوها من السور التي يقرأها المسلم في صلاتِه– فهو فرض عين على كل مسلم؛ إذ لا تصح الصلاة بغير الفاتحة؛ للحديث: «**لا صلاة لمن لَمْ يقرأ بفاتحة الكتاب**»[3].

---

(1) «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» (8/ 150).

(2) «البرهان في علوم القرآن» للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي (المتوفى: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية 1376هـ- 1957م (1/ 456).

(3) رواه البخاري (756) (1/ 151) كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت، ومسلم (394) (1/ 295)كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة من حديث عبادة ابن الصامت ﷺ مرفوعاً.

ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والصلاة واجبة، ولا تتم إلا بالفاتحة ومقدار ما يجزئ بعدها- عند من يقول بوجوبه- فيجب حفظ ذلك على كل مكلف، وأما سوى ذلك فحفظه مُسْتحبٌ بالإجماع.

جاء في «حاشية الروض المربع»: «يستحب حفظ القرآن إجماعاً، وفيه فضلٌ عظيم، وحفظه فرض كفاية إجماعاً وهو أفضل من سائر الذكر...ويجب منه ما يجب في الصلاة اتفاقاً»[1].

ومن أتمَّ حفظ القرآن كاملاً أو أتمَّ حفظ بعضه؛ فإنه يجب عليه المداومة على حفظه وعدم تعريضه للنسيان، وقد ذهب كثير من المفسّرين إلى أنَّ المراد بقوله تعالى: {**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**}[2]: قراءة القرآن بعينها دون الصلاة؛ أي: دراسة القرآن ليحصل الأمن من النسيان[3].

ولقد كان للأمة الإسلامية - في مجموعها - صفحات وضَّاءة في مجال حفظ القرآن وتحفيظِه، وتعلّمه وتعليمه، وتجويده وتفسيره؛ غير أننا نلحظ في عصرنا الحاضر؛ انصراف الهمم عن تعلم القرآن وتعليمه، وإعراض الكثيرين عن ذلك كلَّ الإعراض، مما يجعل العنايةَ بالقرآن والإقبال عليه - والحال هذه - آكدَ وألزمَ.

---

(1) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (المتوفى: 1392هـ) ط1، 1397هـ (بدوناشر) (2/ 206).

(2) المزمل: 20.

(3) «مفاتيح الغيب» للرازي (30/ 694).

المبحث الخامس: سهولة حفظ القرآن[1]

القرآن هو كلام الله عز وجل، خالق هذا الكون، ومدبِّر شؤونه، ومُحكم نظامه، تحدَّى به سبحانه الثَّقلَيْن؛ الإنس والجانَّ أن يأتوا بعشرِ سوَرٍ من مثلِه؛ بل بسورةٍ من مثلِه؛ فعَجَزُوا.

وهو كتابٌ عظيمٌ جليل، لو نزَل على الجبال الصماء لانـدكَّت من جلالِ الله تعالى والخوف منه والخشية له .

وقد وصف الله عز وجل القرآن بقوله: {**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**}[2]، ووصفَه بالعظمةِ فقال سبحانه: {**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**}[3] .

وعلى الرّغم من ذلك كله، فإن الله سبحانه – رحمةً منه بعبادِه، وتفضُّلاً عليهم وإكراماً لهم – يسَّر حفظ القرآن وتلاوته وفهمه، وتدبره واستيعاب معانيه، ولولا أن الله سبحانه يسَّره لما استطاع إنسانٌ قراءتَه؛ فضلاً عن حفظِه ودراستِه.

قال الحافظُ ابن كثير– رحمه الله – في تأويل قوله تعالى: {**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**}[4]: «أي: سهَّلْنا لفظه ويَسَّرْنا معناه لمن أراده؛ ليتذكر الناس كما قال سبحانه: {**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**}[5]، وقال

---

(1) هذا المبحث مختصر من كتاب: «هكذا فلنحفظ القرآن» للمؤلف (ص 89– 94) .

(2) المزمل: 5.

(3) الحجر: 78.

(4) القمر: 17.

(5) ص: 29.

تعالى: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا}[1].

قال مجاهد: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} يعني: هوَّنَّا قراءته، وقال السدي: لولا أن الله يَسَّرَهُ على الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل...

وقوله: {فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} أي: فهل من متذكر بهذا القرآن الذي يسَّره الله حفظه ومعناه؟»[2].

وفي تفسير الجلالين: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} »أي: سهَّلْناه للحفظ، وهيَّأْناه للتذكر: {فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} أي: هل من متَّعظ به، حافظ له؟ والاستفهام هنا بمعنى الأمر، أي: احفظوه واتَّعظوا به، وليس يُحفظ من كتب الله عن ظهر قلب غيرُه»[3].

وقال القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي- رحمه الله -: «قال سبحانه: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}[4]، وقال تعالى: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا}[5]، أي: علم معانيه، والعمل به، والقيام بحقوقه ثقيل، فمال الناس إلى المُيَسَّر- يعني الحفظ والتلاوة - وتركوا الثقيل وهو المطلوب منهم»[6].

---

(1) مريم: 97.

(2) «تفسير ابن كثير» (7/ 478).

(3) تفسيرالجلالين، للإمامين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)، ط1، دار الحديث، القاهرة (ص 706).

(4) القمر: 17 - 22 - 32 - 40.

(5) المزمل: 5.

(6) «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ (1/ 39).

وقال الإمام القرطبي- رحمَه الله -:« {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} » أي: سهَّلناه للحفظ، وأعنَّا عليه مَنْ أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه فيُعان عليه»[1].

قال الإمام ابن الجزري – رحمَه الله -: »إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة، وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرؤونه كله؛ إلا نظراً لا على ظهر قلب.

ولمَّا خصَّ الله تعالى بحفظه مَنْ شاء من أهله، أقام له أئمةً ثقاتٍ تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم في إتقانه، وتلقَّوْه من النَّبيِّ ﷺ – حرفاً حرفاً- ولم يهملوا منه حركة ولا سكوناً»[2].

وقال الإمام الماوردي – رحمَه الله – «من إعجازه- أي: القرآن – تيسيره على جميع الألسنة، حتى حفظه الأعجمي الأبكم، ودار به لسان القبطي الألكن، ولا يحفظ غيره من الكتب كحفظه ولا تجري به ألسنة البكم كجريها به، وما ذاك إلّا بخصائص إلهية فضّله بها على سائر كتبه»[3] .

(1) «الجامع لأحكام القرآن» (17/ 134).

(2) «النشر في القراءات العشر» (1/ 6).

(3) «أعلام النبوة» للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1409هـ (ص 86).

الفصل الرابع: تعاهد القرآن أزمانه وموا ـنه

المبحث الأول: أهمية تعاهد القرآن بالمراجعة والحث عليه

القرآن الكريم كلام الخالق الكبير المتعال، جل وعلا،وهو يختلف اختلافاً كُـلِّياً عـن سائر الكلام- شعراً كان أو نثراً -؛ فالقرآن سريع الهروب من الذهن لمن أغفل تعاهـده بالمراجعة والتكرار.

وقد سُئل بعض أهل العلم: لماذا يتفلَّت القرآن من صدر حافظه إذا أهمل مراجعته؟ فقال: »إنَّ هذا القرآن عزيز، لا يبقى في صدر مَنْ يهمله»؛ فأنت إذا تركته تركك، وهـذا من عزَّتـه، قـال الله تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾[1].

وقد أمر النبي ﷺ بتعاهد القرآن ومراجعته ورغب في ذلك وحث عليه.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**تعاهدوا هذا القرآن، فو الذي نفس محمد بيده لهو أَشَدُّ تَفَلّتاً من الإبل في عقُلها**»[2].

قال الإمام ابن بطَّال – رحمَه الله –: «هذا الحديث يوافق الآيتـين؛ قولـه تعـالى: {**إِنَّـا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِـيلًا**}[3]،وقولـه تعـالى: {**وَلَقَـدْ يَسَّرْنَـا الْقُـرْآنَ لِلـذِّكْرِ فَهَـلْ مِـنْ**

---

(1) سورة فصلت: الآيات 41، 42.

(2) رواه البخاري (5033) (6/ 193)كتاب فضـائل القـرآن، بـاب اسـتذكار القـرآن وتعاهـده، ومسـلم (791) (1/ 545) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضائل القرآن وما يتعلق به .
وقوله:«**تعاهدوا**» أي: حافظوا على قراءته وتلاوته. و«التَّفلّتْ»: التَّخلُّص.

(3) المزمل: 5.

مُدَّكِرٍ}[1]، فمن أقبل عليه بالمحافظة والتعاهد يُسِّر له، ومن أعرض عنه تفلَّتَ منه»[2].

وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما - أن النَّبيَّ ﷺ قال:«**إنما مثلُ صاحب القرآن كمثل الإبل المعقَّلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت**»[3].

والمعنى: أنّ سرعة تفلّت القرآن من صدور الحفّاظ أشدّ من سرعة انطلاق البعير حين يفكّ من قيده، فمن طبعه شدّة النّفور، فإذا انطلق لا يمكن الإمساكُ به إلا بمشقة كبيرة، وربما لم يُقدر عليه؛ وقد شبه النبي ﷺ تفلت القرآن من صدور حافظيه بتلفت البعير، وأن السبيل إلى تقوية الحفظ وتثبيته هو التعاهد والمراجعة، وأن ذلك بمثابة القيد له، كما أن السبيل للحفاظ على البعير بتقييده وعدم إفلاته من القيد.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال:«**بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيتُ آية كيت وكيت، بل هو نُسِّيَ، واستذكِروا القرآن فإنه أشدُّ تفَصِّياً من صدور الرجال من النَّعَم**»[4].

قوله: «**بئس ما لأحدهم أن يقول...**»«بئس» هي أخت نعم، فالأولى للذم والأخرى للمدح، وهما فعلان غير متصرفين يرفعان الفاعل ظاهراً أو مضمراً، و«ما» نكرة موصوفة، و«أن يقول: نسيتُ آية كيت وكيت » قال القرطبي:« كيت وكيت» يعبر بهما

---

(1) القمر: 17 - 22 - 32 - 40.

(2) «فتح الباري» (9/ 81) .

(3) صاحب القرآن أي: حافظه. «المعقَّلة» أي: المربوطة بالعقال، والحديث رواه البخاري (5031) (6/ 193) كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده ، ومسلم (789) (1/ 543) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضائل القرآن وما يتعلق به.

(4) رواه البخاري (5032) (6/ 193) كتاب فضائل القرآن، ، باب استذكار القرآن وتعاهده.

عن الجمل الكثيرة، والحديث الطويل، ومثلهما «ذيت وذيت» وقال ثعلب:«كيت» للأفعال، و«ذيت» للأسماء، وقوله:«بل هو نُسِّيَ» بتشديد السين، وورد بتخفيفها، قال القرطبي: التثقيل معناه أنه عوقب بوقوع النسيان عليه لتفريطه في معاهدته واستذكاره، قال: ومعنى التخفيف أن الرجل ترك غير ملتفت إليه، وهوكقوله تعالى: {نَسُوا اللهَّ فَنَسِيَهُمْ}[1] أي: تركهم في العذاب، أو تركهم من الرحمة[2].

واختلف في متعلق الذمم نقوله:»بئس» على أوجه، أصحها: أن سبب الذم ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن، إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة، فلو تعاهده بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره، فإذا قال الإنسان:«نَسِيتُ الآية الفلانية» فكأنه شهد على نفسه بالتفريط، في كون متعلق الذم: ترك الاستذكار والتعاهد لأنه الذي يورث النسيان[3].

وبين النبي ﷺ لأصحابه وأمته من بعدهم، أن قيام الليل بالمحفوظ من القرآن، وتلاوته وتكراره في الليل والنهار، هو أفضل الوسائل لتذكر القرآن والمحافظة عليه وعدم نسيانه، فعن ابن عمر – رضي الله عنهما –عن النبي ﷺ قال:»**وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه**»[4].

---

(1) التوبة: 67.

(2) انظر: «فتح الباري» (9/ 80).

(3)انظر: «فتح الباري» (9/ 81).

(4) رواه مسلم (789) (1/ 544) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نسيت آية كذا، وجواز قول أنسيتها.

وقوله «**لم يقم به**» أي: لم يقم به في صلاة الليل، ويحتمل معنى: العمل والتطبيق للقرآن، أي: لم يعمل به، والأول أظهر.

وقوله ﷺ «**إذا قام صاحب القرآن**» أي حافظه، وكل شيء لازم شيئاً فقد استصحبه «**فقرأه بالليل والنهار**» أي تعهد تلاوته ليلاً ونهاراً فلم يغفل عنه «**ذكره**» أي استمر ذاكراً حافظاً له «**وإذا لم يقم به**» أي بتلاوته ومراجعته «**نسيه**» فإنه شديد التفلت، كالإبل المعلقة التي إذا انفلتت لا تكاد تلحق، وفيه استحباب الدوام على تلاوة القرآن، فتلاوته أفضل الذكر العام بأن لم يخص بوقت أو محل، أما ما خص بأن ورد الشرع به فيه فهو أفضل[1].

ولأهمية التعاهد والاستذكار للقرآن: رغَّب النبي ﷺ من فاته ورده لعذرأو نوم أو انشغال، أن يقضيه وألا يتركه، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نام عن حزبه، أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر، وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل**»[2].

وقال أبو عبد الله بن بشر القطان – رحمه الله –: «ما رأيتُ أحسن انتزاعاً لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد، فلكثرة درسه وصلاته؛ صار القرآن كأنه بين عينيه»[3].

ولأن لقيام الليل أثرٌ عظيم في تثبيت حفظ القرآن، واستذكاره ومراجعته؛ فالنصوص التي رغبت في قيام الليل وبينت فضله – وهي كثيرة جداً –؛ يصلح

---

(1) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» للإمام زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ (1/ 415).

(2) رواه مسلم (747) (1/ 515) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض.

(3) «سير أعلام النبلاء» (15/ 521).

الاستشهاد بها هنا في الترغيب في تعاهد القرآن ومراجعته؛ إذ قيام الليل لا يكون إلا بالقرآن.

ولأهمية المراجعة والتعاهد للمحفوظ، ودورها في تثبيته والحفاظ عليه؛ مطلوبة، نبه علماء السلف عليها، ورغبوا تلاميذهم فيها، وحثوهم عليها.

يقول الخطيب البغدادي – رحمَه الله –: »وينبغي أن يراعيَ ما يحفظه، ويستعرض جميعه كلما مضت له مدة، ولا يغفل ذلك، فقد كان بعض العلماء إذا علَّم إنساناً مسألة من العلم سأله عنها بعد مدة، فإن كان قد حفظها زاده، وإلا أعرض عنه«[1].

وعن محمد بن القاسم بن خلَّاد – رحمه الله – أنه قال: «الاحتفاظ بما في صدر الرجل أولى من درس دفتره، وحرفٌ تحفظه بقلبك أنفع من ألف حديث في دفاترك»[2].

وقيل للأصمعي: كيف حفظت ونسيَ أصحابك؟ قال: «درستُ وتركوا»[3].

وقال ابن وَهْب – رحمه الله –: قيل لأخت مالك بن أنس: ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت: «المصحف والتلاوة»[4].

وقال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق – رحمه الله –: «القلوبُ تُرْبٌ، والعلم غَرسُها، والمذاكرةُ ماؤها، فإذا انقطع عن الترب ماؤها، جفَّ غرسُها»[5].

---

(1) الفقيه و المتفقه، للإمام أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي، ط2، دار ابن الجوزي، السعودية، 1421هـ (2/ 202).

(2) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»(2/ 266).

(3) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (2/ 267).

(4) «سير أعلام النبلاء» (8/ 111).

(5) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (2/ 278).

وكان الخليل بن أحمد – رحمه الله – يقول: «الاحتفاظ بما في صدرك أولى من درس ما في كتابك، واجعل كتابك رأس مالك، وما في صدرك للنفقة»[1].

وقال عليٌّ بن أبي طالب ﷺ: «تزاوروا وتدارسوا الحديث، ولا تتركوه يدرس»[2].

فالمراجعة المستمرة للمحفوظ من أهم ما يثبت الحفظ، لاسيما في القرآن، لذا كان من الواجب على حافظ القرآن خاصة، وعلى كل مسلم عامةً، أن يكون له وِردٌ دائمٌ مع كتاب الله عز وجل، وأن لا يمر عليه يوم إلا ويقرأ جزءاً منه أو أكثر، وذلك فيه تثبيتٌ للحفظِ أولاً، وفيه ثواب عظيم جداً ثانياً؛ فكل حرف بعشر حسنات، والله يضاعف لمن يشاء، إضافةً إلى رفعة درجاته في الجنان[3].

المبحث الثاني: تعاهد النبي ﷺ للقرآن

لقد كان النبي ﷺ أكثر الناس تعاهداً للقرآن وتلاوة له، وحرصاً على تكراره وترداده، **ومن صور هذا التعاهد والاستذكار:**

كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل عليه السلام بالقرآن يُحَرِّك لسانه بقراءة القرآن قبل أن ينتهي جبريل من قراءتها، وذلك حرصاً منه ﷺ على حفظها وعدم نسيانها، فنهاه الله جل وعلا عن التعجل والإسراع في تكرار الآيات قبل أن ينتهي من سماعها كاملة، وطمأنه بأنه سبحانه سيجمع له القرآن ويثبته في صدره بمجرد سماعه له من مرة

---

(1)الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، للإمام الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (المتوفى: نحو 395هـ) تحقيق: د. مروان قباني، ط1، المكتب الإسلامي–بيروت، 1406هـ - 1986م (ص 69، 70).

(2) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (1/ 236).

(3) هكذا فلنحفظ القرآن، ط 3(ص 236) .

واحدة، فيحفظه فلا ينساه أبداً؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[3].

ومن صور هذا التعاهد:

التلاوة اليومية للقرآن: فقد كان النبي ﷺ حريصًا على قراءة القرآن كل يوم، وكيف لا وقد أمره الله بذلك في قوله جل وعلا: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾[5]، وقوله سبحانه: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[6].

ولما جاء وفد ثقيف إلى المدينة أنزلهم رسول الله ﷺ في قبة بين المسجد وبين أهله، فكان يأتيهم ويُحدِّثهم بعد العشاء، وفي ليلة من الليالي تأخَّر عليهم ثم أتاهم فقالوا له: يا رسول الله لبثت عنا الليلة أكثر مما كنت تلبث؛ فقال:»نعم، طرأ عليَّ حِزْبي من القرآن، فكرهت أن أخرج من المسجد حتى أقضيه«[7].

---

(1) سورة طه: آية 114.

(2) سورة القيامة: الآيات 16 – 19.

(3) سورة الأعلى: آية 6.

(4) سورة النمل: الآيات 91، 92 .

(5) سورة الكهف: آية 27.

(6) سورة العنكبوت: آية 45.

(7) رواه أبو داود (1393)، وابن ماجه (1345) وأحمد في «المسند» (16166) (26/ 89)، والطبراني في «المعجم الكبير» (599) (1/ 220).

وفي كتاب (زاد المعاد) للإمام ابن القيم - رحمه الله – فصل طويل في هديه ﷺ في قراءة القرآن واستماعه وخشوعه، وبكائه عند قراءته واستماعه، وتحسين صوته به، وتوابع ذلك.

قال فيه: «كان له ﷺ حزب يقرؤه، ولا يُخِلُّ به، وكانت قراءته ترتيلاً، لا هَذّاً ولا عجلة، بل قراءة مفسَّرةً حرفاً حرفاً، وكان يقَطِّع قراءته آية آية، وكان يمد عند حروف المد، فيمد (الرحمن) ويمد (الرحيم)، وكان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في أول قراءته... وكان يحب أن يسمع القرآن من غيره، وأمر عبد الله بن مسعود فقرأ عليه وهو يسمع، وخشع ﷺ لسماع القرآن منه حتى ذرفت عيناه.

وكان يقرأ القرآن قائماً، وقاعداً، ومضطجعاً، ومتوضئاً، ومُحْدِثاً، ولم يكن يمنعه من قراءته إلا الجنابة، وكان ﷺ يتغنى به، ويرجع صوته به أحياناً»[1].

عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال:«**أفلا أكون عبدا شكوراً**»[2].

قال الإمام بدر الدين العيني - رحمه الله -: (قال ابن بطال: فيه أن أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة وإن أضر ذلك ببدنه، وله أن يأخذ بالرخصة ويكلف نفسه بما

---

(1) «زاد المعاد في هدي خير العباد» للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب، شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، ط27، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1415هـ-1994م (1/ 463، 464).

(2) رواه البخاري (4836) (6/ 135) كتاب تفسير القرآن، باب ﴿**لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا**﴾[سورة الفتح: آية 2]، ومسلم (2819) (4/ 2171) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

سمحت، إلا أن الأخذ بالشدة أفضل؛ لأنه إذا فعل ﷺوقد غفر له، فكيف من لم يعلم أنه استحق النار أملا؟، وإنما ألزم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنفسهم شدة الخوف لعلمهم عظيم نعمة الله عليهم، وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها، فبذلوا مجهودهم في شكره، مع أن حقوق الله تعالى أعظم من أن يقوم بها العباد.

وقال بعض العلماء: ما ورد في القرآن والسنة من ذكر ذنب لبعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كقوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[1]، ونحو ذلك فليس لنا أن نقول ذلك في غير القرآن والسنة، حيث ورد ويؤول ذلك على ترك الأولى، وسميت ذنوباً لعظم مقدارهم، كما قال بعضهم: حسنات الأبرار سيئات المقربين)[2].

وع نعبد الله بن مسعود ﷺ قال:«صليت مع النبي ﷺ ليلة، فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء»، قلنا: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ[3].

وطول القيام في صلاة الليل إنما يكون لكثرة قراءة القرآن فيها، وهذا من تعاهد النبي ﷺ للقرآن في كل ليلة أثناء صلاته في قيام الليل، ولهذا بوب الإمام مسلم في صحيحه لهذا الحديث بقوله: «باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل».

ويؤكد ذلك: حديث حذيفة، قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها،

---

(1) سورة طه: آية 121.

(2) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للإمام أبي محمد محمود بن أحمد الحنفى، بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ)، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت (7/ 180).

(3)رواه البخاري (1135) (3/ 51) كتاب التهجد، باب طول القيام في صلاة الليل، ومسلم (773) (1/ 537) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل.

ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلا، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع، فجعل يقول: «سبحان ربي العظيم»، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: «سمع الله لمن حمده»، ثم قام طويلا قريبا مما ركع، ثم سجد، فقال: «سبحان ربي الأعلى»، فكان سجوده قريبا من قيامه[1].

وحديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كنت أقوم مع رسول الله ﷺ فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا ورغب، ولا بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ»[2].

وقراءة القرآن وتعاهده بالمراجعة في صلاة الليل من أعظم وسائل حفظه، وتقدم حديث عبد الله ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: «**وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه**»[3].

فهذا من تعاهده ﷺ للقرآن، ويمكن أن نطلق عليه: التعاهد اليومي.

ومن صور هذا التعاهد:

المراجعة السنوية والعرض على جبريل عليه السلام؛ فقد كان جبريل عليه السلام

---

(1) رواه مسلم (772) (1/ 536) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل.

(2) « السنن الكبرى» للإمام أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ- 2003م (3688) (2/ 439).

(3) رواه مسلم (789) (1/ 544) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نسيت آية كذا، وجواز قول أنسيتها.

يعارض النبي ﷺ بالقرآن مرة كل سنة، وفي سنة وفاته عارضه القرآن مرتين، وذلك ليطمئن النبي ﷺ إلى ضبطه للقرآن، وحفظه له، وعدم نسيان شيء منه.

وقد بوب البخاري في صحيحه لذلك بقوله: (باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ؛ وقال مسروق: عن عائشة، عن فاطمة عليها السلام: أسرَّ إليَّ النبي ﷺ: «**أنَّ جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي**»)[1].

والمعارضة: هي المقابلة في القراءة عن ظهر قلب، وصفتها: أن يقرأ أحدهما، ويستمع الآخر.

والعرضات الأخرى- التي سبقت تلك العرضة الأخيرة - كانت في شهر رمضان من كل عام، فكان جبريل- عليه السلام - ينزل على النبي فيدارسه القرآن كل ليلة من رمضان، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول اللهﷺ أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كلِّ ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[2].

---

(1) «صحيح البخاري» (6/ 186)، ورواه البخاري موصولاً في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (4/ 203) (3624)، كما رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ (4/ 1904) (2450).

(2) رواه البخاري (1/ 8) (6) في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ؟، ومسلم (4/ 1803) (2308) في الفضائل باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير.

فهذه المعارضة الحاصلة بين النبي ﷺ وبين جبريل عليه السلام، وتكرارها كل عام، وكل ليلة من ليالي رمضان؛ عبارة عن تعاهد سنوي، ومراجعة موسمية لحفظ القرآن من النبي ﷺ مع جبريل عليه السلام .

المبحث الثالث: مقدار ما يقرأ في ورد المراجعة:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة، قال: فإما ذكرت للنبي ﷺ، وإما أرسل إليَّ فأتيته، فقال لي: «**ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟**» فقلت: بلى، يا نبي الله، ولم أرد بذلك إلا الخير، قال: «**فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام**» قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال «**فإن لزوجك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً**» قال:«**فصم صوم داود نبي الله ﷺ، فإنه كان أعبد الناس**» قال قلت: يا نبي الله، وما صوم داود؟ قال:«**كان يصوم يوماً ويفطر يوماً**» قال:«**واقرأ القرآن في كل شهر**» قال قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال:«**فاقرأه في كل عشرين**» قال قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال:«**فاقرأه في كل عشر**» قال قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «**فاقرأه في كل سبع، ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً**» قال: فشددت، فشدد علي. قال: وقال لي النبي ﷺ: «**إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر**»قال: «فشَدَّدْتُ فشُدِّد عليَّ»، قال: فصرت إلى الذي قال لي النَّبيُّ ﷺ، فلَمَّا كبرتُ

وددتُ أني كنت قبلتُ رخصة نبي الله ﷺ»[1].

وعن سعد بن المنذر الأنصاري ﷺ أنه قال: يا رسول الله! أقرأ القرآن في ثلاث؟ قال: «**إن استطعت**»، قال: وكان يقرأه كذلك حتى توفي[2].

وعن عبد الله بن عمرو أنه سأل النَّبيَّ ﷺ: في كم نختم القرآن؟ قال: «**في أربعين يوماً**»[3].

وفي هذه الأحاديث إشارةٌ إلى الحدِّ الأعلى للقراءة، والذي لا ينبغي تجاوزه أو الزيادة عليه، وهو أن يختم في كل ثلاث ليالٍ ختمة.

وإشارة إلى الحد الأدنى، وهو الأرفق بعامة المسلمين على اختلاف طبقاتهم وأعمالهم ومشاغلهم، وهو أن يختم القرآن كلَّ شهرٍ، أو في كل أربعين كما في رواية التِّرمذيِّ السالفة.

---

(1) رواه مسلم (1159) (2/ 813) كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطا ريوم. وقوله: (**فإن بحسبك أن تصوم**) الباء فيه زائدة ومعناه أن صوم الثلاثة الأيام من كل شهر كافيك، (**ولزورك**) هو مصدر وضع موضع الاسم، كصوم ونوم بمعنى صائم ونائم، وقد يكون الزور جمعاً لزائر كركب في جمع راكب، أي: لضيفك ولأصحابك الزائرين حق عليك، وأنت تعجز بسبب توالي الصيام والقيام عن القيام بحسن معاشرتهم (**واقرأ القرآن في كل شهر**) أي: اختمه (**وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله**) معناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظفه على نفسه عند رسول الله ﷺ فشق عليه فعله ولا يمكنه تركه.

(2) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (5481)، وابن المبارك في «الزهد» (1274) (1/ 452)؛ «الزهد والرقائق» للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: 181هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، وصححه الألباني في: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (1512)، و«صحيح الجامع الصغير» (1155).

(3) رواه أبو داود (1395) (2/ 542) في الصلاة، باب تحزيب القرآن، والتِّرمذي (2947) (5/ 197) في أبواب القراءات، وقال: «حديث حسن غريب».

وبين هذا وذاك دَرَجَاتٌ ورُتَبٌ، تفاوتت فيها همم السلف رحمهم الله تعالى، فقد كان للسلف الصالح رضوان الله عليهم عادات مختلفة في مقدار ما يختمون فيه.

فمنهم مَنْ كان يختم كل شهر ختمة، وبعضهم في كل عشر ليال ختمة، وبعضهم في كل ثمان ليال ختمة، وعن بعضهم في كل ست ليالٍ ختمة، وعن بعضهم في كل خمس ليال، وعن كثير منهم في كل ثلاث ليال، وبعضهم ختمه في أقل من ثلاث.

وعن الأكثرين في كل سبع، ومنهم: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأُبيّ بن كعب، وتميم الداري، ومن التابعين عبد الرحمن بن يزيد، وعلقمة بن قيس؛ رحمهم الله تعالى[1].

قال أبو خلدة خالد بن دينار - رحمه الله -: سمعت أبا العالية يقول: كُنَّا عبيداً مملوكين، مِنَّا مَنْ يُؤَدِي الضرائب، ومِنَّا مَنْ يخدم أهله، فكنا نختم كل ليلة، فشق علينا، حتى شكا بعضنا إلى بعض، فلقينا أصحاب رسول الله ﷺ فعلَّمونا أن نختم كل جمعة، فَصلِّينا ونِمْنَا ولم يشق علينا[2].

وهذه هي أفضل مُدَّة للختم لدلالة حديث عبد الله بن عمرو المتقدم على ذلك،

---

(1) «التبيان في آداب حملة القرآن» للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، تحقيق محمد الحجار، ط3، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1414هـ- 1994م (ص 16).

(2) «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» للإمام شمس الدين، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413هـ- 1993م (6/ 530).

وفيه: «**اقرأه في سبعٍ ولا تزد**»[1].

ولأنه فعل أكثر أصحاب النَّبيِّ ﷺ، فقد قال أوس بن حذيفة ﷺ: سألتُ أصحابَ رسول الله ﷺ كيف يُحزِّبونَ القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصَّل وحده[2].

قال الإمام الزركشي- رحمه الله -: (ويستحب ختم القرآن في كل أسبوع. للحديث: «**اقرأ القرآن في كل سبع ولا تزد**»[3].

ورَوَى الطَّبراني بسند جيد أن أصحاب النَّبيِّ ﷺ سُئلوا: كيف كان رسول الله ﷺ يجزِّيء القرآن؟ قالوا:»كان يجزئه ثلاثاً وخمساً»[4].

---

(1) تقدم تخريجه (ص 66).

(2) رواه أبو داود (1393)(2/ 541) كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن، وابن ماجه (1345) (1/ 427) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم القرآن، وأحمدفي «المسند» (16166) (26/ 89).

قال الإمام ابن معين: «إسناد هذا الحديث صالح، وحديثه عن النَّبيِّ ﷺ في تحزيب القرآن ليس بالقائم». انظر :حاشية «مختصر سنن أبي داود» (2/ 113).

واستدلَّ بعض العلماء بهذا الحديث على أن ترتيب السور كان مشهوراً لدى الصحابة كما هو معروف الآن في المصحف، وهذا التحزيب النبوي رمز بعضهم لترتيبه بقوله: (**فمي بشوق**)، فالأول منه: مِنَ الفاتحة إلى النساء، والثاني: مِنَ المائدة إلى التوبة، والثالث: مِن يونس إلى النحل، والرابع: من (بني إسرائيل) إلى الفرقان، والخامس: مِنَ الشعراء إلى يس، والسادس: مِنَ {والصافات} إلى الحجرات، والسابع: حزب المفصل من {ق} إلى آخر القرآن.

(3) تقدَّم تخريجه (ص 66).

(4) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (599) (1/ 220)عن أوس بن حذيفة الثقفي ﷺ، وفيه: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ: كيف كان رسول الله ﷺ يحزب القرآن؟ فقالوا: «كان يحزبه ثلاثاً، وخمساً، وسبعاً، وتسعاً، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل».

وكره قومٌ قراءته في أقلَّ من ثلاث، وحملوا عليه حديث: «**لا يفقه القرآن مَنْ قرأه في أقل من ثلاث**»[1]، والمختار الذي عليه أكثر المحققين أن ذلك يختلف باختلاف حال الشخص في النشاط والضعف والتدبر والغفلة)[2].

قال الإمام السيوطي – رحمه الله –: (أخرج ابن أبي داود عن مكحول – رحمه الله – قال: «كان أقوياء أصحاب رسول الله ﷺ يقرؤون القرآن في سبع، وبعضهم في شهر، وبعضهم في شهرين، وبعضهم في أكثر من ذلك».

وقال أبو الليث في البستان: «ينبغي للقارئ أن يختم في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة».

وقد رَوَى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة – رحمه الله – أنه قال: «مَنْ قرأ القرآن في كل سنة مرتين، فقد أدى للقرآن حقه، لأن النَّبيَّ ﷺ عرضَه على جبريلَ في السنةِ التي قُبض فيها مرتين».

وقال غيره: «يُكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوماً بلا عذر». نصَّ عليه الإمام أحمد؛ لأن عبد الله بن عمرو سأل النبي ﷺ في كم نختم القرآن؟قال:«**في أربعين يوماً**»[3]

---

(1) رواه أبو داود (1394) (2/ 542)كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن، والتِّرمذي (2949)(5/ 198) وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (1347) (2/ 371) أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ما جاء في كم يستحب يختم القرآن، وأحمد (6775) (11/ 389)، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط الشيخين» من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (1107).

(2) «البرهان في علوم القرآن» (1/ 470، 471).

(3) تقدم تخريجه (ص 67) .

رواه أبوداود) [1].

وقال النَّووي- رحمه الله -: «والاختيار: أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له به كمال فهم ما يقرؤه، وكذا مَنْ كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة؛ فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لَمْ يكن من هؤلاء المذكورين، فليستكثر ما أمكنَه، من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة، وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة»[2].

وأما ما ورد عن كثير من السلف من ختمهم للقرآن في أقل من ثلاث، حتى ورد عن بعضهم أنه يختم القرآن في اليوم الواحد مرتين أو ثلاثاً، مع ما ثبت في الحديث: «**لا يفقه القرآن مَنْ قرأه في أقل من ثلاث**»[3].

فقد أجاب عن ذلك الإمامُ الحافظُ ابن رجب الحنبلي - رحمَه الله - فقال: «إنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات الفاضلة كشهر رمضان، خصوصاً الليالي التي يُطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً لفضيلة الزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم»[4].

---

(1)«الإتقان في علوم القرآن»(1/ 362).

(2) «التبيان في آداب حملة القرآن» (ص 16) .

(3) تقدم تخريجه (ص 68).

(4)«لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» للإمام زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، ط1، دار ابن حزم، 1424هـ- 2004م (ص 171).

وأكثر أهل العلم على أن إحسان التلاوة مع فهمها والتدبر فيها، أفضل من كثرة القراءة بغير فهم ولا تدبر.

قال عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما -: »لأن أقرأ البقرة وآل عمران وأرتلهما وأتدبرهما أحب إليَّ من أقرأ القرآن كله هذرمة«[1].

روى البيهقي عن مسلم بن مخراق قال: قلت لعائشة - رضي الله عنها -: إنَّ رجالاً يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثة، فقالت: »قرؤوا ولم يقرؤوا، كنت أقوم مع رسول الله ﷺ فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا ورغب، ولا بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ«[2].

(1) «مختصر منهاج القاصدين» للإمام أبي العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: 689هـ)، ط مكتبة دار البيان، دمشق، 1398 هـ - 1978م (ص 52) .

(2) « السنن الكبرى» للإمام أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ- 2003م (3688) (2/ 439).

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج

الحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، وبعد:

فقد اشتمل هذا البحث على عدد من النتائج، أجمل أهمها في هذه الخاتمة على النحو التالي:

• التلقي في اصطلاح القراء، هو إقبال الطالب على شيخه –المقرئ – وأخذ القرآن عنه مشافهة.

• القرآن متميز في كل شيء حتى في طريقة تعلمه وتعليمه، فلا يُتلقى إلا بالكيفية التي تلقى بها الصحابة عن رسول الله ﷺ، وهي القراءة على الشيخ عقب السماع منه، وأفضل طرق التلقي والإحكام هي: الجمع بين السماع من الشيخ والعرض عليه والكتابة بين يديه.

• التلقي والمشافهة هما الأصل الرصين والركن الركين في أخذ القرآن قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[1]،وقد أفتى العلماء العاملون بوجوب تلقي القرآن مشافهة على شيخ متقن، وعدم جواز أخذ القرآن الكريم بدون معلم، مستدلين بعشرات النصوص الواردة في تلقي القرآن والمشافهة في تعلمه وتعليمه.

---

(1) سورة النمل: آية 6.

• اشتدت عناية النبي ﷺ بالتلقي السليم من جبريل عليه السلام، وهذا يظهر من قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[1].

• تلقي النبي ﷺ للقرآنَ كان مجوَّداً مُرَتَّلاً، وأحكام التلاوة وضوابط علم التجويد الموجودة الآن مستنبطة من قراءته ﷺ، والتي تلقاها أصحابه عنه، وتلقتها الأمة كلها من بعد عن الصحابة الكرام وتابعيهم بإحسان إلى يومنا هذا.

• لم يكن نزول القرآن على النبي ﷺ جملة واحدة، وإنما امتد نزوله طوال ثلاث وعشرين سنة مفرَّقاً على الحوادث والأزمنة المختلفة، وكان ذلك لحكم وفوائد عديدة، منها: تثبيتفؤادالنبيﷺ وتقوية الإيمان واليقين في قلبه ﷺ، تيسير حفظ القرآن وفهمه على الرسول ﷺ، وعلى الأمة من بعده، التدرج في تربية هذه الأمة الناشئة، علماً وعملاً، وتثبيت قلوب المؤمنين وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين، والتحدي والإعجاز، والتدرج في التشريع، ومسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرُّقها. ولأجل ذلك أدرك السلف أهمية الاقتصاد والتدرج في تلقي القرآن الكريم وتعليمه، وأخذوا أنفسهم وغيرهم به، وسار على منوالهم مَنْ جاء بعدهم ممن سلك سبيلهم إلى أيامنا هذه.

• بعكس الكتب السماوية السابقة، تكفل الله جل وعلا بحفظ القرآن الكريم من الضياع، ومن التحريف والتبديل، والزيادة والنقصان؛ قال الله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[2]. وكان من وسائل حفظه: جمعه في صدر النبيﷺوتثبيت الله

(1) سورة القيامة: آية 16.
(2) سورة الحجر: آية 9.

جل وعلا له في قلبه، فلا ينسى منه شيئاً أبداً؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[2]. كما أنَّ من وسائل حفظه: حفظ هذه الأمة المحمدية للقرآن بِاتِّبَاعِهَا منهجَ التَّلقِّي في تعلم القرآن وتعليمه، فالحمد لله تعالى على واسع نعمته وكريم فضله .

• حفظ القرآن من أجلِّ القُرُبات، وأفضل الطاعات، والاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة، وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرؤونه كله؛ إلا نظراً لا على ظهر قلب.

• **الحفظ لغةً**: ضد النسيان، وهو التعاهد وقلة الغفلة. والحفظ اصطلاحاً: يراد به إيداع القرآن في ذاكرة الحافظ، وضبطه ضبطاً متقناً يؤهِّله لأدائه إلى غيرِه مرتَّلاً مجوداً كما تلقاه، فإن حفظَه ثُمَّ أهملَه وأغفَل مراجعتَه حتى نسيَه، أو نَسي بعضَه أو جلَّه؛ فمثل هذا لا يسمَّى حافظاً، ولا يستحق لقب (حامل القرآن). والحفظ يقتضي ـ شدة العناية، وكثرة الدرس، وطول المذاكرة فهذه الثلاثة أمور سبيل الحفظ والإتقان، وبدونها لا يكون حفظ ولا إتقان.

• كان حفظ القرآن الكريم واجباً على النبي ﷺ وجوباً مقطوعاً به، وهو واجب على الأمة في مجموعها؛ بحيث لا ينقطع عدد التواتر في حفَّاظه، ولا يتطرَّق إليه التبديل والتحريف، فإن قام بذلك قومٌ سقط الإثم عن باقي الأمة، وإلا فالكل آثم.

• القرآن سريع الهروب من الذهن لمن أغفل تعاهده بالمراجعة والتكرار، والمراجعة

---

(1) سورة القيامة: الآيات 17 – 19.

(2) سورة الأعلى: آية 6 .

المستمرة من أهم ما يثبت حفظ القرآن، لذا كان من الواجب على حافظ القرآن خاصة، وعلى كل مسلم عامةً، أن يكون له وِردٌ دائمٌ مع كتاب الله عز وجل، وأن لا يمر عليه يوم إلا ويقرأ جزءاً منه أو أكثر.

• كان النبي ﷺ أكثر الناس تعاهداً للقرآن، وتلاوة ومراجعة له، وحرصاً على تكراره وترداده، ويتعاهده بصورة يومية لاسيما في قيام الليل، وبصورة سنوية عن طريق قراءته كل ليلة على جبريل عليه السلام وسماعه منه.

• ورد في الأحاديث إشارةٌ إلى الحدِّ الأعلى للقراءة، والذي لا ينبغي تجاوزه أو الزيادة عليه، وهو أن يختم في كل ثلاث ليالٍ ختمة، وإشارة إلى الحد الأدنى، وهو الأرفق بعامة المسلمين على اختلاف طبقاتهم وأعمالهم ومشاغلهم، وهو أن يختم القرآن كلَّ شهرٍ، أو في كلِّ أربعين يوماً، وبين هذا وذاك دَرَجَاتٌ ورُتَبٌ، تفاوتت فيها همم السلف رحمهم الله تعالى.

آية التلقي في القرءان الكريم:

دراسة في المفهوم اللغوي والتوظيف السياقي

د. عدنان أجانة

أستاذ بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين- كلميم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن التلقي لفظة جامعة ومفهوم جليل، دل به القرآن الكريم على كيفية استقبال النبي ﷺ للوحي وتناوله، وأبان به عن الوجه الذي حصل به ذلك، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل/ 6].

وهذا المفهوم الجامع الجليل، ينبغي الأناة فيه وتعميق النظر في دلالاته وامتدادها، وذلك من خلال توظيف القرآن الكريم له وتصريفه لمادته، وما اكتسبه من المعاني التي اقتضاها سياق استعماله في القرآن الكريم.

والحديث عن تلقي النبي ﷺ القرآن الكريم حديث جليل، يرتد بالناظر فيه إلى زمن الوحي وهو غض طري، ويوقف الدارس له على معالم تلك المرحلة، التي ما انقطعت أنوارها إلى يوم الناس هذا.

وقد اطردت عادة القرآن الكريم، أن تكون ألفاظه مختارة على أساس من التوافق الدلالي الدقيق بين اللفظ ومعناه، وقد اقتضى ذلك شرف المعاني والمضامين الكامنة في القرآن الكريم، فمن ثم كان تعبير القرآن عن المعاني يمتاز بالتوافق التام بين اللفظ والمعنى، بحيث لو استبدل ذلك بغيره لأثر ذلك في الدلالة، وأحال المعنى عن وجهه المراد.

ويتأسس على هذا أن اختيار القرآن الكريم لهذه اللفظة على غيرها من الألفاظ فيه لفت للنظر، وتوجيه للفكر، في إعمال الروية في وجه اختيار هذه اللفظة على سواها، وإيذانا بما لها من قيمة دلالية لا يقوم غيرها من الألفاظ على أدائها.

وانطلاقا من هذه الإشارة الغنية، اتجه النظر للتعرف على ما يختزله لفظ التلقي في قوله سبحانه وتعالى: «وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم» من معان وظلال، تصور الحالة التي تلقى فيها النبي ﷺ القرآن الكريم.

واستحضارا لما لهذا اللفظ الجامع من الأهمية في الدراسات القرآنية، ولما يمكن أن تسهم به مثل هذه الدراسة؛ أفرد هذا الموضوع بالبحث تجلية لهذه المعاني، ووقوفا على ما في اللفظة من أسرار دلالية ومعان منداحة في وضعها وسياقها ومادتها.

كما يهدف البحث إلى تلمس أسباب النجح في خدمة القرآن الكريم، خدمة نرجو ثوابها وأن ينفعنا الله بها في الدنيا والآخرة.

وسيتم النظر في هذه اللفظة، اعتمادا على مداخل خمسة، وهي المدخل الصرفي والنحوي والاشتقاقي والمعجمي والسياقي، ومن شأن هذه المداخل، أن تسهم في تجلية المعنى الذي تحيل عليه هذه اللفظة، سائلا الله عز وجل، أن يمدني بمدد من العون والتوفيق والسداد.

فأقول مستعينا بالله.

✓ **المدخل الصرفي**

يقصد بالمعنى الصرفي ما تسعف بـه بنيـة الكلمـة ومـا يتصـل بهـا مـن اللواحـق أو السوابق من المعاني الجزئية التي تسهم في بنـاء المعنـى العـام للمفـردة القرآنيـة، وهـذه العناصر التي تقترن بالصورة اللفظية وتضاف إلى هيئتها، يضطلع كل عنصـر بإضـافة معنى ما، وهذا ما يجعل الدلالة تنمو وتستمر في الكلمة[1].

والنظر الصرفي في قوله سبحانه: «لتلقى» يقتضي اعتبـار مجموعـة مـن المعـاني تـدل عليها البنية الصرفية للفظة؛ وهذه المعاني هي:

- **معنى الزمن**

يستفاد الزمن على المستوى الصرفي من شكل الصيغة، بحيـث تقـوم الصـيغة أو مـا يلتحق بها من الدلالة على أزمنة ثابتة، حددها النحويون في الماضي والمضـارع والأمـر، وجعلوا لكل زمان صيغة خاصة به، ومعنى إتيان الزمن على المستوى الصرفي من شكل الصيغة أن الزمن هنا وظيفـة الصـيغة المفـردة،[2] وقـد دل عـلى الـزمن في اللفظـة تـاء المضارعة وهي من مباني التصريف، والزمن المدلول عليها هنـا هـو المضـارع، ودلالتـه على الحينونة والاستقبال القريب.

ودلالة المضارع هنا هي جزء من الدلالة الزمنية للحدث الـدال عليـه الفعـل وهـو التلقي، وسيتكفل السياق النحوي بتوسيع هـذه الدلالـة الزمنيـة كـما سـيأتي، وزمـان المضارع مقترن بزمان الخطاب، إذ كانت التاء دالة على الخطاب والإقبال على المخاطب.

---

(1) للتوسع في هذا ينظر : علم الصرف الصوتي لعبد القادر عبد الجليل ص70.

(2) اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان ص104.

- **معنى الخطاب.**

تاء المضارعة دالة على المخاطب الحاضر،[1] وهي تتضمن معنى الإقبال، والخطاب هنا للنبي ﷺ، وهو خطاب تشريف له وإعلاء من شأنه، ويترتب على هذا الخطاب ما يكون من تنبيه المخاطب إلى شرف مضمونه وأهمية موضوعه.

- **معنى الصيغة:**

تلقى، فعل مضارع معتل مبني للمجهول، وماضيه لقَّى مضاعف من مادة «لِقِيَ» «والتضعيف فيه للتعدية.

وقول من زعم أن أصله: تلقن، فأبدلت النون ألفاً ضعيف، وإن كان المعنى صحيحاً، لأن ذلك لا يكون إلا مما كان عينه ولامه من جنس واحد نحو: «تظنِّي» و«تقضِّي» و«تسرِّي» أصله: تظنن وتقضض وتسرر. ولا يقال في تقبل: تقبى[2]؛ وتفسير تلقى بتلقن، تفسير معنى لا تفسير إعراب.[3]

وتلقى على زنة تُفعَّل، وماضيه مضاعف على زنة فعَّل وهذا الوزن خاص بالأفعال، وهو يأتي للدلالة على معان، هي السلب نحو: فزَّعته أي أزلت الفزع عنه، وكونه بمعنى فعَل، كقولك: عِضْتُه وعوَّضته، والتكثير وهو الغالب كقولك: قطَّعت الثياب.[4] والتعدية نحو فرَّحنه.[5]

---

(1) المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري ص321.
(2) البحر المحيط لأبي حيان 1/ 318.
(3) ينظر الدر المصون للسمين الحلبي. 8/ 572.
(4) المفصل للزمخشري ص372.
(5) الشافية في علم التصريف لابن الحاجب ص20.

والمعنى الذي يناسب صيغة تلقى، هو التكثير والتعدية.

أما التكثير، فلكون الحدث وهو التلقي، قد تكرر من النبي ﷺ مرات ومرات، وهو حدث لم يقع مرة وانتهى، بل هو في تجدد وتكرر.

وأما التعدية، فهي دالة على الجعل والتصيير، لأن التلقي هو في أصل المعنى إعداد للقي وتهيئ له وتأهيل لصاحبه. ومعنى لقَّاه جعله لاقيا. وقد فسر البقاعي في دُرره المواضع التي وردت من هذه الصيغة في القرآن بالجعل بناء على ما تقتضيه الصيغة.[1]

وعليه، يكون قوله «لتُلَقَّى» دالا على حدثين معا، الأول هو الجعل والتصيير، والثاني هو اللقاء.[2]

✓ **المدخل النحوي:**

المقولات النحوية من الفعل والفاعل والمفعول وغيرها؛ معان تدل عليها الألقاب الإعرابية، ووظيفة هذه الألقاب بيان هذه المعاني وما بينها من التعالقات الدلالية.

وقوله سبحانه: (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم)، تركيب مقتض لضروب من هذه المعاني، وهي تسهم في تجلية المقصد منه على وجه الوفاء. وهذه المعاني:

---

(1) فقال: (ولا يلقاها) أي لا يجعل لاقياً لهذا" نظم الدرر للبقاعي 5/ 521. و6/ 573. وفي قوله: (لتلقى القرآن) أي تجعل متلقياً له من الملك" نفسه 5/ 409. وفي قوله(ويلقون) أي بجعلهم الله لاقين بأيسر أمر. نفسه 5/ 342.

(2) وبقي مما له علاقة بهذه المادة صيغة التلقي، ووزنها التفعل، وصيغة تفعل تأتي لمعان في كلام العرب وأوصلها أبو حيان إلى سبعة عشر معنى ينظر الكتاب لسيبويه والمفصل في صناعة الإعراب للزمخشري ص371. وهمع الهوامع. ينظر البحر المحيط لأبي حيان 1/ 317.

- **معنى القسم والاستدلال:**

صُدِّرَ هذا التركيب بواو القسم، وحذف المقسم به للعلم به، وكسرت همزة إن لوقوعها في جواب القسم، والمقسم عليه هو تلقي النبي ﷺ للقرآن.

وأسلوب القسم من أساليب الاستدلال القرآني، وروده في سورة النمل المكية، يقوي هذا المعنى، إذ كانت السور المكية من أغراضها إثبات النبوة والمنافحة عنها، وتقريرها في سياقات مختلفة، والاستدلال عليها.[1]

وسورة النمل مكية باتفاق وترتيبها في النزول 47، نزلت بعد الشعراء وقبل القصص،[2] وتصديرها بآية التلقي، وعطف قصص الأنبياء عليه مشعر بهذا المعنى وبأن القسم عليه هو استدلال على أن النبي ﷺ تلقى القرآن كما تلقى الوحي غيره من أنبياء الله تعالى، وأن نبوته وتلقيه الوحي ليس بدعا من الأمر، بل هو صنيع الله مع أنبيائه ورسله السابقين.

وعلى هذا التخريج قال المفسرون: بأن هذه الآية بساط وتمهيد، لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه[3].

- **معنى التوكيد:**

من عادة القرآن الكريم، تأكيد المضامين الجليلة رعاية لمقتضى الحال، وبيانا لأهمية المضمون المؤكد، بالنسبة لله عز وجل وللمخاطب المباشر وللمتلقي عامة.

---

(1) ينظر كلام أبي إسحاق الشاطبي في الموافقات في هذا الموضوع. الموافقات 4/ 270.

(2) اعتمادا على حديث جابر بن زيد الوارد في الباب ينظر الإتقان 1/ 96-97.

(3) ينظر: الكشاف للزمخشري 3/ 354

ودل على معنى التوكيد اقتران اللفظة بلام التوكيد، وتصدير الآية بحرف توكيد آخر، وهو إن، إضافة إلى واو القسم، وتوالي المؤكدات يكون في مقام الشبه الموهمة، وفي الموضع الذي يحوج البيان فيه إلى تأكيد المضامين، وفي سياق المحاججة والاستدلال، وهذه المقامات مستحضرة في الآية، بمقتضى نزولها في مكة، وأهلها أهل عناد ولجاج، واستبداد في الخصومة.

واقتران الفعل بالتوكيد هو اقتران شامل لمجموع المعاني الكامنة في لفظة التلقي، وليس التوكيد فيه خاصا بالحدث وحده، بل يتعداه لشمل الزمن والتأهيل والمنة به، وغير ذلك مما يتسع له معنى اللفظة وظلالها.

وقد ذكر في التفاسير أن التوكيد لإبراز كمال العناية بمضمونه،[1] وأنه لمجرد الاهتمام، لأن المخاطب هو النبي وهو لا يتردد في ذلك، أو يكون التأكيد موجهاً إلى السامعين من الكفار على طريقة التعريض[2].

- **معنى الزمن:**

يستفاد الزمن على المستوى النحوي من مجرى السياق، والزمن النحوي هو وظيفة السياق وليس وظيفة صيغة الفعل؛ لأن الفعل الذي على صيغة فَعَل قد يدل في السياق على المستقبل، والذي على صيغة المضارع قد يدل فيه على الماضي.[3]

(1) تفسير أبي السعود 6/ 273.

(2) التحرير والتنوير 19/ 223

(3) اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان ص104.

والزمن النحوي أعم من الزمن الصرفي وأرحب منه، وهو زمن متحرك في دلالته، على حسب ما توجبه القرائن ويقتضيه السياق، وذلك أن السياق يحمل من القرائن اللفظية والمعنوية والحالية، ما يعين على فهم الزمن في مجال أوسع من مجرد المجال الصرفي المحدود.[1]

والزمن النحوي في الآية هو زمن ممتد غير مقيد، لأن السياق الذي ورد فيه هو سياق الامتنان بكون الله تعالى قد جعل نبيه أهلا للقاء القرآن، فكانت المنة في الآية بالتأهيل المفضي لحصول التلقي، وهذه الحالة التي جعل الله عليها نبيه وأهَّله لها تقتضي أن تكون متجددة، منتقلة بين الأزمنة الثلاثة ومستمرة إلى أن يأذن الله بانقطاعها، لأن النبي ﷺ تلقى القرآن من قبل هذه السورة، كما تلقاه من بعدها، وزمن التلقي نيف على عشرين سنة، فكان الزمن هنا ليس محصورا في الزمن المضارع المحدود، وإنما هو زمن عام مطلق غير منقطع، وهذا الزمن هو الذي عبر عنه سيبويه بقوله: «وما هو كائن لم ينقطع»[2].

وتأهيل الله عز وجل للنبي ﷺ بتلقي القرآن، هو حدث كائن وهو غير منقطع، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ خبر منه سبحانه وتعالى عن تلق كائن حين الإخبار، ولم ينقطع هذا التلقي بعد مضي الحال إلى الاستقبال، ودلالة المضارع على هذا الزمن في القرآن كثيرة متعددة.

---

(1) نفسه ص 105.

(2) الكتاب لسيبويه 1/ 12. قال السيرافي: اعلم أن سيبويه ومن نحا نحوه يقسم الفعل على ثلاثة أزمنة، ماض ومستقبل وكائن في وقت النطق وهو الزمن الذي يقال عليه الآن، الفاصل بين ما مضى ـ ويمضي ـ. ينظر شرح السيرافي 1/ 57.

- **معنى البناء للمجهول:**

(تُلَقَّى) فعل مضارع مبني للمجهول، وأصل التركيب هو: يلقِّي اللهُ النبيَّ القرآنَ، وهذا البناء عند النحويين له دلالة وظيفية، قائمة على ثنائية الاختزال في المبنى والاتساع في المعنى.[1]

فاختزال المبنى في كون صيغة المجهول يطوى فيها ذكر الفاعل، وينتظم التركيب بعد ذلك من الفعل والمفعول به.

واتساع المعنى، في كون هذا التركيب المختزل، يفتح المجال أمام دلالة تفوت عند الذكر، وهذا من المواضع التي يكون فيها الحذف أبين من الذكر. وباب الحذف كما يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني: «باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن»[2].

والفاعل هنا هو الله عز وجل، وتقديره أرجح في المعنى من تقدير الفاعل بجبريل عليه السلام،[3] وأنسب للحدث الدال عليه الفعل، لأن التلقي كما سلف دال على معنى الجعل والتصيير وهذا الجعل هو لله عز وجل وليس لجبريل، فناسب أن يكون الفاعل المحذوف هو الله عز وجل.

---

(1) نبه سيبويه على هذا بقوله بقوله: «جرى على سعة الكلام والاختصار». ينظر الكتاب: 1/ 229

(2) دلائل الإعجاز طبعة شاكر ص 146.

(3) ينظر مثلا إعراب القرآن لابن سيده 7/ 102. والتحرير والتنوير 19/ 223

وقد ذكر في التفسير أن نكتة الحذف هي الإعلاء من شأن المحذوف والتنويه به،[1] وأن المحذوف معلوم عند المخاطب[2].

ويظهر هنا معنى آخر، وهو دقة تصوير الحالة التي تلقى فيها النبي ﷺ القرآن الكريم، وذلك أنه تلقاه عن طريق جبريل عن الله عز وجل، فلما لم يكن تلقي النبي للقرآن عن الله مباشرة، طوي ذكره تصويرا للحالة، وتعظيما لشأنه، وكونه معلوما لا يتصور غيره.

- **معنى التعدية:**

التعدية من المعاني النحوية، وقد تعدى الفعل هنا بالتضعيف[3] إلى مفعولين، الأول منهما هو المبني للمجهول وقد حذف بدلالة الخطاب عليه، وهو النبي ﷺ، والثاني هو القرآن الكريم.

والتعدية هنا دالة على معنى التصيير، لأن لقي تعدى لمفعول واحد، فينسحب الحدث الكامن في الفعل وهو اللقاء على المفعول به، فيكون قولك: لقي زيد عمرا، إخبارا عن حدث الاجتماع به ومصادفته. فإذا ضعِّفَ الفعل، انتقل معنى الحدث فيه إلى مفعولين معا، وصار قول الله عز وجل: لتلقي القرآن، في أصل تركيبه: وإنك ليلقيكَ اللهُ القرآنَ، إخبارا عن حدث كائن، وهو كون النبي متلقيا القرآن بمعونة الله

(1) نظم الدرر للبقاعي 14/ 128.
(2) التحرير والتنوير 19/ 223
(3) البحر المحيط لأبي حيان 8/ 209.

عز وجل وفعله[1]، فالفاعل المطوي هنا وهو الله عز وجل، هو الذي جعل النبي متلقيا للقرآن، ومعنى هذا أن فعل تلقى، يستضمر حدثين معا في نفس الوقت، الحدث الأول هو الجعل والتصيير والحدث الثاني هو التلقي، دل على الحدث الأول الصيغة الصرفية للفعل، وعلى الحدث الثاني بنية الفعل ومادته. قال القاضي أبو محمد بن عطية: ولا شك أنه يفيض عليه فضل الله ويعتمد به فيقبله ﷺ[2].

✓ **المدخل الاشتقاقي:**

يقصد بالمعنى الاشتقاقي، المعنى الكامن في مادة لقي الذي توزع على مشتقاتها، والنظر في المعنى الاشتقاقي هو نظر في المعاني الأصول التي انداحت في صيغ الباب، وذلك أن المادة اللغوية لها معنى واحد هو الأصل واللباب، ويتفرع هذا المعنى سائر مشتقات الباب، ويندلح هذا المعنى المحوري في المشتقات، فيأخذ كل مشتق نصيبه منه ويزيد عليه بما تقتضيه صيغة الاشتقاق، وبما يرتبط به من سوابق ولواحق.

ورَجْعُ المعاني المشتقة إلى معنى واحد أصل منهج لغوي أصيل، نجده عند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة وابن جني في الخصائص والصاغاني في العباب الزاخر واللباب الفاخر وغيرهم، وهو قائم على فكرة المعنى الأصل وأن المشتقات رغم كثرتها وتعدد تراكيبها، تؤول إلى مشترك جامع من المعاني.

---

(1) قال البقاعي: للبقاعي معنى {لتلقى القرآن} أي تجعل متلقياً له من الملك، نظم الدرر 14/ 128. قال ابن عاشور: تلقّى (مضارع لقاه مبنيٌّ للمجهول ، أي جعله لاقياً والتحرير والتنوير لابن عاشور. 19/ 223.

(2) المحرر الوجيز لابن عطية 4/ 249.

ومعاني مادة لقي في اللسان العربي تقارب العشرين معنى[1]، وقد تصرفوا في تراكيبها أكثر مما تصرفوا في معانيها، فورد لها خمسة عشر مصدرا، وهذا لا نظير له في المصادر، وهو مما انفرد به هذا الحرف[2]. وقد تصرفوا في استعمالها على وجوه تؤول إلى معنى واحد، وهو «كل شيء استقبل شيئا أو صادفه من الأشياء كلها»[3].

والمعنى الجامع في هذه المادة، اختلف فيه؛

- فابن فارس رحمه الله، يذهب إلى أن هذه المادة متعددة الأصول، وأن معانيها ترتد إلى أصول ثلاثة:

أحدها يدل على عوج، ومنه اللقوة: وهو داء يأخذ في الوجه يعوج منه.

والثاني يدل على توافي شيئين، ومنه الملاقاة وتوافي الاثنين متقابلين.

والثالث يدل على طرح شيء. ومنه: ألقيته أي نبذته، والشيء الطريح لقى.[4]

وما ذكره ابن فارس فيه نظر من ناحيتين، الأول؛ أنه بنى كلامه على تعدد الأصول مع أنه يمكن رد بعضها إلى بعض، ودمجها تحت معنى واحد كبير. والثاني؛ أنه جعل المادة الواوية «لقو» مع المادة اليائية «لقي» وهما مختلفان.

---

(1) ينظر لسان العرب مادة «لقى» 15/ 253. وتاج العروس من جواهر القاموس مادة لقي 39/ 471.

(2) ينظر تاج العروس مادة لقي 39/ 472.

(3) ينظر لسان العرب مادة لقي 15/ 253.

(4) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة لقي 5/ 260.

- وقال المصطفوي في كتابه التحقيق في كلمات القرآن الكريم[1]: «والتحقيق أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو مقابلة مع ارتباط، فلا بدّ من وجود القيدين. وأمّا مفاهيم التصادف والرؤية والمواجهة والتوافى فمن آثار الأصل، وهذا المعنى يستعمل في أمر مادّى ومعنويّ، وفي خير وشرّ.

وأمّا مفهوم الطرح أو النبذ أو الوضع أو الإبلاغ أو الإملاء: فانّما تستفاد من موارد استعمال المادّة متعدّية بتناسب تلك الموارد، وفي التعبير بالنبذ و الطرح مسامحة، والصحيح هو التنحية.

وأمّا مفاهيم الاعوجاج والداء وما يقرب منهما؛ فهي من المادّة الواويّة لا اليائية، وتدلّ على انحراف عن الاعتدال، في صحّة مزاج أو في استقامة صورة أو في جريان عمل.[2]

وإضافة الارتباط إلى المقابلة في المعنى المحوري، لا يطرد في جميع مواد الباب، فاللقى مثلا وهو ما يطرح في الطريق، فيه معنى المقابلة، وليس فيه ارتباط.

(1) له كتاب اسمه التحقيق في كلمات القرآن الكريم، وهو معجم قرآني، بناه مؤلفه على رجع معاني الألفاظ القرآنية، على أصل واحد فقط، منه اشتقت سائر المعاني.

(2) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، 10/ 251

- وقال الدكتور محمد حسن جبل في كتابه المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم:

«المعنى المحوري تحصيل بالمقابلة مواجهة أو تماسا أي بقوة.»[1] وتحصيل المقابلة، معنى دقيق، وينقدح في النفس أنه المعنى المحوري الجامع، لمعاني الباب. وهذا المعنى

(1) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم الدكتور محمد حسن جبل مادة «لقي» 4/ 2045 ويقترح المؤلف فكرة الفصل المعجمي من أجل التعرف على المعنى المحوري، وهذه الفكرة قائمة على أن الحرف الأول والثاني في المادة الثلاثية هو الذي يتضمن أصل المعنى، والحرف الثالث هو الذي يتكفل بإضافة المعنى المميز له، ينظر تأصيل هذا وشرحه في كتاب: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم. تأليف الدكتور محمد حسن حسن جبل 1/ 9 فما بعدها.

ولبيان الفصل المعجمي في مادة لقي، ننظر في معنى الحرف الأول والثاني، فاللام تعبر عن نوع من الامتداد من شيء كالتعلق مع تميز أو استقلال. المعجم الاشتقاقي المؤصل 1/ 36. والقاف تعبر عن تجمع متعقد ذي حدة في باطن الشيء أو عمقه. المعجم الاشتقاقي المؤصل 1/ 35. ويجتمع مع لقي مواد هي: لقم ولقن ولقح ولقب ولقس ولقص ولقط ولقع ولقف. ومعانيها على الولاء هي:

لقم: اللقم: منهج الطريق.

لقن: لقن الشيء يلقنه لقناً، إذا فهمه.

لقى: واللقاءُ: [الملاقاة] ، من لقيته (لقاء) .

لقب: اللقبُ:النبز،

لقح: اللقاح: لقاح النعم والشجر.

لقس: لقست نفسه من الشيء، إذا غثت.

لقص: لقص [الرجل] لقصاً، وهو لقص، أي: ضيق.

لقط: اللقط: لقط الحصى وغيره.

لقع: لقعت الرجل بالحصاة، إذا رميته بها.

لقف: لقفت الشيء وتلقفتُهُ، إذا أخذته أو بلعته ينظر المجمل في اللغة لابن فارس باب اللام والقاف وما يثلثهما 1/ 811.

ويقال تلقى الكلام من فلان وتلقنه وتلقفه ولقفه اذا اخذه من لفظه وفهمه ، وفى الارشاد التلقى والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا ان فى الاول معنى الاستقبال وفى الثانى معنى الخطف والاخذ بسرعة وفى الثلث معنى الحذق والمهارة. روح البيان 9/ 100.

المحوري أشار إليه بعض المفسرين في قولهم: أصل التلقي التعرض للقاء.[1]

ثم إن سبيل الفحص عن المعنى المحوري يكون بالرجوع بهذه المعاني إلى المعنى الأول المحسوس الذي استعمل منها، وهذا موضع يضيق فيه النظر ولا يتسع، وهو يحتاج لفضل تأمل ومزيد احتجاج، «ومع أن المحدَثين ينادون بوجوب الحيطة والحذر والاعتدال في الربط بين الدلالات، لا يشكون في أن كثيرا جدا من الألفاظ التي تعبر عن دلالات مجردة، قد انحدرت إلينا من دلالات محسوسة»[2].

ومن ثم فإن سبيل النظر في المعاني وكيف اشتق بعضها من بعض، يقتضي إعمال مبدأ التطور الدلالي من الحسي المدرك إلى المعنوي المجرد، لأن «تحقيق المعنى هو الذي يرجع بنا إلى أصله الحسي»[3] والرجوع إلى الأصل المادي هو الذي يوضح المعنى ويجعله دقيقا، وهو الذي يزيل اللبس ويحسم الخلاف عند قصد تحرير المعنى وتحديده بدقة.[4]

والمعاني المحسوسة الواردة في مادة «لقي» هي قولهم: لقاة الطريق، وهو وسطه وممره، والملاقي لرأس شعب الرحم، والملاقي ما يشرف من أعلى الجبل، واللقى كل شيء مطروح[5].

(1) وهو قول القفال، ونقله عنه غير واحد، ينظر اللباب في علم الكتاب لابن عادل الدمشقي 1/ 574.
(2) نفسه ص164
(3) المعنى اللغوي محمد حسن جبل ص 99
(4) نفسه ص 97
(5) ينظر لسان العرب مادة «لقي» 15/ 253.

وهذه المعاني المحسوسة، يعتبر فيها الأحقية بالوضع، وهي أحقية دائرة مع شدة الحاجة إليها ومبنية عليها، ومن صيغ هذه القاعدة عند الأصوليين قولهم: «قد تقرر الاحتياج إلى الوضع فكلما اشتدت الحاجة إليه، افتقر إلى ما يوضع له فلا بد لهم من وضعه»[1].

وعند اعتبار هذه الحاجة هنا، فإن النظر يقتضي أن يكون قولهم لقاة الطريق، - وهو وسطه ولقمه وممره،[2] وما يكون فيه مما يقابل المرء ويجابهه ويصادفه.- هو المعنى الاصل في هذه المعاني، لكونه مطردا ومنداحا في جميع تراكيب هذه المادة، ولكونه مما يحتاج إلى أن يوضع له لفظ يعبر عنه، لأن مسيرهم وسعيهم، يحوجهم إلى أن يكون لهم بيان حول الطريق الذي يسلكونه، ليتعرفوا به وسطه من بُنَيَّاتِه.

والمعاني الكامنة في لقاة الطريق هي المصادفة والاستقبال والتعرض، ومن هذا المعنى تفرعت مواد الباب دالة على ما يكون فيه المقابلة والمصادفة، وعلى ما يكون فيه الاجتماع بأدنى كلفة.

وعليه يكون المعنى المحوري في قوله «وإنك لتلقى»، هو وإنك لتجعل في الموضع الذي تلقى في فيه الوحي وتقابله، وهذا الموضع لم يتأت للنبي ﷺ أن يكون فيه لولا عناية الله وتأهيله له وتعريفه به، ويكون المعنى بيان منة الله تعالى على نبيه أن هيأه لهذا الأمر ووضعه في الموضع الذي يلقى فيه الوحي ويقابله.

---

(1) التحبير شرح التحرير ج1 ص283

(2) تاج العروس مادة لقي 39/ 476.

✓ **المدخل المعجمي:**

المعنى المعجمي، هو المعنى الذي يعطى للكلمة في كتب المعاجم والغريب وغيرها، وسبيل هذا المعنى أن يكون مقرِّبا للمراد ببيان موجز، وتركز المعاجم على المعنى الثابت للفظة، أكثر من تركيزها على المعنى المتغير لأسباب تداولية، مما يجعل المعاجم تسجل الحد الأدنى من المعنى الذي تدل عليه اللفظة.

وسوف نوسع من موارد التعريف المعجمي، لندخل فيه ما قيل عن اللفظة في كتب اللغة والتفسير والمعاني، وسعيا للاختصار سيتم الاقتصار على ذكر المعنى الذي قيل في شرح التلقي، معزوا لقائله مع حذف المكرر.

ومجمل ما وقفت عليه من المعاني هو:

- لقَّاه الشيء تلقية، ألقاه إليه[1].
- تلقى: بمعنى استقبل، ومنه: تلقى فلان فلانا، استقبله.[2]
- التلقي التعرض للقاء[3].
- تلقيت هذه الكلمة من فلان: أخذتها منه[4].

---

(1) المحكم والمحيط الأعظم 6/ 506. لسان العرب 15/ 255 القاموس المحيط ص 1331 وينظر: تاج العروس مادة لقي 39/ 475

(2) البحر المحيط 1/ 312.

(3) ذكره القفال ونقله عنه أبو حيان البحر المحيط 1/ 259.

(4) تفسير الماتريدي 8/ 97. والبحر المحيط 1/ 259.

- وإنك لتلقى القرآن. أي: تأخذه عنه ويلقى عليك[1].
- لتلقى القرآن، لتأخذ القرآن[2].
- يلقى عليك الوحي[3].
- لتؤتى بالقرآن[4].
- لتعطى القرآن[5].
- لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين[6].
- تعطى[7].
- تعطى بطريق التلقية والتلقين[8].
- لتقبل القرآن[9].

---

(1) مجاز القرآن 2/ 92.

(2) قاله قتادة تفسير ابن أبي حاتم 9/ 2841. النكت والعيون للماوردي 4/ 193. تفسير ابن كثير 6/ 161. وعليه اقتصر ابن أبي زمنين في التفسير ينظر: تفسير ابن أبي زمنين 3/ 293.

(3) قال السدي تفسير ابن أبي حاتم 9/ 2841. وهو ما قاله الواحدي ينظر: الوجيز للواحدي ص799. وتفسير الماتريدي 8/ 97.

(4) قال مجاهد ومقاتل ينظر البسيط للواحدي 17/ 160.وهو أيضا قول قتادة ينظر تفسير قتادة 3/ 296. وينظر: بحر العلوم للسمرقندي 2/ 573.

(5) قال الكلبي البسيط للواحدي 17/ 160. وهو قول ابن جزي التسهيل لابن جزي 2/ 98.

(6) تفسير أبي السعود 6/ 273. البحر المديد 4/ 175.

(7) المحرر الوجيز 4/ 249. وينظر التسهيل لعلوم التنزيل 2/ 98

(8) تفسير روح البيان لحقي 6/ 232

(9) المحرر الوجيز 4/ 249.

- معناه تلقن[1].
- تجعل متلقياً له من الملك[2].
- تؤتاه وتلقنه[3].
- لتؤتاه وتلقاه[4].
- لتلقن وتعطى القرآن[5].
- لتحفظ القرآن وتعلمه[6].
- يلقى عليك فتتلقاه أنت، أي: تأخذه[7].
- يلقى عليك بشدة[8].

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري 1/ 262.قال النيسابوري في بحر العلوم: «ويقال: وإنك لتلقى القرآن يعني: لتلقن القرآن. وقال أهل اللغة: تلقى وتلقن بمعنى واحد إذا أخذ وقبل من غيره». ينظر بحر العلوم للسمرقندي 2/ 573. وقد ضعف أبو حيان في البحر هذا المعنى، البحر المحيط 8/ 209.

(2) نظم الدرر 14/ 128.

(3) الكشاف للزمخشري 3/ 349. تفسير النسفي 2/ 591. ومحاسن التأويل 7/ 485.

(4) مفاتيح الغيب 24/ 543.

(5) الكشف والبيان للثعلبي 7/ 189.

(6) تفسير الطبري 19/ 426.

(7) وهو قول ابن قتيبة ينظر غريب القرآن لابن قتيبة ص322 وقول ابن النحاس ينظر معاني القرآن للنحاس 5/ 114 وتفسير الماتريدي 8/ 97. وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي 3/ 352. وعليه اقتصر القرطبي في الجامع لأحكام القرآن 13/ 155والشوكاني فتح القدير 4/ 145

(8) تفسير الجلالين ص494. وينظر زهرة التفاسير للأستاذ محمد أبو زهرة 10/ 5432.

- يلقى إليك القرآن وحيا من عند الله أنزله بعلمه وحكمته.[1]
- لتوفى القرآن [2]
- لتلقن القرآن[3] .
- لتقبل القرآن ، لأنه أول من يلقاه عند نزوله[4]
- تجعل لاقيا[5].
- لقاني كذا: أعطاني فتلقيته منه: قبلته.[6].

هذا مجمل ما قيل في بيان لفظ التلقي، وهي نحو بضعة وعشرين معنى، وهذه المعاني التي اقترحت بعضها فيه تجوز وتوسع في العبارة، لأنها قائمة على شرح اللفظ بمثله، وهذا يوقع في عدم مراعاة الفروق الدقيقة التي تكون بين المعاني، ومن ثم أعطيت للفظة التلقي معان تقريبية فقط، وقد كان في هذا الاقتصار قصر للمعنى الكامن في التلقي على بعض عناصره، وحصر له في معنى جزئي.

(1) معاني القرآن للزجاج 4/ 108.
(2) النكت والعيون للماوردي 4/ 193.
(3) النكت والعيون للماوردي 4/ 193.
(4) النكت والعيون للماوردي 4/ 193.
(5) التحرير والتنوير 19/ 223
(6) إيجاز البيان عن معاني القرآن 2/ 628.

وواضح أنه لا يمكن شرح لفظة التلقي في معنى جامع في مفردة واحدة،[1] وليس ثمة لفظة يمكن وضعها في موضعها، وإنما يفصح عن معنى المفردة مجموع كلمات، وهذا من معاني الإعجاز، وأصول البيان القرآني، ولو أدرنا على هذا الموضع كلمات اللسان العربي، لما وجدنا من يقوم مقامه من الوفاء بالمعنى وإصابة الدلالة المرادة.

وهذه المعاني التي ذكرها المفسرون، يتحصل من مجموعها معنى التلقي، وعند التأمل نجدها على صنفين:

الأول: معان مفردة، شرح فيها لفظ التلقي بمعنى واحد.

الثاني: معان مركبة، شرح فيها لفظ التلقي بمعنيين أو أكثر.

فالمعاني المفردة من الصنف الأول هي: الاستقبال والإلقاء والأخذ والتعرض والإتيان والإعطاء والقبول والتلقين. وهذه المعاني الثمانية، كما سلف معان جزئية، دل كل معنى فيها على جزء من المعنى الكامن في لفظة التلقي، ومجموعها يمثل المعنى الكامن في التلقي، وبيان ذلك أن هذه المعاني المفردة، يمكن رجعها معنيين كبيرين:

الأول منهما: راجع لله عز وجل، بوصفه صاحب الفضل والمنة والتأهيل، وهي الإلقاء والإتيان والإعطاء والتلقين.

الثاني منهما: راجع للنبي ﷺ، بوصفه المتفضَّل عليه والمؤهل لحمل الرسالة، وهي الاستقبال والأخذ والتعرض والقبول.

---

(1) ومن المفسرين من تنبه إلى هذا معتبرا أن التلقي أخص من المعاني التي ذكرت له. قال ابن عرفة: تعليقا على قول المفسرين بأن معنى لتلقى تؤتى وتعطى: بل هو أخص من ذلك، فإن التلقي فيه الإيماء لتقدم سبب له في ذلك تفسير ابن عرفة 3/ 250.

دل القسم الأول على معنى التخصيص والتشريف، وعلى معنى التأهيل والإعداد وعلى معنى التعليم والتلقين. ودل القسم الثاني، على معنى الاستجابة والقبول، ومعنى التقبل والمطاوعة، ومعنى القابلية والاستعداد.

وقد دل هذا الفعل على معنى المطاوعة، وهي قبول النبي ﷺ للتلقية والتلقين، لأن تأهيل الله له كان على علم به، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فكان تقبل النبي ﷺ للوحي وتلقيه له، دالا على معنى المطاوعة والاستجابة.[1]

والمعاني المركبة من الصنف الثاني، هي الإعطاء عن طريق التلقية والتلقين، والإتيان والتلقي والإتيان والإلقاء والتلقين والإعطاء والحفظ والتعليم والإلقاء والأخذ والإلقاء بشدة. والجعل والتصيير، وهذه المعاني مركبة من المعاني المفردة، وتزيد عليها القيد الدلالي الذي اقتضاه التركيب، وهي راجعة للقسمين اللذين سلفا آنفا.

وإذا تم دمجها مع المعاني المفردة، فإن حاصلها يؤول لمعنين كبيرين، هما ركنا الدلالة في لفظة «تلقى» وهما، معنى التأهيل، من صاحب الفضل والمنة، ومعنى القبول من النبي ﷺ.

(1) قال ابن قتيبة: أي: يلقى عليك فتتلقاه أنت، أي: تأخذه. ينظر: زاد المسير في علم التفسير 3/ 352. وكأنه كان غائبا عنه فلقيه فتلقاه. البحر المحيط 8/ 209.

✓ **المدخل السياقي:**

تصرف القرآن الكريم في هذه المادة تصرفا واسعا، فعدد الصيغ المشتقة الواردة من هذه المادة، هو: 86، وعدد الكلمات الكلي لهذا الجذر هو 146[1]. وهذا التصرف الواسع في هذه المادة، جعلها ترد في سياقات متعددة، مكتسبة بذلك مددا من المعاني التي يسعف بها السياق، وظلالا ممتدة من الدلالات الهامشية.

وقد تكررت صيغة تُلَقَّى وما تصرف منها ست مرات، جاء منها الفعل الماضي في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾. [الإنسان/ 11] والمضارع المبني للمجهول في خمسة مواضع وهي:

قوله: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَمًا﴾ [الفرقان/ 75]

وقوله: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص/ 80]

وقوله في الموضعين: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت/ 35]

وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل/ 6].

وهذا التصرف في الصيغة بقي في دائرة الفعل، ولم يرد منه في القرآن ما تصرف من مادة الفعل، وقصر هذه المادة على دائرة الفعل، قصر لها على موضع الحدث الدال عليه الفعل، وهو التأهيل للقاء وجعل المتلقي في معرض ما يلقي إليه. وهذا يعني أن هذه

(1) معجم كلمات القرآن الكريم محمد زكي محمد خضر. 1/ 194.

المادة في القرآن الكريم وردت في مورد لفت الانتباه إلى عظيم المنة الكامنة في هذا الحدث.

وقد تعدى في هذه المواضع كلها إلى مفعولين، وكان الفاعل فيها جميعا هو الله عز وجل، والمفعول الأول هو النبي ﷺ أو المؤمنون الصابرون. والمفعول به الثاني تنوع في هذه المواضع بين النضرة والسرور، والتحية والسلام، والأفعال الحسنة الحميدة، والقرآن الكريم.

والفاعل توحد في جميع موارد الفعل، وورد مستترا في جميعها، إيذانا بعظيم مقامه ورفيع مكانته، والمفعول الأول، تنوع بين النبي ﷺ، وبين المؤمنين الصابرين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهما في موضع استحقاق الفضل، ومحل العناية والاهتمام، فالنبي ﷺ بمقتضى نبوته واختيار الله له، في محل عناية الله وفضله ومنته، والمؤمنون بمقتضى صبرهم وإيمانهم وتصديقهم، في معرض تقبل هداية الله ولطيف بره.

والمفعول به الثاني في هذه التراكيب، تنوع بين النضرة والسرور، والتحية والسلام، والأفعال الحسنة الحميدة، والقرآن الكريم. وهذه المفاعيل هي مطالب أربعة يجمعها غرض واحد كلي، وهو كونها أمورا من شأنها أن تقصد وتطلب، وأنها مطالب لا يتأتى لأي أحد الوصول إليها وملاقاتها دون إعداد وتهيئ سابق، ودون أن يكون الله عز وجل هو الذي يعد صاحبها لهذا الأمر ويؤهله لها.

وقد استعمل هذا الحرف في القرآن في موارده الستة في سياق واحد، هو سياق الامتنان على من تفضل الله عليهم فأهلهم وأعدهم لأن يلاقوا هذه المطالب السنية. وقد تأكد هذا الامتنان بكون المستعمل من هذه المادة هو الفعل الدال على الحدث،

واستعمال الفعل إيذان بما يختزله الفعل من الدلالة على الإرادة والقصد، والإرادة هنا إرادة تخصيص وتكريم، وتشريف وتنويه، بمن أهلهم الله تعالى ليكونوا في موضع عنايته ولطيف بره وتكرمته.

وقد تصدرت هذه الآية سورة النمل وجاءت في طالعتها، وهذا الموقع يجعلها في موضع العنوان لما يأتي بعدها من مواضيع السورة، وقد جاءت الآية فاصلة بين حديث عن موقف الناس من الوحي والرسالة، فمؤمنهم مصدق موقن، وكافرهم معرض في عماية، لا يتقبل هذا الوحي ولا يأنس به، وبين حديث عن الأنبياء وبعض المشاهد التي حصلت معهم في مسار الدعوة إلى الله.

وهذا الموقع بين موضوعين، جعل الآية ترتبط بما قبلها ارتباط الدليل على صدق الرسالة، إذ كان تصديرها بالقسم وتأكيدها بعد ذكر موقف الناس منها، ينزل منزلة الاستدلال على كون الرسالة حق وأن النبي ﷺ هو المتلقي للوحي والحامل له.

وترتبط بما بعدها ارتباط المقدمة والتمهيد، إذ كان ما عطف عليها من قصص نبي الله موسى وسليمان وصالح ولوط عليهم الصلاة والسلام، قد جاء في سياق التمثيل والاستشهاد على أنماط التلقي التي كانت لأنبياء الله تعالى ورسله، ولفت النظر إلى بعض حالات التلقي التي أهل لها أنبياءه، وأن النبي ﷺ قد لقَّاه الله الوحيَ كما لقَّى غيره من الأنبياء.

وقد ذكر في مناسبة الآية لما قبلها، أنها انتقال من التنويه بالقرآن إلى التنويه بالذي أنزل عليه، وأن آية التلقي بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما في

ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه[1]. والوجه الذي ارتبطت به هذه الآية بما بعدها هو أن الآية لما كان موردها المنة من الله على نبيه بتأهيله وإعداده لاستقبال القرآن الكريم، فقد ذكر بعدها من قصص الأنبياء، ما ينزل منزلة الشرح والبيان، لهذا التلقي وأنماطه، وكأن هذا الفعل في سورة النمل هو الفعل المهيمن على السورة، المنداح في آياتها وقصصها.[2]

وبهذا يكون قوله سبحانه لنبيه: «وإنك لتلقى» مما يخرج معناه على جهة الامتنان والتنويه، وعلى جهة التشريف والعناية، ويكون الغرض من الآية ابتداء هو الإشارة إلى هذه المنة العظيمة، وهي إعداد الله عز وجل لرسوله وتأهيله له عليه الصلاة والسلام لأن يتلقى القرآن عن الله عز وجل، وأن هذا التلقي ما كان ليكون لو لم يؤهله الله عز وجل، ويوفق نبيه إليه.

ومن تمام هذه المنة ما أوصى به نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة/ 16] فقه نبه الله نبيه إلى أنه لا كسب له في هذا القرآن بغير حسن التلقي، لأنه ما نزله إليه بغير اكتساب منه إلا وقد شاء ذلك [3].

وقوله سبحانه: (من لدن حكيم عليم) حرف الجر وما بعده متعلق بالفعل، ولدن أبلغ من عند وأخص[4]، وهي دالة على عناية خاصة ومرتبة منيفة، وهي مناسبة في

(1) الكشاف للزمخشري 3/ 354 وينظر ايضا: التحرير والتنوير 19/ 223

(2) ذكر ابن السبكي في فتاويه، أن القصص الواردة في سورة النمل هي بيان لقوله سبحانه: وإنك لتلقى القرآن. ينظر فتاوي ابن السبكي 1/ 72.

(3) ينظر نظم الدرر 8/ 249.

(4) ينظر مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص449.

المعنى لسياق المنة، وأن هذا التأهيل، كان تأهيلا خاصا من صاحب العناية المتصف بالعلم والحكمة.

فمصدر خلقه تعالى وأمره عن كمال علمه وحكمته، وبكمال هاتين الصفتين يكون المفعول الصادر عن الموصوف بهما حكمة كله ومصلحة وحقا ولهذا قال تعالى: (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) فأخبر أن مصدر التلقي عن علم المتكلم وحكمته، وما كان كذلك كان صدقا وعدلا وهدى وإرشادا[1].

✓ **خلاصة تركيبية.**

استعرض البحث من خلال مجموعة من المداخل، المعاني الكامنة في قوله سبحانه (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم)، وتبين أن قوله سبحانه لتلقى، يستضمر مجموعة من المعاني لا يتأتى بيانها والتعبير عنها بلفظة مفردة، وإنما سبيلها بسط الشرح والبيان، وقد حفلت كتب التفسير بمعان ودلالات كامنة في هذه اللفظة، وهذه المعاني تحيل على السر في اختيار هذه اللفظة دون غيرها لتكون عنوانا على كيفية استقبال النبي ﷺ للوحي وتناوله.

وهذه المعاني المتعددة الواردة في لفظ تلقى، يمكن تقسيمها إلى قسمين:

معان فروع.

معان أصول.

---

(1) بدائع الفوائد لابن القيم 4/ 162.

أما المعاني الأصول، فهي المعاني التي يدل عليها اللفظ بمادته وبنيته وهي لبه ومحوره وركنه الأعظم، وأما المعاني الفروع، فهي المعاني الخادمة لهذه الأصول، وهي الظلال التي تصحب هذه المعاني وتكتنف اللفظ، ووظيفتها تقديم المعاني الأصول، والتمهيد لها بما يسهم في مزيد بيانها وتوضيحها.

والمعاني الأصول التي دلت عليها هذه اللفظة تؤول لمعنين كبيرين، الأول: تأهيل الله لنبيه المبني على اختياره وترشيحه لمنصب الرسالة والوحي. والثاني: تقبل النبي ﷺ واستجابته لما أهله الله له، والمعنى الثاني عند التأمل راجع للمعنى الأول وآيل إليه.

وأما المعاني الممهدة فهي مجموعة من المعاني الجزئية الحافة بالدلالة الأصل، وهي دلالة الزمن والخطاب والاستدلال والتوكيد والتعدية ومعنى الإجلال والتعظيم الدال عليه صيغة المبني للمجهول ومعنى المطاوعة والامتنان.

والكشف عن المناحي الدلالية في قوله سبحانه: «لتلقى» من شأنه لفت النظر إلى الأبعاد الدلالية والخصائص الوظيفية، التي ينبغي استثمارها في حفظ القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه، ويمكن في الختام تسجيل أهم العناصر التي تستفاد من هذه اللفظة في هذا المقام وهي:

- تلقي القرآن الكريم منة عظيمة يجب أن يعيها المتلقي.
- متلقي القرآن الكريم هو على سنن الأنبياء والمرسلين.
- لا سبيل إلى حفظ القرآن دون تأهيل وإعداد.
- التلقي مبني على التعاهد والتربية، وعلى الإعداد المسبق.
- التلقي عنوان الرسالة، بمقتضى التأهيل، وعنوان العناية بدليل التخصيص.

والحمد لله رب العالمين.

جريدة المصادر والمراجع

- ✓ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود الناشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت
- ✓ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1394هـ/ 1974م
- ✓ البحر المحيط لأبي حيان الغرناطي تحقيق: جماعة من المحققين، دار النشر ـ دار الكتب العلمية ـ لبنان/ بيروت الطبعة الاولى. 1422 هـ ـ 2001 م
- ✓ البحر المديد لابن عجيبة دار النشر/ دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة الثانية/ 2002 م ـ 1423 هـ
- ✓ التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس ـ 1997 م
- ✓ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية ـ القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ ـ 1964م
- ✓ الشافية في علم التصريف لابن الحاجب تحقيق حسن أحمد العثمان الناشر : المكتبة المكية ـ مكة المكرمة الطبعة الأولى ، 1995م
- ✓ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم الزمخشري تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت

- ✓ اللغة العربية معناها ومبناها تأليف تمام حسان الناشر: عالم الكتب الطبعة: الخامسة 1427هـ-2006م
- ✓ المبني للمجهول بين اختزال البنية واسترسال المعنى، مقال للدكتور مزوز دليلة منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية العدد الخامس 2009.
- ✓ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد ابن عطية الأندلسي تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار النشر: دار الكتب العلمية ـ لبنان الطبعة: الأولى ـ 1413هـ ـ 1993م
- ✓ المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري تحقيق علي بو ملحم الناشر: مكتبة الهلال ـــ بيروت الطبعة الأولى1993م
- ✓ الموافقات لأبي إسحاق الشاطبي تحقيق مشهور بن حسن الناشر: دار ابن عفان الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م
- ✓ بحر العلوم للسمرقندي تحقيق: د.محمود مطرجي دار النشر : دار الفكر ـ بيروت
- ✓ تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية.
- ✓ تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي) تحقيق مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان الطبعة: الأولى 1426هـ ـ 2005 م
- ✓ مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق : محمد فواد سزگين الناشر: مكتبة الخانجى

- ✓ تفسير ابن أبى حاتم تحقيق : أسعد محمد الطيب دار النشر : المكتبة العصرية ـ صيدا .
- ✓ تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي الناشر دار الحديث ـــ القاهرة الطبعة الأولى.
- ✓ تفسير القرآن العزيز لابن أبي زَمَنِين المالكي تحقيق أبي عبد الله حسين بن عكاشة ـ محمد بن مصطفى الكنز الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة الطبعة: الأولى، 1423هـ ـ 2002م
- ✓ تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحقيق سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثانية 1420هـ ـ 1999 م
- ✓ تفسير ابن عرفة المالكى تحقيق : د. حسن المناعي دار النشر : مركز البحوث بالكلية الزيتونية ـ تونس ـ 1986م الطبعة : الأولى
- ✓ تفسير النسفى تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار دار النشر : دار النفائس ـ بيروت 2005
- ✓ جامع البيان في تأويل القرآن للطبري تحقيق أحمد محمد شاكر الناشر مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، 1420 هـ ـ 2000م
- ✓ دلائل الإعجاز لأبي بكر الجرجاني تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة ـ دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة 1413هـ ـ 1992م.
- ✓ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي الناشر : المكتب الإسلامي ـ بيروت الطبعة الثالثة ، 1404
- ✓ زهرة التفاسير للأستاذ محمد أبو زهرة دار النشر: دار الفكر العربي

- ✓ معاني القرآن وإعرابه للزجاج تحقيق عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب ــ بيروت الطبعة: الأولى 1408 هـ ـ 1988 م
- ✓ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي دار النشر : دار الكتب العلمية بيروت. 1415هـ ـ 1995م
- ✓ النكت والعيون للماوردي تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم دار النشر دار الكتب العلمية ـ بيروت / لبنان ـ.
- ✓ علم الصرف الصوتي تأليف عبد القادر عبد الجليل سلسلة الدراسات اللغوية(8) أزمنة 1998م.
- ✓ لسان العرب لابن منظور الأفريقي الناشر : دار صادر ـ بيروت الطبعة الأولى.
- ✓ مجمل اللغة لابن فارس دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان دار النشر: مؤسسة الرسالة ــ بيروت، الطبعة الثانية ـ 1406 هـ ـ 1986 م
- ✓ المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن ابن سيده تحقيق عبد الحميد هنداوي الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر 2000م
- ✓ معاني القرآن الكريم للنحاس تحقيق : محمد علي الصابوني الناشر: جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، 1409هـ
- ✓ معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق؛ عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر الطبعة : 1399هـ ـ 1979م.

ظاهرة التخميس والتعشير في نزول القرءان وأثرها في طرائق التلقي الأول

د. عمر حمدان

مشرف كرسي تدريس علوم القرءان بمعهد العلوم الشرعية التابعة لجامعة توبنكن ـ ألمانيا

لقد نُزِّلَ القرآن العظيم نجومًا مفرّقة : آية ، آيتين ، ثلاثًا ، أربعًا ، خمسًا وأكثر من ذلك ؛ فقد «أخرج ابن أَشْتَة في كتاب المصاحف عن عكرمة في قوله : ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [56:75] : أنزل اللهُ القرآنَ نجومًا ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات . وقال النَّكْزاويّ في كتاب الوقف : كان القرآنُ يُنَزَّلُ مُفَرَّقًا : الآيةَ والآيتين والثلاثَ والأربعَ وأكثرَ من ذلك»[1]. مثل ذلك ما نصّ عليه الهذليّ (ت465هـ) : «أنزلَ هذا القرآنَ على نبيّه نجومًا متفرّقة على قدر الأحكام ؛ فمن نَجْمٍ فيه آية وآخر اثنتان وثلاث وأكثر من ذلك»[2]. وهذا ما أكّد عليه السيوطيّ (ت911هـ) بقوله : «الذي ٱسْتُقْرِئَ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أنّ القرآنَ كان يُنَزَّلُ بحسب الحاجة : خمس آيات وعشرًا وأكثرَ وأقلَّ»[3]. يُلاحَظ في هذه النقول ورودُ عبارة «وأكثر من ذلك» التي تعني ما يزيد عن ذلك إلى حدّ نزول السورة الواحدة جملةً وكذا نزول السورتين معًا ، كالمعوّذتين . وقد نصّ على ذلك مقاتل بن سليمان (ت150هـ) بقوله : «كان القرآنُ ، إذا نُزِّلَ ، إنّما يُنَزَّلُ نجومًا ، ثلاث آياتٍ وأربع ونحو ذلك ، والسورة والسورتان»[4]. كذلك يُلاحَظ لفظ «أقلّ» الذي قد يصل إلى دون الآية الواحدة ؛ فقد صحّ نزولُ بعضِ آيةٍ ، كقوله : ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [4:95][5]. مثله قوله : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [9:28] إلى آخر الآية ، إذ نزل بعد نزول أوّل الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

(1) الإتقان في علوم القرآن 1/ 1/ 124 (530-531) .
(2) كتاب الكامل في القراءات الخمسين 1/ 329 .
(3) الإتقان 1/ 1/ 123 (529) .
(4) تفسير مقاتل بن سليمان 3/ 289 [سورة النجم] .
(5) كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز 34-35 [نقلًا عن البخاريّ] ، الإتقان 1/ 1/ 123-124 (529) .

إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[1].

كلّ ذلك «بتوقيف جبريل إيّاه على ذلك وإعلامه عند نزول كلّ آية أنّ هذه الآيه تُكتَبُ عَقِبَ آيةِ كذا في سورة كذا»[2]. لقد نصّت على ذلك روايات عديدة ، من أقدمها روايتان رواهما أبو عُبيد (ت214هـ) في كتابه فضائل القرآن ، أُولاهما مختصرة عن الثانية الأصليّة المفصّلة ، كما يلي :

الأولى : «حدّثنا مروانُ بنُ معاويةَ عن عوفِ بنِ أبي جميلة[3]عن يزيد الفارسيّ عن ابن عبّاس عن عثمان بن عفّان ، رضي الله عنهما ، قال : كان رسولُ الله ، ﷺ ، إذا نزلت عليه سورةٌ ، دعا بعضَ مَنْ يكتبُ ، فقال : ضَعُوا هذه السورةَ في الموضع الذي يُذكَرُ فيه كذا وكذا !»[4].

الثانية : «حدّثنا مروان بن معاوية عن عوف بن أبي جميلة[5]عن يزيد الفارسيّ عن ابن عبّاسٍ ، قال : قلت لعثمانَ : ما حَمَلَكُمْ على أن عمدتم إلى سورة الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطُّوَل ؟ ما حملكم على ذلك ؟ فقال عثمان : إنّ رسول الله ، ﷺ ، كان ممّا يأتي عليه الزمانُ وهو ينزل عليه من السورِ ذوات العدد ، فكان ، إذا نزلت عليه سورةٌ ، يدعو بعضَ مَنْ يكتبُ ، فيقول : ضَعُوا هذه في السورة

(1) الإتقان 1/ 1/ 124 (529) .

(2) الإتقان 1/ 1/ 170 (804) [نقلًا عن شرح السنّة للبغويّ] . نظيره عند الزركشيّ ـ (ت794هـ) في البرهان في علوم القرآن 1/ 256 [عن القاضي أبي بكر] .

(3) جميلة : حَميلة ، المطبوع .

(4) فضائل القرآن 152 (1-49) .

(5) جميلة : حميلة ، المطبوع .

فـي الموضع الذي يُذكَرُ فيه كذا وكذا . وكانت براءةُ مِن آخـرِ القـرآن نـزولًا ، وكانـت الأنفالُ مِن أوائلِ ما نزل بالمدينة . وكانت قصّتُها شبيهةً بقصتّها ، فظَنَنْتُها منها ، وقُبض رسولُ الله ، ﷺ ، ولم يُبَيِّنْ لنا أمرَها . قال : فلذلك قَرَنْتُ بينهما ولـم أَجْعَلْ بينهما سَـطْرَ بسم الله الرحمن الرحيم ، ووَضَعْتُها فـي السبع الطُّوَل»[1].

وقد أكّد علماء القرآن والفقهاء على حقيقة هذا التوقيف ، منهم الهذلـيّ (ت465هـ) : «حتّى إنّ جبريل كان يقول لرسول اللهّ ، ﷺ : اَجْعَلْ هذه الآيةَ فـي السـورة الفلانيّـة أو فـي الموضع الفلانـيّ ! وأمر رسولُ اللهّ ، ﷺ ، الصحابةَ بذلك»[2]. وقال الفقيه ابن الحصّار (ت611هـ)[3]: «ترتيبُ السورِ ووَضْعُ الآياتِ مواضـعها إنّـما كـان بـالوحي . كان رسول اللهّ ، ﷺ ، يقول : (ضَعُوا آيةَ كذا فـي موضع كذا !) . وقـد حصـل اليقـين من النَّقْل المتواتر بهذا الترتيب من تـلاوة رسـول الله ، ﷺ ، وممّـا أجمـع الصـحابةُ عـلى وضعه هكذا فـي المصحف»[4].

واضح مـمّا تقدّم أنّ القرآن قد أنزل نجومًا متفرّقة ، متفاوتة فـي العدد ، عدد الآي،

---

(1)فضائل القـرآن (لأبـي عبيـد) 158-159 (16-49) . يُقابَـل ابـن حنبـل (241) : المسـند 1/ 378 (499) ، الجامع الصحيح (للترمذيّ) 5/ 254-255 (3086) [كتـاب تفسـير القـرآن (48) – بـاب (10)] ، كتاب المرشد الوجيز 33-34 [هنـاك «قـال الحـاكم : هـذا صـحيح عـلى شرط الشـيخين ولم يخرجاه»] .

(2)كتاب الكامل 1/ 329-330 [كتاب العدد] . نظيره ما قاله الزركشيّ (ت794هـ) فـي البرهان 1/ 232 : «كان ، كلّما أُنزِلَ عليه شيءٌ من القرآن ، أمر بكتابته ويقول فـي مفترقـات الآيـات : ضـعوا هـذه فـي سورة كذا !» .

(3)هو أبو الحسن عليّ بن محمّد بن محمّد الخزرجيّ . عنه يُراجَع الزِّرِكْليّ (ت1396هـ) : الأعـلام 4/ 330-331 .

(4) الإتقان 1/ 1/ 170 (805) .

لكن يُلاحَظ أنّ بعض الروايات تبرز نجم خمس الآيات غاية الإبراز على حساب النجوم الأخرى إلى حدّ إقصاء الأخيرة وإسقاطها كلّيّة .

من الآثار الدالّة على نزول القرآن خمسًا خمسًا ما أخرجه ابن عساكر (ت571هـ) «من طريق أبي نُضْرة ، قال : كان أبو سعيد الخدريّ يعلّمنا القرآنَ خمس آيات بالغداة وخمس آيات بالعشيّ ، ويخبر أنّ جبريلَ نزل بالقرآن خمس آيات ، خمس آيات»[1].

كذلك أخرج البيهقيّ (ت458هـ) في شُعَب الإيمان روايتين من هذا القبيل : «من طريق أبي خَلْدَةَ عن عمر ، قال : تعلّموا القرآنَ خمس آيات ، خمس آيات ! فإنّ جبريل كان ينزل بالقرآن على النبيّ ، ﷺ ، خمسًا خمسًا . ومن طريقٍ ضعيفٍ عن عليّ ، قال : أنزل القرآنُ خمسًا خمسًا إلّا سورة الأنعام . ومَن حَفِظَ خمسًا خمسًا ، لم يَنْسَهُ»[2].

السؤال الذي يطرح نفسه هنا : هل تؤخذ هذه الآثار على ظاهرها أم تُحمَل على وجه آخر ؟ نجد أنّ السيوطيّ قد أجاب على ذلك ، فقد رفض فهم النزول فيما أخرجه البيهقيّ على معناه الظاهر المعروف وفسّره على الإلقاء غاية الحفظ ، فقال : «الجواب أنّ معناه ـ إنْ صحّ ـ إلقاؤُه إلى النبيّ ، ﷺ ، بهذا القدر حتّى يحفظه ، ثمّ يلقي إليه الباقي ، لا إنزاله بهذا القدر خاصّة»[3]، ثمّ ٱستشهد لذلك بأثرٍ آخرَ ، «أخرجه البيهقيّ أيضًا عن خالد بن دينار ، قال : قال لنا أبو العالية : تعلّموا القرآنَ خمسَ آيات ، خمس آيات !

---

(1) الإتقان 1/ 1/ 124 (532) .

(2) الإتقان 1/ 1/ 124 (533) . يُقابَل الأصلُ في شعب الإيمان 2/ 331-332 (1959) «ثنا عليّ بن بكّار عن أبي خَلْدَةَ عن أبي العالية ، قال : قال عمر ، رضي الله عنه : [332] تعلّموا القرآنَ خمسًا ، خمسًا ! فإنّ جبريل ، عليه السلام ، نزل بالقرآن على النبيّ ، ﷺ ، خمسًا خمسًا . قال عليّ بن بكّار : قال بعض أهل العلم : مَن تعلّم خمسًا خمسًا ، لم يَنسَهُ» .

(3)الإتقان 1/ 1/ 124 .

فإنّ النبـيّ ، ﷺ ، كان يأخذُهُ من جبريلَ خمسًا خمسًا»[1].

هنا مجدّدًا يُطرَح سؤالٌ آخرُ : هل ما ذهب إليه السيوطيّ من تفسير النزول بالإلقـاء وما استشهد به كافٍ لطيّ الصفحة واعتبار هذا الأمر مرفوعًـا أم أنّـه جـدير بالمباحثـة والتحرّي ؟ أرى أنّه من الحقيق الوقوف عليه بمزيد مـن التوسـعة والتعمّـق ، لأنّنـا لا نقف أمام حالات فرديّة من النزول المنجوم ، بل أمام ظاهرة واسعة النطاق ، تعبّر مـن خلال كلّ نجم عن مسألة معيّنة أو موضوع مستقلّ أو مـتمّم ، وبـذلك تتحـدّد دلالـة المعنى والسياق للمواضع المنزلة .

لنأخذ مثالين على ذلك ، بداية نزول القرآن بمكّة وأوّل نزوله بالمدينة .

المثال الأوّل : تنصّ المصادر أنّ سورة العلق [96] كانت بداية نزول الوحي بالقرآن العظيم ، وتتحدّث عن صدرها المكوّن من خمس آيات ؛ وعليـه قـول الجمهـور . قـال الثعلبـيّ (ت427هـ) : «هذه أوّلُ سورةٍ نزلت على رسولِ الله ، ﷺ ، من القرآن . وأوّلُ ما نزل منها خمسُ آيات ، من أوّلها إلى قوله : ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [5:96] . وعلى هـذا أكثـر العلماء»[2].

---

(1)الإتقان 1/ 1/ 124 . يُقابَل الأصلُ فـي شعب الإيمان 2/ 331 (1958) .

(2) الكشف والبيان 10/ 242 . كذلك فضائل القـرآن (لأبـي عبيـد) 220 (5-56) ، الكشـف والبيـان 10/ 243 «ثمّ أرسلني ، فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [1:96] حتّى بلغ ﴿مَا لَـمْ يَعْلَـمْ﴾ [5:96]» ، أسباب نزول القرآن 14 (4) «فقالوا : هذا صدرُها [الذي] أنزل على رسول الله ، ﷺ ، يـوم حراء ، ثمّ أُنزِلَ آخرُها بعد ذلك بما شاء الله» ، الطبرسيّ (ت548هـ) : مجمـع البيـان فـي تفسـير القـرآن 10/ 319 ، الإتقان 1/ 1/ 109 (437) «﴿ ٱقْـرَأْ ﴾ أوّل مـا نـزل منهـا إلى قولـه : ﴿مَـا لَـمْ يَعْلَـمْ﴾ [5:96]» .

بناءً على ذلك يشكّل صدر هذه السورة المكوّن من خمسِ آياتٍ وحدة موضوعيّة ، هي تعداد الله تعالى على الإنسان اكتساب العلوم بعد الجهل بها . من اللافت للنظر أنّ أبا صالح[1] وقَتَادَة بن دِعَامَة البصريّ (ت118هـ) اعتبرا أنّ النزول الأوّل يشمل الآيات الثماني الأُوَل ، أيْ إلى قوله : ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [96:8][2]. هذا يعني أنّ الوحدة الموضوعيّة مشكّلة من ثماني آيات ، حيث تُظهِرُ الخمسُ الأُوَل منها امتنان الله على الإنسان بتعليم الكتابة وتحصيل الحكمة ، بينما تُبرِز الآيةُ السادسةُ والسابعةُ التاليتان مسألة كفر الإنسان بنعم الله عليه بطغيانه ، ثمّ تجمع الآية الثامنة بينهما ، بين الإنسان المقدّر لنعم الله عليه والإنسان الجاحد لها ، بأنّ إليه مآل الخلق جميعًا ورجوعهم . قد يعضد ما ذهبا إليه ورود لفظ (الإنسان) في الآية السادسة ، كما هو وارد في الآية السابقة لها، أي في الخامسة ، وفي الآية الثانية ، إذ الإنسان هنا اسم جنس . ثمّ جاء تخصيص الإنسان في سائر هذه السورة [93:9ـ19] وتمثيله على صورتين : العبد الطاغي المستغني الناهي وهو أبو جهل ومَنْ شاكله والعبد المصلّي الداعي إلى الإخلاص والتوحيد وهو محمّد ، عليه الصلاة والسلام ، ثمّ من تبعه .[3]

فالحاصل أنّ نزول هذه السورة جاء على مرحلتين ، بينهما مدّة من الزمان ، لم تحدّدها المصادر بالضبط : الآي 1ـ5 ثم بعد مدّة 6ـ19 على قول الجمهور أو الآي 1ـ8 ثمّ بعد مدّة 9ـ19 على قول أبي صالح وقتادة . أمّا فيما يتعلّق بالعدد ، عدد الآي ، فعلى أغلب

---

(1) باذام ، مولى أمّ هانئ بنت أبي طالب . ترجم له الذهبيّ (748هـ) في الطبقة الثالثة عشرة (111–120) من تاريخ الإسلام ووَفَيَات المشاهير والأعلام 325 (323) [تحقيق : عمر عبد السلام تدمري . بيروت : دار الكتاب العربيّ ، ط1 ، 1408/ 1988 ، 639ص] .

(2) قتادة (ت118هـ) : كتاب الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى 55 .

(3) يُقابَل أبو حيّان الأندلسيّ (ت745ه) : البحر المحيط 8/ 493 .

الظنّ أن يكون النزولُ الأوّل المكوّن من خمس آيات على قول الجمهور هو الباعث لفكرة التخميس ، أيْ نزول القرآن خمسًا خمسًا . قد يعضده نزول سور مكّيّات تاليات على التخميس . من ذلك سورة الفيل [105] مكّيّة ، خمس آيات في جميع العدد[1]، سورة قريش [106] ، فهي مكّيّة ، خمس آيات على العدد الحجازيّ[2]، وسورة المسد [111] ، مكّيّة وعدد آيها خمس بالإجماع[3]، وسورة الإخلاص [112] مكّيّة ، وهي خمس آيات على العدد المكّيّ والشاميّ[4]، وسور أخرى ، كسورة الفلق [113] ، فعدد آيها خمس بالإجماع[5].

المثال الثاني : سورة البقرة ، وهي مدنيّة بإجماع وكانت أوّل سورة أنزلت بالمدينة[6]؛ فالمصادر تتحدّث أنّ آيها الخمس الأُوَل تشكّل وحدة موضوعيّة في نعت المؤمنين[7]، حيث الأولى والثانية منها نزلتا في أصحاب النبيّ ، ﷺ ، من المهاجرين

(1) البيان 289 ، مجمع البيان 10/ 351 .
(2) البيان 290 ، مجمع البيان 10/ 358 .
(3) البيان 295 ، مجمع البيان 10/ 378 .
(4) البيان 296 ، مجمع البيان 10/ 382 .
(5) البيان 297 ، مجمع البيان 10/ 392 .
(6) فضائل القرآن (لأبي عبيد) 221 (9-56) ، ابن الضريس (ت294ه) : فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكّة وما أنزل 34 (17) ، البيان 133 [عن قتادة] و 134 [عليّ بن أبي طلحة] و 136 [جابر بن زيد] ، أسباب نزول القرآن 24 ، ابن حجر العسقلانيّ (ت852ه) : العُجَاب في بيان الأسباب 77 ، الإتقان 1/ 1/ 39 (34) [عن ابن عبّاس] و (35) [عليّ بن أبي طلحة] .
(7) أسباب نزول القرآن 25 ، البحر المحيط 1/ 44 .

والأنصار والآيتان اللتان تليانها فيمن أسلم من يهود المدينة[1] والخامسة تجمعهم جميعًا[2]. أمّا الآيتان السادسة والسابعة ، فتشكّلان وحدة أخرى في نعت الكافرين[3] من مشركي العرب[4]، أي ذمّ الكفّار ، كفّار مكّة[5]. أمّا الآيات الثلاث عشرة التاليات لهاتين المجموعتين ، فتشكّل بدَوْرِها وحدةً ثالثةً في نعت المنافقين[6]، أي ذمّ منافقي المدينة[7]، منهم من أهلِ التوراة[8].[9]

(1) يُقابَل تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 28-29 «فهاتان الآيتان نزلتا في مؤمني أصحاب النبيّ ، ﷺ ، والمهاجرين . [29] ثمّ ذَكَرَ مؤمني أهل التوراة ، عبد الله بن سلام وأصحابه ، منهم أسيد بن زيد وأسد بن كعب وسَلَام بن قيس وثعلبة بن عمرو [في المطبوع (عمر)] وابن يامين ، واسمه سَلَام» .
كذلك يُقابَل أسباب نزول القرآن 122 (237) ، حيث ورد ذكرُ بعضِهم في سياق الآية 113:3 كالتالي : عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد .

(2) يُقابَل تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 29 «ثمّ جمعهم جميعًا ، فقال ، سبحانه : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [5:2]» .

(3) أسباب نزول القرآن 25 ، العجاب 1/ 71 .

(4) تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 31 .

(5) بصائر ذوي التمييز 1/ 134 .

(6) أسباب نزول القرآن 25 ، العجاب 1/ 73-74 .

(7) بصائر ذوي التمييز 1/ 134 ، العجاب 1/ 74 .

(8) تفسير مقاتل بن سليمان 1/ 31 .

(9) قد يُعبِّر بعضهم ، كمجاهد بن جبر والربيع بن أنس ، عن الآيات الخمس الأولى من سورة البقرة بأربع ، ، وذلك بإسقاط الحروف المقطّعة من العدد . قال السيوطيّ (ت911هـ) في الدرّ المنثور 1/ 56 : «أخرج الفريابيّ وعبد بن حميد وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد، قال : مِنْ أوّلِ البقرةِ أربعُ آياتٍ في نعتِ المؤمنين [2:1-5] ، وآيتانِ في نعتِ الكافرين [2:6-7] ، وثلاثَ عشرةَ آيةً في نعتِ المنافقين [2:8-20] ، ومن أربعين آية [2:40] إلى عشرين ومائة [2:123] في بني إسرائيل . وأخرج وكيعٌ عن مجاهدٍ ، قال : هؤلاءِ الآياتُ الأربعُ في أوّلِ سورةِ البقرة إلى ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [2:5] نزلتْ في نعتِ المؤمنين ، واثنتان من بعدها إلى ﴿عَظِيمٌ﴾ [2:7] نزلتْ في نعت الكافرين ، وإلى العشر [كذا] نزلتْ في المنافقين. وأخرج ابن جرير عن الربيع بن أنس ، قال : أربع آيات من فاتحة سورةِ البقرة في الذين آمنوا ، وآيتان في قَادَةِ الأحزاب» . يُقابَل أسباب نزول القرآن 24-25 (24) .

يتّضح من هذا المثال أنّ الوحدة الموضوعيّة غير محصورة في عددٍ محدّدٍ من الآي ، بل عدد آيها متفاوتٌ بتباين المناسبات والأحداث ، فقد تتشكّل من خمس آيات على سبيل المثال ، لا الحصر ، لكنّه ليس من الضرورة الحتميّة .

كذلك قد يكون نزول الآيات الخمس الأولى من سورة البقرة كوحدة موضوعيّة باعثًا مجدّدًا لفكرة التخميس ومؤكّدًا لحصولها ، خاصّة وقوعها على رأس مرحلتين في تاريخ نزول القرآن ، هما المكّيّة والمدنيّة ، لكنّ هذا لا يتعدّى أن يكون حالة ، قد تكرّر أمثالها في العدد ، لكنّها ليست بنمط ثابت دائم في النزول ، إذ تنصّ المصادر على نزول القرآن ببعض آية وآيات منفردات وآيتين وثلاث وأكثر من ذلك إلى درجة نزول سور معيّنة جملةً .

هنا أحاول تقديم قراءة جديدة ، تربط النزول المنجوم على تفاوت مقاديره من الآي وحديث الأحرف السبعة المشهور المتواتر . «قال أبو عُبيد : قد تواترت هذه الأحاديث كلّها على الأحرف السبعة إلّا حديثًا واحدًا ، يُروَى عن سَمُرَة . حدّثني عفّان عن حمّاد بن سلمة عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جُندب عن النبيّ ، ﷺ ، أنّه قال : (نزل القرآنُ على ثلاثةِ أحرفٍ) . قال أبو عُبيد : ولا نرى المحفوظ إلّا السبعة ، لأنّها المشهورة»[1] .

فحديث سَمُرَة هذا على قول أبي عبيد صحيحٌ لذاته متنًا وإسنادًا ، لكنّه لم يصل إلى درجة التواتر كحديث الأحرف السبعة الذي حظي باهتمام بالغ من العناية

(1) فضائل القرآن 203 .

والمدارسة والمباحثة قديمًا[1] وحديثًا[2].

هنا لا بدّ من وقفة على روايات هذا الحديث المرفوعة والموقوفة التي لا تحصره بين ثلاثة أحرف وسبعة أحرف ، بل تنصّ أيضًا على حرف واحدٍ وأربعة أحرف وخمسة أحرف وعشرة أحرف ، كالتالي :

حرفٌ واحدٌ :

«أتاني جبريلُ ، فقال : ٱقرأ القرآنَ على حرفٍ واحدٍ !»[3].

ثلاثة أحرف :

«قال : (نزل القرآنُ على ثلاثةِ أَحْرُفٍ)»[4].

---

(1) من جملة الأعمال القديمة ما ألّفه أبو عمرو الدانيّ (ت444 ه) : الأحرف السبعة للقرآن . تحقيق: عبد المهيمن طحّان . مكّة المكرّمة : مكتبة المنارة ، ط1 ، 1408/ 1988 ، 80ص .

(2) من جملة الدراسات المعاصرة : عتر ، حسن ضياء الدين : الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ـ دراسة في أحاديث الأحرف السبعة ، مذاهب الأئمّة فيها ، ضرورتها والحكمة منها ، دحض التخرّصات عنها . بيروت : دار البشائر الإسلاميّة ، 1409/ 1988 ، 399ص ؛ القطّان ، منّاع خليل : نزول القرآن على سبعة أحرف . القاهرة : مكتبة وهبة ، 1411/ 1991، 123ص ؛ المطرودي ، عبد الرحمن بن إبراهيم : الأحرف القرآنيّة السبعة . الرياض : دار عالم الكتاب ، 1991 ، 120ص ؛ حلّاق ، بكري أحمد : الأحرف السبعة والقراءات السبع ـ وجه الحقّ فيها . حلب : فُصّلت للدراسات والترجمة والنشر ، 1418/ 1998 ، 107ص ؛ مصطفى ، محمّد إبراهيم محمّد : حديث نزول القرآن على سبعة آحرف ـ تفسير ودراسة ومناقشة . القاهرة : دار الكلمة ، ط2 ، 1434/ 2013 ، 159ص .

(3)المتّقي الهنديّ (ت975ه) : كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال 2/ 54 (3090) .

(4) فضائل القرآن (لأبي عبيد) 203 (12-52) . يُقابَل الباقلّانيّ (ت403ه) : الانتصار للقرآن 1/ 334 و 343 و 353 .

أربعة أحرف :

«عن عبد الله أنّ رسول الله ، ﷺ ، قال : أنزل القرآنُ على أربعةِ أحرفٍ ...»[1].

خمسة أحرف :

«عن عبد الله بن مسعود ، قال : إنّ الله أنزلَ القرآن على خمسة أحرف ...»[2].

سبعة أحرف :

«إنّ هذا القرآنَ أُنزِلَ على سبعةِ أحرفٍ ؛ فـٱقْرَؤُوا ما تَيَسَّرَ مِنهُ»[3].

عشرة أحرف :

«أُنزِلَ القرآنُ على عشرةِ أحرفٍ ...»[4].

أقول : فهذه الأحاديث المرفوعة والأخبار الموقوفة مع تعدّد رواياتها وتفاوت مفادها في العدد يمكن أن تُحمَل ـ دون القطع بذلك ـ على أنّها نماذج مضروبة لمقادير الآي في قراءة القرآن . قد يقوّي ذلك ويعضده ما جاء عن سعيد بن جُبير ويزيد بن

---

(1) تفسير الطبريّ 1/ 57 (72) . يُقابَل الانتصار للقرآن 1/ 334 و 343 ، الإتقان 2/ 3/ 9 (3768) و 2/ 4/ 480 (6336) ، كنز العمّال 2/ 55 (3097) .

(2) تفسير الطبريّ 1/ 53 (70) .

(3) صحيح البخاريّ 3/ 6/ 122 (4992) [كتاب فضائل القرآن (66) ــ باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (5)] . يُقابل المصنَّف (للصنعانيّ) 11/ 218-219 (20369) ، الجامع الصحيح (للترمذيّ) 5/ 177-178 (2943) [كتاب القراءات (47) ـ باب ما جاء أُنزِل القرآنُ على سبعة أحرفٍ (11)] ، تفسير الطبريّ 1/ 36 (15) ، الأحرف السبعة للقرآن 11 (1) .

أقول : مقطع الحديث (فاقرؤوا ما تيسّر منه) هو عند الصنعانيّ والترمذيّ دون (منه) .

(4) كنز العمّال 2/ 16 (2956) نقلًا عن السجزيّ في الإبانة عن عليّ .

الوليد ومجاهد بن جبر ، فيما يلي :

1) «حدّثني ابنُ حُميدٍ ، قال : حدّثنا حَكّام عن عَنْبَسَةَ عن سالمٍ أنّ سعيدَ بنَ جُبيرٍ كان يقرأ القرآن على حرفين»[1].

2) «حدّثني ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا جريرٌ عن مُغيرةَ ، قال : كان يزيدُ بنُ الوليدِ يقرأ القرآن على ثلاثة أحرف»[2].

3) «حدّثني محمّد بن حُميد الرازيّ ، قال : حدّثنا حكّام عن عنبسة عن ليثٍ عن مجاهدٍ : كان يقرأ القرآن على خمسة أحرف»[3].

أيْ فالقراءة صحيحة تامّة ، إذا كانت قراءة القارئ أو المصلّي على مقدار آية أو آيتين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك دون تحديد العدد ، كلٌّ حسب سعته وقدرته وحفظه ، حيث يحصل بذلك التمام وتنعقد الصلاة ويقع الإعجاز ، فالأخير غير واقع ببعض آية . يقول الهذليّ (ت465ه) بهذا الصدد : «ولو لم تُعرَف الآيةُ ، لَمَا عُلم به الإعجاز . أَلا ترى أنّ الإجماع انعقد أنّ الصلاةَ لا تصحُّ بنصف آية»[4] إلى أن قال : «حتّى إنّ بعض العلماء قال : لا بدّ من ثلاث آيات . وقال بعضهم : لا بدّ من سبع آيات . وقال بعضهم : يجزئ آية ، إذا لم يكن هناك عذر . مع هذا الاختلاف اتّفقوا أنّ أقلَّ من آيةٍ لا يُجْزئ»[5] ثمّ قال : «والإعجازُ لا يقعُ بدون آية»[6].

---

(1) تفسير الطبريّ 1/ 45 (53) .
(2) تفسير الطبريّ 1/ 45 (54) .
(3) تفسير الطبريّ 1/ 45 (52) .
(4) كتاب الكامل 1/ 333 .
(5) كتاب الكامل 1/ 333-334 .
(6) كتاب الكامل 1/ 334 .

أقول : فمَنْ شَرَطَ آيةً كحدٍّ أدنى لانعقاد الصلاة ، فقد يوازيه القول بنزول القرآن على حرف ؛ ومن شرط ثلاث آيات كحدٍّ أدنى لانعقاد الصلاة ، فقد يوازيه القول بنزول القرآن على ثلاثة أحرف ؛ ومن شرط سبع آيات كحدٍّ أدنى لانعقاد الصلاة ، فقد يوازيه القول بنزول القرآن على سبعة أحرف .

أقول : هذا التفاوت في العدد جاء من باب السعة والتسهيل على الناس عمومًا ، فهم يتفاوتون في حفظهم للقرآن . يعضد ذلك ما رواه الطبريّ من حديث ، يرفعه أبيّ بن كعب ، كالتالي : «حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا حسين بن عليّ وأبو أسامة عن زائدةَ عن عاصمٍ عن زِرٍّ عن أُبَيٍّ ، قال : لقي رسول الله، ﷺ ، جبريل عند أحجار المِرَاء ، فقال : (إنّي بُعثتُ إلى أمّةٍ أمّيّين ، منهم الغلامُ والخادم والشيخ العاسِي والعجوز) ؛ فقال جبريلُ : فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف ! ولفظ الحديث لأبي أسامة»[1].

أقول : أمّا ما فُهم من مجمل هذه الروايات ذات العلاقة بحديث الأحرف السبعة أنّ الاختلاف في قراءة حروف القرآن ــ مع صحّة تواتر القراءات السبع والثلاث المتمّمات للعشر المشهورات ــ قد يُحْمَل على وجه آخر ، هو أن يكون هذا الاختلاف في القراءة من نوع آخر ، هو الوقف والابتداء ؛ فالوقف على الآية سُنّة ، ولا يُعلَمُ ذلك إلّا بسماعٍ ومعرفة في العدد ، كما قال الهذليّ (ت465هـ)[2]. قد يعضد ذلك ، أيْ حمل الاختلاف في القراءة على الاختلاف في الوقف والابتداء المتعلّق بالعدد ، لا في الحروف ، ما رواه الطبريّ (ت310ه) من حديث مرفوع بإسنادٍ ذي طريقين ،

(1) تفسير الطبريّ 1/ 39 (29) . يُقابَل الأحرف السبعة للقرآن 18 (6) .
(2) كتاب الكامل 1/ 327 .

نَصُّه : «قال عبد الله بن مسعود : تَـمَارَيْنَا فـي سورة من القرآن ، فقلنا : خمسٌ وثلاثـون أو ستٌّ وثلاثون آية ؟ قال : فانطلقنا إلى رسول الله ، ﷺ ، فوجدنا عليًّا يُناجِيه ، قـال : فقلنا : إنّا ٱختلفنا فـي القراءة . قال : فٱحمرَّ وجهُ رسولِ الله ، ﷺ ، وقال : (إنّما هَلَـكَ مَنْ كَانَ قبلكم بٱختلافِهم بينهم) . قال : ثمّ أسرَّ إلى عـليّ شـيئًا ، فقـال لنـا عـليٌّ : إنّ رسول الله ، ﷺ ، يأمرُكم أن تقرأوا كما عُلِّمْتُم»[1].

أقول : واضـح أيضًـا مـن هـذا الحـديث أنّ العـدد ، عـدد الآي ، منـوط بـالوقف والابتداء ؛ فبعض أصحاب العدد قد يقفون على موضـع دون الآخـرين . خـير مثـال لذلك الحروف المقطّعة فـي فواتح بعض السور ، فبعضهم يقف عليهـا عـلى أنهّـا آيـة ، وهو العدد الكوفـيّ ، والبعض الآخر لا يقف عليها ، فتكون بعضًا من آية ، وهو سائر الأعداد ؛ فيزيد ذلك فـي العدد أو ينقصه .[2] وقد يكون الأمر ممّا يشبه الفاصلة ، فـلا زيادة فـي العدد . من ذلك ما أخرجه ابن أبـي حاتم (ت327هـ) بصدد الآية السـابعة من سورة آل عمران عن أبـي الشَّعْثَاء جابر بن زَيْد البصرـيّ (ت93/ 104هـ) وأبـي نهيك عثمان بن نهيك البصـريّ ، صاحب القراءات : إنّكـم تَصِـلُون هـذه الآيـةَ وهـي مقطوعةٌ .[3] يعنيان أنّ الوقف على قوله : ﴿وَمَـا يَعْلَـمُ تَأْوِيلَـهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ، ثـمّ الابتـداء بقوله : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ إلى آخر الآية .

وقد يتبع ذلك بعض الألفاظ غير الدقيقة فـي ضبط العدد ، نحو مـا رواه النحّـاس (ت338هـ) : «حدّثنا يموتُ بإسناده عن ابن عبّاس أنّها نزلت بمكّـة ، فهـي مكّيّـة إلّا

(1) تفسير الطبريّ 1/ 36 (13) . يُقابَل البيان 38-39 .

(2)من ذلك ما جاء فـي البيان 203 «قـال قتـادةُ : إلّا عشـر آيـاتٍ مـن أوّلهـا [1:29] إلى قولـه ، تعـالى : ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ [11:29]» .

(3)نقلًا عن الإتقان 2/ 3/ 9 (3772) .

آيتين منها ، فإنّهما نزلتا بالمدينة ، وهما قوله ، تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ ﴾ إلى آخرها [20:73]»[1]، إذ ليس في آخر آية من هذه السورة خلافٌ بين علماء العدد ، فهي واحدة عند الجميع[2]. ولعلّ السبب وراء اعتبار هذه الآية الأخيرة من سورة المزّمّل آيتين ـ إذا صحّ نقل هذه الرواية بهذا اللفظ — لما فيها ممّا يشبه الفاصلة ، وهو ﴿ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [20:73][3].

من الجدير هنا الوقوف على المقطع الأخير من حديث الأحرف السبعة في قوله ، ﷺ : (إنّ هذا القرآنَ أُنزِلَ على سبعةِ أحرفٍ ؛ فٱقْرَؤُوا ما تيسّر منه !) ، كما عند البخاريّ ومسلم[4]؛ فالضمير في (منه) يرجع إلى القرآن ، لا إلى الأحرف السبعة ، والمفاد الظاهر من هذا المقطع هو التوسعة والتخفيف والتسهيل على جمهور القارئين ، خاصّة المصلّين منهم ، أن يقرأوا ما تيسّر لهم من القرآن ؛ وهو المعنى الشائع في الاستعمال اللغويّ والمحيط الفقهيّ ، إذ كثيرًا ما ترد بحقّ المصلّي جملةٌ من قبيل : ثمّ يقرأ بعد تمام الفاتحة ما تيسّر له من القرآن .

هذا التيسُّر منوط بشرطين . الأوّل ألّا تكون القراءة أقلّ من آية ، إذ لا يقع الإعجاز دونه ، كما تقدّم بيانه . الثاني ألّا يُخلَط آية رحمةٍ بآيةِ عذابٍ وبالعكس ؛ وقد إشارت إليه الروايات . من جملتها ما يلي :

---

(1)الناسخ والمنسوخ 3/ 126 (905) . يُقابَل الإتقان 1/ 1/ 37 (31) .

(2)البيان 257 .

(3)البيان 257 .

(4) صحيح البخاريّ 3/ 6/ 122 (4992) [كتاب فضائل القرآن (66) – باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (5)] ، صحيح مسلم 329 (1899) [كتاب صلاة المسافرين (6) – باب بيان أنّ القرآن أنزل على سبعة أحرفٍ وبيان معناه (48)] .

- (ما لم تخلط آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب بآية رحمة)[1]
- (ما لم تَجْعَلْ رحمةً عذابًا أو عذابًا رحمةً)[2]
- (حتّى بلغ ستّة أو سبعة أحرف ، فقال : كلّها شافٍ كافٍ ، ما لم يختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب)[3]
- (إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرفٍ ؛ فاقرأوا ولا حرج ، ولكن لا تختموا ذكرَ رحمة بعذابٍ ولا ذكرَ عذابٍ برحمةٍ)[4]

للتمثيل على ذلك أضرب مثالًا من سورة النبأ [78] ، فالعشر الثالث منها [78:21 ـ30] ينتهي بتمام وعيد الله للكفّار ، وهو قوله : ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [78:30] ، يليه العشر الرابع [78:31ـ40] المبدوء بوعد الرحمن للمتّقين ، وهو قوله : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ [78:31] وما يليه ؛ فهنا يقع النهي عن خلط آية عذاب بآية رحمة ، وذلك بسكتة بينهما أو بفاصل ، بحيث ينهي المصلّي في الركعة الأولى قراءتَه بالآية الثلاثين [78:30] ، ثمّ يبدأ بالتي تليها [78:31] في الركعة الثانية .

كذلك من الجدير ذكره والتنبيه عليه تلك الجملة التي ترد كذلك في العديد من روايات حديث الأحرف السبعة ، نحو ما يلي :

---

(1) المصنَّف (للصنعانيّ) 11/ 220 (20371) .
(2) تفسير الطبريّ 1/ 37 (16) .
(3) تفسير الطبريّ 1/ 41 (40) .
(4) تفسير الطبريّ 1/ 42 (45) .

- (أُنزِلَ القرآنُ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ)[1]
- (وكُلٌّ شَافٍ كَافٍ)[2]
- (اقْرَأْهُ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ! كُلٌّ شَافٍ كَافٍ)[3]
- (كلُّها شَافٍ كَافٍ)[4]
- (أُنزِلَ القرآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ)[5]
- (أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ القرآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، كُلٌّ كَافٍ شَافٍ)[6]
- (كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ)[7]

فالجملة هي (كلّها شافٍ كافٍ) مع ضمير المؤنّث[8]أو (كـلٌّ شـافٍ كـافٍ) دونـه أو (كلٌّ كافٍ شافٍ) دونه مع تقديم وتأخير . هذه الجملـة[9]يمكـن أن تحمَـل عـلى أنّ مـا تيسّر من القرآنِ قراءةً عند القارئ ، كالمصلّي ، سواء كانت آيةً أو آيتين أو ثلاثًـا أو أكثـرَ

(1) تفسير الطبريّ 1/ 37 (17) .
(2) تفسير الطبريّ 1/ 38 (26) .
(3) تفسير الطبريّ 1/ 39 (27) .
(4) تفسير الطبريّ 1/ 39 (31) .
(5) تفسير الطبريّ 1/ 41 (42) .
(6) تفسير الطبريّ 1/ 42 (43) .
(7) تفسير الطبريّ 1/ 53 (69) .
(8) فـي بعض الروايات (كلهنّ شافٍ كافٍ) ، كما فـي الأحرف السبعة للقرآن 20 .
(9) أمّا معناها المتعارف عليه ، فهو كما فـي الأحرف السبعة للقرآن 56 (65) «أيْ يشفي مَنِ الـتمسَ علمَـه وحكمتَه ، ويكفي مَنِ التمسَ بتلاوته الفضيلةَ والثوابَ ، كما يشفي ويكفي غيرُه من سـائر الأحـرف لمـا فيه» .

من ذلك ، تامٌّ غاية التمام في لفظه ومعناه ، فتنعقد الصلاة مثلًا بتوافر نصاب التلاوة على أقلّه وصحّة الأداء .

نزول القرآن منجومًا :

للاستشهاد على ما ذهبتُ إليه احتمالًا — لا أمرًا مقطوعًا به ـ من تفسير حديث الأحرف السبعة على اختلاف رواياته أستطلع هنا أمثلة ونماذج للنزول المنجوم آيةً وآيتين وثلاثًا وأكثرَ من ذلك . سأبدأ بما كان بعض آية وأختم بما أنزل من السور جملةً .

نزول القرآن بعض آية :

هذا النمط الذي لا تنعقد به الصلاة ليس بالمظهر الشائع في نزول الوحي ، بل حالاته معدودة . أورد هنا ثلاث منها ، كالتالي :

سورة البقرة [2:187] : من ذلك ما رواه البخاريّ (ت256هـ) بإسناده «عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، قال : وأُنزِلَتْ ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ ولم يُنزَلْ ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ ، وكان رجالٌ ، إذا أرادوا الصومَ ، رَبَطَ أحدُهم في رجلَيْه الخيطَ الأبيضَ والخيطَ الأسودَ ، ولا يزالُ يأكلُ ويشربُ حتّى يتبيّن لَهُ رُؤيَتُهُما ؛ فأنزلَ الله بعده : ﴿ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ ، فعلموا أنّما يعني الليل من النهار»[1].

سورة النساء [4:95] : روى البخاريّ (ت256هـ) بصدد نزولها أربع روايات ، أوّلها «أنّ زيد بن ثابت أخبره أنّ رسولَ الله ، ﷺ ، أملى عليه ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ

(1) صحيح البخاريّ 3/ 5/ 183-184 (4511) [كتاب التفسير (65) – باب (28)] .
يُقابَل صحيح مسلم 444 (2534) [كتاب الصيام (13) – باب (8)] ، أسباب نزول القرآن 55 (94) .

ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ، فجاءه ابنُ أمِّ مَكْتُومٍ وهو يُمِلُّها عليَّ ، قال : يا رسولَ الله ! والله لو أستطيعُ الجهادَ ، لجاهدتُ ــ وكان أعمى ؛ فأنزل الله على رسول الله ، ﷺ ، وفَخِذُه على فخذي ، فثقُلت عليَّ حتّى خِفْتُ أن تُرَضَّ فَخِذِي ، ثمّ سُرِّيَ عنه ؛ فأنزل الله : ﴿ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾ [4:95]»[1].

سورة التوبة [9:28] : كذلك قوله : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ إلى آخر الآية قد أنزل بعد نزول أوّل الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[2].

نزول القرآن آيةً آيةً :

إنّ نزول القرآن آيةً آيةً من مظاهره الشائعة ، فهذا المظهر يتكرّر في مناسبات عديدة . يكفي استعراض سريع في كتب أسباب نزول القرآن خاصّة ، ليلمس المرءُ تحقُّق وقوعه في مواضع كثيرة . من ذلك على سبيل المثال ، لا الحصر : آية الإذن (في خروج النساء) [33:59][3]، آية الاستئذان[4]، آية الأنفال[5]، آية التخيير [66:5][6]،

---

(1) صحيح البخاريّ 3/ 5/ 216 (4592) [كتاب التفسير (65) – باب (18)] .
يُقابَل كتاب المرشد الوجيز 34–35 .
(2) لباب النقول 133–134 (469–471) ، الإتقان 1/ 1/ 124 .
(3) الإتقان 1/ 1/ 67 (248) .
(4) الإتقان 2/ 3/ 63–64 (4096–4097) .
(5) الإتقان 2/ 3/ 64 (4099) .
(6) ابن كثير (ت774ه) : تفسير القرآن العظيم 5/ 3072 .

آيـة التـيمّم [4:43][1]، آيـة الحجـاب [33:95][2]، آيـة الـروح [17:85][3]، آيـة الرجم[4]، آية الزكاة [9:103][5]، آية السرـقة[6]، آيـة الظهـار [58:2][7]، آيـة العـدّة [2:234][8]، آية العـذر[9]، آيـة الغنيمـة[10]، آيـة القبلـة [2:144][11]، آيـة القسـمة [4:8][12]، آيـة القصـاص [2:178][13]، آيـة الكلالـة [4:12][14]، آيـة اللعـان [24:4][15]، آية المحيض [2:222][16]، آية المصابرة [8:65][17]، آية المواريـث[18]/ آية الميراث [4:12][19]، آية اليتامى [4:2][20].

---

(1) أسباب نزول القرآن 158 (317)، الإتقان 1/ 1/ 60 (195)، 1/ 1/ 61 (203).

(2) الهوّاريّ (ت ح٢٨٠ه): تفسير كـتاب اللهّ العزيز 4/ 381.

(3) الإتقان 1/ 1/ 98 (390)، 1/ 1/ 104 (417-418).

(4) أسباب نزول القرآن 31 (37)، 50 (83).

(5) الإتقان 2/ 3/ 63 (4099).

(6) الإتقان 1/ 1/ 90 (355).

(7)الإتقان 1/ 1/ 89 (353) [سَلَمة بن صخر]، 1/ 1/ 90 (356) [ثابت بن قيس].

(8)الإتقان 2/ 3/ 63 (4099).

(9)الإتقان 2/ 3/ 61 (4089).

(10)الإتقان 2/ 3/ 62 (4094).

(11)الإتقان 2/ 3/ 63 (4098).

(12)الإتقان 2/ 3/ 62 (4096).

(13)أسباب نزول القرآن 156 (312).

(14)الإتقان 1/ 1/ 90 (356) [جابر بن عبد الله].

(15)الإتقان 1/ 1/ 89 (353) [هلال بن أميّة].

(16)جامع البيان 2/ 400 (4282)، 2/ 406 (4327).

(17)الإتقان 2/ 3/ 58 (4066).

(18)ابن حبيب (245): كتاب المحبَّر 324، الإتقان 2/ 3/ 60 (4076).

(19)ابن حبيب (245): كتاب المحبَّر 325.

(20)أسباب نزول القرآن 147 (293).

نزول القرآن آيتين اثنتين :

ثمّة مواضع أُنزِلَ القرآنُ فيها آيتين اثنتين . من ذلك ما يلي :

1) سورة آل عمران [3:135ـ136] : «نزل جبريل ، عليه السلام ، بتوبته، فتلا عليهما رسول الله : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ [3:135] إلى قوله : ﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [3:136]»[1].

2) سورة النساء [4:51ـ52] : «فأنزل الله ، تعالى : ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [4:51] إلى قوله ، تعالى : ﴿وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [4:52]»[2].

3) سورة الأنعام [6:52ــ53] : «فنزلت هؤلاء الآيات[3]: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [6:52] إلى قوله ، تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ [6:53]»[4].

4) سورة الأعراف [7:31ـ32] :

الرواية الأولى : «فنزلت ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [7:31] ونزلت ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ [7:32] الآيتان»[5].

---

(1)أسباب نزول القرآن 127 (248) .

(2)أسباب نزول القرآن 160 (320) .

(3)كذا في المطبوع ، بينما هما آيتان .

(4)أسباب نزول القرآن 220 (432) .

(5)أسباب نزول القرآن 229 (452م) .

الرواية الثانية : «فأنزل الله ، تعالى ، فيهم : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [31:7] إلى قوله ، تعالى : ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ الآيتان [32:7]»[1].

5) سورة إبراهيم [28:14ـ29] : «سورة إبراهيم مكّيّة غير آيتين مدنيّتين : ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا﴾ [28:14] إلى ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ﴾ [29:14]»[2].

6) سورة الحجّ [1:22ـ2] : «أخرج الترمذيّ والحاكمُ عن عمران بن حُصين ، قال : لمّا نزلت على النبيّ ، ﷺ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [1:22] إلى قوله : ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [2:22] ، نزلت عليه هذه وهو في سفرٍ»[3].

نزول القرآن ثلاثًا :

1) سورة آل عمران [101:3ـ103] :

الرواية الأولى : «فنزلت هذه الآية ﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ﴾ [101:3] إلى قوله : ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [103:3]»[4]؛

الرواية الثانية : «فنزلت ﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ﴾ [101:3] إلى قوله ، تعالى : ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾ [103:3]»[5].

---

(1)أسباب نزول القرآن 229 (453) .

(2)الإتقان 1/ 1/ 49 (106) . نظيره تفسير مقاتل بن سليمان 2/ 182 و 2/ 190 ، البيان 134 .

(3)الإتقان 1/ 1/ 62 (216) .

(4)أسباب نزول القرآن 121 (233) .

(5)أسباب نزول القرآن 121 (234) .

2) سورة آل عمران [3:113ـ115] : «فأنزلت هذه الآيات ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [3:113] إلى قوله : ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [3:115]»[1].

3) سورة آل عمران [3:169ـ171] : «فأنزل الله ، تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ [3:169] إلى قوله : ﴿ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [3:171]»[2].

4) سورة النساء [4:37ـ39] : «قال مجاهد : الآيات الثلاث إلى قوله : ﴿عَلِيمًا﴾ [4:39] نزلت في اليهود»[3].

5) سورة الأنعام [6:109ـ101] : «فأنزل الله ، تعالى : ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [6:109] إلى قوله : ﴿ مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [6:111]»[4].

6) ثلاث آيات مدنيّة من سورة الأنعام المكّيّة [6:151ـ153][5]

7) خواتيم سورة النحل [16:126ـ128][6]

---

(1)أسباب نزول القرآن 123 (238) .

(2)أسباب نزول القرآن 133 (264) .

(3)أسباب نزول القرآن 157 (314) .

(4)أسباب نزول القرآن 226 (447) .

(5)الإتقان 1/ 1/ 36 (31) .

(6)الإتقان 1/ 1/ 36 (31) ، 1/ 1/ 49 (109) ، 1/ 1/ 98 (388) .

8) ثلاث آيات مدنيّة من سورة الحجّ المكّيّة [22:19ـ21][1]

9) سورة الفرقان [25:68ـ70][2]

10) ثلاث آيات مدنيّة من سورة لقمان [31:27ــ29] : «فأنزل الله ، جلّ وعزّ : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [31:27] إلى آخرِ الآيتين»[3].

11) ثلاث آيات مدنيّة من سورة السجدة المكّيّة [32:18ـ20][4]

12) ثلاث آيات مدنيّة من سورة الزُّمَر [39:53ــ55] : «إلّا ثلاث آيات منها ، فإنّها نزلت بالمدينة في وحشيٍّ ، قاتِلِ حمزة ، رحمه الله تعالى ؛ وهنّ قوله ، تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [39:53] إلى قوله ، تعالى : ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [39:55]»[5].

13) سورة القمر [54:47ـ49] : «فأنزل الله ، تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾. رواه مسلمٌ عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن سفيان»[6].

14) سورة الضحى [93:1ـ3] : «فنزل : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ . رواه البخاريُّ عن أحمد بن يونس عن زهير عن الأسود ؛ ورواه

---

(1)الإتقان 1/ 1/ 36 (31) .
(2)أسباب نزول القرآن 345 (658) .
(3)البيان 206 . يُقابَل الإتقان 1/ 1/ 36 (31) ، 1/ 1/ 51 (124) .
(4)البيان 207 ، الإتقان 1/ 1/ 36-37 (31) .
(5)البيان 216 . يُقابَل الإتقان 1/ 1/ 37 (31) ، 1/ 1/ 52 (130) .
(6)أسباب نزول القرآن 419 .

مسلمٌ عن محمّد بن رافع عن يحيى بن آدم عن زهير»[1].

15) سورة العلق [96:17ـ19] : «قوله ، تعالى : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ [96:17ـ18] إلى آخر السورة [96:19] نزلت في أبي جهل»[2].

نزول القرآن أربعًا :

1) سورة آل عمران [3:58ـ61] : «فسكت النبيّ ، ﷺ ، ونزل القرآن : ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ۝٥٨ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [3:58ـ59] إلى قوله : ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ الآية [3:61]»[3].

2) سورة آل عمران [3:86ـ89] :

الرواية الأولى : «فأنزل الله ، تعالى : ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ إلى قوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾»[4]؛

الرواية الثانية : «فنزلت ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ حتّى بلغ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾»[5]؛

الرواية الثالثة : «فأنزل الله ، تعالى ، هذه الآية ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ

---

(1)أسباب نزول القرآن 481 (858) . كذلك أسباب نزول القرآن 482 (859-860) .
(2)أسباب نزول القرآن 485 .
(3)أسباب نزول القرآن 107 (208) .
(4)أسباب نزول القرآن 117 (225) .
(5)أسباب نزول القرآن 117 (226) .

إِيمَٰنِهِم ﴾ إلى قوله : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾»[1].

3) سورة آل عمران [3:172ـ175] : «فأنزل الله ، تعالى ، فيهم : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [3:172] حتّى بلغ ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [3:175]»[2].

4) سورة الحجّ [22:52ـ55][3]

5) سورة الشعراء [المكّيّة] 26:224ـ227 «سورة الشعراء سوى خمس [كذا] آياتٍ من أُخْراها نزلنَ بالمدينة : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ [26:224] إلى آخرها [26:227]»[4].

6) سورة القلم [68:1ـ4] : «﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ [68:1] إلى قوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [68:4]»[5].

نزول القرآن خمسًا :

1) سورة آل عمران [3:144ـ146] : «فأنزل الله ، تعالى ، في ذلك : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [3:144] إلى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ ﴾ [3:146] لقتلِ نبيِّهم إلى قوله : ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ

(1)أسباب نزول القرآن 117 (226م) .
(2)أسباب نزول القرآن 134 .
(3)البيان 134 .
(4)الإتقان 1/ 1/ 36 (31) . يُقارَن البيان 196 «إلّا أربع آيات» .
(5)الكشف والبيان 10/ 243 .

ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [3:148]»[1].

2) سورة المائدة [5:82ـ86] : «قوله ، تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ ﴾ [5:82] الآيات إلى قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ ﴾ [5:86] نزلت في النجاشيّ وأصحابه»[2].

3) سورة الرعد [13:8ـ13] : «عن أنسٍ أنّ قوله : ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ [13:8] إلى قوله : ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [13:13] نزل في قصّة أَرْبَدَ بنِ قيسٍ وعامرِ بنِ الطُّفَيْل حين قَدِمَا المدينةَ على رسول الله ، ﷺ»[3].

4) سورة المجادلة [58:14ـ18] : «قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [58:18] قال السدّيّ ومقاتل : نزلت في عبد الله بن نَبْتَل المنافق [...] فحلفوا بالله ما شتموه ؛ فأنزل الله ، تعالى ، هذه الآيات [58:14ـ18]»[4].

5) سورة المدّثّر [74:1ـ5] : «أنزل الله سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [74:1] إلى قوله ، سبحانه : ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [71:5]»[5].

---

(1)أسباب نزول القرآن 129 (252) .

(2)أسباب نزول القرآن 205 .

(3)الإتقان 1/ 1/ 42 (48) .

(4)أسباب نزول القرآن 433 (798) .

(5)الكشف والبيان 10/ 243 .

6) سورة الليل [92:17ـ21] :

«فيه نزلت ، يعني أبا بكر : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [92:17ـ18] إلى آخرها [92:21] ؛ وأسلم وله أربعون ألفًا ، فأنفقها كلّها ، يعني أبا بكر»[1]؛

«فنزلت فيه ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [92:17ـ18] إلى آخر السورة [92:21] ؛ وكان اسمُه عبد الله بن عثمان»[2].

7) سورة الضحى [93:1ـ5] : «﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ [93:1] أوّل من نزل منها إلى قوله : ﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾ [93:5] ، كما في حديث الطبرانيّ»[3].

8) سورة العلق [96:1ـ5] :

«هذه أوّلُ سورةٍ نزلت على رسولِ الله ، ﷺ ، من القرآن . وأوّلُ ما نزل منها خمس آيات ، من أوّلها إلى قوله : ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [96:5] . وعلى هذا أكثر العلماء»[4]؛

«ثمّ أرسلني ، فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [96:1] حتّى بلغ ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [96:5]»[5]؛ «فقالوا : هذا صدرُها [الذي] أنزل على رسول الله ، ﷺ، يوم

(1)الكشف والبيان 10/ 219 .
(2)الكشف والبيان 10/ 219 .
يُقابَل أسباب نزول القرآن 480 (856) .
(3)الإتقان 1/ 1/ 109 (437) .
(4)الكشف والبيان 10/ 242 .
يُقابَل مجمع البيان 10/ 319 .
(5)الكشف والبيان 10/ 243 .

حراء ، ثمّ أنزل آخرُها بعد ذلك بما شاء الله»[1]؛

«﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ أوّل من نزل منها إلى قوله : ﴿ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [96:5]»[2].

نزول القرآن ستًّا :

1) سورة الحشر [59:1ـ6] : «فأنزل الله ، تعالى : ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [59:1] حتّى بلغ : ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [59:6]»[3].

2) يتبع ذلك نزول سورة الكافرون [109] جملةً ، لأنّها ستّ آيات في جميع العدد[4].

نزول القرآن سبعًا :

1) سورة المائدة [5:41ـ47][5]

2) سورة ص [38:1ـ7] : «فنزل فيهم القرآن : ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾ [38:1ـ2] حتّى بلغ ﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٞ﴾ [38:7]»[6].

---

(1)أسباب نزول القرآن 14 (4) .

(2)الإتقان 1/ 1/ 109 (437) .

(3)أسباب نزول القرآن 436 (803) [بعد محاصرة النبيّ ، ﷺ ، بني النضير ومصالحتهم على الجلاء من المدينة] .

(4)البيان 293 .

(5)أسباب نزول القرآن 197-198 (390-391) .

(6)أسباب نزول القرآن 381 (722) .

نزول القرآن ثمانيًا :

1) سورة الواقعة [56] : «فنزلت هذه الآيات : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [56:75] حتّى بلغ ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [56:82] . رواه مسلمٌ عن عبّاس بن عبد العظيم عن النضر بن محمّد»[1].

2) يتبع ذلك نزول سورة التكاثر [102] جملةً ، لأنّها ثماني آيات في جميع العدد[2].

نزول القرآن تسعًا :

1) يتبع ذلك نزول سورة الهمزة [104] جملةً ، لأنّها تسع آيات في جميع العدد[3].

نزول القرآن عشرًا :

1) سورة المؤمنون [23:1ـ10] :

«ثمّ قال : أُنزِلَ عَلَيَّ عشر آيات . من أقامهنّ ، دخل الجنّة . ثمّ قرأ علينا ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ حتّى ختم العشر»[4].

---

(1)أسباب نزول القرآن 423 (782) .

(2)البيان 286 .

(3)البيان 288 .

(4)المصنَّف (للصنعانيّ) 3/ 383-384 (6038) ، مجمع البيان 10/ 67 ، الشوكانيّ (ت1250ه) : فتح القدير 3/ 646-647 .

«صحّ نزول عشر آيات من أوّلِ ﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ جملةً»[1].

2) سورة النور [24:11ـ20] : «قد صحّ نزول العشرـ آيات في قصّة الإفك جملةً»[2].

3) سورة التحريم [66:1ـ10] : «﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ عشر متواليات»[3].

4) يتبع ذلك سورة القارعة [101] ، لأنّها عشر آيات في العدد الحجازيّ[4].

أقول : ما تقدّم من نماذج للنزول المنجوم يؤكّد حقيقة تفاوته في العدد ، عدد الآي . مع ذلك لم ينعدم تأثير نزول مجموعات خمسيّة وعشريّة من آي وسور معيّنة ، كما تقدّم ، من تبنّي فكرة التخميس في تلقّي القرآن وتلقينه في الأوساط التعليميّة في صدر الإسلام .

لقد تحدّث عن ذلك السخاويّ (ت643هـ) قائلًا بحقّ الصحابة ، ﷺ : «كانوا يلقّنونه مَنْ يتعلّمه خمسًا خمسًا ويقولون : إنّ جبريل ، عليه السلام ، كذلك كان يلقّنه رسولَ اللهّ ، ﷺ»[5]. من أبرز الأمثلة على هذا الاقتداء أذكر هنا مجموعة من الصحابة ، كالتالي :

---

(1)الإتقان 1/ 1/ 123 (529) .

(2)الإتقان 1/ 1/ 123 (529) .

(3)كتاب الناسخ والمنسوخ 55 . يُقابَل الإتقان 1/ 1/ 40 (36) [عن قتادة] «﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ﴾ إلى رأس العشر» ، 1/ 1/ 54 (147) «عن قتادة أنّ المدنيَّ منها إلى رأس العشر» .

(4)البيان 285 .

(5)جمال القرّاء وكمال الإقراء 2/ 446 .

عمر بن الخطّاب (ت23هـ) ، ﷺ :

1) «روى أبو العالية عن عمر بن الخطّاب ، ﷺ ، أنّه قال : تَعَلَّمُوا القرآنَ خمسًا خمسًا ! فإنّ جبريلَ نزل به على النبيّ ، ﷺ ، خمسًا خمسًا»[1].

أبو موسى الأشعريّ (ت44هـ) ، ﷺ :

2) «عن أبي رجاء ، قال : كان أبو موسى يعلّمنا القرآن خمسَ آياتٍ ، خمسَ آياتٍ»[2]. أقول : أبو رجاء هذا هو عمران بن تَيْم العُطَارِديّ ، من كبار علماء البصرة . تلقّن من أبي موسى الأشعريّ (ت44هـ) . وكان مخضرمًا مُعمَّرًا ، فقد مات سنة خمس ومائة وله مائةٌ وسبع وعشرون سنة .

عثمان بن عفّان وعبد الله بن مسعود وأبيّ بن كعب ، رضي الله عنهم :

3) «عن ابن مسعود ، قال : كان الرجلُ منّا ، إذا تعلّم عَشْرَ آياتٍ ، لم يجاوِزْهُنَّ حتّى يعرفَ معانِيَهُنَّ والعملَ بهنَّ»[3].

4) «أبو عبد الرحمن ، قال : حدّثني الذين كانوا يقرؤون على عثمان بن عفّان وعبد الله بن مسعود وأبيّ بن كعب أنّ رسول الله ، ﷺ ، كان يقرئهم العشرَ ؛ فلا يجازوزنها إلى عشرٍ أخرى حتّى يتعلّموا ما فيها من العمل ؛ فتعلّمنا القرآنَ والعملَ جميعًا»[4].

---

(1)جمال القرّاء 2/ 446 .

(2)الذهبيّ (ت748ه) : معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار 1/ 153 (20) .

(3)تفسير الطبريّ 1/ 60 (81) .

(4)البيان 33 .

5) «عن أبي عبد الرحمن ، قال : حدّثنا الذين كانوا يُقرِئُونَنَا أنّهم يَسْتَقْرِئُونَ من النبيّ ، ﷺ ، فكانوا ، إذا تعلّموا عشرَ آياتٍ ، لم يُخَلِّفُوها حتّى يعملوا بما فيها من العمل ؛ فتعلّمنا القرآنَ والعملَ جميعًا»[1].

6) «قال : أخبرنا حفص بن عمر الحَوْضيّ ، قال : حدّثنا حَمَّادُ بنُ زَيْدٍ ، قال : حدّثنا عَطَاءُ بنُ السائِبِ أَنَّ أبا عَبْدِ الرحمنِ السُّلَميّ قَالَ : إِنّا أَخَذْنَا هذا القُرْآنَ عَنْ قَوْمٍ أَخْبَرُونَا أَنَّهُم كَانُوا ، إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ ، لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إِلَى الْعَشْرِ الأُخَر ، حتّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِنَّ ؛ فَكُنَّا نَتَعَلَّمُ القُرْآنَ وَالْعَمَلَ بِهِ»[2].

7) «حمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ أَنَّ أَبَا عَبْدِ الرحمنِ قَالَ : أَخَذْنَا الْقُرَآنَ عَنْ قَوْمٍ أَخْبَرُونَا أَنَّهُمْ كَانُوا ، إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ ، لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إِلَى الْعَشْرِ الأُخَرِ ، حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِنَّ ؛ فَكُنَّا نَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ بِهِ»[3].

أخذُ أوائلِ التابعين بهذا النظام :

لقد أخذَ أوائلُ التابعين بهذا النظام في مجالسهم وعملوا به في دروسهم القرآنيّة من باب الاقتداء . أذكر منهم هنا على سبيل المثال ، لا الحصر ، أبا العالية رُفيع بن مِهْران الرِّيَاحيّ البصريّ (ت90/ 3/ 6ه)[4]وأبا عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُّلَميّ (ت73/ 4/ 5ه)[5]، مقرئ أهل الكوفة ، فيما يلي :

---

(1)تفسير الطبريّ 1/ 60 (82) .

(2)ابن سعد (ت230ه) : الطبقات الكبرى 6/ 172 .

(3)معرفة القرّاء الكبار 1/ 148-149 . كذلك غاية النهاية في طبقات القرّاء 1/ 413 .

(4)عنه معرفة القرّاء الكبار 1/ 155-157 (22) ، غاية النهاية 1/ 284-285 (1272) .

(5)عنه معرفة القرّاء الكبار 1/ 146-151 (18) ، غاية النهاية 1/ 413-414 (1755) .

أبو العالية الرياحيّ :

1) «حدّثنا أحمد بن جعفر بن معبد ، قال : حدّثنا يحيى بن مطرف ، قال : حدّثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : حدّثنا أبو خلدة ، قال : سمعتُ أبا العالية يقول : تعلّموا القرآنَ خمسَ آياتٍ ، خمسَ آيات ! فإنّه أحفظُ لكم ، فإنّ جبريلَ ، عليه السلام ، كان ينزل به خمسَ آيات ، خمسَ آيات»[1].

أقول : هذه الطريقة التي كان أبو العالية الرياحيّ يوصي بها ويحثّ عليها قد كان أخذها عن الصحابيّ أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب (ت23هـ) ، ﷺ ، كما تقدّم ذكره .

أبو عبد الرحمن السلميّ :

2) «عن أبي عبد الرحمن السلميّ ، قال : كُنّا ، إذا تعلّمنا عشرَ آياتٍ من القرآن ، لم نتعلّم العشرَ التي بعدها حتّى نعرف حلالَها وحرامَها وأمرَها ونهيَها»[2].

3) «عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : كان أبو عبد الرحمن يقرئ عشرين آية بالغداة وعشرين آية بالعشيّ ويخبرهم بموضع العَشْرِ والخَمْسِ ويقرئ خمسًا خمسًا . يعني خمسَ آياتٍ ، خمسَ آياتٍ»[3].

4) «عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : كان أبو عبد الرحمن يقرئ عشرين بالغَدَاةِ وعشرين بالعَشِيِّ ويعلّمهم أين الخمسُ والعشرُ ويُقرِئُنا خمسًا خمسًا»[4].

---

(1)أبو نعيم الأصفهانيّ (ت430هـ) : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء 2/ 250 (2117) .

(2)البيان 33 .

(3)الطبقات الكبرى 6/ 172 .

(4)البيان 34 .

5) «عن إسماعيل بن [أبي] خالد ، قال : قرأتُ على أبي عبد الرحمن ؛ فلمّا بلغتُ العشرَ ، قال : حَسْبُك ! هذا عَشْرٌ . قال سويدٌ : وكان يقرئهم عشرًا عشرًا»[1].

6) «قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ : كَانَ أَبُو عَبْدِ الرحمنِ يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ خَمْسَ آيَاتٍ ، خَمْسَ آيَاتٍ»[2].

أقول : بائنٌ ممّا تقدّم أنّ منهج السلميّ في تلقين القرآن كان نمط التخميس، ثمّ بنى عليه المضاعفات ، كالتعشير ، لكنّه حرص ألّا يزيد في منهجه المعتمد على أربعين آيةً في المجموع لليوم الواحد ، فعشرون آية في حلقته الصباحيّة ومثلها في حلقته المسائيّة . ثمّ مع الوقت ارتفعت المضاعفات من عشرين آيةً إلى ثلاثين وإلى خمسين ، وذلك لتفاوت اهتمامات أصحاب الشأن وتباين حاجاتهم من مريدٍ تصحيحَ قراءة أو نقلَ رواية أو نحو ذلك ؛ فقد «كان نافعٌ ، رحمه الله ، يقرئ ثلاثين آيةً . وكان حمزةُ يقدّم الفقهاءَ ، فأوّل مَن يقرأ عليه سفيانُ الثوريّ ومندلُ بنُ عليّ وأبو الأحوص ووكيع ، فيقرئهم خمسين خمسين ، ثمّ يقرئ بعدهم الكسائيَّ وسُليمًا ونحوهما ثلاثين آيةً . وكان عبد الله بن صالحٍ واليشكريّ والطبقةُ الثالثةُ يقرئهم عشر آياتٍ»[3].

كذلك يستفاد ممّا ذكر من روايات أنّ فكرة التعشير قد تكون مستوحاة من النزول القرآنيّ المنجوم على عشر آيات، كما الحال مع فكرة التخميس . كذلك من المحتمل أن تكون وليدة فكرة التخميس، أي أنّ التعشير عبارة عن تخميس في كفلين في الحساب. مع ذلك لا يمنع من وجود طرائق أخرى بشأن تلقين القرآن وتعليمه قد

(1)البيان 34 .
(2)معرفة القرّاء الكبار 1/ 149 .
(3)جمال القرّاء 2/ 447 .

اعتمدها صحابة آخرون بالإضافة إلى طريقة التخميس وطريقة التعشير، بل يوجب الأمر تعدّد الطرائق في آنٍ واحدٍ وفقًا لِما ذهبتُ إليه من تفسير روايات حديث الأحرف على أنّها مقادير متفاوتة في عدد الآي بخصوص قراءة القرآن وتلاوته في الصلاة وخارجها ، أدناها آية ثمّ آيتان ، فثلاثٌ ، فأكثر من ذلك . بالمقابل ومن المتوقّع توافر طريقة تلقين القرآن آية آية أو اثنتين اثنتين أو ثلاثًا ثلاثًا أو ما شابه ذلك . بالفعل يسعفنا بعض المصادر في الوقوف على طرائق مقابلات عند بعض الصحابة وأوائل التابعين . من ذلك ما جاء «عن أبي بكر بن عيّاش ، رحمه اللهّ : لمّا أَتَتْ لي إحدى وعشرون سنة ، أتيتُ عاصمًا ، فأخذتُ عنه القرآن خمسًا خمسًا . قال : وأخبرني أنّه أخذه على زرٍّ ثلاثًا ثلاثًا . قال : فأخبرني أنّه أخذه على ابن مسعود آيةً آيةً . قال : فكنتُ ، إذا فرغتُ منها ، يقول لي : خذها إليك ! فهي خيرٌ ممّا طَلَعَتْ عليه الشمسُ ولهي خيرٌ من الدنيا وما فيها . وقال عاصم : تعلّم يحيى بن وثّاب من عُبَيْد بن نُضَيْلة آيةً آيةً . وكان واللهّ قارئًا ؛ فهذه حال التلقين»[1].

أقول : واضح من هذه الرواية أنّ الصحابيّ ابن مسعود ، ﷺ ، كان يعتمد طريقة تلقين القرآن آيةً آيةً . وهي ذاتها التي أخذ بها عُبيد بن نُضيلة الكوفيّ (ت74هـ) الذي كان قرأ القرآن على علقمة بن قيس[2]، من أصحاب ابن مسعود. كذلك تحدّثت هذه الرواية عن طريق تلقين القرآن ثلاثًا ثلاثًا ، وهي نهج التابعيّ زِرّ بن حُبيش الكوفيّ (ت82هـ) ، أحد الأعلام ، من فصحاء القرّاء وأعرب الناس . كان قرأ القرآن على ابن

(1)جمال القرّاء 2/ 446-447 . يُقابَل تهذيب الكمال في أسماء الرجال 19/ 240 «قال عاصم بن أبي النجود : قرأ يحيى بن وثّاب على عُبيد بن نُضيلة كلَّ يوم آيةً آيةً» .

(2)معرفة القرّاء الكبار 1/ 146 (17) .

مسعود وغيره[1]. أمّا الطريقة الثالثة المنصوص عليها في هذه الرواية ، فهي طريقة التخميس . وقد عمل بها التابعيّ عاصم بن أبي النجود الكوفيّ (ت127هـ) ، أحد الأئمّة القرّاء السبعة . وقد أكّد رَاوِيه ابنُ عيّاشٍ تلقّيه القرآنَ عن شيخه عاصم على التخميس في أكثر من مناسبة ، كالمذكورة آنفًا ، وقوله في رواية أخرى : «تعلّمتُ القرآنَ من عاصمٍ خمسًا خمسًا . ولم أتعلّم من غيره ولا قرأتُ على غَيرِه . واختلفتُ إليه نحوًا من ثلاث سنين في الحرّ والشتاء والأمطار ، حتّى ربّما استحييتُ من أهل مسجد بني كاهل»[2].

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ مشروع المصاحف الذي انعقد بمدينة واسط 83ــ85ه بمبادرة والي العراقين حينها الحجّاج بن يوسف الثقفيّ (ت95هـ) وبتأييد وتبريك من الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان (ت86هـ) قد تبنّى نمط التخميس والتعشير وجعله على جدول أعماله ومن أهدافه المرصودة للتسهيل على الناس تداول قراءة القرآن ومتابعتها ، وذلك بوضع إشارة (ه) عند نهاية كلّ خمس آيات وإشارة (ع) عند نهاية كل عشر آيات .[3] كذلك يجب التنبيه إليه في هذا السياق أنّ أبا العالية الرياحيّ كان قد شارك في أعمال هذا المشروع وكان أحد أعضاء لجنة المشروع التي رَأَسَها قرينُه الإمامُ الحسنُ البصريّ (ت110هـ) ؛ فلا يستبعد الأمر ، بل هو أقرب أن يكون مسلَّمًا به أن يكون الرياحيّ الذي كان يحثّ على قراءة القرآن خمسًا خمسًا ــ كما تقدّم بيانه ــــ

(1)معرفة القرّاء الكبار 1/ 146 (17) .

(2)جمال القرّاء 2/ 466 .

(3)حمدان : مشروع المصاحف الثاني في العصر الأمويّ 80-81 [الهدف الثالث : فصل الآي والتخميس والتعشير] .

هو من وقف وراء تبنّي التخميس في هذا المشروع واعتماده فيه .

أقول : هذه الطرائق ، طرائق تلقّي القرآن وتلقينه هي وجوه عمليّة تطبيقيّة لمفاد حديث الأحرف على اختلاف رواياته ، لكن ثمّة وجوه تطبيقيّة أخرى لهذا الحديث مخصوصة بالصلاة وتلاوة القرآن فيها ، يعبّر عنها بعَقْدِ الآي في الصلاة ؛ فقد جاء عن عدد من الصحابة ، أمثال عبد الله بن عمر وعبد الله بن عبّاس وأنس بن مالك وعائشة ، ﷺ ، أنّهم كانوا يعدّون الآيَ في الصلاة . ثمّ أخذ عنهم ذلك عدد كبير من التابعين ، حصرهم أبو عمرو الدانيّ (ت444هـ) في أربعة وعشرين تابعيًّا ، فمن أهل المدينة عروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز ونافع بن جبير بن مُطْعِم ويزيد بن رومان ، ومن أهل مكّة عطاءُ بن أبي رباح وطاووس وابن أبي مُليكة والمغيرة بن حكيم ، ومن أهل الكوفة أبو عبد الرحمن السُّلميّ وزِرُّ بنُ حُبيش وسعيد بن جُبير وعامر الشَّعْبيّ ويسير بن عمرو وإبراهيم النخعيّ ويحيى بن وثّاب وخيثمة بن عبد الرحمن وعاصم بن أبي النَّجود ، ومن أهل البصرة الحسن البصريّ ومحمّد بن سيرين ومالك بن دينار وثابت البُنَانيّ وأبو مِجْلَز وحبيب بن الشهيد ، ومن أهل الشام كعب الأحبار .[1] ثمّ حمل أبو عمرو الدانيّ ما ساقه من روايات وأخبار عنهم بهذا الصدد على أنّه في النوافل ، لكنّه صرّح بأنّ الفقهاء ، أمثال الحسن البصريّ ومحمّد بن سيرين والشعبيّ ، كانوا يجيزونه في الفرائض ولا يرون به بأسًا فيها.

أقول : واضح ممّا تقدّم أنّ هذا النهج كان يُعمَل به في الصلوات ، سواء كانت فرائض أم نوافل ، وقد صَدَرَ عن صحابة وتابعين لهم ، ولم يُورد أبو عمرو الدانيّ حديثًا أو أثرًا ينصّ على أنّ النبيّ ، ﷺ ، كان يفعل ذلك ، ممّا قد يعني أنّ ما قام به

(1)البيان 43 .

هؤلاء الصحابة ومن تبعهم من التابعين هو صورة تطبيقيّة لما فهموه من حديث الأحرف حرصًا منهم على تمام صحّة الصلاة بتمام ما قُرئ فيها ممّا تيسّر من القرآن ، وذلك بعدّ الآي المتلوّة فيها بعقد اليد .

السور المنزلة جملةً :

إنّ ما نزّل من القرآن الكريم جمعًا جمعًا ، أيْ جملةً ، ليس بالطابع الشائع فيه ، بل ما نزّل مفرَّقًا هو غالب القرآن[1] . فيما يلي أمثلة على سور قرآنيّة أنزِلَتْ جملةً :

1) سورة المائدة [5] : «عن محمّد بن كعب القرظيّ ، قال : نزلت سورة المائدة على رسول الله ، ﷺ ، في حجّة الوداع فيما بين مكّة والمدينة وهو على ناقته ، فانصدع كتفُها ، فنزل عنها رسول الله ، ﷺ»[2] .

2) سورة الأنعام [6] : «عن ابن عبّاس ، قال : نزلت سورة الأنعام بمكّةَ ليلًا جُملةً . ونزل معها سبعون ألف ملكٍ يَجْأَرُونَ حولها بالتسبيح»[3] .

3) سورة الفتح [48] : «عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان بن الحكم ، قالا : نزلت سورة الفتح بين مكّة والمدينة في شأن الحديبية من أوّلها إلى آخرها»[4] .

4) سورة الصَّفّ [61] : «أنزل الله ، سبحانه : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي

---

(1)الإتقان 1/ 1/ 109 (437) .

(2)فضائل القرآن (لأبي عبيد) 128 (1-36) .

(3)فضائل القرآن (لأبي عبيد) 129 (8-36) . يُقابَل البيان 135 ، الإتقان 1/ 1/ 47 (91) «قال ابنُ الحصّار : استُثني منها تسع آيات . ولا يصحُّ به نقلٌ ، خصوصًا قد ورد أنّها نزلت جملةً» .

(4)أسباب نزول القرآن 397 (746) .

ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [61:1ـــ2] حتّى ختمها . قال عبد الله : فقرأها علينا رسولُ الله ، ﷺ ، حتّى ختمها»[1].

5) سورة المنافقون [63] : «في قوله ذلك نزلت سورةُ المنافقين بأسرها»[2].

6) سورة الضحى [93] : «فأنزل الله ، سبحانه ، جبرائيل ، عليه السلام ، بهذه السورة»[3].

7) سورة البيّنة [98] : «عن أبي حبَّةَ البدريّ ، قال : لمّا نزلت ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ إلى آخرها»[4].

8) سورة العاديات [100] : «فنزلت ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ [100:1] : ضَبِحَتْ بمَنَاخِرها ، إلى آخر السورة»[5].

9) سورة الكوثر [108] :

«فأنزل الله ، تعالى ، هذه السورة»[6]؛ «فأنزل الله ، تعالى ، في ذلك ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [108:1] إلى آخر السورة»[7]؛ «عن أنس ، قال : بَيْنَا رسولُ الله ، ﷺ ، بين أظهرنا ، إذ أغفَى إغفاءَةً ، فرفع رأسه متبسّمًا ، فقال : أنزلت عليّ آنفًا سورة ، فقرأ :

---

(1)الإتقان 1/ 1/ 44 (61) . كذلك يُقابَل الإتقان 1/ 1/ 109 (440) .
(2)ابن هشام (ت213ه) : السيرة النبويّة 1/ 2/ 129 .
(3)الكشف والبيان 10/ 223 .
(4)الإتقان 1/ 1/ 45 (75) .
(5)أسباب نزول القرآن 489 (867) .
(6)أسباب نزول القرآن 494 (872) .
(7)أسباب نزول القرآن 495 (873) .

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ حتّى ختمها»[1]؛ «قال ابن عبّاس : نزلت هذه السورة في العاصِ بنِ وائلٍ»[2].

10) سورة الكافرون [109] : «﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ إلى آخر السورة نزلت في رهط من قريش»[3]؛ «فأنزل الله ، تعالى : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ إلى آخر السورة»[4].

11) سورة النصر [110] : «نزلت في مُنصَرَفِ النبيّ ، ﷺ ، من غزوة حُنَيْنٍ»[5].

12) سورة المسد [111] : «فأنزل الله ، عزّ وجلّ : ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ [111:1] إلى آخرها [111:5] . رواه البخاريّ عن محمّد بن سَلَام عن أبي معاوية»[6].

13) سورة الإخلاص [112] : «فأنزل الله ، تبارك وتعالى ، هذه السورةَ»[7]؛ «فنزلت ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [112:1] إلى آخرها [112:4]»[8].

---

(1)الإتقان 1/ 1/ 46 (83) . كذلك يُقابَل الإتقان 1/ 1/ 109 (438) .
(2)الكشف والبيان 10/ 307 .
(3)الكشف والبيان 10/ 315 .
(4)أسباب نزول القرآن 496 (874) .
(5)أسباب نزول القرآن 497 . يُقابَل الإتقان 1/ 1/ 109 (438) .
(6)أسباب نزول القرآن 498-499 (876) . يُقابَل الإتقان 1/ 1/ 109 (438) .
(7)أسباب نزول القرآن 500 (879) .
(8)أسباب نزول القرآن 501 (881) . يُقابَل الإتقان 1/ 1/ 109 (438) .

14) سورة الفلق [113] وسورة الناس [114] : «المعوّذتان نزلتا معًا»[1].

أقول : يُسْتَفَادُ من نزولِ سورٍ جملةً أنّ القارئ في الصلاة يقرأ السورة بكمالها، سواء كانت من القصار أو من ذوات العدد ؛ فالأمرُ راجعٌ إليه من حيث الاقتدار والتمكّن من الحفظ .

الخلاصة :

لقد استعرضتُ في هذا البحث ظاهرة نزول الوحي بالقرآن العظيم نجومًا متفرّقةً مستشهدًا بأمثلة ونماذج على تباين أعداد الآي بين نجمٍ وآخَرَ ، كنزوله خمسًا وعشرًا ، ومشيرًا إلى أثر ذلك في مجال تجزئة آي القرآن على التخميس والتعشير من جهة وفي إطار تعليم القرآن وتدريسه على هذين النحوين في المجالس والمحافل من جهة أخرى ، ثمّ حاولت مجتهدًا ـ لا قاطعًا بما ذهبتُ إليه ـ ربطَ النزول القرآنيّ المنجوم على تباينه مع طرائق تلقّي القرآن وتلقينه التي أخذ بها الصحابة والتابعون لهم في صدر الإسلام ، وأنّها ـ أي الطرائق ـ وجوه تطبيقيّة لمفاد حديث الأحرف برواياته العديدة بين مشهورة وغير مشهورة وأنّ ظاهرة عَدِّ الآي في الصلاة بعَقْدِ أصابع اليد التي كان قد عُمِل بها في صدر الإسلام أيضًا هي بدورها وجوه تطبيقيّة أخرى لهذا الحديث مخصوصة بقراءة القرآن وتلاوته فيها .

---

(1) الإتقان 1/ 1/ 109 (438) .

ثبت المصادر والمراجع

- ابن الجزريّ ، أبو الخير شمس الدين محمّد بن محمّد بن محمّد الشافعيّ (٧٥١ـ٨٣٣/ ١٣٥٠ـ١٤٢٩) : غاية النهاية في طبقات القرّاء . عُني بنشره : Gotthelf Bergsträsser . القاهرة : مطبعة السعادة ، ج١: ١٣٥١/ ١٩٣٢ ، ج٢ـ٣: ١٣٥٢/ ١٩٣٣ ، ٣ج/ ٢مج .
- ابن حبيب ، أبو جعفر محمّد بن حبيب بن أميّة البغداديّ (245/ 860) : كتاب المحبَّر . قد اعتنى بتصحيح هذا الكتاب : Ilse Lichtenstädter . حيدرآباد الدكن : مطبعة جمعيّة دائرة المعارف العثمانيّة ، 1361/ 1942 ، 752ص .
- ابن حجر العسقلانيّ ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن عليّ بن حجر (773ـ852/ 1372ـ1449) : العُجَاب في بيان الأسباب . حقّقه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه : أبو عبد الرحمن فوّاز أحمد زمرلي . بيروت : دار ابن حزم ، ط1 ، 1422/ 2002 ، 533ص .
- ابن حنبل ، أبو عبد اللهّ أحمد بن محمّد بن حنبل الشيبانيّ (١٦٤ـ٢٤١/ ٧٨٠ـ٨٥٥) : المسند . شرحه وصنع فهارسه : حمزة أحمد الزين ، أحمد محمّد شاكر . القاهرة : دار الحديث ، ط١ ، ١٤١٦/ ١٩٩٥ ، ٢٠ج/ ٢٠مج.
- ابن سعد ، أبو عبد اللهّ محمّد بن سعد بن مَنِيع الزهريّ (١٦٨ـ٢٣٠/ ٧٨٤ـ٨٤٥) : الطبقات الكبرى . بيروت : دار صادر/ دار بيروت ، ١٣٧٧ـ١٣٨٨/ ١٩٥٧ـ١٩٦٨ ، ٨مج ومجلّد فهارس .

- ابن الضُّرَيْس ،أبو عبد اللهّ محمّد بن أيّوب بن يحيى البجليّ الرازيّ (٢٠٠ـ٢٩٤/ ٨١٥ـ٩٠٦) : فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكّة وما أنزل بالمدينة . تحقيق : غزوة بدير . دمشق : دار الفكر ، ط١ ، ١٤٠٨/ ١٩٨٧ ، ١٨٤ص .
- ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقيّ (٧٠١ـ٧٧٤/ ١٣٠٢ـ١٣٧٣) : تفسير القرآن العظيم . تحقيق : عبد الحليم بن محمود آل سعيد ، محمّد بن نصر ـ أبي جَبَل . القاهرة : مكتبة مصر ـ ، ط1 ، 1431/ 2010 ، 5مج .
- ابن هشام ، أبو محمّد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيّوب الحميريّ المعافريّ (213/ 828) : السيرة النبويّة . حقّقها وضبطها وشرحها : مصطفى السَّقّا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي . بيروت / دمشق : دار الخير ، ط1 ، 1412/ 1992 ، 4ج/ 2مج .
- أبو حيّان الأندلسيّ ، أبو عبد الله أثير الدين محمّد بن يوسف بن عليّ الغرناطيّ (645ـ745/ 1256ـ1344) : البحر المحيط . القاهرة : دار الكتاب الإسلاميّ ، ط2 ، 1413/ 1992 ، 8ج/ 8مج .
- أبو شامة المقدسيّ ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (665/ 1267) : كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز . حقّقه : طيّار آلتي قولاج . أنقرة : وقف الديانة التركيّ ، ط2 ، 1406/ 1986 ، 288ص/ 40ص .

✓ أبو عُبيد ، القاسم بن سلّام الهرويّ (١٥٧ـ٢٢٤/ ٧٧٤ـ٨٣٨) : فضائل القرآن . تحقيق وتعليق : وهبي سليمان غاوجيّ . بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط١ ، ١٤١١/ ١٩٩١ ، ٢٨٠ص .

✓ أبو عمرو الدانيّ ، عثمان بن سعيد بن عثمان (٣٧١ـ٤٤٤/ ٩٨١ـ١٠٥٣) : الأحرف السبعة للقرآن . تحقيق : عبد المهيمن طحّان . مكّة المكرّمة : مكتبة المنارة ، ط١ ، ١٤٠٨/ ١٩٨٨ ، ٨٠ص ؛ البيان في عدّ آي القرآن . تحقيق : غانم قدّوري الحمد . الكويت : منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، ط١ ، ١٤١٤/ ١٩٩٤ ، ٣٧٨ص .

✓ أبو نُعيم الأصبهانيّ ، أحمد بن عبد اللهّ بن أحمد الشافعيّ (٣٣٦ـ٤٣٠/ ٩٤٨ـ١٠٣٨) : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا . بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط١ ، ١٤١٨/ ١٩٩٧ ، ١٢ج/ ١٢مج .

✓ الباقِلّانيّ ، أبو بكر محمّد بن الطيّب بن محمّد القاضي (338ـ403/ 950ـ1013) : الانتصار للقرآن . تحقيق : محمّد عصام القُضَاة . عمّان / بيروت : دار الفتح / دار ابن حزم ، ط1 ، 1422/ 2001 ، 2مج .

✓ البخاريّ ، أبو عبد اللهّ محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفيّ (١٩٤ـ٢٥٦/ ٨١٠ـ٨٧٠) : الجامع الصحيح [= صحيح البخاريّ] . بيروت : دار الفكر ، ١٤١٤/ ١٩٩٤ ، ٨ج/ ٤مج ومجلد الفهارس .

✓ البيهقيّ ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ (384ـ458/ 994ـ1066) : شعب

الإيمان . تحقيق : محمّد السعيد بن بَسْيُوني زغلول . بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط1 ، 1421/ 2000 ، 9ج/ 9مج .

✓ الترمذيّ ، أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ــ٢٧٩/ ٨٢٤ــ٨٩٢) . الجامع الصحيح . تحقيق : أحمد محمّد شاكر ، محمّد فؤاد عبد الباقي ، كمال يوسف الحوت . بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط١ ، ١٤٠٨/ ١٩٨٧ ، ٥ج/ ٥مج .

✓ الثعلبيّ ، أبو إسحاق شهاب الدين أحمد بن محمّد بن إبراهيم النيسابوريّ (427/ 1035) : الكشف والبيان [= تفسير الثعلبيّ] . دراسة وتحقيق : علي عاشور . مراجعة وتدقيق : نظير الساعدي . بيروت : دار إحياء التراث العربيّ ، ط1 ، 1422/ 2002 ، 10ج/ 10مج .

✓ حمدان ، عمر يوسف عبد الغنيّ : مشروع المصاحف الثاني في العصر الأمويّ . مجلّة البحوث والدراسات القرآنيّة 2/ 4 (1428/ 2007) 63ـ116 .

✓ الذهبيّ ، أبو عبد اللهّ شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ـ٧٤٨/ ١٢٧٤ـ١٣٤٨) : معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار . تحقيق : Tayyar Altikulaç . إستانبول : وقف الديانة التركيّ ، ط١ ، ١٤١٦/ ١٩٩٥ ، ٤مج .

✓ الزركشيّ ، أبو عبد الله بدر الدين محمّد بن بهادُر بن عبد الله (745ـ794/ 1344ـ1392) : البرهان في علوم القرآن . تحقيق : محمّد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة : مكتبة دار التراث ، [د. س.] ، 4ج/ 4مج .

✓ الزِّرِكليّ ، خير الدين بن محمود بن عليّ (١٣١٠ــ١٣٩٦/ ١٨٩٣ــ١٩٧٦) :

الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين . بيروت : دار العلم للملايين ، ط٩ ، [1411]/ ١٩٩٠ ، ٨مج .

✓ السخاويّ ، أبو الحسن علم الدين عليّ بن محمّد بن عبد الصمد المصريّ (558ـ643/ 1163ـ1245) : جمال القرّاء وكمال الإقراء . تحقيق : عليّ حسين البوّاب . مكّة المكرّمة : مكتبة التراث ، ط1 ، 1408/ 1987 ، 2ج/ 2مج .

✓ السيوطيّ ، أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيريّ (849ـ911/ 1445ـ1505) : الإتقان في علوم القرآن . مراجعة وتدقيق : سعيد المندوه . بيروت : دار الفكر ، ط1 ، 1416/ 1996 ، 4ج/ 2مج .

✓ السيوطيّ ، أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد الخضيريّ (849ـ911/ 1445ـ1505) : الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور . بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط1 ، 1411/ 1990 ، 6ج/ 6مج .

✓ السيوطيّ ، أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد الخضيريّ (849ـ911/ 1445ـ1505) : لباب النقول في أسباب النزول . تونس : الدار التونسيّة ، 1404/ 1984 ، 348ص .

✓ الشوكانيّ ، أبو عبد اللهّ محمّد بن عليّ بن محمّد (١١٧٣ـ١٢٥٠/ ١٧٦٠ـ١٨٣٤) : فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير . حقّقه وخرّج أحاديثه : عبد الرحمن عميرة . المنصورة : دار الوفاء ، ط2 ، 1418/ 1997 ، 5ج/ 5مج .

✓ الصنعانيّ ، أبو بكر عبد الرزّاق بن همّام بن نافع الحميريّ (١٢٦ـ٢١١/ ٧٤٤ـ٨٢٧) : المصنّف . تحقيق : حبيب الرحمن الأعظميّ . بيروت : المكتب الإسلاميّ ، ط٢ ، ١٤٠٣/ ١٩٨٣ ، ١١ج/ ١١مج .

✓ الطبرسيّ ، أبو عليّ أمين الدين الفضل بن الحسن بن الفضل (٥٤٨/ ١١٥٣) : مجمع البيان في تفسير القرآن . بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط1 ، 1418/ 1997، 10ج/ 10مج ؛ مكتبة الحياة ، ١٣٨٠/ ١٩٦١ ، ١٠ج/ ٥مج .

✓ الطبريّ ، أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد (224ـ310/ 839ـ923) : جامع البيان في تأويل القرآن [= تفسير الطبريّ] . بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط1 ، 1412/ 1992 ، 12مج .

✓ الفيروزآباديّ ، أبو طاهر مجد الدين محمّد بن يعقوب بن إبراهيم الشيرازيّ (٧٢٩ـ٨١٧/ ١٣٢٩ـ١٤١٥) : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . تحقيق : محمّد علي النجّار . بيروت : المكتبة العلميّة ، [د. س.] ، ٦ج/ ٦مج .

✓ قَتَادَة بن دِعَامَة ، أبو الخطّاب قتادة بن دعامة بن قتادة السَّدُوسيّ البصريّ (61ـ118/ 680ـ736) : كتاب الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى . تحقيق : حاتم صالح الضامن . بيروت : عالم الكتب ، ط3 ، 1405/ 1985 ، 66ص . [طبع ضمن كتاب (أربعة كتب في الناسخ والمنسوخ لقتادة وللزهريّ ولابن الجوزيّ ولابن البارزيّ)]

- ✓ الكافيجيّ ، أبو عبد الله محيي الدين محمّد بن سليمان بن سعد الحنفيّ (788ـ879/ 1386ـ1474) : التيسير في قواعد علم التفسير . دراسة وتحقيق : ناصر بن محمّد المطرودي . دمشق / الرياض : دار القلم / دار الرِّفاعيّ ، ط1 ، 1410/ 1990 ، 350ص .
- ✓ المتَّقي الهنديّ ، علاء الدين عليّ بن حسام الدين عبد الملك بن قاضي خان القادريّ الشاذليّ (888ـ975/ 1483ـ1567) : كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال . ضبطه وفسّر غريبه : بكري حيّاني . صحّحه ووضع فهارسه ومفتاحه : صفوة السقّا . بيروت : مؤسّسة الرسالة ، ط5 ، 1405/ 1985 ، 18ج/ 18مج .
- ✓ المزّيّ ، أبو الحجّاج جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (٦٥٤ـ٧٤٢/ ١٢٥٦ــ١٣٤١) : تهذيب الكمال في أسماء الرجال . حقّقه وضبط نصّه وعلّق عليه : بشّار عوّاد معروف . بيروت : مؤسّسة الرسالة ، ط١ ، ١٤١٣/ ١٩٩٢ ، ٣٥مج .
- ✓ مقاتل بن سليمان ، أبو الحسن الأزديّ البلخيّ (150/ 767) : تفسير مقاتل بن سليمان . تحقيق : أحمد فريد . بيروت : دار الكتب العلميّة ، ط1 ، 1424/ 2003، 3ج/ 3مج .
- ✓ الهذليّ ، أبو القاسم يوسف بن عليّ بن جُبَارة البسكريّ المغربيّ (403ـ465/ 1012ـ1073) : كتاب الكامل في القراءات الخمسين . تحقيق : عمر يوسف عبد الغنيّ حمدان ، تغريد محمّد عبد الرحمن حمدان . بيروت : دار ابن حزم ، ط1 ، 1436/ 2015 ، 7مج .

✓ الهوّاريّ ، هود بن مُحَكَّم بـن هـود (ح٢٨٠/ ٨٩٣) : تفسـير كـتاب اللهّ العزيـز . حقّقه وعلّق عليه : بالحاج بن سعيد شريفي . بـيروت : دار الغـرب الإسـلاميّ ، ط١ ، [1410]/ ١٩٩٠ ، ٤ج/ ٤مج .

✓ الواحديّ ، أبو الحسن عليّ بن أحمـد بـن محمّـد (468/ 1076) : أسـباب نـزول القرآن . تحقيق ودراسة : كمال بسيونـي زغلول . بـيروت : دار الكتـب العلميّـة ، 1422/ 2001 ، 568ص .

عرض القرءان في عهد النبي ﷺ:

صوره وأنواعه

د. محمد سعيد بكران

كالب ماجستير بقسم التفسير والحديث بكلية التربية جامعة الملك سعود بالرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

إِنَّ الْحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعوذُ بِالله مِنْ شرُورِ أَنفسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ النبي ﷺ سنَّ لأمته سنناً، وشرع لهم شرعاً، اهتدى به أصحابه، وسلكه من جاء بعدهم، وحثَّهم على التمسِّك بسنته وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ومن السنن المرعية، الثابتة عن خير البرية، في تعلم القرآن وتعليمه: سنة عرض القرآن على أهل القراءة المشهورين بالإمامة، المختصين بالدِّراية، وهي سنَّةٌ من السُّنن التي لا يسع أحداً تركها رغبة عنها، ولابدَّ لمن أراد الإقراء والتصدر منها.

وقد كان النبي ﷺ يعرض القرآن على أمين الوحي جبريل عليه السلام، تلقِّياً ومدارسة، وعرضه على أصحابه ﷺ وعرضوه عليه، ورشَّح بعضاً منهم لتؤخذ عنهم ألفاظ كتاب ربهم لكونهم أضبط له من غيرهم، وتوافرت بذلك الأحاديث والآثار في كتب الأئمة.

وهذه محاولة أردتُ الوقوف على صور العرض وأنواعه في عهد النبي ﷺ، وهي مشاركة منِّي في المؤتمر العالمي الثاني للقراءات القرآنية المعنون له: (التلقي القرآني في العهد النبوي، أنماط ومآلات).

وقد انتظمتْ هذه الوريقات في المحور الأول لهذا المؤتمر، وهو (تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن) فرع: (المنهج النبوي في التلقي)، في موضوع (العرض وأنواعه).

ونحن بحاجة إلى معرفة أنواع التلقي في عهده ﷺ، وتتجلَّى أهمية ذلك في الآتي:

1) إبراز المعالم الأولى في كيفية العرْض، التي ينبغي أن يحتذى القرَّاء في عرضهم على مشايخهم.

2) الوقوف على آداب وأحكام التلقي، وذلك من خلال الوقوف على الأحاديث والآثار في ذلك.

3) معرفة الصِّيغ التي يُعبَّر بها عن تلقي القراءة عرضاً، والتمييز بينها وبين غيرها من صيغ التحمل.

وسلكتُ في البحث بعد هذه المقدِّمة كالتالي:

تمهيد: ذكرتُ فيه بعض المسائل المتعلقة بالعرض، كتعريفه لغة واصطلاحاً، وصور صيغ التحمل بالعرض.

المبحث الأوَّل: عرض النبي ﷺ القرآن على جبريل عليه السَّلام.

المبحث الثاني: عرض الصحابة ﷺ على النبي ﷺ.

المبحث الثالث: عرض الصحابة بعضهم على بعض في عصر النبوة.

الخاتمة، وبها ذكرتُ أهم النتائج، ثم ختمتُ البحث بذكر أهم مصادره.

وأحمد الله تعالى أن هيَّأ لي الكتابة في هذا الموضوع، وأشكر بعد شكر الله تعالى كلَّ من ساعدني ومدَّني بمساعدته من توجيه أو نصح، أو كان سبباً لي للكتابة في هذا

الموضوع، وأسأل الله تعالى أن يوفَّقني وإياهم لما يحب ويرضى، وأن يعلمنا الذي ينفعنا وينفعنا بما علَّمنا، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه:

أبو إسحاق الحضرمي

محمَّد بن سعيد بكران

تمهيد:

العرْض لغةً:

العَرْض: قال ابن فارس: (العين والراء والضاد بناء تكثر فروعه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد، وهو العرض الذي يخالف الطول)[1]، وتطلق كلمة (العرْض) على معان كثيرة، منها:

1) خلاف الطول[2]، ويقال عرضت العُودَ على الإناء أعرُضُه. وقال غير الأصمعي: أعرِضُه. وفي الحديث: «ولو بعود تعرضه عليه» [3]، أي تضعه معروضا عليه[4].

2) الجَبَل، ويشبَّه الجيش الكثيف به فيقال: ما هو إلا عَرْضٌ، أي جبل[5].

3) ومن ذلك: عرض الجند، أن تمرهم عليك، وذلك كأنَّك نظرت إلى العارض من حالهم[6].

4) ومنه عارض الشيء بالشيء معارضة: قابله، وعارضت كتابي بكتابه أي قابلته. وفلان يعارضني أي يباريني. وفي الحديث: «إنَّ جبريل، عليه السلام، كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضه العام مرتين» [7].

---

(1) مقاييس اللغة: 4/ 269.
(2) ينظر: غريب الحديث للخطابي: 1/ 705، ومجمل اللغة: 1/ 659.
(3) أخرجه البخاري برقم (5624).
(4) ينظر: تهذيب اللغة: 1/ 290.
(5) ينظر: تهذيب اللغة: 1/ 290.
(6) ينظر: مقاييس اللغة: 4/ 270، الصحاح: 3/ 1083، مجمل اللغة: 1/ 659.
(7) ينظر: لسان العرب: 7/ 167. والحديث أخرجه بلفظه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: 5/ 367، برقم (2967).

العرْض في اصطلاح القرَّاء:

هو تلاوة التلميذ على شيخه، والشيخ يستمع، وهو أحد وجهي التلقي، لأنَّ الأخذ عن الشيخ يكون بالعرض ويكون بالسَّماع، ولذلك كثر في تراجم القراء: أنَّ فلاناً أخذ عن فلان عرضاً وسماعاً، وكلا الوجهين مقبول عند القرَّاء، إلا أنَّ العرض أدقُّ من السَّماع، وذلك أنَّ الأمر في القراءة يتعلَّق بإتقان الكيفية، ولا يتمُّ ذلك إلا بالمشافهة بين التلميذ والشيخ[1].

والعرض على الشيخ الماهر سنَّة متَّبعة عند القرَّاء خلفاً عن سلف، إلى رسول الله ﷺ، وأوَّل من عرض في هذا الباب هو النبي ﷺ على أمين الوحي جبريل عليه السَّلام كما سيأتي مفصَّلاً إن شاء الله.

قال الإمام الشاطبي «ت: 590هـ» في عقيلته:

وكلَّ عام على جبريلَ يعرِضُهُ ... وقيل: آخرَ عامٍ عرضتين قَرَا[2]

ولله در الإمام أبي عمرو الداني «ت: 444هـ» إذ يقول في أرجوزته المنبهة:

واعلمْ بأنَّ العَرْضَ للقرآنِ ... على الإمام الفاضل الدَّيَّانِ

من سنَّةِ النَّبيِّ والصَّاحبةْ ... ذَوِي المحلِّ وذَوِي القرابةْ[3]

---

(1) ينظر: تعليقات د. لحسن بن أحمد على منبهة الإمام الدَّاني: 2/ 527، بتصرف يسير.

(2) ينظر: عقيلة أتراب القصائد رقم البيت (22).

(3) ينظر: الأرجوزة المنبهة رقم الأبيات (466) (467).

وقال أيضاً: (عرض القرآن على أهل القراءة المشهورين بالإمامة، المختصين بالدِّراية، سنَّةٌ من السُّنن التي لا يسع أحداً تركها رغبة عنها، ولابدَّ لمن أراد الإقراء والتصدر منها، والأصل في ذلك ما أجمع العلماء على قبوله، وصحةِ وروده، وهو عرض النبي ﷺ في كلِّ عام على جبريل عليه السلام، وعرضه على أبيٍّ بن كعب بأمر الله عزَّ وجلَّ له بذلك، وعرض أبيٍّ عليه، وعرض غير واحد من الصحابة على أبيٍّ، وعرض الصحابة بعضهم على بعض، ثمَّ عرض التابعين، ومن تقدَّم من أئمة المسلمين، جيلاً فجيلاً، وطبقة بعد طبقة، إلى عصرنا هذا.

فكلُّ مقرئ أهمل العرض، واجتزأ بمعرفته أو بما تعلَّم في المكتب من معلمه الذي اعتماده على المصحف، أو على الصحائف دون العرض، أو تمسَّك فيما يأخذ به ويعلمه بما يظهر له فيه من جهة إعراب أو معنى أو لغة، دون المروي عن أئمة القراءة بالأمصار المجتمع عليه على إمامتهم، فمبتدع مذموم، مخالف لما عليه الجماعة من علماء المسلمين، تارك لما أمر به رسول الله ﷺ قراء القرآن من تلاوته بما عُلِّمَه وأُقرئ به، وذلك لا يوجد إلا عند من ينقله متواتراً، ويرويه متصلاً، فلا يقلِّد القراءةَ من تلك صفته ولا يحتج بأخذه) [1].

صيغ التحمل بالعَرْض:

هناك صيغ للتحمل بالعرْض وردت بها النصوص والآثار في عهد النبي ﷺ، منها:

(1) شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للداني ص: 37، شرح البيت (7).

1) **عرضتُ**: ومن ذلك قول زيد بن ثابت ﷺ: (عرضتُ النجم على رسول الله ﷺ)[1].

2) **أقرأني**: وهي أكثر استعمالاً في عصر النبي ﷺ، والصحابة والتابعين[2]، ومن ذلك قوله ﷺ: «أقرأني جبريل على حرف» [3].

3) **قرأتُ**: وهي كثيرة الاستعمال عند القُرَّاء، ومن ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه: (قرأتُ على رسول الله ﷺ) [4].

4) **التلقي**: وهو عام يشمل العرض والسَّماع والكتابة، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (من كان تلقَّى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به) [5].

5) **الأخذ**: وهي تشمل العرض والسَّماع، ومن ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه: (وقد أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة) [6].

---

(1) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه: 1/ 311 برقم (566)، قال محققه: إسناده حسن.
(2) ينظر: أسانيد القراءات ومنهج القراء في دراستها ص: 180.
(3) رواه البخاري برقم (2319) ومسلم برقم (819).
(4) رواه البخاري برقم (5001) ومسلم برقم (2462).
(5) ينظر: المصاحف لابن أبي داود ص: 62.
(6) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (8440).

فهذه أشهر الصيغ الواردة في تحمل القرآن بالعرْض في عصر النبي ﷺ، واستعملها من جاء بعدهم من الأئمَّة[1]، وهي متقاربة، ولذلك اختلفت الروايات عن ابن مسعود رضي الله عنه.

فتارة: (لقد **قرأتُ** القرآن من في رسول الله ﷺسبعين سورة) [2].

وتارة يقول: (**أقرأني** رسول الله ﷺ) [3].

وتارة يقول: (لقد **تلقيتُ** من في رسول الله ﷺ) [4].

وتارة يقول: (وقد **أخذتُ** من في رسول الله ﷺ سبعين سورة) [5].

---

(1) اشتهرت كلمة (التسميع، وما تصرَّف منها) في كثير من الحلقات القرآنية عند الأساتذة والطلبة في عصرنا هذا، يقول أحدهم: (سمَّعتُ عند الأستاذ فلان)، أو: (عندي تسميع في الحلقة) أو: (تعال سمِّع وردك) ونحو ذلك، يقصدون بها القراءة غيباً، وهذا خطأ، لأنَّ التسميع في اللغة هو التشنيع والتشهير، [كما في الصحاح والقاموس المحيط] وفي الحديث: «من سمَّع سمَّع الله به» [رواه البخاري ومسلم] ومعناه: شهَّره، أو ملأ أسماع الناس بسوء الثناء عليه في الدنيا، أو في القيامة بما ينطوي عليه من خبث السريرة، وقيل: أسمعه المكروه، وقيل غير ذلك. (ينظر: فتح الباري: 11/ 337، وشرح مسلم للنووي: 18/ 116)

والصواب أن يقال: الاستماع، وفي الحديث: «إني أحبه أن أسمعه من غيري» رواه البخاري ومسلم، والله أعلم.

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (8434) و(8435) و(8436) و(8437).

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (8438).

(4) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (8439).

(5) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (8440) و(8442).

المبحث الأول

عرض النبي ﷺ القرآن على جبريل عليه السلام

قال الإمام البخاري في صحيحه: باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ:

وقال مسروق: عن عائشة، عن فاطمة عليها السلام: أسرَّ إليَّ النبي ﷺ: «أنَّ جبريل كان **يعارضني بالقرآن** كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي».

حدثنا يحيى بن قزعة، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان، حتى ينسلخ **يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن**، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة) [1].

حدثنا خالد بن يزيد، حدثنا أبو بكر، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: (كان **يعرض** على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، **فعرض عليه مرتين** في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف كل عام عشرا، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه) [2].

---

(1) هذا الحديث درسه بتوسع شيخنا عبد المحسن العبَّاد ــ حفظه الله ـ في رسالته «عشرون حديثاً من صحيح البخاري دراسة اسانيدها وشرح متونها».

(2) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ.

أحوال هذا العرض وصفاته:

1) أنَّ قراءته ﷺ كانت مرتَّلة ترتيلاً، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤﴾ [المزمل: ٤].

وجاء عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: (فجعل جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ يرتله ترتيلا) [1].

2) التأكيد على التجويد وضبط مخارج الحروف في هذا العرض، قال الكرماني: (وفائدة درس جبريل عليه الصلاة والسلام تعليم الرسول ﷺ بتجويد لفظه وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها وليكون سنة في هذه الأمة كتجويد التلامذة على الشيوخ قراءتهم) [2].

3) أنَّ هذه المدارسة يستلزم منها العلم والفهم الدقيق لمعاني الألفاظ، فهي إقراء وتعليم، وجاء في الأثر عن حسَّان بن عطيه قال: (كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ بالسُّنة كما ينزل عليه بالقرآن، ويعلِّمه إياها كما يعلمه القرآن) [3]، وفي

(1) أخرجه النسائي في الكبرى: 7/ 247 برقم (7937) والطبراني في الكبير: 12/ 32 برقم (12381) والحاكم في المستدرك: 2/ 242 برقم (2881) و: 2/ 667 برقم (4216) والبيهقي في الأسماء والصفات: 1/ 571 برقم (496)، والمقدسي في الأحاديث المختارة: 10/ 153 برقم (15)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «صحيح».

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 1/ 76.

(3) أخرجه أبو داود في المراسيل ص: 361 برقم (536)، وابن المبارك في الزهد والرقائق ص: 23، والمروزي في السنة ص: 32 برقم (102)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة: 1/ 93 رقم (99)، والخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية ص: 12.

رواية: (ما كان رسول الله ﷺ يفسر شيئا من القرآن إلا آيا بعدد علَّمه إياه جبريل) [1].

4) قدر معيَّن من الآيات، قدَّرها بعضهم بخمس آيات أو نحوها، قال أبو العالية: (أنَّ النبي ﷺ كان يأخذه من جبريل خمساً خمساً) [2]، وقال سفيان: (خمس آيات ونحوها) [3].

الدلالات والفوائد من الأحاديث:

1) المعارضة مفاعلة من الجانبين، كأنَّ كلاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع[4]، وهذا يستفاد من قوله ﷺ: «أنَّ جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين»، وهذا المسلك استعمله النبي ﷺ مع أصحابه، فتارة يعرضون عليه، وتارة يعرض عليهم، كما سيأتي إن شاء الله مع مزيد إيضاح في مبحثه.

2) في الحديث إطلاق القرآن على بعضه وعلى معظمه لأن أول رمضان من بعد البعثة لم يكن نزل من القرآن إلا بعضه، ثم كذلك كل رمضان بعده إلى رمضان الأخير فكان قد نزل كله إلا ما تأخر نزوله بعد رمضان المذكور وكان في سنة عشر إلى أن مات النبي ﷺ في ربيع الأول سنة إحدى عشرة[5]، قال الحافظ ابن حجر: (يستفاد من ذلك أن القرآن يطلق على البعض مجازاً، ومن ثم لا يحنث من حلف ليقرأ القرآن، فقرأ بعضه إلا إن قصد الجميع)[6].

---

(1) أخرجه البزار في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: 18/ 123 برقم (29).
(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: 3/ 346 برقم (1806)، وأبو نعيم في الحلية ص: 219.
(3) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: 7/ 247 برقم (7937) والحاكم في المستدرك: 2/ 667 برقم (4216)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(4) فتح البارئ لابن حجر: 9/ 43.
(5) فتح البارئ لابن حجر: 9/ 44، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: 7/ 455.
(6) فتح البارئ لابن حجر: 9/ 45.

3) أن مداومة التلاوة وملاقاة الصَّالحين توجب زيادة الخير والجود [1]، ويحتمل أن يكون زيادة الجود بمجرد لقاء جبريل ومجالسته، ويحتمل أن يكون بمدارسته إيَّاه القرآن، وهو يحث على مكارم الأخلاق، وقد كان القرآن له ﷺ خُلقًا بحيث يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه، ويسارع إلى ما حثَّ عليه، ويمتنع مما زجر عنه، فلهذا كان يتضاعف جوده وإفضاله في هذا الشهر، لقرب عهده بمخالطة جبريل، وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم، ولا شك أن المخالطة تؤثر وتورث أخلاقًا من المخالط، لكن إضافة آثار ذلك إلى القرآن آكد من إضافتها إلى جبريل عليه الصلاة والسلام[2].

4) الحكمة في تخصيص الليل بمعارضة القرآن: أن المقصود من التلاوة الحضور والفهم والليل مظنة ذلك بخلاف النهار، فإن فيه الشواغل والعوارض على ما لا يخفى، ولعلَّه ﷺ كان يقسم ما نزل من القرآن في كل سنة على ليالي رمضان أجزاء، فيقرأ كل ليلة جزءًا في جزء من الليلة وبقية ليلته لما سوى ذلك من تهجد وراحة وتعهد أهله ويحتمل أنه كان يعيد ذلك الجزء مرارًا بحسب تعدُّد الحروف المنزل بها القرآن[3].

5) مذاكرة الفاضل بالخير والعلم وإن كان هو لا يخفى عليه ذلك لزيادة التذكرة والاتعاظ[4].

---

(1) فتح البارئ لابن حجر: 9/ 44، وشرح مسلم للنووي: 15/ 68.

(2) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: 3/ 352.

(3) فتح البارئ لابن حجر: 9/ 44، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: 7/ 455، و مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: 7/ 145.

(4) فتح البارئ لابن حجر: 9/ 44.

6) استحباب مدارسة القرآن[1]، والحكمة فيه: أن مدارسة القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى النفس، والغنى سبب الجود[2]، والمدارسة للقرآن بين القراء من التعاون على البر والتقوى[3].

7) استحباب الإكثار من القراءة في رمضان، وكونها أفضل من سائر الأذكار إذ لو كان الذكر أفضل أو مساوياً لفعلاه[4].

8) الثمرة العظمى لقراءة القرآن أن يظهر أثرها على القارئ في أخلاقه وأعماله، كما جاء في هذا الحديث من زيادة النبي ﷺ في الخير عند مدارسة القرآن مع جبريل، وكما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنَّ (خلقه ﷺ القرآن) [5]، تعنى أنه يأتمر بأوامره وينتهي عن نواهيه، وكما جاء عنه ﷺ التحذير من خلاف ذلك بقوله في الحديث الصحيح: «والقرآن حجة لك أو عليك» [6].

9) تعظيم شهر رمضان لوصف الله له بإنزال القرآن فيه ثم معارضته ﷺ مع جبريل ما نزل منه فيه ويلزم من ذلك كثرة نزول جبريل فيه وفي كثرة نزوله الخير الكثير[7].

---

(1) شرح مسلم للنووي: 15/ 68.

(2) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: 7/ 145.

(3) عشرون حديثا من صحيح البخاري دراسة اسانيدها وشرح متونها للعبَّاد ص: 58.

(4) فتح البارئ لابن حجر: 1/ 31.

(5) أخرجه أحمد في المسند برقم (24601)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (308)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص: 129.

(6) عشرون حديثا من صحيح البخاري دراسة اسانيدها وشرح متونها للعبَّاد ص: 59. والحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم (223).

(7) عشرون حديثا من صحيح البخاري دراسة اسانيدها وشرح متونها للعبَّاد ص: 59.

المبحث الثاني

عرض الصحابة ﷺ على النبي ﷺ

أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يبلِّغ القرآن الكريم كما تلقَّاه عن أمين الوحي جبريل عليه السَّلام، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

قال الإمام السَّخاوي: (فانتصب ﷺ لتعليمه، وأمر بتعلمه، وبعث إلى من ليس بحضرته من يعلِّمه، حتى انتشر في الأقطار التي دخلها الإسلام، واشتهر في المواضع التي حلَّ بها الإيمان، ألا ترى قولهم: «كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا التشهد **كما يعلِّمنا السورة من القرآن**» [1].

وعن جندب بن عبد الله ﷺ، قال: (كنَّا مع النبي ﷺ ونحن فتية حزاورة، فتعلَّمنا الإيمان قبل أن نتعلَّم القرآن، **ثم تعلَّمنا القرآن** فازددنا به إيماناً) [2].

---

(1) الوسيلة إلى كشف العقيلة ص: 31، والحديث رواه مسلم في صحيحه: 1/ 302 برقم (403).

(2) رواه ابن ماجه: 1/ 22 برقم (61) وصححه الألباني.

وعن أنس ﷺ قال: أتى أبو طلحة أمَّ سليم وهي أم أنس فقال: (عندك يا أم سليم شيء؟ فإني مررتُ على رسول الله ﷺ **وهو يقرئ أصحاب الصفة سورة النساء**، وقد ربط على بطنه حجراً من الجوع) [1].

وسأورد هنا ما وقفتُ عليه من عرض الصحابة ﷺ القرآنَ على النبي ﷺ، ودلالات العرض وذكر بعض الفوائد في ذلك، والآن الشروع في المقصود:

1) عرض أُبيِّ بن كعب ﷺ:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ لأبيٍّ: «إنَّ الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن»، قال أُبيٌّ: (آلله سمَّاني لك ؟) قال: «الله سمَّاك لي» فجعل أبيٌّ يبكي. قال قتادة: فأنبئتُ أنه قرأ عليه: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البينة: ١][2].

قال الإمام النووي: (فيه أنه يجوز أن يكون الله تعالى أمر النبي ﷺ يقرأ على رجل من أمَّته، ولم ينص على أبيٍّ، فأراد أبيٌّ أن يتحقَّق هل نص عليه، أو قال على رجل، فيؤخذ منه الاستثبات في المحتملات) [3].

وفي رواية: (وقد ذكرتُ عند رب العالمين ؟) قال: «نعم» فذرفت عيناه[4].

وفي رواية: (فبكى أُبَيٌّ: فلا أدري أشوق أم خوف) [5].

---

(1) الطبراني في الأوسط (3/ 267).
(2) رواه البخاري: 6/ 175 برقم (4960)، ومسلم: 1/ 550 برقم (799).
(3) شرح مسلم للنووي: 6/ 86.
(4) رواه البخاري: 6/ 175 برقم (4961).
(5) أخرجه أبو نعيم في الحلية بسنده: 1/ 251.

قال ابن المبارك: (فكان في هذا الحديث إخبار رسول الله ﷺ أبيًّا رضي الله عنه أنه أُمِر أن يقرأ عليه القرآن، وقد رُوي أنَّ الذي كان قاله له خلاف ما في هذا الحديث)[1].

وفي رواية: «أن أُقْرِئَكَ الْقُرْآنَ» [2].

وفي رواية: عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزلت عليَّ سورة، وأمرت أن أقرئكها». قال: قلتُ له: ففرحتُ؟ قال: (وما يمنعني)، وهو يقول: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ [3]. بالتاء.

قال الإمام الطحاوي: (فكان في هذا الحديث أنه ﷺ أُمِر أن يقرئه سورة من القرآن أُنزلت عليه، وكان إسناد هذا الحديث أحسن إسناداً من الحديث الذي قبله) [4].

وجاء التصريح بلفظ العرض في حديث أبي بن كعب، رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أمرت أن **أعرض** عليك القرآن»، فقال: (بالله آمنت، وعلى يدك أسلمتُ، ومنك تعلَّمتُ»، قال: فردَّ النبي ﷺ القول، فقال: (يا رسول الله، وذُكِرتُ هناك؟) قال: «نعم، باسمك ونسبك في الملأ الأعلى»، قال: (فاقرأ إذاً يا رسول الله)[5].

(1) ينظر: شرح مشكل الآثار: 9/ 249.
(2) رواه البخاري: 6/ 175 برقم (4961).
(3) أخرجه الطحاوي بسنده في شرح مشكل الآثار: 9/ 251.
(4) ينظر: شرح مشكل الآثار: 9/ 251.
(5) أخرجه أبو نعيم في الحلية بسنده: 1/ 251.

وفي رواية عن أبي بن كعب، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أُمِرت أن أقرأ عليك القرآن» ، قال: قلتُ: سمَّاني لك ربي؟ قال: «نعم»، فتلا: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ قال: بكتاب الله وبالإسلام خير مما يجمعون[1].

وفي حديث آخر: أنَّ أبيّاً قرأ على النبي ﷺ، كما أخبر عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة: أنَّه قرأ على أبيٍّ بن كعب ﷺ «التحقيقَ»، وأخبره أنَّه قرأ على رسول الله ﷺ» التحقيقَ»، قال: وقرأ النبي ﷺ عليَّ «التحقيقَ»[2].

قال أبو عمرو الدَّاني: (هذا الخبر الوارد بتوقيف قراءة التحقيق، من الأخبار الغريبة، والسنن العزيزة، التي لا توجد روايته إلا عند المكثرين الباحثين، ولا يكتب إلا عن الحفَّاظ الماهرين، وهو أصل كبير في وجوب استعمال قراءة التحقيق، وتعلم الاتقان والتجويد، لاتصال سنده، وعدالة نقلته، ولا أعلمه متصلاً إلا من هذا الوجه) [3].

وعن أبيٍّ بن كعب ﷺ قال: (أقرأني رسول الله ﷺ: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾[4]. بالتاء.

وقد أثنى النبي ﷺ على قراءته فقال: «أقرؤهم لكتاب الله أُبيٌّ بن كعب» [5].

---

(1) أخرجه سعيد بن منصور في سننه: 5/ 314 برقم (1062)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار: 9/ 249 برقم (3620)، وأبو نعيم في الحلية: 1/ 251، وقال محقق سنن سعيد بن منصور: «سنده حسن لذاته»، وعند الطحاوي زيادة «بالتاء جميعاً».

(2) أخرجه أبو عمرو الداني بسنده في التحديد ص: 77.

(3) التحديد في الإتقان والتجويد ص: 78.

(4) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده: 1/ 440 برقم (547).

(5) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

معنى قراءة النبي ﷺ على أبي رضي الله عنه:

عن عاصم بن بهدلة قال: قلتُ للطفيل بن أبي بن كعب ﷺ، إلى أيِّ معنى ذهب أبوك في قول رسول الله ﷺ: «أُمِرتُ أن أقرأ عليك القرآن» قال: (ليقرأ عليَّ فآخذ ألفاظه) [1].

قال أبو عمرو الدَّاني: (وهذا الحديث أيضاً أصل كبير في وجوب معرفة تجويد الألفاظ، وكيفية النطق بالحروف على هيئتها وصيغتها، وأنَّ ذلك لازم لكلِّ قراء القرآن أن يطلبوه ويتعلَّموه، وواجب على جميع المتصدِّرين أن يأخذوه ويعلِّموه، اقتداءً برسول الله ﷺ في ما أُمر به، واتباعاً له على ما أكَّده بفعله، ليكون سنَّة يتبعها القراء، ويقتدي بها العلماء) [2].

الدِّلالات والفوائد من الأحاديث:

1) بوَّب الإمام مسلم في صحيحه: باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل، والحذاق فيه، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه[3].

2) أنَّ جبريل كان يقرأ على النبي ﷺ ليأخذ عنه النبي ﷺ، كذا النبي ﷺ كان يقرأ على أبيِّ بن كعب تعليماً منه لأبي ليأخذ عنه أبيٌّ[4].

---

(1) أخرجه ابن مجاهد بسنده في كتابه «السبعة» ص: 55، ومن طريقه الداني في التحديد ص: 79.

(2) التحديد في الإتقان والتجويد للداني ص: 80.

(3) صحيح مسلم، كتاب في صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه.

(4) شعب الإيمان للبيهقي: 3/ 500.

3) قال أبو جعفر: فكان في هذا الحديث من قراءة رسول الله ﷺ على أبيٍّ، فوافق الحديث الأول، وكان فيه أن الذي قرأ عليه سورة من القرآن وهي: ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ [البينة: ١]. فكان بذلك قارئا عليه القرآن[1].

4) المنقبة الشريفة لأبيٍّ ﷺ بقراءة النبي ﷺ عليه ولا يُعلم أحدٌ من النَّاس شاركه في هذا[2].

5) البكاء للسرور والفرح مما يبشر الإنسان به ويعطاه من معالي الأمور[3]، وقيل: بكى سروراً، وقيل: خوفاً من تقصيره في شكر هذه النعمة[4]، وتقدَّمت رواية: (فبكى أُبَيٌّ: فلا أدري أشوق أم خوف).

6) الحكمة في قراءته ﷺ على أبيٍّ:

(أ) أن تستن الأمة بذلك في القراءة على أهل الإتقان والفضل ويتعلموا آداب القراءة ولا يأنف أحد من ذلك، وإن كانوا دونه في النسب والدين والفضيلة ونحو ذلك[5]، قال أبو عبيد: (معنى هذا الحديث عندنا أنّ رسول الله ﷺ إنَّما أراد بذلك العرض على أبيٍّ أن يتعلَّم أبيٌّ منه القراءة، ويستثبت فيها، وليكون عرض القرآن سنَّة)[6].

---

(1) شرح مشكل الآثار: 9/ 253.
(2) شرح مسلم للنووي: 6/ 86.
(3) شرح مسلم للنووي: 6/ 86.
(4) الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: 5/ 430.
(5) شرح مسلم للنووي: 6/ 86.
(6) فضائل القرآن لأبي عبيد ص: 27.

(ب) وقيل: للتنبيه على جلالة أبي وأهليته لأخذ القرآن عنه[1].

(ج) وقيل: ليتعلَّم أبيٌّ ألفاظه وكيفية أدائه ومواضع الوقوف، فكانت القراءة عليه لتعليمه لا ليتعلم منه[2].

(د) وقيل: أن ينبه الناس على فضيلة أبيٍّ ويحثهم على الأخذ عنه وتقديمه في ذلك، وكان كذلك، وصار بعد النبي ﷺ، رأسا وإماما مشهورا فيه[3].

(ر) وقيل: أراد أن يحفظه أبيٌّ، وكان أبيٌّ مقدماً على قراء الصحابة[4].

(ط) يحتمل أن يكون وجه ذلك ليتلقَّنه أبيٌّ من فيه ﷺ، فلا يتخالجه شك في اختلاف القراءات بعده، وذلك أنه خاف عليه الفتنة في هذا الباب؛ لأنه لا يجوز أن يكون أحد أقرأ للقرآن من النبي ﷺ، ولا أوعى له وأعلم به؛ لأنه نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين[5].

(ه) وقال المازري والقاضي: الحكمة في ذلك أن يتعلم أبي ألفاظه وصيغ أدائه ومواضع الوقوف وصيغ النغم فإن نغمات القرآن على أسلوب ألفه الشرع وقدره من النغم المستعملة في غيرها ولكل ضرب من النغم أثر مخصوص في النفوس فكانت القراءة عليه لتعليمه لا ليتعلم منه[6].

---

(1) شرح مسلم للنووي: 6/ 86.
(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 16/ 272.
(3) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 16/ 272.
(4) شرح السنة للبغوي: 14/ 184.
(5) شرح البخاري لابن بطَّال: 10/ 278.
(6) الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: 5/ 430.

(و) وقد يقال أيضا: كان في قراءته قصور فأمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يقرئه على التجويد ويقرأ عليه ليتعلم منه حسن القراءة وجودتها، ولو صح هذا القول كان اجتماع الأمرين القراءة عليه والإقراء ظاهرا[1].

(ي) قال السيوطي: (وأقول الذي عندي أنه لما نزلت سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ [البينة: ١] وكانت عادته ﷺ إذا نزل عليه شيء قرأه على أصحابه أو من حضر منهم أمر عند نزول هذه السورة أن يقرأها على أبيٍّ، فنصَّ له على اسمه بخصوصه، وهذا وجه الفضيلة في كونه نص على اسمه ولهذا قال أبيٌّ: «آلله سمَّاني لك» فعدَّ وجه النعمة عليه كونه سمَّاه له، فكانت قراءته ﷺ عليه من نمط قراءته لما نزل على سائر الصحابة من غير زيادة على ذلك ولم تكن المزية والخصوصية إلا في التنصيص على اسمه بخصوصه ومع هذا فلا يحتاج إلى تأويل) [2].

وخلاصة هذا: أنَّ النبي ﷺ قرأ على أبيٍّ ﷺ، وقرأ أبيٌّ على نبيه ﷺ، وهذا من أنواع العرض في عهده ﷺ.

2) عرض عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

أثنى النبي ﷺ على قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ، ومن ذلك:

قوله ﷺ: «من أحبَّ أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»[3]. وفي رواية: «من سرَّه أن يقرأ القرآن رطبا ...» [4].

---

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: 19/ 309.

(2) الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: 5/ 430.

(3) رواه ابن ماجه: 1/ 49 برقم (138) وصححه الألباني.

(4) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه: 2/ 286 برقم (1156) وقال محققه: إسناده صحيح.

تعدَّدت المرويات عن كيفية عرض ابن مسعود رضي الله عنه، وتلقيه للقرآن عن النبي ﷺ، على صور وأنواع مختلفة، منها:

أ) **قراءته على النبي ﷺ بطلب خاص منه ﷺ**: عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عليَّ» قلتُ: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «فإني أحبُّ أن أسمعه من غيري» فقرأتُ عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان[1].

وفي رواية: «حسبك الآن» فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان[2].

وفي رواية: (فرفعتُ رأسي فإذا عيناه تهملان) [3].

وفي رواية: (فاستعبر رسول الله ﷺ) [4].

وفي رواية: (فغمزني، فنظرتُ فإذا دموعه تنحدر) [5].

بوَّب الإمام البخاري على هذا الحديث بابين:

الأول: باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره.

والثاني: باب قول المقرئ للقارئ حسبك.

---

(1) رواه البخاري: 6/ 45 برقم (4583)، ومسلم: 1/ 551 برقم (800)، واللفظ للبخاري.
(2) رواه البخاري: 6/ 196 برقم (5050).
(3) رواه أبو داود: 3/ 324 برقم (3668) وصححه الألباني.
(4) أخرجه سعيد بن منصور في سننه: 1/ 212 برقم (51).
(5) أخرجه سعيد بن منصور في سننه: 1/ 218 برقم (53).

قال ابن بطَّال: (معنى استماعه القرآن من غيره والله أعلم، ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل أن يكون كي يتدبَّره ويفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر، ونفسه أخلى وأنشط من نفس القارئ؛ لأنه في شغل بالقراءة وأحكامها)[1].

وقال: (فيه جواز قطع القراءة على القارئ إذا حدث على المقرئ عذر أو شغل بال؛ لأن القراءة على نشاط المقرئ أولى ليتدبر معاني القرآن ويتفهم عجائبه، ويحتمل أن يكون أمره ﷺ بقطع القراءة تنبيهًا له على الموعظة والاعتبار) [2].

وقال العيني: (فيه أن القراءة من الغير أبلغ في التدبر والتفهم من قراءة الإنسان بنفسه، وفيه فضل ظاهر لعبد الله بن مسعود، رضي الله تعالى عنه) [3].

ب) **أخبر ابن مسعود رضي الله عنه أنه أخذ من فَيْ رسوله ﷺ سبعين سورة،** والروايات عنه في ذلك كالتالي:

(لقد قرأتُ القرآن من في رسول الله ﷺ سبعين سورة) [4].

وفي رواية قال: (أقرأني رسول الله ﷺ) [5].

وفي رواية: (لقد تلقيتُ من في رسول الله ﷺ) [6].

وفي رواية: (وقد أخذتُ من في رسول الله ﷺ سبعين سورة) [7].

---

(1) شرح البخاري لابن بطَّال: 10/ 277.

(2) شرح البخاري لابن بطَّال: 10/ 278.

(3) عمدة القاري: 18/ 174.

(4) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (8434) و(8435) و(8436) و(8437)، وابن شبة في تاريخ المدينة: 3/ 1005.

(5) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (8438).

(6) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (8439).

(7) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (8440) و(8442).

وأخذ بقية القرآن عن أصحاب رسول الله ﷺ، حيث قال عبد الله: (وأخذتُ بقية القرآن عن أصحابه) [1].

ج) قراءة ابن مسعود سورة يوسف على النبي ﷺ: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أيضاً، قال: كنتُ بحمص، فقال لي بعض القوم: اقرأ علينا، فقرأتُ عليهم سورة يوسف، قال: فقال رجل من القوم: والله ما هكذا أنزلت، قال: قلتُ: ويحك، والله لقد قرأتُها على رسول الله ﷺ، فقال لي: «أحسنت» [2].

د) قراءته على النبي ﷺ سورة من آل حم: عن عبد الله بن مسعود، قال: (أقرأني رسول الله ﷺ سورة من آل حم)، وفي رواية: (أقرأني رسول الله ﷺ سورة من الثلاثين، من آل حم قال: يعني الأحقاف قال: وكانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين) [3].

ر) قراءته على النبي ﷺ من سورة القمر: عن ابن مسعود، قال: (أقرأني رسول الله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] ، فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن: مدكر أو مذكر؟ قال: (أقرأني رسول الله ﷺ: مدكر) [4].

س) نقله لكيفية المدِّ عن نبيه ﷺ: عن موسى بن يزيد الكندي، قال: كان ابن مسعود يقرئ رجلا، فقرأ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] مرسلة، فقال ابن مسعود: (ما هكذا أقرأنيها النبي ﷺ، فقال: وكيف أقرأكها يا أبا عبد

---

(1) فتح الباري: 9/ 48.

(2) رواه مسلم: 1/ 551 برقم (801).

(3) أخرجه أحمد في مسنده: 7/ 88 برقم (3981)، وابن أبي شيبة في مصنفه: 1/ 215 برقم (318)، وقال وقال محققا المسند: إسناده حسن.

(4) أخرجه أحمد في مسنده: 6/ 298 برقم (3755)، وقال محققاه: إسناد صحيح على شرط الشيخين.

الـــرحمن؟ قـــال: أقرأنيهـــا: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبـــة: ٦٠]، فمدَّها[1].

(1) أخرجه سعيد بن منصور في سننه: 5/ 258 برقم (1023)، ومن طريقه الطبراني في «الكبير»: 9/ 137 رقم (8677)، وأبو العلاء الهمذاني العطَّار في «التمهيد في معرفة التجويد» ص: 160، وابن الجزري في «النشر»: 1/ 316.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: 4/ 221 وعزاه لسعيد بن منصور والطبراني وابن مردويه، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»: 7 / 155 من رواية الطبراني.

واختلف في اسم الراوي عن ابن مسعود رضي الله عنه: ففي «مجمع الزوائد» و«النشر» اسمه: مسعود بن يزيد الكندي، وفي سنن سعيد بن منصور والطبراني وابن العطَّار: موسى بن يزيد الكندي.

و«موسى بن يزيد الكندي» لم يُعرف، ولم أجد من ذكره في شيوخ «شهاب بن خراز» ينظر: تهذيب الكمال: 12/ 568، وتهذيب التهذيب: 15/ 70. قال الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» 5/ 279: (موسى بن يزيد الكندي، فإني لم أعرفه ولا ذكره الحافظ المزي في شيوخ ابن خراش في «التهذيب») ا.هـ.

وأمَّا «مسعود بن يزيد الكندي»: ذكر ابن حبان في «الثقات»: 5/ 441 ما يقرب منه فقال: (مسعود بن يزيد يروى عن عمر بن الخطاب روى عنه محمد بن الفضل) ا.هـ. وليس عندنا يقين أنَّ الذي ذكره ابن حبَّان هو نفسه «مسعود بن يزيد الكندي» إلا أن يكون اجتهاد من الشيخ الألباني –رحمة الله تعالى عليه– حيث قال: (قلتُ: فالظاهر أنه هو، ولم يورده البخاري وابن أبي حاتم في كتابيهما) ا.هـ من الصحيحة: 5/ 279.

قلتُ: إنَّ «مسعود بن يزيد الكندي» يروي عن عمر بن الخطاب ﷺ كما ذكره ابن حبَّان، ولم يذكر روايته عن ابن مسعود ﷺ.

قال الشيخ عبد الله الجديع: (وهذا توثيق ليس بمقنع، فابن حبان لا يعتمد على توثيقه منفرداً عند أئمة النقد، خاصة لمن كان من هذه الطبقة، ولم يتابع على تعديل هذا الرجل، هذا لو سلمنا أنه نفسه المذكور في حديث ابن مسعود، فهذه علَّة، وله علة أخرى، الكندي هذا سمع منه شهاب بن خراش هذا الحديث، وأقدم من روى عنه شهاب من الشيوخ بعض أصحاب أنس بن مالك من صغار التابعين كقتادة وشبهه، فلو نزلنا الكندي منزلة صغار التابعين من أصحاب أنس في القدم جزمنا بكون روايته منقطعة؛ لأنَّ ابن مسعود قديم الموت، وأما مظنَّة الانقطاع فهي حاصلة، خاصة مع عدم ذكره السماع في هذه الرواية) ا.هـ المقدمات الأساسية ص: 439.

ومع ما سبق فإن الحافظ الهيثمي قال «مجمع الزوائد»: 7/ 155: (رجاله ثقات)، وقال الحافظ ابن الجزري في «النشر»: 1/ 316: (هذا حديث جليل حجة ونص في هذا الباب، رجال إسناده ثقات)، وقال الشيخ الألباني في الصحيحة: 5/ 279 (حسن الحديث إن شاء الله تعالى).

وخلاصة ما تقدَّم: أنَّ الحديث ضعيف لجهالة موسى بن يزيد الكندي، ومسعود بن يزيد الكندي، والله تعالى أعلم، وإنَّما أطلتُ في تخريجه قليلاً لكونه عمدة عند أهل التجويد.

قال شيخ مشايخنا عبد الفتاح المرصفي: (فابن مسعود الذي هو أشبه الناس سمتاً ودلاً برسول الله ﷺ أنكر على الرجل أن يقرأ كلمة «الفقراء» من غير مد ولم يرخص له في تركه»، مع أنَّ فعله وتركه سواء في عدم التأثير على دلالة الكلمة ومعناها، ولكن لأن القراءة سنة متَّبعة يأخذها الآخر عن الأول كما قال زيد بن ثابت ﷺ. واستفاض النقل عنه بذلك؛ أنكر ابن مسعود ﷺ على الرجل أن يقرأ بغير قراءة النبي ﷺ التي أقرأ بها أصحابه ﷺ جميعاً، فدلَّ ذلك على وجوب تعلم التجويد واتباع أحكامه عند التلاوة، لدلالة مثل هذا النص بالجزء على الكل) [1].

وقال أيضاً: (فإذا تأملنا هذا الحديث وألقينا عليه نظرة فاحصة عابرة نجد أن ابن مسعود وهو الصحابي الجليل لم يسمح للرجل في عدم مد لفظ الفقراء وهذا شيء لا يغير المعنى وأوقفه عن القراءة ثم عاد وقرأ لفظ الفقراء ممدوداً. وما ذاك إلا لأن ابن مسعود ﷺ قرأ هذا اللفظ ممدوداً على سيدنا رسول الله ﷺ كما علم من الحديث. فما بالك بالقراءة التي فيها ترك الإظهار والإدغام والإخفاء ... إلى آخر ما تقدم فهذا شيء لا يصح فعله بحال) [2].

ص) **نقله رضي الله عنه عن نبيه ﷺ لكيفية الإمالة**: عن زر بن حبيش قال: قرأ رجل على عبد الله بن مسعود ﴿طه﴾ ولم يكسر، فقال عبد الله: ﴿طه﴾ وكسر الطاء والهاء، فقال الرجل: ﴿طه﴾ ولم يكسر، فقال عبد الله: ﴿طه﴾ وكسر الطاء والهاء،

(1) هداية القاري: 1/ 48.

(2) هداية القاري: 1/ 57.

فقال الرجل: ﴿طه﴾ ولم يكسر، فقال عبد الله: ﴿طه﴾ وكسر، ثم قال: (والله لهكذا علَّمني رسول الله ﷺ) [1].

وقال العيني: (عن زر قال: قرأ رجل على ابن مسعود رضي الله عنه «طأها»، فقال له عبد الله: ﴿طه﴾. فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن أليس إنما أُمر أن يطأ قدمه. قال: فقال عبد الله: ﴿طه﴾ هكذا أقرأنيها رسول الله) [2].

ه) **تعلّمه من النبي ﷺ وتعليمه لتلاميذه:** صرَّح فيها بتعلُّمه من النبي ﷺ، وفعل بتلاميذه ما فعله معه النبي ﷺ: فعن أبي حيَّان الأشجعي، عن ابن مسعود، قال: قال لي: اقرأ عليَّ من القرآن، قال: فقلتُ له: **أليس منك تعلمتُه وأنت تُقرئنا**، فقال: إني أتيتُ النبي ﷺ ذات يوم، فقال: «اقرأ عليَّ من القرآن»، قال: فقلتُ: يا رسول الله، أليس عليك أُنزل، **ومنك تعلَّمناه؟**، قال: «بلى، ولكنى أحبُّ أن أسمعه من غيري» [3].

والأحاديث والآثار كثيرة جداً في عرض عبد الله بن مسعود على النبي ﷺ وتنوع ذلك العرض، وعدد سوره، وأكتفي بما ذكرتُ ففيها الكفاية إن شاء الله.

---

(1) أخرجه ابن الجزري في النشر: 2/ 31 بسنده، ثم قال: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهو مسلسل بالقراء. وقد رواه الحافظ أبو عمرو الداني في تاريخ القراء).

(2) عمدة القاري: 19/ 56.

(3) أخرجه أحمد في مسنده: 3/ 481 برقم (3550)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر.

3) عرض معاذ بن جبل ﷺ على النبي ﷺ:

عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: (جاء معاذ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أقرئني. فقال: رسول الله ﷺ: «أقرئه» فأقرأتُه ما كان معي ثم اختلفتُ أنا وهو إلى رسول الله ﷺ فقرأه معاذ، فكان معلِّماً من المعلمين على عهد رسول الله ﷺ) [1].

قال معاذ: (عرضنا على رسول الله ﷺ، فلم يعب أحداً منَّا، وقرأتُ عليه قراءة سفرتُها سفراً) [2]، أي وضَّحتُها وجعلتُها واضحةً.

4) عرض عمر بن الخطاب ﷺ على رسول الله ﷺ:

عن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعتُ لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة، **لم يقرئنيها رسول الله** ﷺ، فكدتُ أساوره في الصلاة، فتصبرتُ حتى سلَّم، فلببته بردائه، فقلتُ: من أقرأك هذه السورة التي سمعتُك تقرأ ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، فإنَّ رسول الله ﷺ **قد أقرأنيها** على غير ما قرأت، فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف **لم تقرئنيها**، فقال رسول الله ﷺ: «أرسله، اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التي أقرأني،

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: 15/ 482 برقم (30685)، وقال محققه محمد عوامة: (رجاله ثقات، وإبراهيم: لم يدرك ابن مسعود، لكنه داخل تحت عموم مراسيله الصحيحة، بل فيها نقلٌ خاص عن إبراهيم النخعي: أنه إذا روى عن ابن مسعود ولم يُسمّ واسطة، فقد سمعه من أكثر من واحد عن ابن مسعود).

(2) ينظر: الوسيلة إلى كشف العقيلة للسخاوي ص: 32.

فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه» [1].

وفيه كذلك عرض حكيم بن هشام رضي الله عنه على رسول الله ﷺ.

5) عرض زيد بن ثابت رضي الله عنه على النبي ﷺ:

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: (عرضتُ النجمَ على رسول الله ﷺ، فلم يسجد منا أحد)[2].

وفي رواية: (قرأتُ عند رسول الله ﷺ النجم فلم يسجد) [3].

قال الإمام الشافعي: (وأبيٌّ بن كعب، وزيد بن ثابت في العلم بالقرآن، كما لا يجهل أحد، زيد بن ثابت، قرأ على النبي ﷺ عام مات، وقرأ أبيٌّ على النبي ﷺ مرتين) [4].

6) عرض خبَّاب بن الأرتِّ رضي الله عنه على رسول الله ﷺ:

عن معد يكربَ قال: أتينا عبد الله، فسألناه أن يقرأ علينا طسم المائتين، فقال: ما هي معي، ولكن عليكم مَنْ أخذها من رسول الله ﷺ، خَبَّاب بن الأَرَتِّ، قال: (فأتينا خبَّاب بن الأرَتِّ فقرأَها علينا) [5].

---

(1) رواه البخاري: 6/ 184 برقم (4992)، ومسلم: 1/ 560 برقم (818).

(2) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه: 1/ 311 برقم (566)، قال محققه الأعظمي: إسناده حسن.

(3) أخرجه ابن حبان في صحيحه: 6/ 468 برقم (2762)، قال محققه الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

(4) معرفة السنن والآثار للبيهقي: 3/ 235.

(5) أخرجه أحمد في مسنده: 4/ 106 برقم (3980)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

7) عرض عبد الله بن عمر رضي الله على رسول الله ﷺ:

عن جَبَلَة بن سُحيم قال: (قرأتُ على عبد الله بن عمر: ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠] قال: فأخذها عليَّ بالمدِّ، ثم قال: قرأتُها على رسول الله ﷺ كما قرأتَها، فأخذها عليَّ كما أخذتُها عليك، وفَغَرَ فاه) [1].

فهذه نماذج من أصحاب النبي ﷺ، ممن عرضوا قراءتهم على رسولهم ﷺ، وهي نماذج كثيرة أكتفيتُ ببعضها وأشهرها للدلالة على باقيها، وهي تحكي لنا صوراً من صور عرض القرآن على النبي ﷺ، وذيَّلتُ بعض ذلك بأقوال الأئمة حسب الطاقة والإمكان.

(1) أخرجه ابن العطَّار بسنده في «التمهيد» ص: 161.

المبحث الثالث

عرض الصحابة بعضهم على بعض في عصر النبوة

أقرأ النبي ﷺ جمعاً من أصحابه ﷺ أجمعين، فلمَّا كان ﷺ منشغلاً بأمور الأمة العامة، أوكل الإقراء إلى جمع من أصحابه ليقوموا بهذه الوظيفة الرَّفيعة في حياته ﷺ.

وفي الأحاديث والآثار الآتية: ما يدلُّ على أنَّ المقرئ إذا ولِيَ أمراً، أو لم يسمح له وقته بالإقراء أن يرشد القراء إلى قارئ حاذق يعلِّمه، ويُرَغِّب فيه[1].

قال عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ يُشغَل، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه النبي ﷺ إلى رجل منَّا يعلّمه القرآن، فدفع إلي رسول الله ﷺ رجلا، فكان معي في البيت أعشيه عشاء أهل البيت، فكنت أقرئه القرآن ...)[2]. وقال عبادة: (علَّمتُ رجلاً من أهل الصفة القرآن والكتابة)[3].

ويُحيلُ من جاءه على بعض أصحابه الضابطين: ومن ذلك ما جاء عن إبراهيم قال: قال عبد الله: جاء معاذ إلى النبي ﷺ، فقال لي: «اقرأه»، فأقرأته ما معي، ثم كنتُ أنا وهو جميعا نتعلم[4].

---

(1) ينظر: إقراء القرآن الكريم، منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه ص: 51.

(2) أخرجه أحمد في مسنده: 37/ 426 برقم (22766)، وأخرجه البخاري في «تاريخه الكبير» 1/ 444، والطبراني في «مسند الشاميين» (2237)، والحاكم 3/ 356، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

(3) أخرجه أحمد في مسنده: 37/ 363 برقم (22689)، والحاكم في مستدركه: 2/ 48 برقم (2277)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(4) مسند الشاشي: 2/ 322 برقم (910).

وفي رواية: «جاء معاذ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أقرئني. فقال: رسول الله ﷺ: «أقرئه» فأقرأتُه ما كان معي ثم اختلفتُ أنا وهو إلى رسول الله ﷺ فقرأه معاذ، فكان معلماً من المعلمين على عهد رسول الله ﷺ) [1].

واستخلف رسول الله ﷺ معاذ بن جبل على أهل مكة يعلِّم الناس القرآن، فعن عروة قال: (كان رسول الله ﷺ استخلف معاذ بن جبل ﷺ، على أهل مكة حين خرج إلى حنين، وأمره رسول الله ﷺ أن يعلِّم الناس القرآن، وأن يفقههم في الدين، ثم صدر رسول الله ﷺ عامداً إلى المدينة، وخلف معاذ بن جبل على أهل مكة) [2].

وانتصب عدد من أصحاب النبي ﷺ لتعليم القرآن وإقرائه في حياته ﷺ، ومن ذلك:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: إني لجالسٌ ذات يوم في عصابةٍ من ضعفاء المهاجرين، ورجلٌ منا يقرأ علينا القرآن، ويدعوا لنا، وإنَّ بعضنا لمستترٌ ببعضٍ من العري وجهد الحال، إذ خرج علينا رسول الله ﷺ، فلمَّا رآه قارئنا أمسك عن القراءة، فجلس إلينا، فقال بيده، فاستدارت له حلقةُ القوم، فقال: «ألم تكونوا ترادُّون حديثاً بينكم ؟» قالوا: بلى، يا رسول الله، صاحبُنا يقرأُ علينا القرآن، ويدعو لنا، قال: «فعودوا في حديثكم» فقال الرجلُ: يا رسول الله، أَقرأُ وأنتَ فينا ؟ قال: «نعم» ثمَّ قال: «الحمد لله الذي جعل في أمتي مَنْ أُمرتُ أن أصبر نفسي معهم» [3].

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: 15/ 482 برقم (30685)، وتقدَّم ذكره.
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك: 3/ 303 برقم (5181)، وسكت عنه الذهبي في التلخيص.
(3) أخرجه الطبراني في الأوسط: 8/ 357 برقم (8866).

وفي رواية: قال: كنتُ في حلقةٍ من الأنصار، وإنَّ بعضنا ليستتر ببعضٍ من العري، وقارئ لنا يقرأُ علينا، فنحن نسمع إلى كتاب الله إذ وقف علينا رسول الله ﷺ وقَعَدَ فينا، يعدُّ نفسه معهم، فَكَفَّ القارئ، فقال: «ما كنتم تقولون» ؟ فقلنا يا رسول الله، كان قارئ لنا يقرأ علينا كتاب الله، فقال رسول الله ﷺ بيده، وحلَّق بها يومئ إليهم أن تحلَّقوا، فاستدارت الحلقة، فما رأيتُ رسول الله ﷺ عرف منهم أحداً غيري) [1].

وتميَّز من أصحاب النبي ﷺ جماعة في الإقراء، فأحال عليهم ﷺ بأسمائهم رضي الله عنهم:

فعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود، وسالم، مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب» [2].

وفي رواية: «استقرئوا القرآن من أربعة» [3].

وفي رواية: «اقرءوا القرآن من أربعة نفر» [4].

قال الإمام النووي: (قال العلماء سببه أنَّ هؤلاء أكثر ضبطا لألفاظه وأتقن لأدائه، وإن كان غيرهم أفقه في معانيه منهم، أو لأنَّ هؤلاء الأربعة تفرغوا لأخذه منه ﷺ مشافهة وغيرهم اقتصروا على أخذ بعضهم من بعض، أو لأن هؤلاء تفرغوا لأن يؤخذ

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده: 18/ 147 برقم (11604)، وأبو يعلى في مسنده: 2/ 382 برقم (1151)، وقال محقق مسند أحمد: حديث حسن.

(2) رواه البخاري: 5/ 36 برقم (3808)، ومسلم: 4/ 1913 برقم (2464).

(3) رواه البخاري: 4/ 27 برقم (3758)، ومسلم: 4/ 1914 برقم (2464).

(4) رواه مسلم: 4/ 1914 برقم (2464).

عنهم، أو أنَّه ﷺ أراد الإعلام بما يكون بعد وفاته ﷺ من تقدم هؤلاء الأربعة وتمكنهم وأنهم أقعد من غيرهم في ذلك فليؤخذ عنهم) [1].

وقال الكرماني: (الظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول) [2].

يقول الشيخ عبد العزيز القاري: (وهذا الحديث يدلُّ على مشروعية تحرِّي الضابطين من أهل القرآن للأخذ عنهم والتلقي منهم، فهذا القرآن لا يؤخذ عن كل أحد. ويدل قبل ذلك على أنَّ قراءة القرآن تؤخذ بالتلقي من أفواه المقرئين، أتدري مَن خاطب النبي ﷺ بقوله: «خذوا القرآن من أربعة»؟ خاطب الصحابة، وهم عرب فصحاء، بل هم أفصح الأمة، ومع ذلك لم يكلهم إلى فصاحتهم بل أمرهم بالتلقي، وما ذاك إلا لأنَّ قراءة القرآن لها هيئة مخصوصة توقيفية، فلم يُبَح للصدر الأول وهم عرب أقحاح أن يقرأ كلٌّ منهم حسبما يتيسر على لسانه) [3].

وحثَّ أصحابه على تعليم النَّاس القرآن الكريم:

فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ بتعليم القرآن وحثَّنا عليه[4].

---

(1) شرح النووي على مسلم: 16/ 17.

(2) فتح البارئ لابن حجر: 9/ 48.

(3) سنن القراء ومناهج المجودين ص: 48.

(4) أخرجه أبو نعيم في الحلية: 5/ 107.

ومن لم يستطع ﷺ أن يقرئه أرسل إليه المعلمين الحفَّاظ المتقنين من صحابته ﷺ للقرآن الكريم إلى مختلف الأصقاع كوظيفة أساسية في بدء نشر الإسلام في أي منطقة[1]:

كتبتْ الأوسُ والخزرجُ إلى رسول الله ﷺ ابعث إلينا مقرءاً يقرؤنا القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير العبدري، فكان يقرئهم القرآن[2].

وعن البراء بن عازب ﷺ، قال: (أوَّل من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرءانِنا القرآن، ثم جاء عمَّار وبلال وسعد) [3].

وعن أنس ﷺ: أنَّ أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلا يعلِّمنا كتاب ربّنا والسُّنَّة قال فأخذ النبيُّ ﷺ بيد أبي عبيدة فدفعه إليهم وقال: «هذا أمين هذه الأمَّة» [4].

وعن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن فأمرهما أن يعلِّما النَّاس القرآن[5].

---

(1) إذهاب الحزن وشفاء الصدر السقيم للمجيدي ص: 56، وإقراء القرآن الكريم للدخيل ص: 65.

(2) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: 1/ 220.

(3) رواه البخاري: 6/ 168 برقم (4941).

(4) أخرجه أحمد في مسنده: 19/ 282 برقم (12261)، والحاكم (3/ 299) برقم (5163)، وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بذكر القرآن»، ومسلم برقم (2419) بلفظ: (ابعث معنا رجلاً يعلِّمنا السُّنَّة والإسلام).

(5) أخرجه أحمد في مسنده: 23/ 315 برقم (19544)، والحاكم في المستدرك: 1/ 756 برقم (2084)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه هكذا.

واستمرَّ الصحابة ﷺ في الحفاظ على سنَّة عرض القرآن، فكان بعضُهم يعرِض على بعض، على الطريقة والكيفية التي أخذوها عن رسول الله ﷺ، فهذا عبدالله بن عبَّاس رضي الله عنهما يقول: (كنتُ أُقرئُ رجالاً من المهاجرين منهم: عبد الرحمن بن عوف)[1].

وفي رواية: (كنت أختلف إلى عبد الرحمن بن عوف ونحن بمنى مع عمر بن الخطاب أعلم عبد الرحمن بن عوف القرآن) [2].

قال ابن بطَّال: (ففيه أن العلم يأخذه الكبير عن الصغير؛ لأن ابن عباس لم يكن من المهاجرين لصغر سنة) [3].

قال ابن حجر: (وكان ابن عباس ذكيًّا سريع الحفظ، وكان كثير من الصحابة لاشتغالهم بالجهاد لم يستوعبوا القرآن حفظاً، وكان من اتفق له ذلك يستدركه بعد الوفاة النبوية وإقامتهم بالمدينة فكانوا يعتمدون على نجباء الأبناء فيقرؤونهم تلقينا للحفظ) [4].

قال ابن الجوزي في» كشف المشكل «: (فيه تنبيهٌ على أخذ العلم من أهله وإن صغرت أسنانُهم، أو قلَّت أقدارُهم، وقد كان حكيم بن حزام ﷺ يقرأ على معاذ بن جبل ﷺ، فقيل له: تقرأ على هذا الغلام الخزرجي؟ قال: إنَّما أهلكنا التكبُّر) [5].

---

(1) رواه البخاري: 8/ 168 برقم (6830).
(2) فتح الباري: 12/ 146.
(3) شرح البخاري لابن بطال: 8/ 457.
(4) فتح الباري: 12/ 146.
(5) الآداب الشرعية لابن مفلح: 2/ 111-112.

الخاتمة، وأهم النتائج:

بعد هذا الاستعراض للأحاديث والآثار وأقوال الأئمة حولها في مسألة عرض القرآن في عهد النبي ﷺ، يتلخص في الآتي:

1) تعدَّدت ألفاظ المعبرة عن العرض، ومنها: عرضتُ، وقرأتُ، وأقرأني، وتلقيتُ، وأخذتُ، وبكلها عبَّر الصحابة ﷺ.

2) عرض النبي ﷺ القرآنَ على جبريل عليه السَّلام.

3) عرض جبريل عليه السلام القرآنَ على النبي ﷺ.

4) صاحب هذا العرض مدارسة لألفاظ القرآن ومعانيه.

5) عرض الصحابة على النبي ﷺ ومن أكثرهم أبيٌّ وابن مسعود رضي الله عنهما.

6) عرض النبي ﷺ القرآنَ على بعض أصحابه.

7) مرجع الصحابة عند الاختلاف في القراءة إلى عرضهم على النبي ﷺ، بقولهم: (هكذا قرأتها على رسول الله ﷺ) أو (أقرأني رسول الله ﷺ) ونحو ذلك.

8) عرض الصحابة بعضهم على بعض القرآنَ، إمَّا حثًّا وتوجيهاً من النبي ﷺ، وإمَّا من تلقاء أنفسهم، خاصة من فاته شيء من القرآن أن يعرضه على النبي ﷺ.

وأهم النتائج: كالآتي:

1) عدم التصدر في تعليم القرآن الكريم إلا بعد عرضه على أهل التخصص فيه المشهود لهم بالضبط والإتقان.

2) عدم الاستكبار عن عرض القرآن عمَّن صغر سنَّهم وقلَّ فضلهم إن كانوا أضبط لألفاظ القرآن من غيرهم.

3) تحري أهل الضبط في القراءة للقراءة عليهم والأخذ عنهم.

4) المرجع في القراءة هي المشافهة والأخذ عن المشايخ، وعدم الاعتماد على الأخذ من المصاحف مباشرة بدون عرض على أهل التخصص.

5) وجود ألفاظ خاصة بإجازة التلاوة والعرض، في عصر النبوة، منها:

أ) قول النبي ﷺ: «كذلك أنزلت» نصٌّ صريح في الإجازة، بل هو من أعلى ألفاظ الإذن بالرِّواية[1].

ب) قول النبي ﷺ: «أحسنت»، وهي تدلُّ على صحة وحسن تلاوة التالي، والإذن له بالرِّواية.

ج) قول النبي ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة»، دلالة صريحة في الإذن لهؤلاء بإقراء غيرهم.

وغير هذه الألفاظ الواردة في الأحاديث والآثار الدَّالة على ألفاظ إجازة التلاوة والعرض، والإذن بالرِّواية والإقراء.

---

(1) قال شيخنا د. أيمن سويد ــ حفظه الله ـ في دورة مخارج الحروف وصفاتها بالرياض سنة 1436هـ، بما معناه: لفظ «هكذا أنزل» أعلى من قولنا: «أجزتُك».

أهم المصادر[1]:

1) الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، تأليف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، دراسة وتحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الثالثة، سنة 1420 هـ ـ 2000 م.

2) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، سنة 1323 هـ.

3) أسانيد القراءات ومنهج القراء في دراستها، دراسة نظرية تطبيقية، تأليف: د. أحمد بن سعد المطيري، من إصدارات كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة 1434هـ-2013م.

4) الأسماء والصفات للبيهقي، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة: الأولى، سنة 1413 هـ - 1993 م.

(1) ذكرتُ أهم المصادر التي رجعتُ إليها، وتركتُ ذكر بقيتها هنا اكتفاء بذكرها في ثنايا البحث في حواشيه.

5) إقراء القرآن الكريم، إعداد: د. محمد بن فوزان بن حمد العمر، من إصدارات كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة 1434هـ-2013م.

6) إقراء القرآن الكريم، منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه، تأليف: دخيل بن عبد الله الدخيل، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي بجدة، الطبعة الأولى سنة 1429هـ-2008م.

7) تجويد اللفظ في قراءة القرآن الكريم، في القرون الخمسة الأولى، تأليف: حسين بن سعد بن حسين المطيري، من إصدارات كرسي تعليم القرآن الكريم وإقرائه بجامعة الملك سعود، سنة 1434هـ.

8) التحديد في الإتقان والتجويد، تأليف: أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، دراسة وتحقيق: الدكتور غانم قدروي الحمد، دار عمَّار بالأردن، الطبعة الأولى سنة 1421هـ-2000م.

9) تهذيب اللغة، تأليف: محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث بيروت، الطبعة الأولى سنة 2001م.

10) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تأليف: محمَّد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمَّد زهير بن ناصر النَّاصر، دار طوق النَّجاة، الطبعة الأولى سنة 1422هـ.

11) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، الناشر: السعادة – مصر، سنة 1394هـ - 1974م.

12) الزهد والرقائق لابن المبارك، يليه: مَا رَوَاهُ نعَيْمُ بن حَمَّاد فِي نُسْخَتِه زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَن ابن الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْد، تأليف: أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المَرْوزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

13) السُّنَّة، تأليف: أبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، تحقيق: سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، 1408هـ.

14) سنن القراء ومناهج المجودين، تأليف: الدكتور أبي مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتَّاح القارئ، مكتبة الدار بالمدينة النبوية، الطبعة الأولى سنة 1414هـ.

15) السنن الكبرى، تأليف: أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ـــ بيروت، الطبعة: الأولى، سنة 1421 هـ- 2001 م.

16) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تأليف: أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة ـ السعودية، الطبعة: الثامنة، 1423هـ/ 2003م.

17) شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني التي قالها في القراءة وحسن الأداء، تأليف: أبو عمرو عثمان بن سعيد الدَّاني، تحقيق: غازي بن بنيدر بن غازي العمري الحربي.

18) شعب الإيمان، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، وأشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م.

19) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: أبي نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الرابعة 1407هـ - 1987م.

20) صحيح ابن خزيمة، تأليف: أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، حققه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه وقدَّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة سنة 1424هـ -2003م.

21) الطبقات الكبرى، تأليف: محمد بن سعد بن منيع، مكتبة ابن تيمية، سنة 1412هـ.

22) عشرون حديثا من صحيح البخاري دراسة اسانيدها وشرح متونها، تأليف: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، سنة 1409هـ.

23) عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، في علم الرسم، تأليف: أبي محمَّد القاسم بن فيرة الشاطبي، تحقيق: د. أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات للنشر والتوزيع بجدة، الطبعة الأولى سنة 1422هـ-2001م.

24) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

25) غريب الحديث، تأليف: أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، سنة 1402هـ-1982م.

26) فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، سنة 1379هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

27) كتاب المصاحف، تأليف: أبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد بن عبده، النَّاشر الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1432هـ-2002م.

28) الكفاية في علم الرواية، تأليف: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: أبي عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية - المدينة المنورة.

29) اللحن في قراءة القرآن الكريم، تأليف: علي بن سعد الغامدي المكي، من إصدارات كرسي تعليم القرآن الكريم وإقرائه بجامعة الملك سعود، سنة 1434هـ.

30) لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة 1414هـ.

31) مجمل اللغة، تأليف: أحمد بن فارس القزويني، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، الطبعة الثانية سنة 1406هـ-1986م.

32) المراسيل، تأليف: أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ــ بيروت، الطبعة: الأولى، سنة 1408 هـ.

33) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: أبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة: الثالثة - 1404 هـ، 1984 م.

34) المستدرك على الصحيحين، تأليف: أبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ــ بيروت، الطبعة: الأولى، سنة 1411هـ - 1990م.

35) مسند البزار، تأليف: أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى.

36) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تأليف: مسلم بن الحجَّاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

37) المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، الطبعة الثانية.

38) معجم مقاييس اللغة، تأليف: أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة 1399هـ ـ 1979م.

39) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تأليف: أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، الطبعة: الثانية سنة 1392هـ.

40) منبهة الإمام أبي عمرو الداني، دراسة وتحقيق وتعليق: فضيلة الشيخ الدكتور لحسن بن أحمد وكاك، الطبعة الأولى سنة 1430هـ - 2009م.

41) الوسيلة إلى كشف العقيلة، تأليف: علم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي، تحقيق: د. مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثانية، سنة 1424هـ-2003م.

تعاهد القرءان الكريم في العهد النبوي: عرض ودراسة

د. سعيد الشهراني

أستاذ مشارك ورئيس قسم القرآن وعلومه بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد بأبها

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أما بعد:

فإن من أعظم المِنن التي امتن الله بها علينا أهل الإسلام نزول القرآن؛الذي هو هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، ثم تكفل بحفظه من التغيير والتبديل فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1] وحثنا على المحافظة عليه بتعاهده تلاوة وتدبرًا وعملاً فقال ﷺ:«**تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها**»[2].

وتتبيّن عِظَم هذه المِنة من الله عز وجل حين تعلم أن أهل الكتاب من قبلنا استحفظوا كتبهم، ولكنهم ضيعوها، تارة بالتفسير الذي يخرجها عن معناها، وتارة بإخفاء حروفها وكلماتها حسب ما يوافق أهواء كبرائهم.

وحاجة الأمة ماسة إلى تعاهد القرآن في كل زمان ومكان، وإن كانت في هذا العصر أشد، لفشو الجهل واتباع الهوى، وكثرة الفتن- نسأل الله أن يعصمنا من الزلل-، وحين يتأمل المرء ما يعصف بالأمة من الفتن فكفر بعضهم بعضا؛ واستبيحت دماء معصومة، يعلم أن بُعد العباد عن التمسك بالكتاب والسنة سبب كل بلاء؛ مصداق

---

(1) سورة الحجر (آية: 9).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده (6/ 193)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن (1/ 544).

ذلك قول الصادق المصدوقﷺ :«**إني قد خلفتُ فيكم ما لن تضلوا بعدهما؛ ما أخذتم بهما، كتاب الله وسنتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض**»[1].

ورغبت في حث نفسي المقصرة والمشاركينالأفاضل على تعاهد القرآن والعناية به، أحببت أن أتقدم ببحث وسمته بـــ **تعاهد القرآن الكريم في العهد النبوي- عرضا ودراسة**- وذلك من خلال المحور الأولوهو بعنوان (تلقي النبي -ﷺ- ألفاظ القرآن) في المؤتمرالعالمي الثاني للقراءات القرآنية (التلقي في العهد النبوي – أنماط ومألات).

وقد جعلت هذا البحث القرآني في مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة

التمهيد: يتضمن فضل القرآن الكريم والحث على تعاهده.

المبحث الأول: تعريف تعاهد القرآن وبيان مرادفاته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف تعاهد القرآن في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: مرادفات التعاهد.

المبحث الثاني: تعاهد النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: دراسة الآيات الدالة على منة الله على رسوله بعدم تفلت القرآن الكريم

المطلب الثاني: طرائق النبي ﷺ في تعاهد القرآن الكريم.

المبحث الثالث: طرائق الصحابة في تعاهدهم للقرآن الكريم في العهد النبوي، وفيه مطلبان:

---

(3) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (10/ 114)، والدارقطني في السنن (4/ 245)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (3232).

المطلب الأول: صور من تعاهد الصحابة ﷺ للقرآن الكريم.

المطلب الثاني: طرائق تعاهد الصحابة ﷺ للقرآن الكريم.

ثم الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات، وبعدها فهارس البحث.

والله أسأل التوفيق والسداد، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كتبه: د/ سعيد بن محمد سعد الشهراني

الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه

جامعة الملك خالد

تمهيد

استفاضت نصوص الوحيين في الحث على تعاهد القرآن الكريم والعناية به، قال جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[3].

وفي السنة المطهرة تواردت النصوص في الحثّ على تعاهد القرآن، فمن ذلكحديث عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: خرج علينا رسول الله -ﷺ- ونحن في الصفة، فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين[4] في غير إثم ولا قطيعة رحم؟» فقلنا: كلنا نحب ذلك، قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل»[5].

---

(1) سورة البقرة (آية:121).

(2) سورة فاطر (آية:29).

(3) سورة الاسراء (آية:78-79).

(4)كوْماوَيْن: تثنية كَوْماء- بفتح الكاف- والكوماء من الأبل: الْعَظِيمَة السنام. انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (4/ 142)، شرح أبي داوود للعيني (5/ 369).

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه (1/ 552).

وعن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه-أن رسول الله -ﷺ- قال: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف بل ألفحرف ولام حرف وميم حرف» [1].

وفي حديث أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه-أن رسول الله -ﷺ- قال: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»[2].

وكما أمرنا بتعاهد القرآن أُمرت الأمم السابقة بتعاهد كتبها أيضًا، قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾[3].

قال ابن عطية: بسبب استحفاظ الله تعالى إياهم أمر التوراة، وأخذه العهد عليهم في العمل والقول بها وعرفهم ما فيها فصاروا شهداء عليه، وهؤلاء ضيعوا لما استحفظوا حتى تبدلت التوراة[4].

وفي السنة من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول اللهَّ-ﷺ-: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْقُرْآنُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَابَّتِهِ تُسْرَجُ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ[5] قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ، وَكَانَ

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه (5/ 175).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (1/ 553).

(3) سورة المائدة آية (44).

(4) المحرر الوجيز (2/ 196) .

(5)المراد به قرآنه: وهو الزبور، وليس المراد به القرآن الذي أنزل على محمد -ﷺ-، فلفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور قد يراد به الكتب المعينة، و قد يراد به الجنس، فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره، ومنه ما جاء في صفة أمة محمد: « أناجيلهم في صدورهم ». انظر: الاسماء والصفات (2/ 28) الجواب الصحيح (5/ 156).

لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[1]. وسُمِّيَ (إِدْرِيسُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ لِكَثْرَةِ دِرَاسَتِهِ كِتَابَ اللهِ تَعَالَى[2].

وفي مسند البزار من حديث علي-رضي الله عنه-عن رسول الله-ﷺ-أنه قال: « بعث الله يحيى بن زكريا إلى بني إسرائيل بخمس كلمات.. فقال: إن الله يأمركم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئا، ومثل ذلك كمثل رجل أعتق رجلا، فأحسن إليه وأعطاه، فانطلق وكفر ولي نعمته، ووالى غيره، وإن الله يأمركم أن تقيموا الصلاة، ومَثَل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأرادوا قتله، فقال: لاتقتلوني، فإن لي كنزا، وأنا أفدي نفسي، فأعطاهم كنزه، ونجا بنفسه، وإن الله تبارك وتعالى يأمركم أن تصدقوا، ومثل ذلك كمثل رجل مشى إلى عدوه، وقد أخذ للقتال جنة، فلا يبالي من حيثما أتي، **وإن الله يأمركم أن تقرءوا الكتاب**، ومثل ذلك كمثل قوم في حصنهم صار إليهم عدوهم، وقد أعدوا في كل ناحية من نواحي الحصن قوما، فليس يأتيهم عدوهم من ناحية، إلا وبين أيديهم من يدرءوهم عن الحصن، فذلك مثل من يقرأ القرآن لايزال في أحصن حصن أو في حصن حصين »[3].

وفيما سبق دلالة على حث الله تعالى أهل الكتب السماوية بتعاهدها والعناية بها.

---

(6) الأسماء والصفات، البيهقي (2/ 28).

(2) مختار الصحاح (104)، وقيل في سبب تسميته غير ذلك.

(2) البحرالزخار (2/ 276)، قال محقق مجمع الزوائد: إسناده ضعيف، ولكن يشهد له حديث الحارث الأشعري وهو صحيح. مجمع الزوائد (1/ 304) تحقيق حسين أسد. والذي في حديث الحارث الأشعري هو الأمر بذكر الله عز وجل، وهنا الأمر بقراءة الكتاب، ولا شك أن الكتاب من ذكر الله بل هو أعظم الذكر.

المبحث الأول: تعريف تعاهد القرآن وبيان مرادفاته

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف تعاهد القرآن في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: مرادفات التعاهد.

المطلب الأول: تعريف تعاهد القرآن في اللغة والاصطلاح

قال ابن فارس:العين والهاء والدالُ، أصل هذا الباب عندنا دالّ على معنى واحد، قد أومأ إليه الخليل، قال: أصله الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به، وهو المعنى الذي يرجع إليه فروع هذا الباب [1].

والمعاهَدة والاعتهاد والتَّعاهُد والتعهُّد وَاحِد، وَهُوَ إِحْدَاث الْعَهْد بِمَا عهِدته[2]، وتَعَهَّدَه وتَعاهَدَه واعْتَهَدَهُ؛ إِذا تَفَقَّدَه وأَحدَثَ العَهْدَ بِهِ، وَيُقَال للمحافِظ على العَهْد مُتَعَهِّدٌ[3]

وَمِنْه قَول أَبي عَطاءٍ السِّنْديّ: يَرْثِي ابنَ هُبَيْرَةَ:

وإِن تُمْسِ مَهْجُورَ الفِنَاءِ فرُبَّما أَقَامَ بِهِ بعْدَ الوُفُودِ وُفُودُ

فإِنَّكَ لم تَبْعُدْ علَى مُتَعَهِّدٍ بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدُ[4]

قال أبو عبيد: العَهْد الحِفَاظُ ورِعَايَةُ الحُرْمَةِ والحق[5]، وَفِي الحَدِيث: أَنّ عَجُوزاً دَخَلَت على النبيّ -ﷺ- فسأَل بهَا وأَحْفَى، وَقَالَ: إِنها كانَتْ تأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ، وإِنَّ حُسْنَ العَهْدِ من الإِيمان[6].

---

(1)معجم مقاييس اللغة مادة: (عهد) (4/ 167).

(2)تهذيباللغة (1/ 98).

(3)تاج العروس (8/ 458)، وانظر: مختار الصحاح(220)، لسان العرب (4/ 3150)، المعجم الوسيط (2/ 634).

(4)أَراد: مُحَافِظٌ على عَهْدِكَ بذِكْرِه إِيَّاي.

(5)غريب الحديث، القاسم ين سلام (3/ 138).

(6) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 62)، والطبراني في المعجم الكبير (23/ 14) .

- تعاهد القرآن في الاصطلاح:

قال القاضي: الأمر على مواظبة تلاوته والمداومة على تكرار درسه[1].

وجاء في الموسوعة الكويتية: بأنه حفظ القرآن وإحداث العهد به دائمًا، مع مراعاة حقه وحرمته[2].

قلت: تعاهد القرآن هو: تكرار قراءته وتلاوته ودراسته، على وجه يؤمن معه نسيانه مع القيام بما يجب له من حق وحرمة.

-العلاقة بين المعنى اللغوي، والشرعي:

تبين مما سبق أن المعنى الشرعي يعود إلى المعنى اللغوي من حيث إنه حفظ الشيء ورعايته والإتيان بحقوقه، وهذا هو مقصود التعاهد الشرعي وهو الحفظ ورعاية الحق لهذا الكتاب العظيم.

المطلب الثاني: مرادفات تعاهد القرآن

وحين تأملت في مرادفات التعاهد ظهر لي أن للفظة التعاهد ثلاثة مرادفات وهي المعارضة والمدراسة والمذاكرة، وسأعرف كلا منها في ما يلي:

المعارضة:

عارَضَ الشيءَ بالشيءَ مُعارضةً أي: قابَلَه، وعارَضْتُ كتابي بكتابه أَي قابلته، وفلان يُعارِضُني أَي: يُبارِيني[3]، وهي مفاعلة من الجانبين كأن كلا منهما كان تارة يقرأ

(1) شرح صحيح مسلم (6/ 77).
(2) الموسوعة الكويتية (43/ 69).
(3) لسان العرب (4/ 2885).

والآخر يستمع قوله[1]، وَمِنْهُ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُعَارِضُه القُرآن فِي كُلِّ سَنةٍ مَرَّة، وأَنه عَارَضَه الْعَامَ مَرَّتَين» [2].

وَقَوله كَانَ يعرض عَلَيْهِ الْقُرْآن بِفَتْح الْيَاء وَكسر الرَّاء ويعارضه الْقُرْآن؛ يَعْنِي: يقْرَأ عَلَيْهِ. وَالْعرض على الْعَالم بِالْفَتْح، وَهُوَ: قراءتك عَلَيْهِ فِي كتابك أَو من صدرك، وَمِنْه فعرضت حَدِيثهَا عَلَيْهِ، وَمِنْه قَوْله يُعَارضهُ وعارضه الْقُرْآن[3].

قال ابن الأَثير: يُدارِسُه جمِيعَ ما نزل من القرآن[4].

وقال أبو إسحاق: و«يُعَارِضة القُرْآنَ»: يقرؤه عليه، والعرض على العالم: قراءتك عليه في كتابك[5].

- **المدارسة:**

دَرَسَ الكِتابَ يَدْرُسُهُ درْساً ودِراسَةً ودَارَسَه؛ كأنه عانَدَهُ حتى انْقادَ لِحِفْظِهِ[6]، ودرس الكتاب للحفظ: كرر قراءته درساً ودراسة، ودارسته الكتاب مدارسة، وتدارسوه حتى حفظوه، ودرَس الكتابَ: كرّر قراءته ليحفظه ويفهمه[7].

---

(1) فتح الباري (9/ 43).

(2) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الأثار (1/ 139)

(3) مشارق الأنوار على صحاح الآثار (2/ 74).

(4) النهاية في غريب الحديث والأثر (3/ 212)، وانظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح(9/ 3964)

(5) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (4/ 405).

(6) المحكم والمحيط الأعظم (8/ 450)، وانظر لسان العرب (6/ 80).

(7)أساس البلاغة (1/ 284)، وانظر :كتاب العين (7/ 227)، معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 737).

وَقَالَ غيرُه: دَرَسَ الكِتابَ يَدْرُسُه دَرْساً: ذَلَّ لهُ بكَثْرة القِرَاءَةِ حَتّى خَفَّ حِفْظُه عليهِ من ذلِك كأَدْرَسَه[1]، وأَصْلالمُدَارَسَةِ: الرِّياضةُوالتعهُّدُ للشّيْءِ...دارسه العلمَ: تبادله، دَرَسَه معه[2].

قال ابن منظور: تَدارَسُوا القرآن: اقرأُوه وتعهدوه لئلا تَنْسَوْهُ[3].

قال ابن حجر: لفظ فيدارسه القرآن ظاهره أن كلا منهما كان يقرأ على الآخر وهي موافقة لقوله يعارضه فيستدعي ذلك زمانا زائدا على ما لو قرأ الواحد [4].

- **المذاكرة:**

ذكره يذكرهُ ذكرا، والذِّكْرُ بالكسر: الحِفْظُ للشيءِ، والذِّكرُ: جري الشيء على لسانك، والاستذكار: الدراسة للحفظ[5]، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «اسْتَذْكِرُوا «اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ»[6].

قال الحارث ابن حرجة الفزاريّ:

فأبلغ دريداً وأنت امرؤ ... متى ما تذكره يستذكر[7].

---

(1)تاج العروس (16/ 65)، وانظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 738).

(2)تاج العروس (16/ 70).

(3)لسان العرب (2/ 1360)، وانظر: تاج العروس (16/ 70).

(4)فتح الباري لابن حجر (9/ 45).

(5)كتاب العين (5/ 346-347)، وانظر: القاموس المحيط (ص: 396) المحكم والمحيط الأعظم (6/ 787).

(6) أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (1/ 83).

(7) أساس البلاغة (1/ 314).

قال ابن حجر: استذكروا القرآن: واظبوا على تلاوته واطلبوا من أنفسكم المذاكرة به[1].

وقال المناوي: أَكْثِرُوا تلاوته واستحضروه فِي قُلُوبكُمْ وعَلى أَلْسِنَتكُم والزموا أنفسكم المذاكرة[2].

العلاقة بين المرادفات الثلاثة:

وكأن المعارضة والمدارسة فيهما تفاعل بين اثنين، فيقوم أحدهما بعرض قراءته على الآخر، وأما المذاكرة فقد يقوم بها الشخص بنفسه أو مع غيره، ولا يلزم أن يشاركه فيها آخر.

وكلا الأمرين مطلوب لتعاهد القرآن، فيذكره الفرد في نفسه في كل حين، ولابد له من عرضه على مَن هو أعلم منه حتى يُبين له ما قد يعتريه من خطأ في التلاوة أو الفهم، وكذلك يعرضه على مَن هو أقل منه لبيان كيفية تلاوته تلاوة صحيحة بحيث ينقل الآخر عن الأول تلك التلاوة فيؤمن من حدوث خطأ أو زلل في هذا الكتاب العظيم.

---

(1) فتح الباري (9/ 81)، وانظر: عمدة القاري (20/ 47).

(2)التيسير بشرح الجامع الصغير (1/ 146)، وانظر : فيض القدير (1/ 488).

المبحث الثاني: تعاهد النبي ﷺ للقرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

دراسة الآيات الدالة على منة الله على رسوله بعدم تفلت القرآن الكريم.

المطلب الثاني:

طرائق النبي ﷺ في تعاهدالقرآن الكريم.

المطلب الأول: دراسة الآيات الدالة على منة الله على رسوله بعدم تفلت القرآن الكريم

امتن الله على هذه الأمة بأن حفظ لها دينها حفظًا لم يحفظْ دِينًا مثله، وذلك أنَّ هذه الأمة ليس بعدها نبيٌّ يجدِّدُ ما دثرَ من دينِه كما كانَ دينُ مَنْ قبلَنا من الأنبياءِ، كلَّما دثرَ دينُ نبيٍّ جدَّده نبيٌّ آخر يأتِي بعده، فتكفَّلَ اللهُ سبحانه بحفظِ هذا الدينِ، وكان ذلك بحفظ كتابها فلم يتمكن أحدٌ من الزيادة في ألفاظِهِ ولا النقصِ منه.

وقد دلَّت الآيات على حفظ الله تعالى لهذا الكتاب العظيم، ومن الملاحظ أنها آيات مكية؛ وهذه قضية تحقق من البداية أن جمع القرآن بمعنى الحفظ في الصدر هو مما تعهد الله تعالى به وعليهفكل كلام بعد ذلك هو نوع من التوضيح والبيان لهذه الحقيقة الكبرى، فمن ذلك:

قوله تعالى:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [1]، وقَالَ سبحانه:﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [2].

قال قتادة: أنزلهُ اللهُ ثم حفظهُ، فلا يستطيعُ إِبلِيسُ أن يزيد فيهِ باطلًا، ولا يَنْتقصُ منهُ حقًّا، حفظَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ "[3]، "فإن قيل: فلم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله فلا خوف عليه. والجواب: أن

(1) سورة الحجر آية (9).

(2) سورة فصلت آية (42).

(3) جامع البيان في تأويل آي القرآن (14/ 18)، وانظر: تفسير القرآن العظيم، السمعاني (3/ 131)، تفسير المنار (8/ 12).

جمعهم للقرآن كان من أسباب حفظ الله تعالى إياه فإنه تعالى لما أن حفظه قيضهم لذلك"[1].

وَبَقَاءُ هَذَا الْكِتَابِ مَصُونًا عَنْ جَمِيعِ جِهَاتِ التَّحْرِيفِ مَعَ أَنَّ دَوَاعِيَ الْمُلْحِدَةِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مُتَوَفِّرَةٌ عَلَى إِبْطَالِهِ وَإِفْسَادِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْمُعْجِزَاتِ.

"وشمل حفظه الحفظ من التلاشي، والحفظ من الزيادة والنقصان فيه، بأن يسر تواتره وأسباب ذلك، وسلمه من التبديل والتغيير حتى حفظته الأمة عن ظهور قلوبها من حياة النبي -ﷺ- فاستقر بين الأمة بمسمع من النبي -ﷺ- وصار حفاظه بالغين عدد التواتر في كل مصر[2].

وقد تعددت صور حِفْظ الْقُرْآنَ «**فقَالَ بَعْضُهُمْ**:حَفِظَهُ بِأَنْ جَعَلَهُ مُعْجِزًا مُبَايِنًا لِكَلَام الْبَشَرِ فَعَجَزَ الْخَلْقُ عَن الزِّيَادَةِ فِيهِ وَالنُّقْصَانِ عَنْهُ لِأَنَّهُمْ لَوْ زَادُوا فِيهِ أَوْ نَقَصُوا عَنْهُ لَتَغَيَّرَ نَظْمُ الْقُرْآنِ فَيَظْهَرُ لِكُلِّ الْعُقَلَاءِ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ فَصَارَ كَوْنُهُ مُعْجِزًا كَإِحَاطَةِ السُّورِ بِالْمَدِينَةِ لِأَنَّهُ يُحَصِّنُهَا وَيَحْفَظُهَا، **وقال آخرون**: إِنَّهُ تَعَالَى صَانَهُ وَحَفِظَهُ مِنْ أَنْ يَقْدِرَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ عَلَى مُعَارَضَتِهِ، **وَقَالَ قوم**: أَعْجَزَ الْخَلْقَ عَنْ إِبْطَالِهِ وَإِفْسَادِهِ بِأَنْ قَيَّضَ جَمَاعَةً يَحْفَظُونَهُ وَيَدْرُسُونَهُ وَيُشْهِرُونَهُ فِيمَا بَيْنَ الْخَلْقِ إِلَى آخِرِ بَقَاءِ التَّكْلِيفِ، **وقال آخرون**: الْمُرَادُ بِالْحِفْظِ هُوَ: أَنَّ أَحَدًا لَوْ حَاوَلَ تَغْيِيرَهُ بِحَرْفٍ أَوْ نُقْطَةٍ لَقَالَ لَهُ أَهْلُ

(1) مفاتيح الغيب (19/ 123).
(2) التحرير والتنوير (14/ 21).

الدُّنْيَا:هَذَا كَذِبٌ وَتَغْيِيرٌ لِكَلَام اللهَّ تَعَالَى[1] حَتَّى إِنَّ الشَّيْخَ الْمُهِيبَ لَوِ اتَّفَقَ لَهُ لَحْنٌ أَوْ هَفْوَةٌ فِي حَرْفٍ مِنْ كِتَاب اللهَّ تَعَالَى لَقَالَ لَهُ كُلُّ الصِّبْيَانِ: أَخْطَأْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ وَصَوَابُهُ كَذَا وَكَذَا، فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»[2].

ومن صور حفظ القرآن إقراءه ﷺ أمته القرآن على أحرف متعددة.

قال ابن رجب:وقد كانَ النبيُّ – ﷺ– يُقرئُ أُمَّته القرآنَ في زمانِهِ على أحرفٍ مُتعددةٍ، تيسيرًا على الأمَّةِ لحفظِهِ وتعلُّمِهِ، حيث كان فيهم العجوزُ والشيخُ الكبير، والغلامُ والجاريةُ، والرجلُ الذي لم يقرأ كتابًا قط، فطلب لهم الرخصةَ في حفظِهم له أنْ يُقرئَهُم على سبعةِ أحرفٍ»[3].

---

(1) قال يحيى بن أكثم: كان للمأمون – وهو أمير إذ ذاك – مجلس نظر ، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة ، قال : فتكلم فأحسن الكلام والعبارة ، قال : فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له : إسرائيلي ؟ قال نعم. قال له: أسلم حتى أفعل بك وأصنع ، ووعده. فقال : ديني ودين آبائي! وانصرف. قال : فلما كان بعد سنة جاءنا مسلما ، قال: فتكلم على الفقه فأحسن الكلام ؛ فلما تقوض المجلس دعاه المأمون وقال: ألست صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى. قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنت تراني حسن الخط، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتب نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها؛ فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي. قال يحيى بن أكثم : فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله عز وجل. قال قلت: في أي موضع ؟ قال : في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل : ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ﴾، فجعل حفظه إليهم فضاع ، وقال عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضع.. الجامع لأحكام القرآن (10/ 5).

(2)مفاتيح الغيب (19/ 124).

(3)فتح الباري لابن رجب (1/ 604).

وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [1].

قال ابن عباس: كان رسول الله -ﷺ- يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه. فأنزل الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قال: فاستمع له وأنصت: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله -ﷺ- بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي -ﷺ- كما قرأه[2].

قال مجاهد: كان يستذكر القرآن مخافة النسيان، فقال له: كفيناكه يا محمد[3].

وقال ابن عاشور: والذي يلوح لي في موقع هذه الآية هنا دون أن تقع فيما سبق نزوله من السور قبل هذه السورة؛ أن سور القرآن حين كانت قليلة كان النبي -ﷺ- لا يخشى تفلّت بعض الآيات عنه فلما كثرت السور فبلغت زهاء ثلاثين - حسب ما عَده سعيد بن جبير في ترتيب نزول السور- صار النبي-ﷺ- يخشى أن ينسى بعض آياتها ، فلعله -ﷺ- أخذ يحرك لسانه بألفاظ القرآن عند نزوله احتياطاً لحفظه وذلك من حرصه على

---

(1) سورة القيامة آية (16-18).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله -ﷺ- (1/ 8).

(3) جامع البيان (11/ 499).

تبليغ ما أنزل إليه بنصه، فلما تكفل الله بحفظه أمره أن لا يكلف نفسه تحريك لسانه، فالنهي عن تحريك لسانه نهي رحمة وشفقة لَمَا كان يلاقيه في ذلك من الشدة [1].

وقال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[2].

قال مجاهد:«كَانَ رَسُولُ الله -ﷺ- يَتَذَكَّرُ الْقُرْآنَ فِي نَفْسِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَنْسَى» فقال الله عز وجل:﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [3]، إلا ما شاء الله أن تنساه، ولا تذكُرَه، قالوا: ذلك هو ما نسخه الله من القرآن، فرفع حكمه وتلاوته، وهذه بشرى من اللهّ تعالى بشره بأن أعطاه آية بينة ، وهي أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي فلا ينساه ، وهو أُمي لا يكتب »[4].

وقال الرازي: هذه آية تدل على المعجزة من وجهين: **أحدهما:** أنه كان رجلا أميّا فحفظه لهذا الكتاب المطول عن غير دراسة ولا تكرار ولا كتبة، خارق للعادة، فيكون معجزا، **وثانيهما:** أن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة. فهذا إخبار عن أمر عجيب غريب مخالف للعادة سيقع في المستقبل، وقد وقع، فكان هذا إخبارا عن الغيب، فيكون معجزا[5].

---

(1) التحرير والتنوير (29/ 350)، وانظر: الكشف والبيان (10/ 87)، المحرر الوجيز (5/ 404)، الجامع لأحكام القرآن (19/ 106)، تفسير القرآن العظيم (8/ 279).

(2) سورة الأعلي آية (6).

(3) تفسير مجاهد (722).

(4) جامع البيان (24/ 315)، وانظر: بحر العلوم (3/ 549)، الكشف والبيان (10/ 184)، تفسير القرآن العظيم للسمعاني(6/ 208).

(5)مفاتيح الغيب (31/ 130).

وقال ابن جزي: وعده الله أن يقرئه القرآن فلا ينساه، وفي ذلك معجزة له عليه الصلاة والسلام لأنه كان أميا لا يكتب، وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام من القرآن، فضمن الله له أن لا ينساه، فالمراد: الأمر بتعاهده حتى لا ينساه[1].

المطلب الثاني: صرائق النبي ﷺ في تعاهده للقرآن الكريم

إن المتأمل في سيرة النبي -ﷺ- يلحظ عنايته بتعاهد القرآن، ولا غرو فقد كان خلقه القرآن، وسأشير إلى طرائقه -ﷺ- في تعاهده للقرآن في مايلي:

تعاهده -ﷺ- للقرآن الكريم بقراءته في جميع أحواله.

فعن علي -رضي الله عنه- قال:«كَانَ رَسُولُ الله -ﷺ- يَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِلَّا الْجَنَابَةَ»[2]، وفي رواية:« ولَا يَحْجُزُهُ عَنْ الْقُرْآنِ شَيْءٌ إِلَّا الْجَنَابَةُ»[3].

ومنه تعاهده -ﷺ- للقرآن الكريم في السفر، فقد أخرج البخاري من حديث عبد الله بن مغفل-رضي الله عنه- قال: « رأيت رسول الله -ﷺ- يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح»، وفي رواية عنه: « يقرأ بسورة الفتح وهو يرجع[4][5].»

قال ابن كثير: وهذا من تعاهُد القرآن وتلاوته سفرًا وحضرًا[6].

---

(1)التسهيل لعلوم التنزيل (2/ 474).

(2) شرح معاني الآثار (1/ 87)، مختصر الأحكام للطوسي (1/ 390)، **قال الطوسي**: حديث حسن صحيح، **وقال الحافظ ابن حجر**: والحق أنه من قبيل الحسن يصلح للحجة. فتح الباري (1/ 408).

(3) سنن ابن ماجه (1/ 375) ، المستدرك على الصحيحين (1/ 253)، **وقال الحاكم**: هذا حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبي(1/ 253)، وقال محقق سنن ابن ماجه : إسناده حسن(1/ 375).

(4) **الترجيع** : ترديد الصوت في الحلق. فتح الباري (9/ 92).

(5)أخرجه البخاري ، كتاب فضائل القرآن، باب القراءة على الدابة(6/ 193)، وأحمد في المسند (34/ 165).

(6)تفسير القرآن العظيم (1/ 74).

قال ابن بطال: وفيه أن القراءة على الدابة سنة موجودة، وأصل هذه السنة فى كتاب الله تعالى، وهو قوله:لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ[1].

ومن تعاهده-ﷺ- للقرآن في السفر تلاوته له حين أقام بوادي نخلة أيامًا حال عودته من الطائف بعد إعراضهم عنه وعدم إيمانهم برسالته، فكان من بركة هذه التلاوة أن سمعها نفر من الجن فأنصتوا ثم آمنوا وولوا إلى قومهم منذرين، وأنزل الله تعالى: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ)[2].

ومنه تعاهده -ﷺ- للقرآن الكريم بالقيام به، فقد كان رسول الله -ﷺ- يحث أصحابه على قيام الليل ويرشدهم إلى أنه مما يعين على تعاهده فقال:« وإذا قام صاحبُ القرآنِ فقرأهُ بالليلِ والنهارِ ذكره، وإذا لم يَقُم بهِ نَسيَه»[3].

وكان-ﷺ- يتعاهد القرآن بقراءته في صلاة الليل فعن عوف بن مالك-ﷺ- قال: «قُمْتُ مَعَ رَسُولِ الله -ﷺ- لَيْلَةً فَقَامَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ وَتَعَوَّذَ »[4].

وفي حديث حذيفة-ﷺ- قال: « صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله -ﷺ- لَيْلَةً فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، قَالَ: ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُسْتَرْسِلًا..»[5].

---

(1) شرح صحيح البخارى لابن بطال (10/ 268).
(2) انظر: السيرة النبوية من مصادرها الأصلية (228).
(3)أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن (1/ 544).
(4)أخرجه النسائي في سنن (2/ 223)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 436).
(5) أخرجه أحمد في المسند (38/ 387).

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ، قَالَ: «صَلَّيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهَّ -ﷺ- فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ» ، قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ الْأَمْرُ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَتْرُكَهُ[1].

قال ابن بطال: وفيه دليل على طول القيام فى صلاة الليل، لأن ابن مسعود أخبر أن النبى -ﷺ- لم يزل قائمًا حتى همّ بالقعود، وهذا لا يكون إلا لطول القيام، لأن ابن مسعود كان جلدًا مقتديًا بالرسول محافظًا على ذلك[2].

ومن تعاهده -ﷺ- للقرآن الكريم تدارسه مع جبريل عليه السلام: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله -ﷺ-: « أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ، **يَعْرِضُ** عَلَيْهِ رَسُولُ الله -ﷺ- الْقُرْآنَ»[3]، وفي رواية: « وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، **فَيُدَارِسُهُ** الْقُرْآنَ»[4].

قال الطيبي: دل ظاهر الحديث على أن النبي - ﷺ- هو المعروض عليه في العام الذي توفاه الله فيه وفي غيره[5].

وفي حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها وفيه: إِنَّهُ كَانَ حَدَّثَنِي « أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ **يُعَارِضُهُ** بِالْقُرْآنِ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ بِهِ فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي»[6].

---

(1) أخرجه أحمد في المسند (3/ 528)، وابن ماجة في السنن (1/ 456).
(2)شرح صحيح البخارى لابن بطال (3/ 124).
(3) أخرجه أحمد في المسند (5/ 397).
(4) أخرجه أحمد في المسند (4/ 375).
(5)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (4/ 1447).
(6) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة (4/ 1904).

« والأظهر في الجمع بين الأحاديث أن القراءة كانت معارضة ومدارسة بينه وبين جبريل -عليه السلام- فمرة هذا يقرأ ومرة هذا يقرأ، وهو يحتمل احتمالين: أحدهما وهو الأظهر أن جبريل كان يقرأ أولا بعضا من القرآن ثم يعيده بعينه -ﷺ- احتياطا للحفظ، واعتمادا للضبط، وثانيهما أن أحدهما يقرأ عشرا مثلا والآخر كذلك، وهو المدارسة المتعارفة بين القراء، ويؤيد ما قلنا أنه ورد في بعض الروايات في النهاية كان يعارضه القرآن، أي: يدارسه من المعارضة المقابلة ومنه عارضت الكتاب بالكتاب، أي قابلته به، والله أعلم»[1].

قال ابن الملقن: وفيهاستحباب مدارسة القرآن وكذا غيره من العلوم الشرعية، وحكمة المدارسة أن الله تعالى ضمن لنبيه أن لا ينساه فأنجزه بها[2].

ومن تدارسه -ﷺ- للقرآن الكريمسماعه من غيره، فعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أن النَّبِيِّ -ﷺ-قَالَ لَهُ: «يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»[3].

قال ابن بطال: فدل ذلك أن التزيين للقرآن إنما هو تحسين الصوت به ليعظم موقعه من القلوب، وتستميل مواعظه النفوس، ولا ينكر أن يكون القرآن يزين صوت من أدمن قراءته، وآثره على حديث الناس، غير أن جلالة موقعه من القلوب، والتذاذ السامعين به لا يكون إلا مع تحسين الصوت به[4].

---

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (4/ 1447).

(2) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (2/ 361).

(3) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بقراءة القرآن (6/ 195).

(4) شرح شرح صحيح البخارى لابن بطال (10/ 546).

وفي حديث ابن مسعود-ﷺ- أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ-قال له: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ». فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: يا رسول الله اقرأُ عليك القُرآن وعليك أُنزل؟ قال:«فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» ، فقَرَأَ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغَ:(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله -ﷺ-وَقَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»[1].

قال العيني: إِنَّه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أحب أَن يسمع الْقُرْآن من غَيره ليَكُون عرض الْقُرْآن سنة، وَيحْتَمل أَن يكون لأجل تدبره وَزِيَادَة تفهمه، لِأَن المستمع أقوى على ذَلِك وَأَنْشط من القارىء لاشتغاله بِالْقِرَاءَةِ[2].

ومن تعاهده -ﷺ- للقرآن الكريم تعليمه لأصحابه وإسماعه لهم، فقد كان صلى الله عليه وسلم يحرص على تعليم أصحابه القرآن في كل حين وعلى أي حال إلا أن يكون جنبًا؛ وكان يعلمهم القرآن إذا خرج من الخلاء، فعن علي-ﷺ- «كَانَ رَسُولُ الله -ﷺ- يَخْرُجُ مِنَ الْخَلَاءِ فَيُقْرِئُنَا الْقُرْآنَ»[3] .

قال المباركفوري: يعملنا القرآن قبل أن يتوضأ، يدل عليه الفاء في قوله: فيقرئنا [4].

وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نجلس عند النبي -ﷺ- «فيقرأ القرآن فربما مر بسجدة فيسجد ونسجد معه»[5].

---

(1) المعجم الكبير (9/ 81).

(2)عمدة القاري شرح صحيح البخاري (20/ 56).

(3) سنن أبي داوود (1/ 59)، وقال الأرنؤط: إسناده حسن.

(4) مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (2/ 153)، وانظر: شرح سنن أبي داوود للعيني(1/ 510).

(5)أخرجه أبو حيان في صحيحه (6/ 466، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (1/ 344)، **وقال الحاكم** : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وفي حديث أنس -رضي الله عنه- أن النَّبِيّ -ﷺ- قال لِأُبَيٍّ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ القُرْآنَ» قَالَ أُبَيٌّ: آللهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «اللهُ سَمَّاكَ لِي» فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي[1].

قال النووي: والحكمة في قراءته عليه أن تستن الأمة بذلك في القراءة على أهل الفضل، لا يأنف أحد من ذلك، وقيل للتنبيه على جلالة أبي وأهليته لأخذ القرآن عنه وكان بعده -ﷺ- رأسا وإماما في إقراء القرآن وهو أجل ناشرته أو من أجلهم ويتضمن معجزة لرسول الله -ﷺ-[2].

وقال العيني:القراءة عليه نوع من إقرائه، والحكمة في أمره بالقراءة عليه أن يتعلم أبي ألفاظه وكيفية أدائه ومواضع الوقوف، ومخارج الحروف ونحو ذلك، فكانت القراءة عليه لتعليمه لا ليتعلم منه، وأنه يسن عرض القرآن على حفاظه المجودين لأدائه وإن كانوا دونه في النسب والدين والفضيلة ونحو ذلك، أو أن ينبه الناس على فضيلة أبي ويحثهم على الأخذ عنه وتقديمه في ذلك[3].

وقد بيَّن أصحاب النبي -ﷺ-كيف كان يعلمهم القرآن: فعن أَبِي عَبْدِالرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: « إِنَّمَا أَخَذْنَا الْقُرْآنَ عَنْ قَوْمٍ أَخْبَرُونَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إِلَى الْعَشْرِ الْأُخِرِ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِنَّ مِنَ الْعَمَلِ، قَالَ: فَتَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا،- وفي رواية: كنا إذا تعلمنا العشر من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها

(1)أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب تفسير القرآن، باب (كلا لئن لم ينته)(6/ 175)، ومسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل (1/ 550).

(2)شرح صحيح مسلم للنووي (6/ 86).

(3) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (16/ 272)، (19/ 310)، (20/ 56).

حتى نتعلم حلالها وحرامها وأمرها ونهيها-، وَإِنَّهُ سَيَرِثُ الْقُرْآنَ بَعْدَنَا قَوْمٌ يَشْرَبُونَهُ شُرْبَ الْمَاءِ لَا يُجَاوِزُ هَذَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَنكِهِ»[1].

قال عبد الله بن الحبيب :«حدّثنا الذين كانوا يعلموننا القرآن أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي -ﷺ-عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها. قالوا فتعلمنا القرآن والعلمَ والعمل جميعا»[2].

ومن تعاهده -ﷺ- للقرآن الكريم: تعليمه ﷺ فتيان الصحابة للقرآن: فعن جُنْدُبٍ قَالَ: «كُنَّا مَعَ نَبِيِّنَا - ﷺ- فِتْيَانًا حَزَاوِرَةَ[3]، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَنَزْدَادُ بِهِ إِيمَانًا، فَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ»[4].

قال ابن كثير:فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ تَعْلِيمِهِمُ الْقُرْآنَ فِي الصِّبَا، وَهُوَ ظَاهِرٌ، بَلْ قَدْ يَكُونُ مُسْتَحَبًّا أَوْ وَاجِبًا؛ لِأَنَّ الصَّبِيَّ إِذَا تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ بَلَغَ وَهُوَ يَعْرِفُ مَا يُصَلِّي بِهِ، وَحِفْظُهُ فِي الصِّغَرِ أَوْلَى مِنْ حِفْظِهِ كَبِيرًا، وَأَشَدُّ عُلُوقًا بِخَاطِرِهِ وَأَرْسَخُ وَأَثْبَتُ، كَمَا هُوَ الْمَعْهُودُ مِنْ حَالِ النَّاسِ،.. وَاسْتَحَبَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنْ يُلَقَّنَ خَمْسَ آيَاتٍ خَمْسَ آيَاتٍ، رُوِّينَاهُ عَنْهُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ[5].

---

(1) فضائل القرآن، أبو بكر الفريابي(241).

(2) فضائل القرآن وتلاوته، أبو الفضل الرازي (127).

(3)حَزَاوِرَة: جَمْع حَزْوَرٍ، وَيُقَال أَيْضا: حَزَوَّرٍ، وهو الغلام إِذا قَارَبَ الْبُلُوغَ.

(4) أخرجهابن ماجة في السنن (1/ 23)، وسعيد بن منصور في السنن (1/ 209)وقال محقق السنن: صحيح لغيره بمجموع طرقه.

(5) تفسير القرآن العظيم (1/ 75).

المبحث الثالث: طرائق الصحابة في تعاهدهم للقرآن الكريم في العهد النبوي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صور من تعاهد الصحابة ﷺ للقرآن الكريم.

المطلب الثاني: طرائق تعاهد الصحابة ﷺ للقرآن الكريم.

المطلب الأول: صور من تعاهد الصحابة ﷺ للقرآن الكريم

«لقد أحلّ الصحابة رضوان الله عليهم القرآن في المحل الأول من نفوسهم، وأنزلوه المنزلة اللائقة به، يتنافسون في حفظ لفظه، ويتسابقون في فقه معناه، وجعلوه متعبدهم في ليلهم، ومسلاتهم في فراغهم، وصاحبهم في أسفارهم، وأنيسهم في وحدتهم، وصديقهم الصدوق في منشطهم، ومكرههم، ومستشارهم الأمين في شئون دينهم ودنياهم وما ظنك بكتاب يعتقدون- وحق لهم ذلك- أن تلاوته عبادة، والاشتغال به من أعظم القربات إلى الله: وأن عزهم لن يكون إلا به، وسعادتهم في الدنيا والآخرة لن تتحقق إلا بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه، والتخلق بأخلاقه..، ولم يكن همهم من القراءة مجرد الحفظ من غير تدبر وفهم كما هو الشأن في كثير من الحفاظ اليوم، وإنما المراد الحفظ، والفهم، فالعلم، فالعمل بما حفظوا وعلموا»[1].

ولأنه مصدر عزهم وسعادتهم -ﷺ- صار صاحبهم وأنيسهم في جميع أحوالهم ، وسأشير فيما يلي إلى صور تعاهدهم -ﷺ- للقرآن الكريم:فمن ذلك ما روي عن ابن مسعود: أَنَّهُ كَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ فِي ثَلاَثٍ، وَفِي غَيْرِ رَمَضَانَ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ[2]. وفي رواية عن عبد الله بْنِ عُتبةقال: «كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثٍ، وَمَا يَسْتَعِينُ مِنَ النَّهَارِ إِلَّا قَلِيلًا»[3]،وكَان تميم الداري-ﷺ- **يَخْتمون القُرْآنَ فِي سَبْعٍ**[4].

---

(1) المدخل لقراءة القرآن الكريم، د. محمد أبو شهبة (ص 63) بتصرف يسير.

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (2/ 396).

(3) المعجم الكبير للطبراني (9/ 155).

(4)أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (2/ 396)، نتائج الأفكار (3/ 146) وصححه ابن حجر عن كل من: عثمان، وابن مسعود، وتميم الداري، وأبي العالية نتائج الأفكار (3/ 146).

وكانوا يتداسون القرآن في المساجد، فعن عقبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله -ﷺ-يوما ونحن في المسجد نتدارس القرآن، فقال: تعلّموا كتاب الله عزّ وجلّ واقتنوه- وحسبت أنه قال-: وتغنوا به، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من المخاض في العقل[1].

وهاهو الفاروق عمر -رضي الله عنه- تعلم البقرة في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحرجزوراً[2]، وهذا لعمري ليس تفريطًا منه في حفظ الكتاب، وإنما لكونهم لا يتجاوزون الآيات التي يحفظونها حتى يتعلمون ما فيها من العلم والعمل.

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهُنَّ، والعملَ بهنَّ[3].

ومن صور التعاهد استماع بعضهم لقراءة بعض -رضي الله عنه-، فقد كان عمر بن الْخطاب- رضي الله عنه- يَقُول لأبي مُوسَى يَا أَبَا مُوسَى ذكِّرنَا رَبنَا فَيقْرَأ وهم يَسْتَمِعُون[4].

وكان عُمَر بْنَ الْخَطَّابِ فِي قَوْمٍ وَهُمْ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ. فَذَهَبَ لِحَاجَتِهِ، ثُمَّ رَجَعَ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. أَتَقْرَأُ وَلَسْتَ عَلَى وُضُوءٍ؟، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَنْ أَفْتَاكَ بِهذَا؟ أَمُ سَيْلِمَةُ؟[5]، وكان أبوالدرداء يقرأ في الطريق[6].

---

(1) أخرجه الطبراني في الكبير بلفظه (17/ 290)، وأصله عند أحمد في مسنده (28/ 554)، **وقال الهيثمي**: ورجال أحمد رجال الصحيح، وصححه الألباني . انظر: مجمع الزوائد (7/ 394) ، صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 570).

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (1/ 40).

(3) جامع البيان (1/ 80) وصححه أحمد شاكر.

(4) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (10/ 264) **وقال الألباني**: إنه منقطع.

(5) أخرجه مالك في الموطأ (2/ 279) ورواته ثقات ولكن ابن سيرين لم يسمع من عمر.

(6) ذكره ابن كثير في تفسيره (1/ 74).

وعبدالله بن رواحه -ﷺ- ينشد في الحث على تعاهد القرآن وهم يبنون مسجد قباء فيقول: « أَفْلَحَ مَنْ يُعَالِجُ الْمَسَاجِدَا. فَقَالَ رَسُولُ الله-ﷺ-: «الْمَسَاجِدَا» .فقال عبد الله بن رواحه -ﷺ-: وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَائِمًا وَقَاعِدَا. فَقَالَ رَسُولُ الله-ﷺ-: «قَاعِدَا» . فَقَالَ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَلَايَبِيتُ اللَّيْلَ عَنْهُ رَاقِدَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ-ﷺ-: «رَاقِدَا»[1].

المطلب الثاني: صرائق تعاهد الصحابة ﷺ للقرآن الكريم

بعد التأمل والنظر في صور تعاهد الصحابة ﷺ للقرآن الكريم، ظهر لي أن للصحابة طرائق في تعاهدهم للقرآن، وسأذكر شيئًا منها في ما يلي:

1 – **تلقيهم عن رسول الله ﷺ مباشرة**، ولا يخفى ما للأخذ عن العالم من الفائدة والبركة، من حيث تصويب الأخطاء، والتنبيه إلى مواطن الإشكال وغير ذلك، ناهيك إذا كان هذا العالم هو رسول رب العالمين وما في ذلك من مزيد البركة والفضل.

قال عبدالله بن مسعود-ﷺ-: وَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، لَقَدْ قَرَأتُ مِنْ فِيِّ رَسُوْلِ الله -ﷺ- بِضْعاً وَسَبْعِيْنَ سُوْرَةً، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَداً أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي تُبَلِّغُنِيْهُ الإِبِلُ لأَتَيْتُهُ[2].

2 – **كثرة قراءتهم للقرآن الكريم**، هي وقود الحفظ، وقد ورد عنهم في ذلك الشيء الكثير، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق، فمن ذلك ما روي عن ابن مسعود : أَنَّهُ كَانَ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ فِي ثَلاَثٍ، وَفِي غَيْرِ رَمَضَانَ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ[3]. وفي

---

(1) ينظر: تاريخ المدينة لابن شبة (1/ 52) ، قال ابن حجر: من مرسل أبي جعفر الخطمي، فتح الباري (10/ 541)

(2) أخرجه الطبراني في الكبير (9/ 68).

(3) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (2/ 396).

رواية عن عبدالله بْنِ عُتبة قال: «كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثٍ، وَمَا يَسْتَعِينُ مِنَ النَّهَارِ إِلَّا قَلِيلًا»[1].

وكَان عثمان بن عفان[2] وتميم الداري -رضي الله عنهما- **يَخْتمون القُرْآنَ فِي سَبْعٍ**[3]، وأما أُبَيِّ بن كعب -رضي الله عنه- فكَانَ **يَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ ثَمَانٍ**[4].

والصديق -رضي الله عنه- يبتني مسجدًا بفناء داره يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون وينظرون إليه، وكان لا يكاد يملك دمعه حين يقرأ، حتى فزع المشركون خوفًا على نسائهم وأبنائهم من أن يدخلوا في هذا الدين[5].

لقد كانوا يتلون كتاب الله في كل أحوالهم، فهذا معاذ يسأل أبا موسى فيقول له: كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: قَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى رَاحِلَتِي، وَأَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا.[6].

وعبد الله بن سلمة يدخل على علي -رضي الله عنه- ورجلان- رجل منا، ورجل من بني أسد- فبعثهما علي -رضي الله عنه- وجها وقال: إنكما علجان فعالجا عن دينكما ثم قام فدخل المخرج،

---

(1) المعجم الكبير للطبراني (9/ 155).

(2)وقد روي عنه رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ. سنن البيهقي (2/ 396)، ومعلوم ما في الختم في أقل من ثلاثة أيام من النهي، وإن كان حمله البعض على النهي عن التعود على ذلك باستمرار، وأنه يجوز في في الأزمان والأماكن الفاضلة كرمضان والحرم مثلاً، فيجوز في مثل ذلك أن يختم في أقل من ثلاثة أيام، والله أعلم.

(3)أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (2/ 396)، نتائج الأفكار (3/ 146) وصححه ابن حجر عن كل من: عثمان، وابن مسعود، وتميم الداري، وأبي العالية نتائج الأفكار (3/ 146).

(4)أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (2/ 396) وصححه ابن حجر موقوفًا . انظر: نتائج الأفكار (3/ 149).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الكفالة، باب: جوار أبي بكر الصديق(2/ 803).

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن(5/ 162).

ثم خرج فدعا بماء، فاحذ منه حفنة فتمسح بها، ثم جعل يقرأ القـرآن، فـأنكروا ذلـك، فقال: « إن رسول الله -ﷺ- كان يخرج من الخلاء فيقرئنا القرآن، ويأكل معنـا اللحـم، ولم يكن يحجبه - أو قال يحجزه - عن القرآن شيء ليس الجنابة »[1].

3 **-تدارسهم لكتاب الله، وحث بعضهم لبعض على فهمه وتدبره،** فعن عقبة بن عـامر قال: خرج علينا رسول الله -ﷺ-يوما ونحن في المسجد نتدارس القرآن، فقال: تعلّموا كتاب الله عزّ وجلّ واقتنوه- وحسبت أنه قال-: وتغنوا به، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من المخاض في العقل[2].

وعمر -رضي الله عنه-يتدارس القرآن مع أبي موسى فيَقُول له: يَا أَبَا مُوسَى ذكِّرنَا رَبنَـا فَيقْـرَأ وهم يَسْتَمِعُون[3].

فكان من ثمار تدارسهم لكتاب الله أن القرآن كان محفوظا عنـد الكثـرة الكـاثرة مـنهم، والتي تفيد التواتر المفيد للقطع واليقين بحيث كان مجموع القرآن عند مجموعهم.

وحسبك في ذلك ما ورد في الصحيح عن أصحاب بئر معونة، حـين أرسـلهم النبـي -ﷺ-إلى إحدى القبائل لتعليمهم القرآن، وكانوا سبعين حافظًا إلى قبيلة واحدة، فما بالك بغيرها من قبائل العرب.

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه (1/ 90)، صححه الحاكم في مستدركه ووافقه الذهبي، المستدرك (1/ 253) .

(2) أخرجه الطبراني في الكبير بلفظه (17/ 290)، وأصله عند أحمد في مسنده (28/ 554)، **وقال الهيثمي**: ورجال أحمد رجال الصحيح، وصححه الألباني . انظر: مجمع الزوائد (7/ 394) ، صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 570).

(3) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (10/ 264) **وقال الألباني**: إنه منقطع.

وقد اشتهر بالحفظ والإقراء من الصحابة الكرام -ﷺ- «**فمن المهاجرين**: أبو بكر، وعمر، وعثمان وعلى، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة، وعبد الله بن السائب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن أم مكتوم، ومصعب بن عمير...، **ومن الأنصار**: عبادة بن الصامت، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، وأبو زيد قيس بن السكن أحد عمومة أنس ابن مالك، ومجمع بن جارية، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مسلمة ...، **ومن النساء**: عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وأم ورقة وغيرهن.

وكان رسول الله -ﷺ- يثني على بعض القراء المجيدين من أصحابه، ليُقرأ عنهم، أو ينهج منهجهم من يريد أن يلحق بهم، وذلك أسلوب تربوي عظيم، ومن ذلك قوله -ﷺ-:«من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد [1]» [2].

ومع حرصهم على التلاوة إلا أنهم لا يغفلون عن تدبره والعمل به، ولذا فقد كانوا ينكرون على مَن يكثر القراءة دون تدبر، أو يقرأه يريد به الدنيا لا رضا الله، فعن أبي وائل -ﷺ-قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ اللَّيْلَةَ فِي رَكْعَةٍ. فَقَالَ: هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ. لَقَدْ عرفتالنَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ-يَقْرِنُ بَيْنَهُنَّ. فَذَكَرَ عِشْرِينَ سُورَةً مِنَ الْمُفَصّل سُورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ[3].

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده (1/ 211) (ح35) وحسنه الأرناؤوط، والبخاري في خلق أفعال العباد (1/ 68).

(2) انظر: المدخل لقراءة القرآن الكريم، للدكتور/ محمد أبو شهبة (64).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب صفة الصلاة، باب: الجمع بين السورتين في الركعة) (1/ 269).

وعن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-قَالَ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ تَسْأَلُونَ اللهَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَهُ أَقْوَامٌ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ، سَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ: رَجُلٌ يُبَاهِي بِهِ النَّاسَ، وَرَجُلٌ يَسْتَأْكِلُ بِهِ النَّاسَ، وَقَارِئٌ يَقْرَأُهُ لله»[1].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى عُمَرَ رَجُلٌ، فَجَعَلَ عُمَرُ يَسْأَلُهُ عَنِ النَّاسِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ قَرَأَ مِنْهُمُ الْقُرْآنَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُلْتُ: وَالله مَا أُحِبُّ أَنْ يَتَسَارَعُوا يَوْمَهُمْ هَذَا فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْمُسَارَعَةِ، قَالَ: فَزَبَرَنِي عُمَرُ ثُمَّ قَالَ: «مَهْ» قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَهْلِي مُكْتَئِبًا حَزِينًا، فَقُلْتُ: قَدْ كُنْتُ نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَنْزِلَةً، فَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ سَقَطْتُ مِنْ نَفْسِهِ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي ..فَبَيْنَا أَنَا عَلَى ذَلِكَ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: خَرَجْتُ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يَنْتَظِرُنِي، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي ثُمَّ خَلَا بِي، فَقَالَ: «مَا الَّذِي كَرِهْتَ مِمَّا قَالَ الرَّجُلُ آنِفًا؟» ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ كُنْتُ أَسَأْتُ، فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، وَأَنْزِلُ حَيْثُ أَحْبَبْتَ، قَالَ: «لَتُحَدِّثَنِّي بِالَّذِي كَرِهْتَ مِمَّا قَالَ الرَّجُلُ» ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى مَا تَسَارَعُوا هَذِهِ الْمُسَارَعَةَ يَحِيفُوا، وَمَتَى مَا يَحِيفُوا يَخْتَصِمُوا، وَمَتَى مَا يَخْتَصِمُوا يَخْتَلِفُوا، وَمَتَى مَا يَخْتَلِفُوا يَقْتَتِلُوا، فَقَالَ عُمَرُ: «لله أَبُوكَ، لَقَدْ كُنْتُ أُكَاتِمُهَا النَّاسَ حَتَّى جِئْتَ بِهَا»[2].

(1) الزهد والرقائق لنعيم بن حماد (2/ 16).

(2) جامع معمر بن راشد (11/ 217) ، والمستدرك على الصحيحين (3/ 540)، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

قلت: كره ابن عباس -ﷺ- ذلك لخوفه ألا يتدبروا القرآن فيقعوا بعد ذلك في حفظه دون معرفة معانيه، ويُشار إلى أحدهم بالحفظ والعلم وهو ليس كذلك[1]، فيقعوا في المراء في القرآن والاختلاف فيه وعليه، والله أعلم.

4 –**تطبيقهم لما حفظوه من كتاب الله عز وجل**، وذلك مما يعين على تعاهده وثباته في صدورهم، وهذا دأبهم وطريقتهم -ﷺ- التي ساروا عليها مع هذا الكتاب العظيم، فاتخذوه منهجًا لحياتهم، فلا يكثرون من الكم المحفوظ حتى يطبقوه واقعًا في حياتهم، فقلّ الكمّ المحفوظ، وكثر التطبيق في حياتهم، ولذا قال بن مسعود-ﷺ-:إنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به[2].

لقد كان أصحاب رسول الله -ﷺ- قرآنًا يمشي على الأرض، فمن امتثالهم لأمرهسبحانه؛ ما رواه البخاري عن ابن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس؛ وكان من النفر الذين يدنيهم عمر؛ وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبابا. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال: سأستأذن لك عليه قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر ؛ فلما دخل عليه قال: هي يا ابن

---

(1)وإلى هذا المعنى أشار أبو عُبَيْدُ الله بْنُ شُمَيْطٍ فقال: « يَعْمِدُ أَحَدُهُمْ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَطْلُبُ الْعِلْمَ، حَتَّى إِذَا عَلِمَهُ أَخَذَ الدُّنْيَا فَضَمَّهَا إِلَى صَدْرِهِ، وَحَمَلَهَا عَلَى رَأْسِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةٌ ضُعَفَاءُ: امْرَأَةٌ ضَعِيفَةٌ، وَأَعْرَابِيٌّ جَاهِلٌ، وَأَعْجَمِيٌّ، فَقَالُوا: هَذَا أَعْلَمُ بِالله مِنَّا، لَوْ لَمْ يَرَ فِي الدُّنْيَا ذَخِيرَةً مَا فَعَلَ هَذَا، فَرَغِبُوا فِي الدُّنْيَا وَجَمَعُوهَا. وَكَانَ أَبِي يَقُولُ: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ). انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (3/ 130).

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (1/ 40).

الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل . فغضب عمر حتى هم بـه فقـال له الحر يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه -ﷺ-:(خذ العفو وأمر بالعرف وأعـرض عن الجاهلين)[1]؛ وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليـه وكـان وقافا عند كتاب الله[2].

5 – **قيامهم-ﷺ- بكتاب الله أكثر ليلهم**، وقد شهد لهم ربهم سبحانه بذلك، فقـال الله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَـةٌ مِـنَ الَّـذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَـيْكُمْ فَـاقْرَءُوا مَـا تَيَسَّرَ مِـنَ الْقُرْآنِ)[3].

فعن أبي موسى الأشعري -ﷺ- قال: قال النبـي -ﷺ-:« إني لأعـرف أصـوات رفقـة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصـواتهم بـالقرآن بالليـل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ومنهم حكيم إذا لقي الخيل أو قال العدو قـال لهم إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم »[4].

وفي حادثة أسيد بن حضير مع فرسـه دليـل عـلى قيـامهم لـرب العـالمين يتلـون كتابـه الكريم: فبينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة؛ وفرسه مربوط عنده. إذ جالـت الفـرس فسكت فسكتت؛ فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس

---

(1) سورة المزمل آية (20).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب: سورة الأعراف. (4/ 1702).

(3) سورة المزمل آية (20).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: غـزوة خيـبر (4/ 1547)، ومسـلم في صـحيحه ، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل الأشعريين) (7/ 171).

فانصرف؛ وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها، فلما أصبح حدث النبي -ﷺ- فقال: « اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير » ثم قال :« وتدري ما ذاك؟». قال: لا، قال:« تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم» [1].

ومما جاءت به السنة من اجتهاد أصحاب رسول الله في العبادة؛ ما أخرجه أحمد في مسندة من حديث جابر -ﷺ- قال: خرجنا مع رسول الله -ﷺ- فِي غَزْوَةٍ مِنْ نَجْدٍ... وفيه فَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللهَّ -ﷺ- بِبَعْضِ الطَّرِيقِ نَزَلَ فِي شِعْبٍ مِنْ الشِّعَابِ، وَقَالَ: مَنْ رَجُلَانِ يَكْلَآنَا فِي لَيْلَتِنَا هَذِهِ مِنْ عَدُوِّنَا. قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: نَحْنُ نَكْلَؤُكَ يَا رَسُولَ اللهَّ. قَالَ: فَخَرَجَا إِلَى فَمِ الشِّعْبِ دُونَ الْعَسْكَرِ، ثُمَّ قَالَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ أَتَكْفِينِي أَوَّلَ اللَّيْلِ وَأَكْفِيكَ آخِرَهُ، أَمْ تَكْفِينِي آخِرَهُ وَأَكْفِيكَ أَوَّلَهُ. قَالَ فَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: بَلْ اكْفِنِي أَوَّلَهُ وَأَكْفِيكَ آخِرَهُ، فَنَامَ الْمُهَاجِرِيُّ وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي. قَالَ: فَافْتَتَحَ سُورَةً مِنْ الْقُرْآنِ؛ فَبَيْنَا هُوَ فِيهَا يَقْرَأُ إِذْ جَاءَرَجُلٌ مِن الْمُشرِكين. قَالَ فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلَ قَائِمًا عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةُ الْقَوْمِ فَيَنْتَزِعُ لَهُ بِسَهْمٍ فَيَضَعُهُ فِيهِ. قَالَ: فَيَنْزِعُهُ فَيَضَعُهُ؛ وَهُوَ قَائِمٌ يَقْرَأُ فِيالسُّورَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا، وَلَمْ يَتَحَرَّكْ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَقْطَعَهَا. قَالَ: ثُمَّ عَادَ لَهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَانْتَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، وَلَمْ يَتَحَرَّكْ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَقْطَعَهَا. قَالَ: ثُمَّ عَادَ لَهُ الثَّالِثَةَ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَانْتَزَعَهُ فَوَضَعَهُ؛ ثُمَّ رَكَعَ فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ لِصَاحِبِهِ: اقْعُدْ فَقَدْ أُوتِيتُ. قَالَ: فَجَلَسَ الْمُهَاجِرِيُّ فَلَمَّا رَآهُمَا الرجل

(1)أخرجه البخاري في صحيحه:كتاب فضائل القرآن، باب: نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن (4/ 1916)،ومسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب: نزول السكينة لقراءة القرآن (2/ 194).

هَرَبَ، وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ نُذِرَ بِهِ. قَالَ وَإِذَا الْأَنْصَارِيُّ يَمُوجُ دَمًا مِنْ الرَمْيَاتِ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ الْمُهَاجِرِيُّ: يَغْفِرُ اللهُ لَكَ؛ أَلَا كُنْتَ آذَنْتَنِي أَوَّلَ مَا رَمَاكَ. قَالَ فَقَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ مِنْ الْقُرْآنِ قَدْ افْتَتَحْتُهَا أُصَلِّي بِهَا فَكَرِهْتُ أَنْ أَقْطَعَهَا؛ وَايْمُ اللهِ لَوْلَا أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي بِهِ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- بِحِفْظِهِ لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا[1].

6 – **تفرغ بعضهم لتدارس القرآن مع رسول الله ﷺ**، ومنهم أهل الصفة، وقد كانوا أُناسًا من الفقراء لا مأوى لهم، فيبيتون في المسجد، يحتطبون بالنهار، ويقومون بالليل ويقرءون القرآن، وذاك هو همهم، فحفظوه، وأعدوا أنفسهم لتعلمه وتعليمه، والجهاد في سبيله.

ومنهم القراء الذين بعثهم رسول الله -ﷺ-إلى رعل وذكوان وعصية وبني لحيان حين استمدوه-ﷺ- على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار كانوا يسمونهم القراء في زمانهم - كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل- حتى إذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم، فبلغ النبي -ﷺ- فقنت شهرا يدعو عليهم [2].

وفي رواية مسلم بيان لأحوالهم:«سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُمْ: الْقُرَّاءُ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ»[3].

رضوان الله عليهم ما كانت دنياهم تشغلهم عن أمر دينهم، وحفظ كتاب ربهم، وسنة نبيهم، ولاغرو فهم خير القرون في الأمة المحمدية.

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (23/ 153) وحسنه الأرناؤوط.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب: غزوة الرجيع (4/ 1500).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد (3/ 1511).

7 – **تخصيصهم النابهين من طلابهم بمزيد عناية لحفظ القرآن الكريم وتعليمه**، ولذا فقد كان لأصحاب رسول الله تلاميذا يأخذون عنهم القرآن وعلومه، وكان للنابهين منهم مزيد عناية لما لهم من أثر في الأمة بعدهم، فهذا ابن عباس –ﷺ– اعتني بمجاهد بن جبر، وكان من أخص تلاميذه، وها هو يقول: «قَرَأْتُ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَقِفُهُ عَلَى كُلِّ آيَةٍ»[1].

وذاك ابن مسعود –ﷺ– اعتنى بعلقمة، وكان يقدمه على أقرانه.قال علقمة: كنَّا عند عبدالله، فجاء خبَّابُ بنالأَرتِّ حتَّى قام علينا في يده خاتَمٌ منذهبٍ، فقال: أَكُلُّ هَؤُلاَءِ يَقْرَؤُوْنَ كَمَا تَقْرَأُ؟ فَقَالَ عَبْدُ الله: إِنَّ شِئْتَ أَمَرْتُ بَعْضَهُمْ يَقْرَأُ.قَالَ: أَجَل، فَقَالَ: اقْرَأْ يَا عَلْقَمَةُ..قَالَ عَلْقَمَةُ: فَقَرَأْتُ خَمْسِيْنَ آيَةً مِنْ سُوْرَةِ مَرْيَمَ، فَقَالَ عَبْدُ الله: مَا قَرَأَ إِلاَّ كَمَا أَقْرَأُ[2].

وقد كان لتلك العناية أثرها على طلابهم فحفظ الله بهم الدين، وذاع صيتهم وعمَّ نفعهم الأمة جميعا، فرضي الله عنهم وحشرنا في زمرتهم ، اللهم آمين.

(1) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (2/ 959).
(2) سير أعلام النبلاء (1/ 470).

الخاتمة

وبعد هذه الدراسة المختصرة لتعاهد القرآن الكريم في العهد النبوي الكريم، أختم بذكر بعض النتائج والتوصيات:

أولاً : أن الله حث الله أهل الكتب السماوية بتعاهدها والعناية بها.

ثانيًا:أنالمراد بتعاهد القرآن: تكرار قراءته وتلاوته ودراسته، على وجه يؤمن معه نسيانه مع القيام بما يجب له من حق وحرمة.

ثالثًا:أن النبي -ﷺ- كان يتعاهد القرآن الكريم في جميع أحواله إلا أن يكون جنبا، فمن ذلك تعاهده للقرآن في السفر، وقيام الليل، وسماعه من الصحابة وإسماعه لهم، وثناءه على المجيدين فيه، وهو أسوة لأمته عليه الصلاة والسلام.

رابعًا: أن من طرائق الصحابة -رضي الله عنهم- في تعاهدهم للقرآن الكريم: تلقيهم عن رسول الله -ﷺ- مباشرة، وكثرة قراءتهم وتدارسهم للقرآن الكريم، وحرصهم على العمل بما عملوا، وتخصيصهم النابهين من طلابهم بمزيد عناية وتعليم.

التوصيات:

أولاً: ازددتُ قناعة لحاجتنا الماسة إلى تعاهد القرآن الكريم وتدبره، وذلك كفيل - بتوفيق الله – بإيضاح الأمور لنا على حقيقتها، وبهدايتنا للتي هي أقوم في كل مجال من مجالات حياتنا.

ثانيًا: على المؤسسات التعليمية أن تقوم بعقد مؤتمرات وندوات لدراسة السبل والوسائل التي تعين على تعاهد القرآن والعناية به، وذلك من خلال استقراء سير خير القرون رضي الله عنهم أجمعين.

ثالثًا: أرى أن عصر التابعين بحاجة إلى أن يخص بالبحث والدراسة كذلك، فحبذا أن ينبري الباحثون للكتابة في تعاهد القرآن الكريم في عصر التابعين الوسائل والطرائق.

هذا؛ والله أعلم، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على إمام المتقين، ورضي عن آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

مراجع البحث

1. القرآن الكريم.
2. أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1419 هـ.
3. أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى : 468هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط:2، 1412هـ- 1992م.
4. الأسماء والصفات، لأحمد بن الحسن البيهقي، (ت: 458هـ)، ت: عبد الله الحاشدي،
5. مكتبة السوادي، جدة – ط: الأولى، 1413 هـ - 1993 م
6. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، 1393 هـ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ط:1، 1995م.
7. البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط:1، 1420هـ.

8. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط: الأولى، سنة 1420هـ

9. التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد ابن جزي، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1415هـ.

10. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المتوفى: (463هـ)، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

11. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لتقي الدين أبوالعباس أحمد بن تيمية، ت: علي حسين وأخرون، دار العاصمة، ط 2، 1419هـ.

12. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى (774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة ، السعودية، ط:2، 1420هـ - 1999 م.

13. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا المتوفى (1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:1، 1990م.

14. تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي- طبعة مؤسسة الرسالة – تحقيق عبدالرحمن اللويحق.

15. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المتوفى (310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:1، 1420هـ- 2000م.

16. الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، ط:3 ، 1407هـ- 1987م.

17. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة ـ بيروت،

18. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671 هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط:1، 1423هـ.

19. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى: (911هـ)، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، ط:1، 1424هـ.

20. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي، دار: إحياء التراث العربي، بيروت.

21. زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:3، 1404هـ..

22. السلسلة الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف، السعودية.

23. سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت.

24. سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

25. سنن الدارقطني، لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ط:1، 1386هـ- 1966م.

26. شرح صحيح البخارى، لأبي الحسن علي بن خلف ابن بطال (المتوفى: 449هـ)، ت: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط: الثانية، 1423هـ - 2003م.

27. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط:4، 1407هـ- 1987م.

28. صحيح سنن الترمذي ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط: الأولى ، 1408هـ .

29. في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم، دار الشروق، مصر.

30. كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ)، ت: د مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال.

31. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار: إحياء التراث العربي، بيروت.

32. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت: 597هـ) ت: علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض.

33. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد الثعلبي، (ت: 427هـ)، ت: أبي محمد بن عاشور، ت: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى 1422 هـ.

34. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط:1.

35. مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : 728هـ)، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء- مصر، ، ط:3، الثالثة ، 1426 هـ/ 2005 م

36. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (ت: 405هـ)، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط: 1411هـ.

37. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

38. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان ، ط:1، 1413هـ ـ 1993م.

39. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ط: 1427 هـ.

40. مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:2، 1420هـ، 1999م.

41. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، ت:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة: 1399هـ.

42. المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرون، ت: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

43. منهاج السنة النبوية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : 728هـ)،تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

44. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير (ت: 606هـ)، ت: محمود الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م

جبريل عليه السلام والتلقي النبوي

د. حمود غزاي العربي
أستاذ مشارك كلية الشريعة جامعة القصيم – السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل خير كتبه، وأرسل أفضل رسله، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وهدانا صراطًا مستقيمًا دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُ الله ورسوله، وخاتم أنبيائه ورسله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه إلى يوم الدين وسلَّم تسليمًا كثيرا.

أما بعد:

فإن مِنْ منن الله تعالى عليَّ وفضله الواسع، وكرمه وجوده أن سخرني للبحث في هذا الموضوع الذي بين يدي، ومن ثم الكتابة فيه؛ لشرفه وأهميته، فهو يتعلق بأفضل الرسل من الملائكة وهو جبريل عليه السلام، وبأفضل الرسل من الأنبياء وهو محمد ﷺ، وحسبك بهاتين الشخصيتين فضلا.

وإنني لأتوجه بالشكر بعد شكر الله تعالى لمركز الإمام أبي عمرو الداني للدراسات والبحوث القرآنية بالرابطة المحمدية في المملكة المغربية التي نظمت هذا المؤتمر تحت عنوان:

التلقي القرآني في العهد النبوي أنماط ودلالات

ورسمتْ محاورَه، واختارت موضوعاته: وفق منهج أصيل من أول العهد إلى حاضر عهد.

وقد تقدمتُ للجنة العلمية المنبثقة عن المؤتمر ببحث يرتبط بمحور من محاور المؤتمر تحت عنوان:

جبريل عليه السلام والتلقي النبوي

فوافقت عليه مشكورة مأجورة.

ويتكون هذا البحث من: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرسين للمصادر والمراجع وللموضوعات، وهو على النحو التالي:

مقدمة: جبريل عليه السلام مكانةً وقدرا.

المبحث الأول: أسماء جبريل عليه السلام.

المبحث الثاني: علاقة جبريل بالنبي ﷺ.

المبحث الثالث: جبريل عليه السلام والتلقي النبوي ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: بدايات التلقي ونزول الوحي.

المطلب الثاني: أنواع الوحي وصوره.

المبحث الرابع: موقف اليهود والرافضة من جبريل عليه السلام، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: موقف اليهود من جبريل عليه السلام.

المطلب الثاني: موقف الرافضة من جبريل عليه السلام.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث.

الفهارس: وتشمل ما يلي:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

جبريل عليه السلام مكانة وقدرا

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان، لا يتم إيمان العبد إلاَّ به لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾[1] وقوله: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾[2]، وفي حديث عمر بن الخطاب في الصحيحين قال: جِبْرِيلُ عليه السلام لنبينا ﷺ مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَالْمَلَائِكَةِ[3]، ومن الإيمان بالملائكة الإيمان بمن سمّى الله تعالى تفصيلاً كجبريل، وميكائيل عليهما السلام، وغيرهما، وما كلفوا به من الأعمال.

وإذا كان الله تعالى اصطفى من البشر رسلاً فقد اصطفى من الملائكة رسلاً قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾[4]، وقد اصطفى من الملائكة جبريل عليه السلام لحمل الوحي إلى الأنبياء، كما اصطفى من البشر محمدًا ﷺ ليختم به نبوة الأنبياء وإرسال الرسل.

وجبريل عليه السلام «أحد الملائكة العظام، بل هو أفضل الملائكة فيما نعلم؛ لشرف عمله لأنه يقوم بحمل الوحي من الله، وإلى الرسل عليهم الصلاة والسلام، فهو ملك عظيم، رآه النبي ﷺ على صورته التي خُلِق عليها مرتين: مرة في الأرض، ومرة في السماء»[5].

---

(1) سورة البقرة الآية: 285.

(2) سورة النساء الآية: 136.

(3) أخرجه البخاري1/ 19 ومسلم 1/ 36.

(4) سورة الحج الآية: 75.

(5) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله 1/ 364.

وهو أقوى الملائكة وأفضلهم كما قال الله تعالى عنه: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾[1]، أي شديد القوة الظاهرة والباطنة، قوي على تنفيذ ما أمره الله بتنفيذه، قوي على إيصال الوحي إلى الرسول ﷺ ومنعه من اختلاس الشياطين له أو إدخالهم فيه ما ليس منه، وهذا من حفظ الله لوحيه أن أرسله مع هذا الرسول القوي الأمين[2].

ولا أدل على هذه المكانة والقدر لجبريل عليه السلام مما أشار الله تعالى إليه في كتابه عندما قال عنه: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾[3]، فقد ذكر جمع من العلماء تعليق على هذه الآية، أن جبريل مقرب عند الله، له منزلة رفيعة، وخصيصة اختصه الله بها، وله مكانة ومنزلة فوق منازل الملائكة كلهم[4].

(1) سورة النجم: 5- 6.
(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 1/ 818.
(3) سورة التكوير الآية: 20.
(4) تفسير الزمخشري 4/ 712.

المبحث الأول: أسماء جبريل عليه السلام ودلالاتها

وردت تسميةُ جبريل عليه السلام في القرآن الكريم والسُّنة النبوية بمسميات عدة، وتعداد الأسماء في لغة العرب له دلالاته ومعانيه، وقد ورد هذا عند العرب كثيرًا في غير اسم جبريل، فالسيف مثلاً يقال له: المهند، والحسام، والأسد يقال له: الضرغام، والغضنفر.

وقد سُمي رسولنا الكريم محمد ﷺ بعدة أسماء إضافة إلى اسمه الشهير (محمد) كما ورد في الصحيحين من حديث جُبير بن مطعم قال: قال: رسول الله ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي، الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ، وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ»[1].

وقد حصرتُ الأسماء التي سُمي بها جبريل عليه السلام في القرآن والسُّنَّة، فوجدتُ أشهرها ما يلي:

1- جبريل عليه السلام:

وهو الأشهر، وقيل «فيه تسع لغات حكاهن ابن الأنبارى، وابن الجواليقى: جِبريل، وجَبريل بكسر الجيم وفتحها، وجَبرِئِّل، بفتح الجيم وهمزة مكسورة وتشديد اللام، وجَبرائيل بعدها ياء، وجَبراييل بياءين بعد الألف، وجَبرئيل بهمزة بعد الراء وياء، وجَبرَئل بكسر الهمزة وتخفيف اللام مع فتح الجيم والراء، وجَبرين وجِبرين بفتح الجيم وكسرها.

(1) صحيح البخاري 6/ 151.

قال جماعات من المفسرين، وصاحب المحكم، والجوهرى، وغيرهما من أهل اللغة فى جبريل وميكائيل: إن جبر وميك اسمان أضيفا إلى إيل وأل. وقال: وإيل وأل اسمان لله تعالى، وجبر وميك معناه بالسريانية عبد، فتقديره عبد الله. قال أبو على الفارسى: هذا الذى قالوه خطأ من وجهين: أحدهما: أن إيل وأل لا يعرفان فى أسماء الله تعالى. والثانى: أنه لو كان كذلك، لم يتصرف آخر الاسم فى وجوه العربية، ولكان آخره مجرورًا أبدًا كعبد الله. وهذا الذى قاله أبو على هو الصواب، فإن ما زعموه باطل لا أصل له» [1].

لكن الحافظ في الفتح يرى أنَّ معناه عبد الله، «وهو إن كان سريانيًّا لكنه وقع فيه موافقة من حيث المعنى للغة العرب»[2].

وقد ورد في سورة البقرة مرتين.

الأولى: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾[3].

الثانية: قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[4]، وورد كذلك في سورة التحريم في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ

(1) تهذيب الأسماء واللغات 1/ 144 أبو زكريا محي الدين النووي ط- دار الكتب العلمية- بيروت، وانظر كذلك تنوير الحوالك 1/ 14، وانظر دليل الفالحين 1/ 228.

(2) فتح الباري 6/ 307.

(3) سورة البقرة الآية: 97.

(4) سورة البقرة الآية: 98.

صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾[1]، أما أوصافه فقد وردت في سورة النجم وغيرها.

أما في السنة النبوية فقد ورد ذكر جبريل فيها كثيرًا في الصحيحين والمسند والموطأ والسنن وغيرها من المسانيد، والصحاح، وحديث عمر بن الخطاب المشهور بحديث جبريل واضح جليّ ورد في الصحيحين[2] وغيرها.

وفصّلت السنة مقامات جبريل مع النبي ﷺ في رمضان[3] وغيره وفي نزول الوحي[4]، وصوره في غزوة بني قريظة[5]، وفي رقيته للنبي ﷺ[6].

وهو سيد الملائكة وأقربهم لله تعالى لقوله تعالى: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾[7].

2 – الروح الأمين عليه السلام:

قال تعالى في سورة الشعراء عن القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[8]، قال ابن عباس: والروح

(1) سورة التحريم الآية: 4
(2) صحيح البخاري 1/ 19، 50، وصحيح مسلم 1/ 36، 8، ومسند أحمد 1/ 434، 366.
(3) صحيح البخاري 4/ 203، 3623.
(4) صحيح مسلم 1/ 330، 448.
(5) صحيح مسلم. 3/ 1389، 1769، ومسند أحمد 40/ 336، 24294.
(6) صحيح مسلم 4/ 1718، 2185، ومسند أحمد 42/ 162، 25272.
(7) سورة التكوير الآية: 20.
(8) سورة الشعراء الآية 192-195.

جبريل[1]، وقاله غير واحد من السلف، قال ابن كثير: «وهـذا بـالا نـزاع فيـه»[2]، وفي المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لعائشة ـ رضي الله عنها ـ:

«كُنْتِ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ ﷺ، إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله يُحِبُّ إِلا طَيِّبًا وَأَنْزَلَ اللهُ بَرَاءَتَكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، جَاءَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ»[3].

وذكر البيهقي في الأسماء والصفات بسنده عن المطّلب بن حَنْطَب ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال «مَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَكُمُ اللهُ بِهِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا نَهَاكُمُ اللهُ عَنْهُ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ قَدْ أَلْقَى فِي رُوْعِي...»[4].

وفي شعب الإيمان للبيهقي قال ﷺ لخالد بن الوليد عندما شكى له ما يجد من وحشة قال: «أَلَا أُعَلِّمُكَ مَا عَلَّمَنِي الرُّوحُ الْأَمِينُ جِبْرِيلُ عليه السلام...»[5].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا»[6].

---

(1) تفسير القرطبي 18/ 281.

(2) تفسير ابن كثير 6/ 162.

(3) المسند أحمد 4/ 297، 2496.

(4) الأسماء والصفات للبيهقي1/ 499، 427.

(5) شعب الإيمان 6/ 390.

(6) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد 3/ 437.

قال ابن بطال: وقال أهل التفسير الروح الأمين جبريل[1]، وكذا قال ابن حجر: الروح الأمين هو جبريل، وكذا روح القدس[2]، وذكر ذلك شيخ الإسلام رحمه الله[3]؛ وسُمي بالأمين لأنه أمينُ الله بينه وبين من أرسله.

3 - **روح القدس**:

ذكر الحافظ في الفتح أنَّ ابن أبي حاتم ذكر بإسناد حسن رجاله ثقات عن عبد الله بن مسعود أنَّ روح القدس هو جبريل، وكذا جزم به أبو عبيدة وغير واحد[4]، وهذا ما فسَّره به المفسرون من الصحابة والتابعين، وتفسيرهم محمول على السماع؛ لأن العقل لا مجال فيه.

وقد وردت تسمية جبريل عليه السلام بروح القدس في أربعة مواضع من القرآن الكريم، اثنان منهما في سورة البقرة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾[5]، والثاني عند قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم

---

(1) شرح صحيح البخاري لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف 10/ 216، تحقيق ياسر بن إبراهيم، نشر مكتبة الرشد ط2/ 1423هـ.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر 1/ 136.

(3) الجواب الصحيح 2/ 152، والرد على الأخفائي 1/ 482 تحقيق الغزي.

(4) انظر فتح الباري 8/ 384.

(5) سورة البقرة الآية: 87.

مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾[1]، والموضع الثالث في سورة المائدة، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾[2]، والموضع الرابع في سورة النحل: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[3].

وعن عائشة رضي الله عنها **قالت: كان** رسول الله ﷺ: يَضَعُ لِحَسَّانَ مِنْبَرًا فِي الْمَسْجِدِ فَيَقُومُ عَلَيْهِ يَهْجُو مَنْ قَالَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَ حَسَّانَ مَا نَافَحَ عَنْ رَسُولِ ﷺ»[4].

وفي حديث الشفاعة: «ثُمَّ يَأْذَنُ اللهُ تَعَالَى فِي الشَّفَاعَةِ، فَيَكُونُ أَوَّلَ شَافِعٍ رُوحُ الْقُدُسِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»[5]، وحديث **عبد الله** بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «نَفَثَ «نَفَثَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي رُوْعِي أَنَّ نفسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، أَلا فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»[6].

---

(1) سورة البقرة الآية: 253.

(2) سورة المائدة الآية: 110.

(3) سورة النحل الآية: 102.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه 4/ 1135، وأبو داود في سننه باب ما جاء في الشعر 4/ 304، وحسنه الألباني.

(5) المستدرك على الصحيحين 4/ 541 (4) شرح السنة للبغوي باب التوكل على الله 14/ 304.

(6) الفتاوى الكبرى 5/ 40 وانظر مجموع الرسائل والمسائل 3/ 143.

قال شيخ الإسلام: روح القدس هو جبريل[1]، ومما يدل على أن روح القدس هو جبريل عليه السلام ما ورد في البخاري من حديث البراء بلفظ «جِبْرِيلَ مَعَكَ»، فقد ذكر البخاري في باب ذكر الملائكة عن البراء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لحسَّان: «اهْجُهُمْ - أَوْ هَاجِهِمْ - وَجِبْرِيلُ مَعَكَ»[2].

4- الناموس:

ذكر البخاري وغيره في قصة بدايات الوحي لرسول الله ﷺ التي جاءه جبريل عليه السلام فقال له: «اقرأ ثلاث مرات، ثم قال له في الرابعة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها... فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ... فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى»[3].

قال أبو عبيد: «الناموس صاحب سر الرجل الذي يُطلعه على باطن أمره، ويخصُّه مما يستُره عن غيره.

وقال أبو عمرو الشيباني: الناموس صاحبُ سرِّ الخير، والجاسوس صاحبُ سرِّ الشرِّ، وقال بعض العلماء: إنما سُمِّيَ جبريل ناموسًا لأنه مخصوص بالوحي، والغيب

(1) صحيح البخاري 5/ 113، وأخرجه كذلك في فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه رقم 2486.

(2) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد 3/ 437.

(3) صحيح البخاري (1/ 7).

الذي لا يطلع عليه غيره»[1]، وبمثل هذا قال النووي في شرحه على صحيح مسلم قال: واتفقوا على أنَّ جبريل عليه السلام يسمى الناموس[2]، وكذلك نص عليه ابن حجر رحمه الله[3]، وذكر أبو عبد الله الرازي أن أهل الكتاب يُسمُّون جبريل عليه السلام الناموس[4]، ونقل شيخ الإسلام عن أكثر المفسرين أنه جبريل[5]، فعُلِمَ من كل ما تقدم أن من أسماء جبريل عليه السلام الناموس.

(1) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي 4/ 275، تحقيق علي حسبن البواب.
(2) شرح صحيح مسلم 2/ 203.
(3) فتح الباري 1/ 25.
(4) مختار الصحاح 1/ 329 تحقيق يوسف الشيخ محمد، نشر المكتبة العصرية، بيروت ط5/ 1420هـ.
(5) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح 2/ 187.

المبحث الثاني: علاقة جبريل بالنبي ﷺ

علاقة جبريل بنبينا محمد ﷺ علاقة موالاة ومحبة، بيَّنها الله تعالى في كتابه الكريم في سورة التحريم عندما قال لنساء نبيه ﷺ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤﴾[1]، وقد تجلت هذه الموالاة والمحبة في صور متعددة بينتها السُّنةُ النبوية ومن ذلك:

أ) الدفاع والمناصرة لرسول ﷺ في مواجهته مع كفار قريش واليهود:

ففي المسند عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَرَّ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ، فَانْتَهَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: لِمَ تَنْتَهِرُنِي يَا مُحَمَّدُ؟ فَوَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا بِهَا رَجُلٌ أَكْثَرُ نَادِيًا مِنِّي، قَالَ: فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧﴾[2]، قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (وَاللهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ، لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ الْعَذَابِ) »[3].

وفي سيرة ابن هشام أنَّ رسول ﷺ غدا يُصلي عند الكعبة، وقريش في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسولُ الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رَجَعَ مُنْهَزِمًا مُنْتَقِعًا لونه مرعوبًا، قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش، فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: لما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فهم بي أن يأكلني.

---

(1) سورة التحريم الآية: 4

(2) سورة العلق: 17.

(3) مسند أحمد ط الرسالة (4/ 164).

قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال: ذلك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه[1].

وقصة جبريل مع النبي ﷺ في بدر ذكرها البيهقي[2] وغيره، والشواهد في هذا المعنى كثيرة، أما مناصرته لرسول الله ﷺ في مواجهته مع يهود ففي البخاري عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: «قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ»[3].

ب) تعليمه للنبي ﷺ أنواع العلوم ومعارضته معه القرآن:

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: «أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأُمِّ سَلَمَةَ: مَنْ هَذَا؟، قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَايْمُ الله مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ الله ﷺ يُخْبِرُ خَبَرَ جِبْرِيلَ»[4]. وذكر عن فاطمة رضي الله عنها: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ»[5]. وكان رسول الله ﷺ يطمع بأكثر من ذلك حُبًّا في الوحي ولقاء جبريل عليه السلام، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ: «أَلاَ تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟، قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا

(1) سير ابن هشام 1/ 299.
(2) دلائل النبوة للبيهقي 2/ 79، تحقيق دار الكتب العلمية – بيروت
(3) صحيح البخاري (5/ 111).
(4) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (1/ 182).
(5) صحيح مسلم (4/ 1904).

﴿٦٤﴾»[1][2]، «والمعنى أننا نعرض عليك الإكثار من زيارتنا، ونحضك عليها، ونتمنى لو أجبتنا إلى ذلك؛ لنستأنس بك»[3].

ج) تطبيبه للنبي ﷺ ورقيته إياه:

ففي المسند عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: «أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: اشْتَكَيْتَ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، وَعَيْنٍ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»[4]. ومعناه أي أطلب لك البراءة والعفو والعافية من الله ﷻ.

وفي قصة سحر النبي ﷺ من قبل اليهودي لبيدِ بن الأعصم قال: «أَتَانِي مَلَكَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ»[5].

ذكر ابن سعد في طبقاته: أن هذين المكلين هما جبرائيل، وميكائيل عليهما السلام[6]، السلام[6]، وإن كانت الرواية التي ذكرها ابن سعد فيها انقطاع، ويرى محمد بن بدر الدين العيني صاحب عمدة القاري شرح صحيح البخاري أن الذي قعد عند رأس النبي ﷺ في قوله: «فقعد أحدُهُما عند رأسه: هو جبريل، فقال: والظاهر أن الذي قعد عند رأسه جبريل عليه السلام لخصوصيته به ﷺ»[7]، ومما يؤيد ذلك ما ذكره النَّسَائِيّ في سُننه

---

(1) سورة مريم: 64.

(2) صحيح البخاري باب ذكر الملائكة(4/ 112).

(3) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (4/ 159).

(4) مسند أحمد 17/ 323.

(5) صحيح ابن حبان - محققا 14/ 547.

(6) الطبقات الكبرى 2/ 151.

(7) 21/ 280.

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: «سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَاشْتَكَى لِذَلِكَ أَيَّامًا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: إِنَّ رَجُلاً مِنَ الْيَهُودِ سَحَرَكَ، عَقَدَ لَكَ عُقَدًا فِي بِئْرِ كَذَا وَكَذَا، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَخْرَجُوهَا، فَجِيءَ بِهَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ لِذَلِكَ الْيَهُودِيِّ، وَلَا رَآهُ فِي وَجْهِهِ قَطُّ»[1]، وجزم بذلك الدمياطي في السيرة[2].

ومما لا شك فيه ولا ريب أن رقية جبريل عليه السلام للنبي ﷺ وتمريضه إياه، ودلالته للسحر الذي سُحِرَ به دليل على العلاقة بينه، وبين خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد ﷺ، ومما يدل على ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: وَا كَرْبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ»، فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ، مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ، مَأْوَاهْ يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ، فَلَمَّا دُفِنَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: «يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ»[3]. وقولها: إلى جبريل ننعاه: أي إننا ننعاه إلى جبريل؛ لأن جبريل هو الذي كان يأتيه بالوحي صباحًا ومساءً، فإذا فُقِدَ النبي عليه الصلاة والسلام فُقِد نزول جبريل عليه الصلاة السلام إلى الأرض بالوحي؛ لأن الوحي انقطع بموت النبي ﷺ[4].

---

(1) سنن النسائي 7/ 112.

(2) مختصر السيرة النبوية للدمياطي ص 268، تحقيق سعد محمد الطيب ط1، 1416هـ. دار الصابوني. حلب. سوريا.

(3) صحيح البخاري 6/ 15.

(4) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين رحمه الله 1/ 203.

المبحث الثالث: جبريل عليه السلام والتلقي النبوي

يتكون هذا المبحث من مطلبين:

المطلب الأول: بدايات التلقي ونزول الوحي:

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ

وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا»[1].

قال المهلب في قول عائشة رضي الله عنها: «فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح: هي تباشير النبوة وكيفية بدئها؛ لأنه لم يقع فيها ضَغَثٌ فيتساوى مع الناس في ذلك، بل خص بصدقها كُلَّها، وكذلك قال ابن عباس: رؤيا الأنبياء وحي وقرأ: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ١٠٢ ﴾[2]، فتمَّم عليه النبوة بأن أرسل إليه الملك في اليقظة وكشف له عن الحقيقة، فكانت الأولى في النوم وصحة ما يُوحى إليه فيه توشيحًا للنبوة وابتدائها حتى أكملها الله له في اليقظة تفضلاً من الله تعالى وموهبةً خصَّه بها، والله يعلم حيث يجعل رسالاته والله ذو الفضل العظيم»[3].

وقال زين الدين العراقي: قال القاضي عياض وغيره: «إنما ابتدئَ - عليه الصلاة والسلام- بالرؤيا لئلا يفجأه الملك، ويأتيه صريح النبوةِ بغتةً فلا تحتملها قوى البشرية، فبُدئ بأوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا...»[4].

---

(1) صحيح البخاري (1/ 7).

(2) سورة الصافات: 102.

(3) شرح صحيح البخاري لابن بطال 1/ 33

(4) طرح التثريب في شرح التقريب 4/ 184

وقد أشكل في بدايات الوحي ما روي عن عامِرِ الشعبي قال: «وُكِّل إسرافيل بمحمد ﷺ ثلاث سنين، فكان يأتيه بالكلمة، ثم نزل عليه جبريل بالقرآن»[1]، فأوهم هذا أن جبريل ليس هو الذي يتنزَّل بالوحي على رسولﷺ لوحده؛ ولذلك عدَّها بعضهم[2] حالة سابعة من حالات الوحي.

وقد أجاب عن ذلك العلماء ووجَّوه، قال شهاب الدين المعروف بأبي شامة قلت: لا ينبغي أن تكون هذه حالة سابعة باعتبار اختلاف ما بين جبريل وإسرافيل عليهما السلام؛ لأن كليهما ملك جاءه بالوحي مِنَ الله تعالى، على أن هذه رواية مرسلة، وحديث عائشة لا ينافيها؛ فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا، ثم وكّل به إسرافيل في تلك المدَّة التي كان يخلو بها بحراء، فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجا له وتمرينًا وتدريبًا، إلى أن جاءه جبريل فعلمه بعدما غطه ثلاث مرات، فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل، ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصارًا للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل، فما كل ما جرى للنبي ﷺ من الآيات والعجائب قبل البعثة وبعدها روته عائشة رضي الله عنها، وقد كان النبي ﷺ يرى عجائب قبل بعثته، فمن ذلك ما في صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: قال النبي ﷺ: «إِنِّي لأعرف حجرًا كان يسلم علي قبل أن أبعث، إِنِّي لأعرفه الآن».

---

(1) ذكر ذلك أبو القاسم السُهيلي في الروض الأنف تحقيق عمر السلامي ط1/ 1421هـ. دار إحياء التراث العربي. بيروت 2/ 282. وذكرها القرطبي في تفسيره 1/ 77 تحقيق أحمد البردوني. دار الكتب المصرية ط2/ 1384هـ، قال روى بسند صحيح ابن عبد البر في الاستيعاب 1/ 35، تحقيق محمد البجاوي. نشر دار الجيل ط1/ 1412هـ. وابن كثير في السيرة النبوية 1/ 388، تحقيق مصطفى عبد الواحد، نشر دار المعرفة. بيروت، ط1/ 1395هـ.

(2) المرجع السابق السهيلي 2/ 257.

ووقع في السيرة لابن إسحاق عن عبيد بن عمير أن النبي ﷺ قال: «فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ، فغتني حتى ظننت أنه الموت»، فذكر نحو حديث عائشة.

وليس في حديث عائشة أن ذلك كان في النوم، وليس فيه ما ينافيه، ويجمع بين الحديثين من وجه حسن قاله السهيلي، وهو أن يكون النبي ﷺ رأى جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرًا عليه ورفقًا به؛ لأن أمر النبوة عظيم، وعبؤها ثقيل والبشر ضعيف، وهذا كما ذكره في حديث الإسراء واختاره ثَم جماعة من العلماء، وفي حديث عائشة ما كأنه يرشد إلى ذلك؛ إذ أخبرت أنه ﷺ كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، تريد في صحتها وظهورها، فكانت رؤيته جبريل عليهما السلام في النوم من ذلك لما رآه يقظة والله أعلم[1].

وعلى صحة هذه الرواية فقد ذكر بعضهم: «أن الحكمة في مجيء إسرافيل أن الموكل بالنفخ في الصور النبي بُعثَ قربَ الساعة، وكانت بعثته من أشراطها، فبُعب إسرافيل لهذه المناسبة ولم يُبعث إلى نبي قبله»[2].

وقد ابتدئ رسول الله ﷺ بالوحي ونبئ وأرسل عند تمام الأربعين سنة من عمره؛ لأنَّ هذا السِّن هو سِنُّ الكمال الجسمي والعقلي والنضج الفكري للإنسان، كما يشير إليه قوله الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ ١٥﴾[3].

---

(1) شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى، أبو القاسم شهاب الدين أبو شامة، تحقيق جمال عزون نشر مكتبة العمرين الإمارات ط1/ 1420هـ (ص: 77، 78).

(2) سبل الهدى والرشاد في سير خير العباد، محمد يوسف الشامي، تحقيق عادل عبد الموجود، ط1، 1414هـ. بيروت.

(3) سورة الأحقاف: 15.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أنزل على النبي ﷺ وهو ابن أربعين فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة، ثم أُمِر بالهجرة إلى المدنية، فمكث بها عشر سنين ثم توفي ﷺ»[1].

وبين أنس ﷺ أن أكثر الوحي كان قبل وفاته ﷺ فقال: إن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي، ثم تُوُفِّيَ ﷺ وقال ابن عباس: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، وقرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾[2][3].

وكان ﷺ يعاني أشدَّ المعاناة من نزول الوحي عليه طيلة فترات الوحي سواء في مكة والمدنية، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾[4]: قال: «كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة»، قال الملا علي القارئ: «هذه الشدة هي المشقة العظيمة بما يبذله من جهد كبير في تلاوة الآيات أثناء نزولها، وكان يُتعب نفسه كثيرًا بسبب تحريك شفتيه بتلاوتها مع جبريل أثناء نزولها حيث كان يقرأها كلمة كلمة حرصًا على حفظها خشية أن يتفلت منه القرآن، فكان يُرهق نفسه في حفظ ما أُنزِلَ عليه من القرآن خشية أن يتفلَّت منه»[5].

---

(1) صحيح البخاري 5/ 45.
(2) سورة الإسراء: 106.
(3) شرح صحيح البخاري لابن بطال (10/ 215).
(4) سورة القيامة: 16.
(5) منار القاري شرح صحيح البخاري 1/ 50.

ولَمَّا سأله الحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ»[1]، وقد بين العلماء معنى ذلك فقالوا: ويفهم منه أن الوحي كُلِّه شديد، ولكن هذه الصفة أشده [2].

بل زادت الأمر وضوحًا أمُّنا أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها إذْ صوَّرت للقارئ حال النبي ﷺ فَقَالَتْ: «وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا»[3]، وهذا التشبيه البليغ منها لحال رسول الله ﷺ عند نزول الوحي يدل على كثرة تعبه، ومعاناته عند نزول الوحي.

وحكى زيد بن ثابت مشهدًا آخر لمعاناة الرسول ﷺ عند نزول الوحي فقال: «أَمْلَى عَلَيَّ: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ... ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٩٥﴾﴾، قَالَ: فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، لَوْ أَسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ - وَكَانَ رَجُلاً أَعْمَى - فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنَّ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[4] »[5]، وقوله: وقوله: «ثقلت عليَّ: أي فخذه ﷺ من ثُقل الوحي قال ابن إسحاق: وللنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيع لها إلا أهل القوة والعزم من الرسُل بعون الله ﷻ»[6].

---

(1) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد 14/ 265.

(2) فتح الباري لابن حجر 1/ 30-31.

(3) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (14/ 265).

(4) سورة النساء: 95.

(5) صحيح البخاري (4/ 25) وكذلك الاستذكار لابن عبد البر فقد ذكر صورًا أخرى عن حالاته ﷺ مع مع الوحي 2/ 489.

(6) شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى، أبو القاسم شهاب الدين المقدسي، تحقيق: جمال عزون نشر مكتبة العمرين الإمارات ط1، 1420هـ1/ 76.

المطلب الثاني: أنواع الوحي وصوره

تكلم العلماء والباحثون قديمًا وحديثًا عن الوحي وأنواعه، وصوره من زوايا متعددة، فمنهم من تكلم عن الوحي في القرآن الكريم وذكر أوجه ذلك[1]، ومنهم من تكلم عن ضرورته للإنسان والحياة بشكل عام[2]، ومنهم من تكلم عن صور نزول الوحي على رسول الله ﷺ فقط[3]، ثم هؤلاء اختلفوا في عدد صور الوحي، فبعضهم عدَّها[4] ستًّا، وبعضهم سبعًا[5]، ومنهم من قال: كان الوحي يأتي على رسول الله ﷺ على ثلاثة أنواع[6]، ويجد الباحث في هذا الموضوع اختلافَ تنوع مستساغ وممكن بين العلماء في تناول هذا الموضوع خصوصًا أن الأحاديث في ذلك متعددة الطرق ومتنوعة الطرح، فأحيانًا ينزل الوحي عليه ﷺ وهو في لحاف عائشة رضي الله عنها[7]، وأحيانًا يأتي في صورة دحية الكلبي عند أم سلمة[8]، وأحيانًا يأتي على صورة رجل يُعلِّم أصحابه[9]، وأحيانًا يراه ﷺ في صورته التي خلقه الله عليها[10]؛ ولذلك قال بعض

(1) عمر رشيد رضا في كتابه الوحي المحمدي ط1، 1989م، نشر دار الكتاب الجزائر.

(2) كلام شيخ الإسلام في الفتاوى 19/ 155، كتاب الوحي والإنسان قراءة معرفية للدكتور محمد الجليند نشر دار قباء، مصر.

(3) ابن القيم في زاد المعاد 1/ 77 والسهيلي، في الروض الأنف 2/ 313.

(4) ابن القيم.

(5) السهيلي.

(6) ذكر ذلك أبو شامة في شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى، نقلاً عن الإمام أبي بكر بن العربي العربي شيخ السهيلي 1/ 81.

(7) صحيح البخاري 5/ 30.

(8) مسند أبي يعلى 12/ 346.

(9) صحيح مسلم 1/ 36.

(10) مسند أحمد 23/ 280.

العلماء: هناك صفات للوحي، وهناك صفات لحامل الوحي تحمل عليها بعض الأحاديث[1].

ولا شك أن دراسة هذه الأحاديث سندًا ومتنًا، وحمل بعضها على بعض، والجمع بينها أمرٌ في غاية الأهمية، لكنه لا يناسب ما نحن فيه في هذا البحث؛ ولذلك سأكتفي هنا بالحديث فقط عن أنواع الوحي، كما جمعها وأوردها ابن القيم -رحمه الله تعالى- إذ قال: وكمل الله له من مراتب الوحي مراتب عديدة:

إحداها: الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحيه ﷺ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

الثانية: ما كان يلقيه الملك في رُوعِه وقلبه من غير أن يراه، كما قال النبي ﷺ: «إن روح القدس نفث في رُوعِي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته»[2].

الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانًا.

الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه، فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقًا في اليوم الشديد البرد، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى

---

(1) انظر ما قاله الحافظ ابن حجر في الفتح 1/ 19.

(2) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته 1/ 420.

الأرض إذا كان راكبها، ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها.

الخامسة: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك في سورة النجم آية 7، 13.

السادسة: ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى بن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعًا بنص القرآن، وثبوتها لنبينا ﷺ هو في حديث الإسراء.

وقد زاد بعضهم **مرتبة ثامنة**، وهي تكليم الله له كفاحًا من غير حجاب، وهذا على مذهب من يقول: إنه ﷺ رأى ربه تبارك وتعالى، وهي مسألة خلاف بين السلف والخلف، وإن كان جمهور الصحابة بل كلهم مع عائشة كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمي إجماعًا للصحابة[1].

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد 1/ 77-79.

المبحث الرابع: موقف اليهود والرافضة من جبريل عليه السلام

لم أختر هذا العنوان لهذا المبحث!! بل هو مَنْ فرض نفسه واقعًا لا محيد عنه لكل قارئ يقرأ عن موقف اليهود من جبريل عليه السلام.

فنهاك من التشابه بين الموقفين -موقف اليهود، وموقف الرافضة- من جبريل عليه السلام ما يجعلهما شيئًا واحدًا؛ فكلاهما يبغض جبريل عليه السلام، وكلاهما يزعم أنه خان الأمانة!! فاليهود يرون أنه خان الأمانة بنقل الرسالة الإلهية الخاتمة من بني إسرائيل إلى محمد ﷺ وهو من بني إسماعيل فعن مقاتل -رحمه الله- قال: قالت اليهود: إن جبريل عدونا أُمِرَ أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فأنزل الله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾[1][2].

والغرابية من الرافضة تقول كذلك، يقول حسين الموسوي: «ويحسن بنا أن ننبه إلى أنَّ أصحابنا اختاروا لهم اثني عشر إمامًا، وهذا عمل مقصود، فهذا العدد يُمثِّل عدد أسباط بني إسرائيل، ولم يكتفوا بذلك، بل أطلقوا على أنفسهم تسمية (الاثني عشرية) تيمنًا بهذا العدد وكرهوا جبريل عليه السلام والروح الأمين كما وصفه الله تعالى في القرآن الكريم، وقالوا: إنه خان الأمانة؛ إذْ يفترض أن ينزل على عليٍّ عليه السلام، ولكنه حاد عنه فنزل إلى محمد عليه السلام فخان بذلك الأمانة؛ ولهذا كرهوا جبريل، وهذه هي صفة بني إسرائيل في كراهتهم له؛ ولهذا ردَّ الله عليهم بقوله الكريم: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ

(1) سورة البقرة: 97.

(2) أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي الواحدي، تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، نشر دار الإصلاح، 1/ 31، الدمام، ط2/ 1413هـ

فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾[1]، فوصف من عادى جبريل بالكفر، وأخبر أن من عاداه فإن عدوٌ لله تعالى»[2].

إذًا هناك الكثير من التشابه بينهما في حق الروح الأمين عليه السلام، ورصد ذلك في هذا البحث أمرٌ لابد منه ويتضح من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: موقف اليهود من جبريل عليه السلام:

موقف اليهود من الملائكة من خلال كتبهم تناوله الباحثون بالدراسة والتحليل؛ ولأن السِّمَةَ العامة لمصادر الفكر اليهودي الاضطراب والتناقض، فطبعيّ أن يجد الباحثون مشقَّةً وعناءً في رصد موقف أو رأي اليهود في موضوع كموضوعنا – الملائكة–، فالتوراة تنسب إلى الله تعالى في سفر التكوين ذرية من الملائكة هبطت إلى الأرض وتزوجت من نساء الأرض، وتناسل منهم الجبابرة، يقول النص: «وجدت لَّما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أنَّ أبناء الله أو بنات الناس أنهنَّ حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كُلِّ ما اختاروا... وبعد ذلك أيضًا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادًا هؤلاء هم الجبابرة»[3].

---

(1) سورة البقرة: 97.

(2) انظر: لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، 112، تأليف: حسين الموسوي من علماء النجف، وقد تكلم عن هذه المسألة علماء السنة قديمًا وحديثًا، انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص 237، التبصير في الدين للاسفرائيني ص 128، الفصل لابن حزم 4/ 140، والقول المفيد شرح كتاب التوحيد للعلامة محمد العثيمين 1/ 321، أصول الشيعة الاثني عشرية للأستاذ الدكتور ناصر القفاري 2/ 582.

(3) سفر التكوين 6/ 4-1 وكذلك نحو هذا في دانيال 3/ 25 والمزامير 29/ 1

فالملائكة من خلال هذا النص ذكور ويتزوجون ويتناسلون، بل إنهم في سفر أيوب أبناء الله يحضرون مجلسه المقدس مع الشيطان تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا يقول النص: «كان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضًا وسطهم فقال الرب: للشيطان من أين جئت؟ فأجاب الشيطان الرب وقال: من الجولان في الأرض ومن التحشي فيها»[1].

وإضافة إلى ذلك وصفت التوراة المحرفة الملائكة بأنهم أشرار مفسدون[2]، بل إن الروح الأمين روح القدس جبريل عليه السلام الذي اصطفاه الله من الملائكة للنزول بالوحي على الأنبياء والرسل رأسٌ في المكر والغدر في سفر الملوك: فقد قال النبي ميخا ما نصّهُ: «قد رأيت الرب جالسًا على كرسيه وكُلُّ جند السماء وقوف لديه.. عن يمينه ويساره فقال الربُّ: من يغوي (آخاب)[3] فيصعد ويسقط في (راموت جلعان)[4] فقال: هذا هكذا، وقال: ذاك هكذا ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال: أنا أغويه فقال الربُّ بماذا؟ فقال الروح الأمين أخرج وأكون روحَ كذب في أفواه جميع أنبيائه فقال الرب: إنك تغُويه وتقدر... فاخرج وافعل هكذا»[5].

لكن الباحث والناقد في اليهودية د. عبد الوهاب المسيري – رحمه الله– يرى أنَّ هناك تطورًا في مفهوم الملائكة في النص التوراتي عبر تاريخ بني إسرائيل، يختلف من

(1) سفر أيوب 1/ 6-7.
(2) المزامير 78-94.
(3) ملك من ملوك بن إسرائيل.
(4) هي كلمة عبرية معناها مرتفعات جلعاد، تقع شرقي الأردن وتدعى الراحة، انظر قاموس الكتاب المقدس ص 393 ط1/ 1894.
(5) ملوك الأرض 22/ 1-22.

مرحلة إلى مرحلة، فهم عندما يكونون مثل البشر يختلفون عندما يكونون رمزًا للغيب، ولذلك تختلف أسماؤهم في كل مرحلة عن الأخرى يقول: ويظهر الملائكة في الأجزاء الأولى من العهد القديم على هيئة بشر، وهم يضطلعون بوظائف عديدة، من بينها حماية العبرانيين أثناء خروجهم من مصر، وأثناء تجوالهم في البرية، ويفسرون لزكريا ودانيال الرؤى (أبوكاليبس) التي شاهدها، كما أنهم يقومون بعقاب المذنبين، مثلما فعلوا عند تحطيم سدوم وعموراه، وهم يحيطون بالعرش الإلهي، ومنهم أيضًا الجوقة التي تسبح للإله، ومن أهم أحداث العهد القديم، حادثة الصراع بين يعقوب والملاك (الذي ظهر فيما بعد أنه الإله)، وقد صرعه يعقوب، وسُمِّي (يسرائيل)، أي (الذي تصارع مع الإله) أو (من صرع الإله)[1].

وبعد العودة من بابل ترسَّخ مفهوم الملائكة في العقيدة اليهودية، وأصبح للملائكة أسماء وطبقات، وقد تزايد عددهم وتزايدت أسماؤهم في كتب الرؤى (أبوكاليبس)، وظهرت فكرة رئيس الملائكة الذي سقط، ومع هذا، فقد استمرت فرق مثل الصدوقيين في إنكار الملائكة، وهو جزء من إنكارها لفكرة البعث والإله المتجاوز للطبيعة والتاريخ[2].

وواضح من كلام المسيري -رحمه الله- أن هناك اختلافًا واضحًا بين فلاسفة اليهود وصوفيتهم وفرقهم بشأن الملائكة، وقد استبعدت كتب اليهود الإصلاحية أي إشارة

(1) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية د. عبد الوهاب المسيري 14/ 299.
(2) المرجع السابق 14/ 298.

إلى الملائكة تقريبًا[1]، ويرى آخرون أنها كائنات خلقها الإله، وهى تحمل عرشه وتحرس بوابات جنات عدن[2].

إن من أهم الدلالات التي يستنتجها الباحث من هذا الاضطراب بين الطوائف اليهودية بشأن الملائكة فقدانَ اليهود لمصدر موثوق يرجعون إليه بشأن الملائكة أو غيرهم، وأنى لهم ذلك وقد حرَّفوا وبدلوا وصدق الله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[3].

ومن هذا التصور عن اليهود كانت كلمة أهل الإسلام واضحة جليةً عن موقف اليهود من الملائكة بصفة عامة، أو جبريل بصفة خاصة، قال ابن عطية: أجمع أهل التفسير على أن اليهود قالت: جبريل عدونا[4].

وفي البخاري عَنْ أَنَسِ بِنْ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ سَلاَمٍ، بِقُدُومِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ، وَهْوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺفَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ: فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟، وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟، وَمَا يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ: «أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا»، قَالَ: جِبْرِيلُ؟: قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿٩٧﴾﴾[5][6].

---

(1) المرجع السابق 14/ 301.

(2) المرجع السابق 14/ 302.

(3) سورة لبقرة: 75.

(4) المحرر في تفسير الكتاب العزيز 1/ 183.

(5) سورة البقرة: 97.

(6) صحيح البخاري 6/ 19.

وروي الطبري، وابن كثير في تفسيريهما عن قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾[1].

عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: نَزَلَ عُمَرُ الرَّوْحَاءَ، فَرَأَى رِجَالاً يَبْتَدِرُونَ أَحْجَارًا يُصَلُّونَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ صلّى ها هنا، قال: فكره ذَلِكَ، وَقَالَ إِنَّمَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ أدركته الصلاة بواد فصلّى، ثُمَّ ارْتَحَلَ فَتَرَكَهُ، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُهُمْ، فَقَالَ: كنت أشهد اليهود يوم مدارسهم فأعجب من التوراة كيف تصدق القرآن ومن القرآن كَيْفَ يُصَدِّقُ التَّوْرَاةَ، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ قَالُوا: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ مَا مِنْ أَصْحَابِكَ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ قُلْتُ وَلِمَ ذلك؟ قالوا: لأنك تَغْشَانَا وَتَأْتِينَا، فَقُلْتُ: إِنِّي آتِيكُمْ فَأَعْجَبُ مِنَ القرآن كَيْفَ يُصَدِّقُ التَّوْرَاةَ وَمِنَ التَّوْرَاةِ كَيْفَ تُصَدِّقُ القرآن، قَالَ: وَمَرَّ رَسُولُ ﷺ، فَقَالُوا: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، ذَاكَ صَاحِبُكُمْ فَالْحَقْ بِهِ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ: نَشَدْتُكُمْ بِاللهَّ الذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وما استرعاكم من حقه، وما استودعكم من كتابه، هل تعلمون أنه رسول الله؟ قال: فسكتوا، فقال عالمهم وكبيرهم: إنه قد عظم عليكم فأجيبوه، قالوا: فَأَنْتَ عَالِمُنَا وَكَبِيرُنَا فَأَجِبْهُ أَنْتَ، قَالَ: أَمَا إذا نشدتنا بما نشدتنا، فإنا نعلم أنه رسول الله، قلت: ويحكم إذًا هلكتم، قالوا: إنا لم نهلك، قُلْتُ: كَيْفَ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ الله وَلَا تَتْبَعُونَهُ وَلَا تُصَدِّقُونَهُ؟ قَالُوا: إِنَّ لَنَا عَدُوًّا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَسِلْمًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنَّهُ قرن بنبوته عدونا من الملائكة، قُلْتُ: وَمَنْ عَدُوُّكُمْ، وَمَنْ سِلْمُكُمْ؟ قَالُوا: عَدُوُّنَا جبريل، وسلمنا ميكائيل، قالوا: إن جبرائيل مَلَكُ الْفَظَاظَةِ وَالْغِلْظَةِ، وَالْإِعْسَارِ وَالتَّشْدِيدِ، وَالْعَذَابِ وَنَحْوِ هذا، وإن ميكائيل ملك الرحمة، والرأفة، وَالتَّخْفِيفِ، وَنَحْوِ هَذَا، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا مَنْزِلَتُهُمَا مِنْ رَبِّهِمَا ﷻ؟ قَالُوا: أَحَدُهُمَا

(1) سورة البقرة: 97.

عَنْ يمينه والآخر عن يساره، قال: فقلت: فو الذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ إِنَّهُـمَا وَالـذِي بَيْـنَهُمَا لَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمَا، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمَا، وما ينبغي لجبرائيل أَنْ يُسَالِمَ عَـدُوَّ مِيكَائِيـلَ، وَمَـا يَنْبَغِي لِمِيكَائِيلَ أن يسالم عدو جبرائيل، قال: ثُمَّ قُمْتُ فَاتَّبَعْتُ النَّبِـيَّ ﷺ، فَلَحِقْتُـهُ وَهُـوَ خَارِجٌ مِنْ خَوْخَةٍ لِبَنِي فُلَانٍ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَلَا أُقْرِئُكَ آيَاتٍ نَزَلْنَ قَبْـلُ»، فَقَـرَأَ عَلِيَّ: (مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِّ) حتى قرأ الآيات، قال: قلت: بأبي وأمي أنت يَا رَسُولَ اللهَّ، وَالذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ جئـت أنـا أريـد أن أخـبرك وأنـا أسمع اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْكَ بِالْخَبَرِ[1]. وقد صحح السيوطي في الدر المنثور[2] إسناد هذه القصة وقال: صحيح الإسناد، لكن الشعبي لم يُدرك عمر، وقال ابن حجـر: بعدما ساق طرق الحديث وهذه طرق يُقوي بعضها بعضًا[3].

وقد قيل في سبب نزول آية البقرة عِدة أقوال، فبعضهم يرى أنهـا نزلـت بعـد قصـة عمر السابقة، وبعضهم يرى أنها نزلت بعد قصة عبد الله بن سلام مـع النبـي ﷺ وقيـل غير ذلك، واستعراض هذه الأقوال والجمع بينها يطول، وقد رجَّح ابـن حجـر القـول الأول، فقال: والسياقُ يدل على أن سبب نزول الآية قـول اليهـودي المـذكور لا قصـة عبد الله بن سلام[4].

وللإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـولي الله الـدهلوي كـلام جميـل حـول هـذا الموضوع، قال منه: «وقد تحقق لدى الفقير أن الصحابة والتابعين رضي الله أجمعين كثير ما يقولون: (نزلت الآية في كذا)، ولا يكون غرضهم إلا تصوير ما تصدق عليـه الآيـة

(1) تفسير الطبري 2/ 382، تفسير ابن كثير 1/ 339.
(2) الدر المنثور 1/ 223 نشر دار الفكر، بيروت.
(3) فتح الباري مناقب عمر بن الخطاب 7/ 47.
(4) المرجع السابق 7/ 47.

من الأحداث والمعاني، وذكر بعض القصص والوقائع التي تشملها الآية الكريمة لعموم لفظها، سواء كانت القصة متقدمة على نزول الآية، أو متأخرة عنها»[1].

سبب عداوة اليهود لجبريل عليه السلام:

ولربما تساءل المرء عن سبب هذه العداوة وقال: ما سرُّ عداوتهم لجبريل عليه السلام؟

والذي اتضح لي من خلال استقراء النصوص التي وردت حول هذا الموضوع ودراستها أن هناك عدةَ أسباب لهذه العداوة، وقد تكوَّن من مجموعها هذا الحقد الذي ما زال يغشى قلوب القوم إلى اليوم، ومن أهمها:

1) أن جبريل عليه السلام ملك الفظاظة والغِلظة والإعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا -كما زعموا- وهذا ما قاله يهود لعمر بن الخطاب رضي الله عنه كما جاء في تفسير الطبري[2].

2) أن جبريل عليه السلام ينزل بالحرب وبالقتال كما قال يهود للنبي ﷺ: أَخْبِرْنَا مَنِ الَّذِي يَأْتِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَيَأْتِيهِ مَلَكٌ مِنَ عِنْدِ رَبِّه عَزَّ وَجَلَّ بِالرِّسَالَةِ، وَالْوَحْيِ، فَمَنْ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: جبريل، قَالُوا: ذَلِكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ، ذَلِكَ عَدُوُّنَا[3].

---

(1) الفوز الكبير في أصول التفسير، عرَّبه من الفارسية سلمان الحسيني الندوي، ط2، 1407هـ. نشر دار الصحوة، القاهرة.

(2) 2/ 381، تحقيق أحمد شاكر، تفسير ابن كثير 1/ 242، وقد قوى ابن حجر هذه القصة بين عمر واليهود بُطرقها في الفتح 8/ 166.

(3) قاله ابن كثير عن معاداة جبريل، تفسير القرآن العظيم 1/ 231 ط دار الفكر.

3) أن جبريل عليه السلام كان يُنزِّلُ القرآن على نبينا محمد ﷺ، وممَّا نزله من القرآن على نبينا محمد بشارة المطيعين بالثواب، وإنذار العُصاة بالعقاب، والأمر بالمحاربة والمقاتلة[1].

4) وقيل سبب العداوة أنَّ جبريل أُمِرَ أن يجعل النبوة في بني إسرائيل فجعلها في غيرهم[2]. قال الحافظ في الفتح: قيل سبب عداوة اليهود لجبريل أنَّه أُمِرَ باستمرار النبوة فيهم فنقلها لغيرهم، وقيل: لكونه يطلع على أسرارهم قلت، وأصح منها لكونه الذي ينزل بالعذاب.

5) وحكى الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنه: أنَّ عداوة اليهود لجبريل أن نبيَّهم أخبرهم أن بختنصر سيخرب بيت المقدس فبعثوا رجلا ليقتله فوجده شابًّا ضعيفًا فمنعه جبريل من قتله، وقال له إن كان الله أراد هلاككم على يده فلن تسلط عليه، وإن كان غيره فعلى أي حق تقتله؟ فتركه فكبر بختنصر وغزا بيت المقدس فقتلهم وخربه، فصاروا يكرهون جبريل لذلك[3].

المطلب الثاني: موقف الرافضة من جبريل عليه السلام:

عندما تتبعت موقف الرافضة من جبريل عليه السلام وقارنته بموقف اليهود تذكرتُ الأثرَ المنقول عن الشعبي[4]، والذي جزم بعض العلماء بصحة سنده إليه، وأكده ابن رجب عندما قال: شبهت الرافضةُ باليهود في نحو سبعين خصلة[5].

---

(1) تفسير الرازي 2/ 610.

(2) المرجع السابق 3/ 610.

(3) فتح الباري لابن حجر 8/ 166.

(4) المنهاج 1/ 29، قال شيخ الإسلام: وقد ثبت عن الشعبي أنه قاله 1/ 22، وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد 6/ 11، وتاريخ دمشق لابن عساكر 25/ 373-374.

(5) الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعث بالسيف بين يدي الساعة 1/ 44.

وإنَّ من تأمل عقيدة الرافضة في الملائكة عمومًا، وفي جبريل خصوصًا وقف على هذه الحقيقة، «فالملائكة خلقوا من نور الأئمة وهم خدم للأئمة، ومنهم طوائف قد كلفوا - بزعمهم- للعكوف على قبر الحسين.. إلخ. وتقول أخبارهم: «خلق الله من نور وجه علي بن أبي طالب سبعين ألف ملك، يستغفرون له ولمحبيه إلى يوم القيامة»، وأحيانًا يقولون: «خلق الله الملائكة من نور علي»، وقد زعموا أن من ملائكة الرحمن من لا وظيفة لهم إلا البكاء على قبر الحسين، والتردد لزيارته، قالوا: وكَّل الله بقبر الحسين أربعة آلاف ملك شعث غبرٍ يبكونه إلى يوم القيامة.

وزيارة قبر الحسين هي أمنية أهل السماء قالوا: وليس في السماوات إلا وهم يسألون الله أن يؤذن لهم في زيارة الحسين، ففوج ينزل وفوج يعرج.

وقالوا: إن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا، وجاء في آخر حديث طويل لهم: «إن جبرائيل دعا أن يكون خادمًا للأئمة، قالوا: فجبريل خادمنا.

وكيف يطلق هذا اللقب (الوضيع) فيمن وصفه الله بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠﴾[1].

ولهم دعاوى في هذا الباب كثيرة، وكأنه لا وظيفة للملائكة إلا أمر أئمتهم الاثني عشر، أو كأنهم ملائكة الأئمة لا ملائكة الله!.

ويقولون: بأن وسائد وقلائد أولادهم يأخذونها من أجنحة الملائكة، بل إن الملائكة تتولى رعاية أطفالهم، حتى قال أبو عبد الله: هم ألطف بصبياننا منا بهم.

---

(1) سورة التكوير 19/ 20.

والملائكة في أخبار الشيعة مكلفون بمسألة الولاية، ولكنهم يقولون: إنه لم يستجب منهم إلا طائفة المقربين على الرغم من أن العقوبة تحل بمن يخالف منهم أمر الولاية ـ في زعمهم ـ حتى إن أحد الملائكة عوقب بكسر جناحه لرفضه ولاية أمير المؤمنين، ولم يبرأ إلا حينما تمسح وتمرغ بمهد الحسين، ولم تشرف الملائكة - بزعمهم ـ إلا بقبولها ولاية علي»[1].

بل إنهم فيما يتعلق بجبريل عليه السلام خصوصًا تجاوزوا ما قاله اليهود، قال البغدادي متحدثًا عن الغرابية: هم قوم زعموا أن الله عز وجل أرسل جبريل عليه السلام إلى علي فغلط في طريقه فذهب إلى محمد؛ لأنه كان يشبهه، وقالوا كان أشبه به من الغراب بالغراب، والذباب بالذباب، وزعموا أن عليًّا كان الرسول وأولاده بعده هم الرسل، وهذه الفرقة تقول لأتباعها: العنوا صاحب الريش يعنون جبريل عليه السلام، وكفر هذه الفرقة أكثر من كفر اليهود الذين قالوا لرسول الله ﷺ: من يأتيك بالوحي من الله تعالى فقال: جبريل فقالوا: إنا لا نحب جبريل؛ لأنه ينزل بالعذاب، وقالوا: لو أتاك بالوحي ميخائيل الذي لا ينزل إلا بالرحمة لآمنا بك، فاليهود مع كفرهم بالنبي ﷺ ومع عداوتهم لجبريل عليه السلام لا يلعنون جبريل، وإنما يزعمون أنه من ملائكة العذاب دون الرحمة، والغرابية من الرافضة يلعنون جبريلَ ومحمدًا عليهما السلام، وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ

(1) أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية عرض ونقد 2/ 582-583.

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾[1]، وفي هذا تحقيق اسم الكافر لمبغض بعض الملائكة، ولا يجوز إدخال من سماهم الله كافرين في جملة فرق المسلمين[2].

وقال أبو محمد بن حزم: بعد ما حكى مقالتهم عن جبريل وأنه أخطأ بنزوله بالوحي على محمد: فهل سمع بأضعف عقولاً، وأتم رقاعة من قوم يقولون: إن محمدًا ﷺ كان يشبه علي بن أبي طالب في الناس، أين يقع شبه ابن أربعين سنة من صبي ابن إحدى عشرة سنة، حتى يغلط به جبريل عليه السلام، ثم محمد عليه السلام فوق الربعة إلى الطول، قويم القناة، كث اللحية، أدعج العينين، ممتلئ الساقين ﷺ، قليل شعر الجسد، أفرع، وعلي دون الربعة إلى القصر، منكب شديد الانكباب، كأنه كسر ثم جبر، عظيم اللحية، قد ملئت صدره من منكب إلى منكب إذ التحى، ثقيل العينين دقيق الساقين، أصلع عظيم الصلع، ليس في رأسه شعر إلا في مؤخره، يسير شعر اللحية، فأعجبوا لحمق هذه الطبقة، ثم لو جاز أن يغلط جبريل وحاشا لروح القدس الأمين كيف غفل الله ﷻ عن تقويمه وتنبيهه، وتركه على غلطه ثلاثًا وعشرين سنة، ثم أظرف من هذا كله من أخبرهم بهذا الخبر، ومن خرفهم بهذه الخرافة، وهذا لا يعرفه إلا من شاهد أمر الله تعالى لجبريل عليه السلام، ثم شاهد خلافه، فعلى هؤلاء لعنة الله، ولعنة اللاعنين، ولعنة الناس أجمعين ما دام لله في عالمه خلق[3].

---

(1) سورة البقرة: 97.

(2) الفرق بين الفرق ص 237، وبمثل قوله قال الاسفرائيني في التبصير في الدين ص 128.

(3) الفصل في الملل والنحل 5/ 43، نشر دار الجيل ط1، هـ1405، تحقيق د. محمد لغرة و عبد الرحمن عميرة.

ونظرًا لشناعة هذه الفرية فقد كان لعلماء المسلمين وولاتهم موقفٌ حازمٌ من هؤلاء. أما العلماء فقد حكموا بكفر من قال هذه المقالة، وقد سبق قول البغدادي: «كفر هذه الفرقة أكثر من كفر اليهود»[1].

وابن حزم[2] في الفصل وقال العتبي: وسُئِلَ سحنون عمن قال: إن جبريل أخطأ بالوحي، وإنما كان لعلي بن أبي طالب إلا أن جبريل أخطأ بالوحي، هل يستتاب أو يقتل أو يقتل ولا يُستتاب؟ قال بل يستتاب فإن تاب وإلاَّ قُتِلَ [3].

وقال ابن كثير: من عادى جبريل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله بإذنه له في ذلك، فهو رسول من رسل الله ملكي عليه وعلى سائر إخوانه من الملائكة السلام، ومن عادى رسولاً فقد عادى جميع الرسل، كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل، كما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ ﴾[4]، فحكم عليهم بالكفر المحقق؛ إذ آمنوا ببعض الرسل، وكفروا ببعضهم، وكذلك من عادى جبريل فإنه عدو لله؛ لأن جبريل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه،

(1) الفرق بين الفرق ص 237.
(2) الفصل في الملل والنحل 5/ 43.
(3) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج 3/ 479.
(4) سورة النساء: 150/ 151

وإنما ينزل بأمر ربه كما قال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[2][3].

أما الولاة فقد وقفوا من هؤلاء المفترين موقفًا حازمًا، فقد ذكر ابن كثير أنه في صبيحة يوم الاثنين الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة أربع وأربعين وسبعمائة قتل بسوق الخيل حسن ابن الشيخ محمد السكاكيني، على ما ظهر منه من الرفض الدال على الكفر المحض، شهد عليه عند القاضي شرف الدين المالكي بشهادات كثيرة تدل على كفره، وأنه رافضي جلد، فمن ذلك تكفير الشيخين - رضي الله عنهما - وقذفه أمي المؤمنين؛ عائشة وحفصة -رضي الله عنهما- وزعم أن جبريل غلط فأوحى إلى محمد، وإنما كان مرسلاً إلى علي، وغير ذلك من الأقوال الباطلة القبيحة، قبحه الله، وقد فعل[4].

والغريب أن الرافضة مع كرههم وبغضهم لجبريل ﷺ إلاَّ أنهم يؤمنون أنه ناجى عليًّا، وأوحى إليه، فقد ذكر محمد بن حسن الصفار شيخ الكليني وأستاذه الذي يعدونه من أصحاب إمامهم الحادي عشر - حسب زعمهم - روايات كثيرة في صحيحه لإثبات نزول الوحي على أئمتهم، ونزول الملائكة عليهم تحت عناوين في

(1) سورة مريم 64.
(2) سورة الشعراء: 192-194.
(3) تفسير القرآن العظيم 1/ 231، ط دار الفكر.
(4) البداية والنهاية 14/ 244.

أبـواب شـتى، منهـا مـا رواهـا عـن حمـران بـن أعـين أنـه قـال: قلـت لأبي **عبـد الله** (جعفر)عليه السلام: جعلت فداك بلغني أن الله تعالى قد ناجى عليًّا عليه السلام؟ **قال: نعم**: قـد كـان بينهما مناجاة في الطائف نزل بينهما جبريل[1].

ومن المفارقات العجيبة أن الرافضة يحبون المختار بن أبي عبيد؛ لكونه انتقم من قتلة الحسين رضي الله عنه مع العلم أن المختار كان يدَّعي أن جبريل يأتيه، وكان يقول: قـام الآن عـن هذه الوسادة جبريل، وعن الأخرى ميكائيل[2].

(1) بصائر الدرجات للصفار، الباب السادس عشر ص 430 ط/ إيران.

(2) ذكر ذلك الذهبي في العبر في خبر من غبر 1/ 55، وابن الجـوزي في المنـتظم في تـاريخ الملـوك والأمـم 6/ 67، المقدسي في البدء والتاريخ 6/ 22، ابن كثير في البداية والنهاية 8/ 321.

الخاتمة

الحمد لله تعالى تمت بنعمته الصالحات، وتيسرت بفضله هذه الورقات حول هذا الموضوع المهم من مواضيع الاعتقاد، وقد تجولت من خلال هذا البحث في رياض العلم، فكانت هذه البضاعة التي أرجو من الله أن يتقبلها قبولاً حسنًا؛ إنه هو السميع العليم.

وقد انتهيت في هذا المبحث إلى النتائج والتوصيات التالية:

• أهمية تناول هذا الموضوع موضوع الملائكة بالدراسة والتحليل؛ فهو الركن الثاني من أركان الإيمان، ومن الإيمان بهذا الركن الإيمان المفصل الذي يضع القارئ أمام عالم الملائكة بصورته الحقيقية التي جاءت في كتاب الله تعالى، وسُنة رسوله ﷺ.

• اتضحت من خلال هذا البحث العلاقة الوثيقة والمشابهة اللصيقة بين اليهود والرافضة، مع أنَّ الشعبي رحمه الله تعالى رسمها منذ قرون، ووضوح معالم هذه العلاقة ترسم الطريق للأمة في التعامل مع القوم.

• استبانة طريق المجرمين منهج شرعي، وبيان هذا الطريق واجبٌ شرعي على الباحثين من العلماء والمفكرين والمثقفين؛ ليحيى من حيَّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

• اتضحت خلال هذا البحث المعاناة الشديدة التي لقيها بأبي هو وأمي سيدنا محمد ﷺ عند تلقي الوحي في بدايات التلقي حتى لقي الله تعالى، وتوضيح هذه المعاناة وكشفها للقاري يزيد الذين آمنوا ايمانًا والذين اهتدوا زادهم هدى، فمن شأن ذلك أن ثبتت أقدام، وتستمسكُ أممٌ بهذا الدين عند استشعار معاناةِ المربي الأول ﷺ.

فهرس المصادر والمراجع

1) **أسباب نزول القرآن**: لأبي الحسن علي الواحدي، تحقيق عصام الحميدان: نشر دار الإصلاح. الدمام. ط2/ 1413هـ.
2) **الاستذكار**: لابن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض. نشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
3) **الأسماء والصفات**: للبيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، نشر: مكتبة السوادي، جدة.
4) **أصول الشيعة الاثني عشرية**: للأستاذ الدكتور ناصر القفاري، دون دار نشر ط1414هـ.
5) **البدء والتاريخ**: للمطهر المقدسي، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
6) **البداية والنهاية**: لابن كثير، المحقق: علي شيري. نشر: دار إحياء التراث العربي.
7) **بصائر الدرجات**: للصفار ط/ إيران.
8) **تاريخ دمشق**: لأبي القاسم علي ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
9) **التبصير في الدين**: لطاهر بن محمد الاسفرائيني، المحقق: كمال يوسف الحوت، نشر: عالم الكتب – لبنان.
10) **تفسير الجامع لأحكام القرآن**: لأبي عبد الله محمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.

11) **تفسير مفاتيح الغيب**: لأبي عبد الله محمد الرازي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
12) **تنوير الحوالك**: لجلال الدين السيوطي، نشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر.
13) **تهذيب الأسماء واللغات**: لأبي زكريا محي الدين النووي، ط– دار الكتب العلمية– بيروت.
14) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: لعبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة.
15) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي، نشر: دار هجر للطباعة والنشر.
16) **الجامع الصحيح للسنن والمسانيد**: لصهيب عبد الجبار.
17) **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**: لشيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، نشر: دار العاصمة، السعودية.
18) **الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعث بالسيف بين يدي الساعة**: لابن رجب الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، نشر: دار المأمون – دمشق.
19) **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**: لجلال الدين السيوطي، نشر دار الفكر. بيروت.
20) **دلائل البنوة**: للبيهقي، تحقيق دار الكتب العلمية - بيروت.
21) **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**: لمحمد علي البكري الشافعي، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

22) **الروض الأنف**: لأبي القاسم السُهيلي، تحقيق: عمر السلامي، ط1، 1421هـ. دار إحياء التراث العربي.

23) **زاد المعاد في هدي خير العباد**: لابن قيم الجوزية، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

24) **سبل الهدى والرشاد في سير خير العباد**: لمحمد يوسف الشامي، تحقيق عادل عبد الموجود، ط1، 1414هـ. بيروت.

25) **السيرة النبوية**: لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، نشر: دار المعرفة، بيروت. ط1، 1395هـ.

26) **السيرة النبوية**: لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

27) **شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى**: لأبي القاسم شهاب الدين أبي شامة، تحقيق: جمال عزون، نشر مكتبة العمرين الإمارات، ط1، 1420هـ.

28) **شرح السنة**: للبغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش، نشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيرو.

29) **شرح رياض الصالحين**: للشيخ محمد بن صالح العثيمين، نشر: دار الوطن للنشر، الرياض.

30) **شرح صحيح البخاري**: لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف، حققه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، نشر مكتبة الرشد، ط2، 1423هـ.

31) **شعب الإيمان**: للبيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي ــ الهند. نشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.

32) **صحيح ابن حبان ـ محققا**: حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط. نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

33) **صحيح البخاري**: لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

34) **صحيح الجامع الصغير وزياداته**: للألباني. نشر: المكتب الإسلامي.

35) **صحيح مسلم**: لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

36) **الطبقات الكبرى**: لابن سعد، المحقق: إحسان عباس. نشر: دار صادر – بيروت.

37) **طرح التقريب في شرح التقريب**: لأبي الفضل زين الدين العراقي، نشر: الطبعة المصرية القديمة – وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).

38) **العبر في خبر من غبر**: للذهبي، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

39) **العهد القديم (سفر التكوين)**.
40) **العهد القديم (سفر الملوك)**.
41) **العهد القديم (سفر أيوب)**.
42) **العهد القديم (سنن أبو داود)**.
43) **الفتاوى الكبرى**: لشيخ الإسلام ابن تيمية، نشر: دار الكتب العلمية.
44) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لابن حجر، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وسبعة آخرون، نشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية.
45) **الفرق بين الفرق**: للبغدادي، نشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت.
46) **الفصل في الملل والنحل**: لأبي محمد بن حزم، نشر دار الجيل، ط1، 1405هـ، تحقيق د. محمد لغرة، وعبد الرحمن عميرة.
47) **الفوز الكبير في أصول التفسير**: عرَّبه من الفارسية سلمان الحسيني الندوي، ط2، 1407هـ، نشر: دار الصحوة، القاهرة.
48) **القرآن العظيم**: لابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت.
49) **القول المفيد**: شرح كتاب التوحيد للعلامة محمد العثيمين، نشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.
50) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: لأبي القاسم محمود الزمخشري، نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت ط3، 1407هـ.
51) **كشف المشكل من حديث الصحيحين**: لابن الجوزي، تحقيق: علي حسبن البواب، نشر: دار الوطن ـ الرياض.

52) **لطائف المعارف**: لابن رجب الحنبلي، نشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر.

53) **لله ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار**: لحسين الموسوي، نشر: دار الأمل.

54) **مجموع الرسائل والمسائل**: لشيخ الإسلام لابن تيمية، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، نشر: لجنة التراث العربي.

55) **مجموعة الفتاوى**: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

56) **المحرر في تفسير الكتاب العزيز**: لابن عطية، تحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

57) **مختار الصحاح**: تحقيق: يوسف الشيخ محمد، نشر المكتبة العصرية، بيروت ط5، 1420هـ.

58) **مختصر السيرة النبوية**: للدمياطي، تحقيق: سعد محمد الطيب، ط1، 1416هـ. دار الصابوني، حلب، سوريا.

59) **المزامير**.

60) **المستدرك على الصحيحين**: لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

61) **مسند أبي يعلى**: تحقيق: حسين سليم أسد، نشر: دار المأمون للتراث – دمشق.

62) **مسند أحمد**: المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة.

63) **منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري**: لحمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية.

64) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**: لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

65) **منهاج السنة النبوية**: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

66) **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**: د. عبد الوهاب المسيري، أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء.

67) **موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج**: لأبي سهل محمد المغراوي، نشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، النبلاء للكتاب، مراكش – المغرب.

68) **الوحي المحمدي**: لعمر رشيد رضا، ط1، 1989م. نشر دار الكتاب الجزائر.

69) **وظائف رمضان**: لابن قاسم، بدون دار نشر.

دلالات حديث المعارضة والمدارسة وسياقاته

د. شكري مجولي
دكتوراه في علوم القرءان

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، والصلاة والسلام على خير خلقه، وصفوة بشره، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

وبعد:

فإن فنون العلوم تدور في الشرف والرفعة والأهمية مع موضوعاتها المتعلقة بها، وتسمو وتعظم بعظم تلك العلوم، وشرف العلم بشرف المعلوم.

إن العلـــوم إن جلـــت محاســـنها ... فتاجُها مـا بـه الإيـمان قـد وجبـا
هـــو الكتـــاب العزيـــز الله يحفظـــه ... وبعـــد ذلـــك علـــم فـــرج الكربـــا
فذاك فـاعلم حـديث المصـطفى فبـه ... نـور النبـوة سـن الشـــرع والأدبـا
وبعـــد هـــذه علـــوم لا إنتهـــاء لهـــا ... فـاختر لنفسـك يـامن آثـرا لطلبـا
والعلـــم كنـــز تجـــده في معادنـــه ... يأيهـا الطالـب ابحـث وانظر الكتبـا
واتـــل بفهـــم كتـــاب الله فيـــه أتـــت ... كـــل العلـــوم تـــدبره تـــرى العجبـــا
واقرأ هديت حديث المصطفى وسلن ... مولاك ما تشتهي يقضـــي لـك الأربـا
مـــن ذاق طعـــما لعلـــم الـــدين سر بـــه ... إذا تزيـــد منـــه قـــال واطربـــا[1]

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج1/ 51 .

يعتبر حديث المدارسة (المعارضة) المشهور، أنموذج المراجعة السنوية للقرآن الكريم من جهةٍ، ولما يتضمنه من دلالاتٍ متميزةٍ من حيث التلقي والمشافهة وأسلوب العرض والسماع لألفاظ القرآن الكريم من جهةٍ أخرى؛ ولبيان هدا الأخـد و الاسـتقبال فقـد لزم تناوله بالبحث والتحليل، لذا عقدت هذا المبحث، وقسمته إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: متن الحديث برواياته المختلفة.

المطلب الثاني: الدلالات العامة لحديث المعارضة.

المطلب الثالث: متضَمَّنات المعارضة.

المطلب الرابع: المقتضى المنهجي لحديث المعارضة.

المطلب الأول: متن الحديث برواياته المختلفة:

المطلب الأول: متن الحديث بروياته المختلفة

- حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ »[1].

- حَدَّثَنَا يَعْلَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: « كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ الْكِتَابَ عَلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ، فَإِذَا أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلَةِ الَّتِي يَعْرِضُ فِيهَا مَا يَعْرِضُ، أَصْبَحَ وَهُوَ أَجْوَدُ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ، لَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ إِلا أَعْطَاهُ، فَلَمَّا كَانَ فِي الشَّهْرِ الَّذِي هَلَكَ بَعْدَهُ، عَرَضَ عَلَيْهِ عَرْضَتَيْنِ »[2].

---

(1) إسناده صحيح، أبو كامل: هو مظفر بن مُدْرِك الخراساني نزيل بغداد، روى له الترمذي والنسائي وهو ثقة متقن كان لا يحدث إلا عن ثقة، ومن فوقه ثقات من رجال الشيخين.
وأخرجه ابن سعد 2/ 195، وابن أبي شيبة 9/ 102، والبخاري (1902) و (4997)، ومسلم (2308)، والترمذي في «الشمائل» (346)، وابن خزيمة (1889)، وأبو عوانة في المناقب كما في «إتحاف المهرة» 3/ ورقة 59، وابن حبان (3440)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» ص50، والبيهقي 4/ 305 من طرق عن إبراهيم بن سعد، بهذا الإسناد.

(2) حديث صحيح، ابن إسحاق متابع، وباقي رجاله على شرط الشيخين. يعلى: هو ابن عبيد الطنافسي.
وأخرجه ابن سعد 2/ 195، وابن أبي شيبة 9/ 101-102 و11/ 515، وعبد بن حميد (647) عن يعلى بن عبيد، بهذا الإسناد.

– حَدَّثَنَا عَتَّابٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الله، قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ الله بْنُ عَبْدِ الله، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ « أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَى جِبْرِيلَ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ »، قَالَ: « فَلَرَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ »[1].

– حدثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك ببغداد، ثنا حامد بن سهل الثغري، ثنا غارم بن الفضل، ثنا حماد بن زيد، عن أيوب و معمر و النعمان بن راشد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما لعن رسول الله ﷺ مسلما من لعنة تذكر، ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله، و لا سئل عن شيء قط فمنعه إلا أن يسئل مأثما كان أبعد منه، ولا انتقم لنفسه من شيء قط يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم، و لا خُيِّرَ بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما، وكان إذا أحدث العهد بجبريل يدارسه كان أجود الناس بالخير من الريح المرسلة[2].

– حدثنا أبو نعيم: حدثنا زكريّا، عن فراس،عن عامر الشعبي،عن مسروق،عن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: مرحباً يا ابنتي ثم أجلسها عن يمينه ، أو عن شماله ثم أسر إليها حديثاً

(1) إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عتاب ـ وهو ابن زياد الخراساني ـ فمن رجال ابن ماجه، وهو ثقة. عبد الله: هو ابن المبارك، ويونس: هو ابن يزيد الأيلي، وعبيد الله بن عبد الله: هو ابن عتبة بن مسعود الهذلي.

وأخرجه البخاري (6) و (3220) و (3554) ، ومسلم (2308) ، والبيهقي في «الدلائل» 1/ 326 من طرق عن عبد الله بن المبارك، بهذا الإسناد.

وأخرجه النسائي في «المجتبى» 4/ 125، وفي «الكبرى» (7993) ، وابن حبان (6370) من طريق عبد الله بن وهب، عن يونس، به. وانظر (2042) .

(2) المستدرك على الصحيحين كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين حديث4223 2/ 670.

فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقربَ من حزن فسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى قُبض النبي صلى الله عليه وسلم فسألتها فقالت: أسَرَّ إلي «أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي». فبكيت، فقال أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة ـ أو نساء المؤمنين ـ فضحكت لذلك[1].

- حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «كَانَ يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ القُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، وَكَانَ يَعْتَكِفُ كُلَّ عَامٍ عَشْرًا، فَاعْتَكَفَ عِشْرِينَ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فيه»[2].

- أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ رَاشِدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ لَعْنَةٍ تُذْكَرُ، وَكَانَ إِذَا كَانَ قَرِيبَ عَهْدٍ بِجِبْرِيلَ يُدَارِسُهُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ[3].

---

(1) صحيح البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام حديث 3623-3624 ص 692.

(2) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن الكريم باب:كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ حديث 4998 ص 994.

(3) السنن الكبرى للنسائي كتاب الصيام باب الفضل والجود في شهر رمضان ح 2417 ج3/ 92،تفرد به النسائي من بين أصحاب الكتب الستة .

- أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، فَكَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ[1].

(1) السنن الكبرى للنسائي كتاب فضائل القرآن باب عرض جبريل القرآن ح 7938 ج 7/ 247 .

المطلب الثاني: الدلالات العامة لحديث المعارضة والدلالات المستنبطة من هذا الحديث هي:

اعتماد اسلوب المدارسة منهجا لتعليم وتعلم ألفاظ القرآن الكريم: فقد تعددت روايات الحديث في تصوير هذا المنهج الوصفي التعليمي بين جبريل عليه السلام والنبي ﷺ، فوصفه بعضهم بأنه (مدارسة)، وبعضهم بأنه (معارضة)، وبعضهم (يعرض عليه القرآن)، وبعضهم أبهم الفاعل.

ولفظ المدارسة يحتمل أن كلاً منهما كان يعرض على الآخر، وفي رواية: يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، وفي رواية: يَعرض على النبي ﷺ القرآن[1]. أي: جبريل عليه السلام. فهاتان الروايتان صريحتان في أن كلاً منهما كان يعرض على الآخر.

قال الكوثري:[2] والمعارضة تكون بقراءة هذا مرة واستماع ذاك، ثم قراءة ذاك واستماع هذا، تحقيقًا لِمعنى المشاركة.

وهذه الأوصاف مستلزمةٌ اسْتِخْراج كُنْهِ معانيها اللغوية والاصطلاحية، للتمكن من تحليل هذا المنهج التعليمي المتميز، والخروج بنتائج علمية عملية تترتب عليه.

أصل (الدراسة): الرياضة والتعهد للشيء. والفعل (درس) يطلق على عدة معان، ومن جملة ما يطلق عليه معنى: القراءة؛ يقال: دَرَسَ الكتابَ يَدْرُسُه دَرْساً ودِراسَةً

---

(1) سلف تخريج الحديثين انظر ص 3-4 من البحث .

(2) هو الفقيه الحنفي محمد زاهد الكوثري، جركسي الأصل، ولد بالأستانة سنة 1296هـ، له اشتغال بالأدب والسير، وله تعليقات كثيرة على كتب الفقه والحديث والرجال، وكذلك له مؤلفات عديدة في مختلف ميادين الشريعة. توفي بمصر سنة 1371هـ. الأعلام للزركلي (6/ 129).

ودارَسَه : إذا قرأه، حتى انقاد لحفظه ؛ ودارس الكتاب مدارسة ودراساً: درسه؛ ودارس فلاناً: قارَأه وذاكره؛ وتدارس الكتاب: درسه وتعهده بالقراءة والحفظ لئلا ينساه.

وهذه الأوصاف مستلزمةٌ اسْتِخْراج كُنْهِ معانيها اللغوية والاصطلاحية، للتمكن من تحليل هذا المنهج التعليمي المتميز، والخروج بنتائج علمية عملية تترتب عليه.

أصل (الدراسة): الرياضة والتعهد للشيء. والفعل (درس) يطلق على عدة معان، ومن جملة ما يطلق عليه معنى: القراءة؛ يقال: دَرَسَ الكتابَ يَدْرُسُه دَرْساً ودِراسَةً ودارَسَه: إذا قرأه، حتى انقاد لحفظه؛ ودارس الكتاب مدارسة ودراساً: درسه؛ ودارس فلاناً: قارَأه وذاكره؛ وتدارس الكتاب: درسه وتعهده بالقراءة والحفظ لئلا ينساه.

والمِدْراسُ والمِدْرَسُ: الموضع الذي يُدْرَسُ فيه. والمَدْرَسُ: الكتابُ يُدرس فيه العلم؛ والمِدْراسُ: البيت الذي يُدْرَسُ فيه القرآن ، والمُدارِسُ: الذي قرأَ الكتب ودَرَسَها ، ودارَسْت الكتبَ وتَدارَسْتُها وادَّارَسْتُها أَي دَرَسْتُها. ودَرَسْتُ الكتاب أَدْرُسُه دَرْساً أَي ذللته بكثرة القراءة حتى خَفَّ حفظه عليَّ، من ذلك؛ قال كعب بن زهير:

وفي الحِلم إِدْهانٌ وفي العَفْوِ دُرْسَةٌ وفي الصِّدْقِ مَنْجاةٌ من الشَّرِّ

وفي الحديث: «تَدارَسُوا القرآن»[2] ؛ أَي اقرأُوه وتعهدوه لئلا تَنْسَوْهُ.

---

(1) ديوان زهير بن أبي سلمى ص 72 قصيدة يوم تلاقيت الصبا أن يفوتني من بحر الطويل، وقد أخطأ ابن أخطأ ابن منظور حين نسبها لكعب بن زهير.

(2) صحيح مسلم رقم 791 ج1/ 545

والمُدَرِّس الكثير الدرس والتلاوة في الكتاب؛ ويقال: سمي إِدْرِيس، عليه السلام، لكثرة دِراسَتِه كتابَ اللهَّ تعالى، والمدرسة: مشتقة من كل ذلك، وتجمع على مدارس[1].

(يدارسه) من المدارسة من باب المفاعلة الدالة على حصول الفعل من جانبين أو أكثر ، بمعنى أن الفعل يكون بين اثنين أو أكثر على وجه الاشتراك، كالمخاصمة والمشاركة والمضاربة؛ تقول: خاصم زيد عمراً؛ وشارك الطلاب في المسابقة، وضارب الفقراء الأغنياء، كل ذلك يدل على التشارك في تلك الأفعال ونحوها، وبحسب هذه الصيغة جاء لفظ المدارسة: بمعنى المقارأة، وقرأ ابن كثير[2] ، وأبو عمرو البصري[3] (وليقولوا دارست)[4] على صيغة المفاعلة وبفتح التاء أي يقولون : قرأت وقرئ

(1) لسان العرب ج6 ص 79/ 80

(2) الإمام ابن كثير المكي: هو عبد الله بن كثير بن المطلب كذا رفع نسبه الداني بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز الإمام أبو معبد المكي الداري إمام أهل مكة في القراءة.
ولد بمكة سنة خمس وأربعين. ولقي بها عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك ... كان فصيحا بليغا وكان أعلم بالعربية من مجاهد. قال بن مجاهد: ولم يزل عبد الله هو الإمام المجتمع عليه في القراءة بمكة حتى مات سنة عشرين ومائة. الغاية، ج 1 ص 443-444 ترجمة انظر سير اعلام النبلاء ج5/ 318

(3) أبو عمرو بن العلاء المازني البصري المقرئ النحوي ، شيخ القراء بالبصرة ،اسمه زبان على الصحيح، أخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل البصرة، عرض بمكة على مجاهد،وسعيد بن جبير وعطاء وغيرهم توفي سنى (154).انظر معرفة القراء الكبار للذهبي (1/ 223)، وأحاسن الأخبار لابن وهبان(ص377).

(4) الأنعام (105) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو (دارست) كفاعلت، وقرأ ابن عامر ويعقوب (درست) باسكان من غير ألف وفتح السين كخرجت، وقرأ الباقون (درست) بفتح التاء وإسكان السين من غير ألف كَخَرَجْتَ. انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب 1/ 443

عليك، أي دارست أهل الكتاب وذاكرتهم في عمله أي يقرأ كل واحد على الآخر، ومن ذلك:

أ- أن المدارسة تستوجب الفهم الدقيق إذ الفهم عبارة عن جودة الذهن من جهة تهيئته لاقتناص كل ما يرد عليه من المطالب ، ولا بد من أن يُجْمَع ذاك إلى سلامة المعنى وحسنه ودقته ، جزالةَ اللفظ وطلاوته وقوته،كما جاء عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر: (ألا أخبركم عن من صحبت؟! صحبت عمر بن الخطاب، فما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله، ولا أحسن مدارسةً منه)[1].

فليس المعنى هو المعتبر في المدارسة فقط، بل لايتوصل إليه إلا عبر اللفظ،لأن اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، فإن كان هذا اللفظ هو كلام الله ـ عز وجل ـ كان من البدهي أن لكل حرفٍ فيه دلالته التي لا يقوم غيره فيها مقامه.

ب- والمدارسة الرمضانية هي الأساس الشرعي المنهجي للعرضة الثانية، والثالثة للقرآن الكريم من الطالب على شيخه كما هو معمول به عند المسلمين، تدقيقاً للفظ وتأكيداً للحفظ، وتثبتاً من الأداء.

---

(1) (المزي) أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن ت 742 هـ: تهذيب الكمال 23/ 472، مراجعة: بشار عواد معروف، 1400هـ-1980م، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، وقد رواه البخاري في التاريخ الكبير 7/ 175، ومما يلزم إضافته في سياق تقرير المعنى المشار إليه: أن قبيصة قد تأثر بصحبة هؤلاء الأساتذة، فكان كما قال عبد الملك بن عمير إذا ذكر الفصحاء: «فصحاء الناس ثلاثة: الحسن البصري، وموسى بن طلحة القرشي، وقبيصة بن جابر الأسدي » تهذيب الكمال 23/ 472.

– التأكيد على الحفظ والاستظهار والتلقي والنقل في حق الرسول ﷺ، والحاجة لهذه المنهجية المعتمدة كأسلوب معياري رصين في حق الأمة يتوارثه الأجيال جيلا بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، تطبيقا لقاعدة (مَن يحفظ حجَّة على مَن لا يحفظ)[1].

...فَالإِنْسَانُ لَيْسَ يَشْرُفُ إِلاَّ بِمَا يَحْفَظُهُ وَيَعْرِفُ[2].

ذلك أن الله قد تكفل بإقراء النبي صلى الله عليه وسلم على هيئة قراءة جبريل عليه السلام لفظاً وأداء أولاً، ثم)تكفل بعدم نِسِّيه من صدره ثانياً، ثم بحفظ كتابه ثالثاً ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[3] . وعلى الرغم من ذلك فقد كانت المعارضة السنوية للقرآن الكريم تأخذ مجراها الدوري، مع جملة تأكيدات فيها على غايتها وفحواها[4]، كتكرار المعارضة مرتين في العام الذي توفي فيه، واستمرارها في كل ليلة من شهر رمضان مع أنه كان يمكن الاكتفاء ببعض المجالس سواء كرر جميع القرآن كل ليلة، أو فرقه على الليالي وهو الأظهر وهو ما أكده الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في شرحه لهذا الحديث حيث قال: «واستحباب الإكثار من القراءة في رمضان وكونها أفضل من سائر الأذكار؛

(1) توجيه النظر إلى أصول الأثر للشيخ طاهر الجزائري الدمشقي ص 264

(2) متن طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري البيت 5

(3) سورة الأعلى الآية 6

(4) ولذا قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: «وفيه استحباب تكثير العبادة في آخر العمر، ومذاكرة الفاضل بالخير والعلم، وإن كان هو لا يخفى عليه ذلك لزيادة التذكرة والاتعاظ، وفيه أن ليل رمضان أفضل من نهاره، وأن المقصود من التلاوة الحضور والفهم، لأن الليل مظنة ذلك لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية ».

إذ لو كان الذكر أفضل أو مساوياً لفُعِلا، فإن اعتُرض بأن المقصود تجويد الحفظ، قلنا: الحفظ كان حاصلاً، والزيادة فيه تحصل ببعض المجالس »[1].

وهل للاعتكاف علاقة بعرض القرآن؟ ذاك ما لا يمكن نفيه أو إثباته، ولكن العلاقة طردية بين الاعتكاف وعرض القرآن[2] ، ومتضَمَّن الاعتكاف الذي يجعل تلاوة القرآن من أساساته، والانقطاع لله ـ عز وجل ـ من أوصافه الذاتية[3] قد يوحيان بهذه العلاقة.

– تأكيد المعارضة السنوية، وتعويضها عند فواتها لعارض: فقد اختلف في سبب معارضته ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرتين في العام الذي توفي بعده، ولا شك أن مجرد العلم الإلهي بوفاته سبب كافٍ في التأكيد على أصل أصول الدين، ويجعل ذلك كالمقطوع به استنباطه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث قالت ابنته فاطمة رضي الله عنها: (أخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة وإنه قد عارضني به العام مرتين ولا أرى الأجل إلا قد اقترب)، لكن هذا لا يفسر اعتكافه مرتين على المستوى ذاته من القوة وقد عرض ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ اختلاف العلماء في سبب اعتكافه في العام الذي توفي بعده عشرين يوماً فقال: «قيل: السبب في ذلك أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري 31/ 1.

(2) حيث كان يعرض القرآن مرة، ويعتكف عشرة أيام، فلما عرضه مرتين اعتكف عشرين يوماً. سلف تخريج الحديث

(3) حتى أن اعتكاف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان تصاحبه شدةٌ في التبتل، قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في الفتح 4/ 285: «وقد روى ابن المنذر عن ابن شهاب أنه كان يقول: عجباً للمسلمين ، تركوا الاعتكاف والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يتركه منذ دخل المدينة حتى قبضه الله »، وقال مالك: « أنه لم يعلم أن أحداً من السلف اعتكف إلا أبا بكر بن عبد الرحمن، وأن تركهم لذلك لما فيه من الشدة».

علم بانقضاء أجله، فأراد أن يستكثر من أعمال الخير؛ ليبين لأمته الاجتهاد في العمل إذا بلغوا أقصى العمل ليلقوا الله ـ عز وجل ـ على خير أحوالهم ، وقيل: السبب فيه أن جبريل ـ عليه السلام ـ كان يعارضه بالقرآن في كل رمضان مرة، فلما كان العام الذي قُبِضَ فيه عارضه به مرتين؛ فلذلك اعتكف قدر ما كان يعتكف مرتين، ويؤيده أن عند ابن ماجة: (وكان يعرض عليه القرآن في كل عام مرةً، فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين)[1]، وقال ابن العربي: يحتمل أن يكون سببُ ذلك أنه لما ترك الاعتكاف في العشر الأخير بسبب ما وقع من أزواجه، واعتكف بدله عشراً من شوال ـ اعتكف في العام الذي يليه عشرين ليتحقق قضاء العشر في رمضان انتهى، وأقوى من ذلك أنه إنما اعتكف في ذلك العام عشرين لأنه كان العام الذي قبله مسافراً، ويدل لذلك ما أخرجه النسائي وللفظ له وأبو داود وصححه ابن حبان وغيره من حديث بن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فسافر عاماً فلم يعتكف فلما كان العام المقبل اعتكف عشرين، وقال في موضع آخر: ويحتمل أيضاً أن يكون السر في ذلك أن رمضان من السنة الأولى لم يقع فيه مدارسة لوقوع ابتداء النزول في رمضان ثم فتر الوحي، ثم تتابع، فوقعت المدارسة في السنة الأخيرة مرتين ليستوي عدد السنين والعرض، ويحتمل تعدد هذه القصة بتعدد السبب، فيكون مرة بسبب ترك الاعتكاف لعذر السفر، ومرة بسبب عرض القرآن مرتين»[2].

---

(1) سنن ابن ماجة 2/ 345.

(2) فتح الباري 4/ 285.

وقد ظهر أن من بين الأقوال الخمسة المذكورة في التعليل لاعتكافه عشرين يوماً قولان يرجعان إلى علاقة الاعتكاف بالقرآن الكريم.

وهل كانت المعارضة تتم قبل أن يُفرض صيام رمضان؟ الظاهر من قول ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: (وكان جبريل ـ عليه السلام ـ يلقاه كل ليلةٍ في رمضان حتى ينسلخ [كان يلقاه في كل سنة في رمضان])[1] ـ أن المعارضة كانت تتم في كل رمضان حتى قبل أن يفرض صيامه، ويقوي ذلك رواية (من)؛ فإن (من) هاهنا إما لابتداء الغاية الزمانية على قول من يجيزها أي من ابتداء شهر رمضان فيه بعد نبوته إلى آخر رمضان قبل وفاته، وفيه إدماج معنى الحرفين في التقدير، أو أن (من) لبيان الجنس فيصدق على جميع رمضانات النبوة[2].

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: «وهذا ظاهرٌ في أنه كان يلقاه كذلك في كل رمضان منذ أنزل عليه القرآن، ولا يختص ذلك برمضانات الهجرة، وإن كان صيام شهر رمضان إنما فُرِض بعد الهجرة؛ لأنه كان يسمى رمضان قبل أن يفرض صيامه»[3].

- التركيز في عنصر الوقت لتثبيت ومراجعة لفظ القرآن الكريم: وذلك باعتماد الدرس الليلي: إذ كانت المعارضة تتم ليلاً، ليتم الوصول إلى الكمال في الإحاطة بالدرس القرآني إذ يتم حفظ، أو مراجعة ما يراد تثبيته من الليل، ثم يعقبه نومٌ، ثم تجري مراجعته سحراً أو بكرة؛ لأنه إذا تساوى زمن الحفظ واليقظة بين التعلم والتذكر؛ فإن زمن النوم أقل ضررا على الحفظ من زمن اليقظة؛ لعدم التعرض لخبراتٍ

(1) صحيح مسلم4/ 1803.
(2) انظر: في معاني (من): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب 1/ 319.
(3) فتح الباري 4/ 285.

جديدة خلال النوم يحصل بسببها النسيان؛ فإن النسيان إنما يحدث من جراء حصول خبراتٍ جديدة، يفسح لها الدماغ مجالاً، فيطمس أشياء قبلها[1]، ولذا قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى: «اختيار الليل لأن المقصود من التلاوة الحضور والفهم، لأن الليل مظنة ذلك، لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية»[2].

– التركيز في عنصر الوقت: اعتماد رمضان زماناً للمعارضة، ولا يخفى مدى ملاءمة ذلك.

– التركيز في عنصر الوقت: تعويض المعارضة عند فواتها لعارض: وتقدم[3]، وتجدر الإشارة إلى استبعاد الغرض التعبدي المحض من تعويض المعارضة؛ لأن الأجر يُكْتَبُ لدائم العمل إن حجب عنه لعارضٍ معتبرٍ كسفرٍ أو مرض على ما تقرر في التقعيد الأصولي[4]، فقد ثبت النص بذلك فعن أبي بردة ـ واصطحب هو ويزيد بن أبي كبشة ـ في سفرٍ، فكان يزيد يصوم في السفر، فقال له أبو بردة: سمعت أبا موسى ـ يعني أباه هو الأشعري ـ رضي الله عنه ـ مراراً يقول: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً)[5].

وكل ما سبق يجعل الحكم بإلزامية المراجعة السنوية على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمراً بالغ الوضوح.

---

(1) المهارات الدراسية ص124 بواسطة: مقال ظاهرة النسيان، مجلة البيان، عدد 105.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري 9/ 45.

(3) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري 3/ 23.

(4) انظر: الموافقات 1/ 342.

(5) صحيح البخاري 3/ 1092.

ويجب إبراز ملاحظةٍ هي: أن ما تفرع عما تقرر أعلاه من تعويض المعارضة تأسس على تحتم المراجعة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ولقائلٍ أن يقول: لا نُسَلِّمُ تعويض المعارضة، بل ما يُحْجَبُ جبريل ـ عليه السلام ـ عن معارضة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن في سفره، وكونه لم يُنْقَل فلأن عدم العلم ليس علماً بالعدم، ويكفي قرائن الأحوال الأخرى، أما المعارضة مرتين في آخر رمضان فتأكيداً على القرآن الكريم لا للتعويض، وهو الذي يظهر من الحديث.

- تثبيت الحفظ بالعمل، والعبادات التي تباركه: ويُلْمَحُ هذا من الحالة النفسية التي تتعاظم عندها الطاعة بعد تلقي القرآن الكريم أو مدارسته مع جبريل ـ عليه السلام ـ، وتلك مسألةٌ واضحةٌ في نص الحديث:

في زيادة الإنفاق من حيث الشكر، وقيام الليل من حيث المراجعة والذكر، وتمام القول أن خلقه القرآن، وذاك كافٍ في الإقامة عليه، والحفاظ على نصه؛ إذ قد استحالت الألفاظ بمعانيها إلى جسدٍ متحرك، قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح هذا الحديث: «قيل الحكمة فيه: أن مدارسة القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى النفس، والغنى سبب الجود، والجود في الشرع إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، وهو أعم من الصدقة، وأيضاً فرمضان موسم الخيرات، لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره فكان النبي ﷺ يؤثر متابعة سنة الله في عباده فبمجموع ما ذكر من الوقت،والمنزول به، والنازل، والمذاكرة حصل المزيد في الجود والعلم عن الله تعالى»[1]. ففي هذا الحديث أن مداومة التلاوة توجب زيادة الخير[2].

(1) فتح الباري 1/ 31.

(2) المصدر السابق 1/ 46 .

المطلب الثالث: محور المعارضة

تتضمن المعارضة بين جبريل عليه السلام والنبي ﷺ المفاهيم التالية:

1 – **الإراءة**: إذ: «عرض الشيء عليه يعرضه عرضةً أراه إياه»[1] وقال ابن الأعرابي: أَرَيْتُه الشيءَ إراءةً وإرايَةً وإرءَاءَةً. الجوهري: أَرَيْتُه الشيءَ فرآهُ وأَصله أَرْأَيْتُه.... فعَرْضُ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن على جبريل ـ عليه السلام ـ يتضمن نظر جبريل ـ عليه السلام ـ في لفظ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأدائه تصويباً، وتفهيماً، وتعبداً، وعرض جبريل ـ عليه السلام ـ يتضمن نظر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في لفظ جبريل ـ عليه السلام ـ تعلماً، وتدبرا، وتعبداً، إذ كلٌ منهما يُرِي الآخر لفظه، وأداءه، ويحتمل أيضاً: ومعناه، ولذا جاء في مادة عرض: «وعرضت الكتاب، وعرضت الجند عرض العين إذا أمررتهم عليك، ونظرت في حالهم»[2].

2 – **المقابلة**: من قولهم عارض الكتاب بالكتاب قابله به[3]، ويشترط أن يكون ثَمَّ أصلٌ مقابَلٌ عليه، وفرعٌ مقابَلٌ به، فيظهر من ذلك أرقى ما يمكن أن يصل إليه التدقيق، مما هو خارجٌ عن نطاق البشر في مقابلة حفظ رسول الله ﷺ على ما أُمِر جبريل عليه السلام بحفظه من ربه، وأهم صفةٍ ذاتيةٍ لجبريل عليه السلام عند نزوله من السماء أنه ما ينزله ربه إلا بالحق ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ ﴾[4].

---

(1) لسان العرب 9/ 137.

(2) المصدر السابق 9/ 138.

(3) مختار الصحاح ص270 ، النهاية في غريب الأثر 3/ 133.

(4) سورة الإسراء الآية 105.

3 – **الظهور**: ففي مختار الصحاح: «عرض له كذا أي ظهر، وعرضته له أظهرته له وأبرزته إليه»[1] فإظهار القرآن، وإبرازه من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لجبريل ـ عليه السلام ـ، والعكس يعني إظهار ألفاظ القرآن لفظاً لفظاً من الشيخ لتلميذه ومن التلميذ على[2] شيخه، ويؤكد هذا العرض الدقيق ما جاء في معنى مادة عرض: «عرض الجند إذا أمرهم عليه ونظر في حالهم»[3] ، وهذه غايةٌ في الدقة في وصف تثبيت ألفاظ القرآن الكريم في قلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ولا يَرِدُ على هذا التقرير احتمالية أن يكون ما كان يعرضه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو ما كان يعرض عليه هو معاني القرآن وأمور الشريعة؛ إذ لو كان الأمر كذلك لقيل يعرض عليه الشريعة أو نحوها من العبارات، ولا يخصص القرآن بالذكر.

فإن اعتُرض بأن: القرآن هو الشريعة كلها نصاً أو تضمناً، فعبر به في الحديث عنها، فالمعروض هو أحكام الشريعة لا ألفاظ القرآن.

فالجواب: الدليل صحيحٌ، والاستدلال غير صحيحٍ؛ لأن تخصيص القرآن بالذكر في جميع الروايات يدل على اقتصار الكلام عليه، ولو أراد الكلام عن الشريعة أو الدين ونحوها لما عدل عن لفظها أو ما يدل عليه كما في قوله ـ عز وجل ـ ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا... ﴾[4]، وكما في قول النبي ﷺ (هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم)، لم يقل قرآنكم فتقرر بهذا أنه أراد لفظ القرآن بخصوص مفهومه.

---

(1) مختار الصحاح 178.

(2) تضمن الفعل إظهار الطالب ما عنده معنى التصويب على ما عند الشيخ، لذا عُديَ فعُدي بـ (على).

(3) لسان العرب 9/ 138.

(4) الجاثية الآية 18

ويمكن القول على طريقة السبر والتقسيم الأصولية:

إما أن يكون المعروض هو ألفاظ القرآن، وإما معانيه، وإما شيءٌ آخر، ولا جائزٌ أن يكون شيئاً آخر، لأن الكلام على القرآن، ولا جائزٌ أن يكون معاني القرآن لأنه لا يطلق عليها قرآنٌ عُرْفاً، فتعين أن المعروض هو ألفاظ القرآن.

فإن اعتُرض بالقول: فهل معنى ذلك أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن يعرض معانيه على جبريل ـ عليه السلام ـ؟.

فالجواب: بل يحتمل أنه كان يعرضها، ولكن دلالة الحديث على عرضها بالتبع أو بالإشارة، لا بالقصد الأصلي ... ولقد تمسك المسلمون بذلك في ظاهرة مذهلة تقدم التواتر العملي والعلمي المفيد للعلم الضروري في أن المعروض كان في المقام الأول هو ألفاظ القرآن، وذلك كتمسكهم بشعائر الإسلام الضرورية كرمي الجمار على الرغم من آحادية نصوصها ... فتقرر أن المعروض هو ألفاظ القرآن، وذاك مؤشرٌ على مقدار الحراسة التي كانت تحف ألفاظه.

فإن اعتُرض بأن: المعروض إنما هو القرآن من حيث النسخ وعدمه ويقويه حديث ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ، فالجواب: ذاك بعض المعروض لا كله عند التنزل في إثباته ... وإلا فمن ذا يعقل أن يعرض النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ آياتٍ مبتورةً على جبريل ـ عليه السلام ـ هي الناسخة، دون عرض مواضعها وسورها؟ على أن تصريح الصحابة، بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عرض القرآن مرتين في العام الذي توفي بعده واضح في عرضه القرآن كله لا بعضه من أوله إلى آخره ... ولا يعرف للعرض

معنى غير هذا عند إطلاقه، وأجيال المسلمين تتوارث هذا المعنى فهماً وتطبيقاً، ولينبئهم بعلمٍ زاعمٌ غير ذلك.

4 – **العَرَضية اللفظية**: إذ إن استخدام لفظة يعرض في أغلب الروايات عند الراوي الواصف لما حدث، ثم مجيئها على لسان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ[1] دالٌ على فحواها، وهو عرض الألفاظ واستعراضها، ومعلومٌ أن العرض ضد الطول[2] ... فهل يكون أثر إيقاع هذه اللفظة الدقيقة الوصف إلا عرض الألفاظ واحداً واحداً، واقتضاء لفظة العرض سبر الجوانب الداخلية في اللفظة أداءٌ ومعنى؟.

فيعرض «من العرض وهو بفتح العين وسكون الراء، أي يقرأ، والمراد يستعرضه ما أقرأه إياه»[3] بل قد صرح بعض شراح الحديث أثناء شرحهم لحديث المعالجة بأن العرضية تشمل الحروف حرفاً حرفاً، قال السندي ـ رحمه الله تعالى ـ: « يحرك شفتيه أي لكل حرفٍ عقب سماعه من جبريل ـ عليه السلام ـ»[4].

---

(1) راجع متن الحديث في المطلب الأول من هذا المبحث.

(2) لسان العرب 9/ 137 ، مختار الصحاح 178، وفيه: «وعَرَضَ الشيء فأَعْرَضَ، أي أظهره فظهرن فهو كقولهم كبَّه فأكبَّ، وهو من النوادر وقوله ـ عز وجل ـ ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَفِرِينَ عَرْضًا ﴾ «الكهف/ 100» أي أبرزناها حتى نظروا إليها، فأعْرَضَتْ هي أي استبانت وظهرت، ورآه في عُرْض الناس أيضاً أي فيما بينهم، وفلانٌ من عُرْض الناس أي من العامة، وفلان عُرْضَةٌ للناس أي لا يزالون يقعون فيه، وجعلت فلاناً عرضة لكذا أي نصبته له، وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَنِكُمْ﴾ «البقرة/ 224» أي نصباً، ونظر إليه من عُرْضٍ» وهذا كله مقررٌ مبدأ (العرضية اللفظية)، والقصد من استخدام هذه اللفظة لبيان جعل ألفاظ القرآن عرضة للمقابلة والإظهار في (عُرْض) الألفاظ أي فيما بينها من (عُرْض) الألفاظ أي من عامتها.

(3) فتح الباري 9/ 43.

(4) حاشية السندي 2/ 34.

ولا يُعترض بأن هذه بديهة! وتحصيل حاصل، إذ لا يمكن عرض الألفاظ دون حروفها؛ لأن التصريح بمتابعة الحروف دليلٌ على شدة الاعتناء بها، وفيه ردٌ على زاعمٍ التكلف في حق من يخوض غمار علم الصوتيات، على أنه قد يُعْنى بالحرف غير ذلك، وهو اللفظ فيدخل ما ذكر ضمناً.

ومما جاء دالاً على أن لفظة (يعرض) تتضمن سبر الجوانب الداخلية قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (لئن كنت أقصرت الخطبة، فقد أعرضت المسألة)[1].

قال ابن منظور: «أي جئت بالمسألة واسعةً كبيرةً»[2]، وذاك بما تضمنته جوانبها الداخلية من معنى، ولذا يقال فيمن يطيل العبارات أي الألفاظ الخارجية: أطلت الخطبة، ولا يقال أعرضت ... .

فإن اعتُرض بالقول: ذاك ما نبغ! فالمعروض ـ على ذلك ـ هو المعنى لا اللفظ، فالجواب: أما تنزلاً فليس أحدهما بأجلى من الآخر في الدخول الأولي في اللفظة، وأما

(1) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان 2/ 98: عن البراء بن عازب ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: جاء أعرابي إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يا رسول الله! علمني عملاً يدخلني الجنة. قال: (لئن كنت أقصرت الخطبة، فقد أعرضت المسألة: أعتق النسمة، وفك الرقبة) قال: أو ليستا بواحدة؟ قال: (لا عتق النسمة أن تفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعطي في ثمنها، والمنحة الوكوف، والفيء على ذي الرحم القاطع، فإن لم تطق ذاك، فأطعم الجائع، واسق الظمآن، ومر بالمعروف، وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك، فكف لسانك إلا من خير).
وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على ابن حبان: إسناده صحيح، وهو في مستدرك الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص (لمستدرك الحاكم): صحيح.
(2) لسان العرب 9/ 137 ، وفي النهاية 3/ 323: «ومنه الحديث (فإذا عُرْضُ وجْهِه مُنْسَح) أي جانِبُه».

حقيقةٌ فإن دخول الأداء الداخلي للفظ أقرب، وأسرع تبادراً إلى الذهن[1] من دخول المعنى في العرض، وهو المستخدم اصطلاحاً في سائر العلوم، وهذا من نوادر اصطلاحات العلوم الإسلامية، وقد قال ابن الأثير في معنى حديث جبريل ـ عليه السلام ـ: «أي كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن، من المعارضة المقابلة »[2]. وما أسهل تصور هذا لكل مسلم يقرأ القرآن الكريم؛ إذ ما زال عرض الألفاظ القرآنية هو لب عملية تعليم القرآن الكريم تتواتر بالمعنى الاصطلاحي واللغوي في جميع الأمصار كما هي في سائر الأعصار[3].

5 – **المعارضة** هي الغاية في تحقيق اللفظ والتثبت منه: فالعرض هو قراءة التلميذ على شيخه، ويقابله السماع وهو قراءة الشيخ وسماع تلميذه منه، وقد يستعمل أحدهما في معنى الآخر، والقراءة أعم منهما، ولذا بوب البخاري: «باب القراءة والعرض على المحدث»[4] قال ابن حجر: « إنما غاير بينهما بالعطف لما بينهما من العموم والخصوص، لأن الطالب إذا قرأ كان أعم من العرض وغيره، ولا يقع العرض إلا بالقراءة؛ لأن العرض عبارة عما يعارض به الطالب أصل شيخه معه، أو مع غيره بحضرته فهو

(1) فمن اشتقاقات عرض كما في مختار الصحاح ص178 : «والعِرْضُ أيضا الجسد، وفي صفة أهل الجنة (إنما هو عَرَقٌ يسيل من أَعْرَاضِهم) أي من أجسادهم» وقد سمى المناطقة وعلماء الكلام العرض في مقابلة الجوهر، وهذا قريبٌ في مقارنته باللفظ والمعنى.

(2) النهاية في غريب الأثر 3/ 324.

(3) قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في فوائد عرض القرآن في رمضان بين جبريل ـ عليه السلام ـ والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «وفي ذلك حكمتان: إحداهما تعاهده، والأخرى تبقية ما لم ينسخ منه ورفع ما نسخ، فكان رمضان ظرفاً لإنزاله جملة وتفصيلاً وعرضاً وأحكاماً».

(4) صحيح البخاري 1/ 60.

أخص من القراءة »[1]، وهذا معناه بالمفهوم الحديثي، ولا بد فيه من القراءة، فلا تسمى المناولة[2] عرضاً إلا تقييداً.

وقد ذكر العلماء الاختلاف بين العرض والسماع من حيث الأفضلية في التحقيق العلمي للنص: على ثلاثة أقوال:

الأول وهو المشهور: الذي عليه الجمهور أن السماع من لفظ الشيخ أرفع رتبةً من القراءة عليه ما لم يعرض عارضٌ يصير القراءة عليه أولى، ومن ثم كان السماع من لفظه في الإملاء أرفع الدرجات لما يلزم منه من تحرز الشيخ والطالب.

والثاني: القراءة على الشيخ أرفع من السماع من لفظه، ونقله الدارقطني في غرائب مالك عنه، ونقله الخطيب بأسانيد صحيحة عن شعبة وابن أبي ذئب وغيرهما، واعللوا ذلك: بأن الشيخ لو سها لم يتهيأ للطالب الرد عليه، وعن أبي عبيد قال: القراءة علي أثبت وأفهم لي من أن أتولى القراءة أنا[3].

والثالث: وهو المعروف عن مالك وعن سفيان الثوري: كلاهما سواء، وروى البخاري معلقاً عن الحسن البصري: «ما أبالي قرأت عليك، أو قرأت علي»[4].

وهذا كله في الحديث، وأما القرآن فإن قراءة الطالب على شيخه (العرض) هو الأصل، وهو المعروف عن السلف كما هو المعمول به إلى الآن، ولذا احتج مالك على

---

(1) فتح الباري 1/ 150.

(2) هي أن يناول الشيخ كتابه الأصل لطالبه، ويجيزه فيه على تفصيلٍ في ذلك، انظر: فتح الباري 1/ 150 ، تدريب الراوي 2/ 170.

(3) انظر: فتح الباري 1/ 135.

(4) البخاري 1/ 35،

من لم يُجْز العرض في الحديث بجوازه في تلاوة القرآن «فيما رواه الخطيب في الكفاية من طريق ابن وهب قال: سمعت مالكاً، وسئل عن الكتب التي تعرض عليه: أيقول الرجل حدثني؟ قال: (نعم! كذلك القرآن، أليس الرجل يقرأ على الرجل فيقول: أقرأني فلان؟)، وروى الحاكم في علوم الحديث من طريق مطرف قال: صحبت مالكاً سبع عشرة سنة، فما رأيته قرأ الموطأ على أحد، بل يقرأون عليه ـ قال ـ: وسمعته يأبى أشد الإباء على من يقول: لا يجزيه إلا السماع من لفظ الشيخ، ويقول: كيف لا يجزيك هذا في الحديث، ويجزيك في القرآن، والقرآن أعظم؟ »[1].

وأما معارضة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألفاظ القرآن على جبريل ـ عليه السلام ـ فقد اتسمت بسمتين:

السمة الأولى: أنها أتت بعد خطوات الحفظ التي أولها خطوات التلقين ... والمقتضى المنهجي لذلك جعل المعارضة مرتبة تالية للمتقنين لتأكيد الحفظ، وتثبيت مخارج الحروف، والتأكد من وجوه الأداء، وبقاء كل ذلك على الدوام دون تطرق خللٍ له بفعل الأمد، فالمعارضة هي غاية التحقيق.

والسمة الثانية: أنها جمعت بين السماع والعرض، فأزالت قوادح كل طريقةٍ على حدة:

أما العرض (من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على جبريل ـ عليه السلام ـ عرض الطالب على شيخه): فقد جاء في رواية البخاري: (يعرض عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ) وعليها أغلب الروايات.

---

(1) فتح الباري 1/ 150.

وأما السماع (من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لجبريل ـ عليه السلام ـ سماع الطالب لشيخه): فقد جاءت بقية الروايات مبهمة فاحتملت العرض والسماع، وتأكد ذلك بروايات المفاعلة (يعارض، يدارس ونحوها)، والمفاعلة لا تكون إلا من طرفين غالباً[1]، ووردت روايات مصرحة بالسماع، منها ما رواه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: (كان يعرض على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف كل عام عشراً فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه)[2].

ويزيد الأمر تأكيداً أن القراء والمحدثين لا يستخدمون إلا لفظ (يعرض) للتعبير عن المراد لتصل أعلى درجات الاحتياط في نقل ألفاظ القرآن الكريم، وذا ما فهمه الإمام النسائي فبوب في سننه الكبرى: «باب عرض جبريل ـ عليه السلام ـ القرآن»[3]، ومن قبله الإمام البخاري حيث بوب: «باب كان جبريل عليه السلام يعرض القرآن على النبي ﷺ»[4].

---

(1) وقد تستخدم في فاعل واحد مثل عاقب وداوى وسافر ولكن هذا استثناء، وذاك أصل.

(2) صحيح البخاري 4/ 1911، وعند الإسماعيلي في مستخرجه على البخاري بلفظ: «كان جبريل ـ عليه السلام ـ يعرض على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن في كل رمضان».

(3) ورواية صحيح ابن خزيمة 3/ 193، فيها إجمال يؤيد هذا الاستنتاج، ففيها: (يأتيه جبريل فيعرض عليه القرآن)، فيستأنس بذلك على المطلوب، ويصير هذا في حيز الثبات بحديث عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ عن فاطمة في المعارضة، حيث قالت: (إن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة، وإنه قد عارضني به مرتين) قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في فتح الباري (9/ 43): «والمعارضة مفاعلة من الجانبين، كأن كلاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع».

(4) صحيح البخاري 4/ 1911، وهو ما رجحه ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ فقال: «فيحمل على أن كلاً منهما كان يعرض على الآخر».

وينبغي أن يلاحظ أنه لم يوجد مثل هذا (العرض أكثر من مرة) في الأساليب العلمية التعليمية التي تتبع في ديار المسلمين إلا في خصوص مادة القرآن الكريم، وكان ذلك مقتضى منهجياً من مقتضيات هذه الطريقة التي اتبعها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تعلمه على يد جبريل ـ عليه السلام ـ، ووجودها في بقية العلوم الشرعية مقارنة بالقرآن الكريم في حكم النادر.

6 – عرض القرآن بالحروف المأذون بالقراءة بها: إذ قد حُسِمَ أمر عرضه للقرآن كله (لكل ما نزل منه) في كل رمضان بحديث العرضتين الثابت عن ابن عباس، وفاطمة، وأبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ رضي الله تعالى عنهم، وفي ذلك دلالة على أمرين:

أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يعرض كل ما نزل، وأنه كان يقسم ذلك العروض على ليالي رمضان[1]، ويدل لذلك حديث ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (أقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف)[2].

كما لم تُبْقِ روايات العرض مجالاً لما احتمله ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ[3] من أن العرض محتملٌ أن يقسم ما نزل من القرآن في كل سنة على ليالي رمضان؛ إن أراد به أنه لا يقرأ إلا ما نزل في تلك السنة، أما إن أراد به أنه يخصص لكل ما نزل ليلة فذاك أبعد من حيث زيادة عدد الليالي على عدد سنوات النزول، ومن حيث أن أهداف العرض

(1) وقد صرح ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ ببعض ذلك في فتح الباري 9/ 45، فقال: «ولولا التصريح بأنه كان يعرضه مرة واحدة، وفي السنة الأخيرة مرتين ـ لجاز أنه كان يعرض جميع ما نزل عليه كل ليلة، ثم يعيده في بقية الليالي».

(2) البخاري 3/ 1177.

(3) فتح الباري 9/ 45.

تأكيد تأليف آياته على ما أراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ، لا على ترتيب نزولها، وهما مختلفان كما هو معلوم فيظل احتمالاً بعيداً، وإن افترض وبهذا يُحْسَمُ أمر عرضه صلى الله عليه وسلم لكل ما نزل من القرآن.

أمر عرضه صلى الله عليه وسلم لكل ما نزل من القرآن.

وبقي أمر عرضه القرآن بجميع حروفه المأذون في القراءة بها فهل كانت العرضة كذلك؟ والجواب: لا نص في ذلك، بيد أن المؤشرات العامة تجعل ذلك محتمَلاً احتمالاً راجحاً، لأنه كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول للمختلفين في القراءة: (أقرأني جبريل)[1]، أو (هكذا أُنزلت)[2] قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: «ولعله كان يعيد ذلك الجزء مراراً، بحسب تعدد الحروف المأذون في قراءتها، ولتستوعب بركة القرآن جميع الشهر»[3].

(1) رواه البخاري 4/ 1909، و3/ 1177.
(2) رواه البخاري4/ 2340.
(3) في فتح الباري 9/ 45.

المطلب الرابع: المقتضى المنهجي لدلالات حديث المعارضة ومفردات تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم

إذا كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد كُفي مؤنة الحفظ والمراجعة لتكفل الله ـ سبحانه وتعالى ـ له بذلك، فإن خطواته البشرية لتثبيت الحفظ، ودوام المراجعة، إن هي إلا إشاراتٌ واضحةٌ لتحويل مقتضاها إلى قواعد منهجية في الإحاطة بالدرس القرآني حفظاً، وتلاوةً، ومراجعةً، واستدعاءً، وبيان معنى، وعملاً، وصنيع البحث هنا مجرد الإشارة العابرة إلى بعض ذلك بغية الإثارة، والاستفزاز البحثي لمن يعتريه طيف التوهم في المفردات الشرعية الأساسية، أو يقذف الشيطان في قلبه وسواس الشك،

الجامع لها: أن يكون لحفظة القرآن معارضة سنوية للقرآن الكريم على مشايخهم، أو معارضة ثانية بعد ختم القرآن حفظاً على الأقل، وتزداد عدد مرات المعارضة بحسب حالة الطالب وتكون للمسلمين عموماً عرضة للقرآن الكريم نظراً أو غيباً عن ظهر قلب على شيخٍ متقن، وأفضل أوقات ذلك في رمضان مع ظهور التعبد والتبتل عند قراءة القرآن في العرضة خاصةً الإنفاق.

وعلى ما سبق: تكون مفردات تلقي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألفاظ القرآن من جبريل عليه السلام :

1. إلزامية حفظ الألفاظ، وقد تكفل الله ـ سبحانه وتعالى ـ بجمعه لنبيه في صدره (الحفظ).

2. إتقان الحفظ، وقد كان إنزال القرآن الكريم على قلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بين سائر أنواع الوحي، وهو أشده على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهذا الغرض في المقام الأول.

3. إلزامية المراجعة العامة للمحفوظ، وقد تكفل الله ـ عز وجل ـ لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن لا ينسى منه شيئاً على سبيل النسيان الكلي.

4. إنزاله منجماً؛ ليكون أثبت في قلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حفظاً، وأداءً، وتبليغاً.

5. بيان لفظ القرآن الكريم، وقد تكفل الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأن يقرأه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما قرأه جبريل ـ عليه السلام ـ، حذو القذة بالقذة، وذا شاملٌ لأصل اللفظ ولأدائه.

6. العناية بأداء ألفاظ القرآن، وقد تكفل الله تعالى بإظهاره على لسان نبيه ﷺ وتبيينه.

7. إنزال القرآن الكريم وتلقينه للنبي ﷺ مرتَلاً (مجوَّداً مُنَجَّماً)، ووجوب ترتيله على النبي ﷺ على الهيئة ذاتها التي رتله بها جبريل عليه السلام.

8. العناية بأداء ألفاظ القرآن، وقد تكفل الله ـ عز وجل ـ بإظهاره على لسان نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتبيينه.

9. تهيئة مراجعةٍ يوميةٍ للقرآن الكريم في قيام الليل أو غيره.

10. تهيئة مراجعةٍ سنوية للقرآن الكريم في كل رمضان يعارض فيها النبي ﷺ وجبريل عليه السلام كلٌ منهما الآخر ـ ألفاظ القرآن الكريم متضمنةً النظر في ألفاظه من حيث أصل اللفظ ومن حيث الأداء.

المصادر والمراجع المعتمدة في البحث بعد القرآن الكريم

1-(أبو داود) سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (202هـ-275هـ): سنن أبي داود، مراجعة: محمد محيي الدين عبد الحميد .

2-(ابن الأثير) المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن الأثير الجزري: النهاية في غريب الأثر، مراجعة طاهر أحمد الزاوي + محمود محمد الطباخي، 1399هـ-1979م، دار الفكر - بيروت .

3- ابن أبي طالب لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، تحقيق الدكتور محي الدين رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق: 1394 هـ/ 1974.

4- ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبي شيبة العبسي 159 - 235هـ ،تحقيق أبي محمد أسامة بن إبراهيم بن محمد، القاهرة : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط 1 ، 2007.

5- (ابن أبي سلمى) زهير بن أبي سلمى ديوان زهير بن أبي سلمى شرحه وقدم له علي حسن فاعور دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1408هـ - 1988م .

6- ابن الجزري محمد بن محمد بن محمد ، طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق محمد تميم مصطفى الزعبي ، ط 2 ، المدينة المنورة :مكتبة دار الهدى ، 1414هـ/ 1994م.

7-(ابن حجر) أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، 1404هـ-1984م ـ دار الفكر ـ بيروت .

8- (ابن حجر) أحمد بن علي حجر العسقلاني: هدي الساري مقدمة فتح الباري، والفتح،حقق أصولها: عبد العزيز بن باز رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي ط1410،1هـ ـ 1989م، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان الطبعة الأولى 1410هـ ـ1989م.

9- ابن حجر : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، اتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة المحقق: زهير بن ناصر الناصر وآخرون، الناشر: وزارة الأوقاف السعودية ـ الجامعة الإسلامية ، سنة النشر: 1415 - 1994.

10- ابن حبان محمد بن حبان أبو حاتم البُستي، صحيح ابن حبان ، تحقيق محمد علي سونمر و خالص آي دمير ،دار ابن حزم بيروت ، ط 1 ،1433هـ ـ 2012 م.

11-(ابن خزيمة) إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي (223ـــ311هـ): صحيح ابن خزيمة، مراجعة: د.محمد مصطفى الأعظمي (1390هـ ـ 1970م)، المكتب الإسلامي ـ بيروت، عدد الأجزاء 4 .

12-(ابن سعد) محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (168هـ ـــ ت 230 هـ): الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت، عدد الأجزاء 8 .

13- (ابن فارس) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي: معجم المقاييس في اللغة، بتحقيق وضبط عبد السلام هارون، ط1، 1411هـ ـ 1991م، دار الجيل .

14- (ابن ماجة) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (207 ــ 275هـ): سنن ابن ماجه، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي،دار الفكر ـ بيروت، عدد الأجزاء 2 .

15- (ابن منظور) محمد بن مكرم بن علي، الإمام العلامة، (ت 711هـ): لسان العرب، اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط1، 1416هـ ـ 1995م، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي – بيروت.

16-(ابن هشام) عبد الله بن يوسف الأنصاري النحوي(ت 761هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، 1407هـ ـ 1987م

17- (الألباني) محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزيادته، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، ط3 1408هـ ـ 1988م، المكتب الإسلامي ـ بيروت .

18- (البخاري) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجعفي (194، 256هـ): خلق أفعال العباد، مراجعة: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية ـ الرياض 1398هـ ـ 1978م .

19-(البخاري) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي، (194هـ ـ ت256 هـ): صحيح البخاري، مراجعة د. مصطفى ديب البغا، 1407هـ ـ 1987م، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.

20- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي، (194هـ ت256 ه): التاريخ الكبير ، المحقق: هاشم الندوي وآخرون الناشر: دائرة المعارف العثمانية 1379ه/ 1960م .

21-(البيهقي) أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (384هـ- ت458 ه): سنن البيهقي الكبرى، مراجعة: محمد عبد القادر عطا، 1994م ـ 1414هـ، مكتبة دار الباز ـ مكة المكرمة.

22- (القرطبي) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 1405هـ - 1985م، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

23-(الترمذي) أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي (209هـ - 279هـ): الجامع الصحيح سنن الترمذي، مراجعة: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

الترمذي ، صحيح الشمائل المحمدية ./ تحقيق أنيس بن أحمد جمال مكتبة الملك فهد الوطنية المدينة المنورة .1429

24- (الحاكم) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن البيع النيسابوري (321 هـ، ت405 ه): المستدرك على الصحيحين، مراجعة: مصطفى عبد القادر عطا، 1411هـ-1990م، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة لم تذكر .

25- (الذهبي) الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان: طبقات القراء للذهبي، تحقيق: د . أحمد خان 1418هـ-1997م، دار الفيصل .

26-(الزركلي) خير الدين الزركلي: الأعلام، الطبعة العاشرة 1992م .

27-(الشاطبي) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ت 790 هـ: الموافقات في أصول الشريعة، المقدمة الثالثة، توزيع عباس أحمد الباز، الطبعة لم تذكر .

28- (المزي) أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن (654هـ-742 هـ).

29- تهذيب الكمال، مراجعة: بشار عواد معروف، 1400هـ - 1980م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

30-(مسلم): أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، (206هـ-ت261 هـ) مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت 1374هـ-1954م .

31-(النسائي) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (215 ـ 303): السنن الكبرى مراجعة: د. عبد الغفار سليمان البنداري ـ سيد كسروي حسن، 1411هـ-1991م، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

32-مجلة: مجلة البيان، العدد 105، جمادى الأولى1417هـ.

العرضة الأخيرة: دلالتها وأثرها

د. ناصر سعود القثامي
وكيل كلية الشريعة والأنظمة بجامعة الطائف

المقدمة

الحمد لله المنفرد بالخلق والتدبير، الواحد في الحكم والتقدير، الملك الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، المتقدّس في كَمال وصْفِه عن الشبيه والنظير.

وأشهد أن لا إله إلا الله قيوم السموات والأرضين، الذي لا فوز إلا في طاعته، ولا عِزّ إلا في التذلل لعظمته، ولا غِنى إلا في الافتقار إلى رحمته، ولا حياة إلا في رضاه، ولا أنس إلا في قربه.

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، وحجة على العباد أجمعين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، ومن سار على نهجهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن كتاب الله هو خيرُ ما عمّرت به الأوقات، وأفضل ما صُرِفت في تعلّمه وتعلِيمه الهِمَم العوالي، والمُهَج الغوالي.

فهو الحبل المتين، والصراط المستقيم، فيه حياة القلوب، وسعادة النفوس، وتهذيب الأخلاق، فهو كتاب الهداية والصلاح، والتوفيق والفلاح، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: 9].

وإنّ مِن المعلوم أن العلوم ليعلو شأنها، ويسمو قدرها، كلما كانت من كتاب الله أقرب، وبالصلة به أعلق، ومن تلك العلوم التي نالت شرف التعلق بكتاب الله علم القراءات.

فعلم القراءات مِن العلوم العظيمة والأصيلة، فهو من أجل العلوم قدرا، وأعلاها منزلة، ولا يكاد يوجد علم من العلوم الشرعية ولا العربية إلا ويعتبر هذا العلم رافداً من روافده، وينبوعاً من ينابيعه.

وإن من المسائل المتصلة بهذا العلم، ولها أثر فيه ما يتعلق بالعرضة الأخيرة.

فأحببت أن أشارك بهذا البحث بعنوان:

العرضة الأخيرة دلالتها وأثرها.

ويتناول البحث مفهوم المعارضة والعرضة الأخيرة وأهميتها، وأدلة ثبوتها، ودلالتها، ومسائلها المتعلقة بها، وعلاقتها بالأحرف السبعة، وأثرها في جمع القرآن بمرحلتيه البكري والعثماني، والقراءات، والمصاحف العثمانية.

أهمية البحث

1- أنه متعلق بكتاب الله دستور الأمة وسبيل هدايتها وسفينة نجاتها.

2- أنه متعلق بعلم القراءات أجل العلوم قدرا وأرفعها منزلة.

3- لم أر أحداً ممن كتب في القراءات أفرد هذا الموضوع ببحث مستقل تناول فيه جميع مسائله وآثاره.

هدف البحث:

1- تحرير مفهوم المعارضة والمدارسة.

2- إبراز أثر المعارضة في إقراء القرآن الكريم وتلقيه.

3- إبراز أهمية العرضة الأخيرة، ومنزلتها، والذين حضروها ومسائل تتعلق بذلك.

4- إظهار أثر العرضة الأخيرة في الأحرف السبعة، وهل كانت على حرف واحد أم على سبعة أحرف؟.

5- إظهار أثر العرضة الأخيرة في جمع القرآن الكريم، بمرحلتيه: (البكري والعثماني).

6- إظهار أثر العرضة الأخيرة في القراءات.

7- إظهار أثر العرضة الأخيرة في المصاحف العثمانية.

وسوف تكون خطة البحث على النحو التالي:

- المقدمة: **وتشتمل على أهمية البحث، وأهدافه، وخطته، والدراسات السابقة.**
- التمهيد: المعارضة مفهومها وأثرها في تلقي القرآن.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **مفهوم المعارضة والمدارسة.**

المبحث الثاني: **إقراء القرآن الكريم بطريقة المعارضة.**

المبحث الثالث: **معارضة جبريل عليه السلام النبي ﷺ بالقرآن الكريم في رمضان.**

- الفصل الأول: العرضة الأخيرة مفهومها، وأهميتها، وأدلة ثبوتها، ودلالتها.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: **مفهوم العرضة الأخيرة وأهميتها.**

(ثبوت النسخ فيها، تأكيدها للمحفوظ المتعبد به، مرحلة من مراحل الشذوذ)

المبحث الثاني: **أدلة ثبوتها، ودلالتها.**

المبحث الثالث: **الذين حضروها، ومسائل متعلقة بذلك.**

المبحث الرابع: **العرضة الأخيرة والأحرف السبعة، وهل كانت على حرف واحد أم على سبعة أحرف؟.**

- الفصل الثاني: العرضة الأخيرة وآثارها.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **العرضة الأخيرة وأثرها في جمع القرآن، وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: **العرضة الأخيرة والجمع البكري.**

المطلب الثاني: **العرضة الأخيرة والجمع العثماني.**

المبحث الثاني: **العرضة الأخيرة وأثرها في القراءات.**

المبحث الثالث: **العرضة الأخيرة وأثرها في المصاحف العثمانية.**

الخاتمة **وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.**

ثم الفهارس والمراجع.

الدراسات السابقة

من خلال البحث والتتبع لم أر أحداً خصّ العرضة الأخيرة ببحث مستقلٍ ناقش فيه أهميتها وأثرها والمسائل المتعلقة بها.

إلا ما كان مِن تطرق لها بحديث مبثوث في كتب علوم القرآن، وكتب علوم القراءات، أو ما كان من تعرض لها بحديث مختصر شمل تعريفاً موجزاً، وكلاماً محصوراً في ورقات معدودة.

التمهيد

أولاً: مفهوم المعارضة والمدارسة.

المعَارضة لغة: من المفاعلة، عارض الشيء بالشيء معارضةً: قَابَلَهُ، يقال: «فلان يعارضني أي: يباريني»[1].

والمدارسة: من المفاعلة، ودارَسْتُ الكُتبَ وتَدارَسْتُها، أَي دَرَسْتُها، وأَصل الدِّراسَةِ الرياضة والتَّعَهُّدُ للشيء[2].

والْمُدَارَسَةُ والدِّرَاسَةُ: القِرَاءَةُ ، والمقَارَأة[3]، ومنه قوله تعالى ﴿وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ﴾[4] في قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وفسَّرَه ابن عباس رضي اللهُ عنهما بقوله: «قَرَأْتَ على اليهود، وقَرَؤُوا عليكَ»[5].

والعَرض في اصطلاح القراء: «هو تلاوة القرآن على شيخ، وهو أحد أنواع التحمّل والأخذ على المشايخ»[6]، يقول القاسم بن سلام: «عرض القُرَّاء للقرآن ..أخذه عن أهل القراءة»[7].

---

(1) انظر: العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: مادة: «عرض»: 1/ 271، ولسان العرب، مادة: «عرض»: 10/ 100.

(2) انظر: لسان العرب، مادة: «درس»: 5/ 244.

(3) انظر: تاج العروس للزبيدي: 16/ 69.

(4) سورة الأنعام، الآية: 105.

(5) انظر: معاني القرآن للفراء: 1/ 349، وتفسير الرازي، مفاتيح الغيب: 13/ 111.

(6) انظر: معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات: ص 75، ومعجم علوم القرآن للجرمي: ص 192.

(7) فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ص 357.

ومنه قول مجاهد: «عرضتُ القرآنَ على ابنِ عباس ثلاثَ عَرْضَاتٍ»[1].

ومنه قول خلف بن تميم يقول: «حدثني حمزة الزيات أن سفيان الثوري عرض عليه القرآن أربع عرضات»[2].

والمعارضة اصطلاحاً: هي مدارسة جبريل عليه السلام القرآن الكريم للنبي ﷺ كل عام في رمضان[3].

يقول ابن حجر: «والمعارضة مفاعلة من الجانبين كأن كلاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع قوله»[4].

ويقول ابن الأثير عن قوله: «كان يُعَارِضُه القُرآن: «أي: كَان يُدَارِسُه جميعَ ما نَزَل من القرآن من المُعَارَضة: المُقابلة، ومنه: «عارَضْتُ الكِتَابَ بالكتاب، أي: قَابَلْته به»[5].

به»[5].

ويقول ابن كثير: «والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة: مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى، ليبقى ما بقي، ويذهب ما نسخ توكيدًا، أو استثباتًا وحفظًا»[6].

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب: فضائل القرآن، باب: «في درس القرآن وعرضه»: 10/ 559، والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي: 2/ 307، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن: ص 359.

(2) أخرجه ابن مجاهد في كتاب السبعة من طريق ابن أبي الدنيا: ص 75، وخلف بن تميم بن أبي عتاب، أبو عبد الرحمن، الكوفي، صدوق، عابد، مات سنة ست ومائتين. تقريب التهذيب 1/ 225.

(3) انظر: المرشد الوجيز لأبي شامة: ص 35، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري: 1/ 45.

(4)- فتح الباري شرح صحيح البخاري: 9/ 44.

(5) النهاية في غريب الحديث: 3/ 439.

(6) تفسير ابن كثير: 1/ 51.

ثانياً: إقراء القرآن الكريم بطريقة المعارضة

كان المعول عليه في حفظ القرآن وتعلم قراءاته هو التلقي والمشافهة من أفواه المشايخ والمقرئين، ومدارسة القرآن الكريم عن طريق السماع والعرض.

والسماع والعرض في تلقي القرآن وإقرائه ومدارسته هي المنهجية التي جرت عليها عادة القراء، بل هي طريقة ربانية أشار إليها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: 18]، فأمر الله نبيه إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع، وتكفل الله له أن يجمعه في صدره.

وقد كان من حرصه ﷺ أنه كان يحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره، فجاء التوجيه الإلهي بقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٦ – ١٧].

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسول الله يعالج من التنزيل شدة، وكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن يتفلت منه يريد أن يحفظه، فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾، قال: يقول: إن علينا أن نجمعه في صدرك، ثم تقرؤه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ يقول: فإذا أنزلناه عليك، ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾: فاستمع له وأنصت»[1].

والنبي ﷺ تلقى القرآن سماعاً وعرضاً، ولذلك حرص على إقراء صحابته وتلقينهم القرآن بالطريقة التي تلقاها من جبريل عليه السلام، وأن يتلقوه وقراءاته كما تلقاه.

(1) أخرجه البخاري، بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي: 1/ 4.

فعن ابن عباس ﷺ أنه قال: «كان رسول الله ﷺ يعلّمُنا التشهّد كما يُعلِّمنا السورة من القرآن»[1].

وثبت أنه قرأ على بعض أصحابه واستمع لبعضهم، وحث على العرض على بعضهم، فعرض القرآن على أبيّ بن كعب ﷺ كما في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال: النبي ﷺ لأبي: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، قال أبيّ: آلله سمّاني لك؟ قال: «الله سمّاك لي»، فجعل أبيّ يبكي»[2].

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «معنى هذا الحديث عندنا أن رسول الله ﷺ إنما أراد بذلك العرضِ على أبيّ أن يتعلم منه القراءة ويتثبت فيها، وليكون عرضُ القرآن سنة، وليس هذا على أن يستذكر النبي ﷺ منه شيئاً بذلك العرض»[3].

قال أبو عمرو الداني – مبيناً الحكمة من قراءة رسول الله ﷺ على أبيّ –: «في هذا الحديث أيضاً أصل كبير في وجوب معرفة تجويد الألفاظ، وكيفية النطق بالحروف على هيئتها وصيغتها، وأن ذلك لازم لكل قراء القرآن أن يطلبوه ويتعلموه، وواجب على جميع المتصدرين أن يأخذوه ويعلّموه اقتداء برسول الله ﷺ فيما أمر به واتباعاً له على ما أكده بفعله ليكون سنة يتبعها القراء ويقتدي بها العلماء»[4].

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب: التشهد في الصلاة: 2/ 13.

(2) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾: 6/ 217.

(3) فضائل القرآن لأبي عبيد: ص 359.

(4) التحديد في معرفة الإتقان والتجويد للداني: ص 81، ونقله: السخاوي في جمال القراء: 1/ 115، ود. محمد سيدي في كتابه الوجيز في حكم تجويد الكتاب العزيز: ص 40.

يقول السخاوي: «كان القراء في الأمر الأول يقرأ المعلم على المتعلم اقتداء برسول الله ﷺ، فإنه كان يتلو كتاب الله عز وجل على الناس كما أمره الله عز وجل، فعلمهم ﷺ القرآن مرتلاً مجوداً كما نزل»[1].

ويقول النووي: «قرأ عليه ليسُنّ عرض القرآن على حفاظه البارعين فيه، المجيدين لأدائه، وليسُنّ التواضع في أخذ الإنسان القرآن وغيره من العلوم الشرعية من أهلها، وإن كانوا دونه في النسب والدين والفضيلة والمرتبة والشهرة وغير ذلك»[2].

واستمع النبي ﷺ لقراءة أصحابه، فقد استمع لقراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حين أمره أن يقرأ عليه، قال له: «اقرأ عليّ، قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾، قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان»[3].

وفي قصة هشام بن حكيم مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جاءت الإشارة في قول عمر إلى استماعه للقراءات وطريقة أدائها من النبي ﷺ حيث قال: «فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ».

---

(1) جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي: 2/ 446.

(2) شرح النووي على مسلم: 16/ 21.

(3) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾: 6/ 57.

وجاء فيه استماع النبي ﷺ لهما وعرضهما عليه حيث قال: «اقرأها يا هشام» فقرأها، فقال: «هكذا أنزلت»[1].

ورغب النبي ﷺ في العرض والسماع على المقرئين المتقنين، حيث وجّه صحابته للأخذ من بعضهم ممن أتقن القراءة، وعُرِف بحسن الأداء، وممن أخذ القراءة منه مشافهة، فيقول مشجعاً على القراءة على عبد الله بن مسعود ﷺ لما عُرف منه إتقان التلاوة فيقول: «من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»[2].

وذلك أن ابن مسعود ممن تلقى القراءات عرضاً وسماعاً مشافهة من النبي ﷺ، يدل على ذلك رواية شقيق بن سلمة إذ يقول: «خطبنا عبد الله بن مسعود فقال: «والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، والله لقد عَلِم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم» [3].

وأرشد إلى أخذ القرآن من أربعة من الصحابة لأنهم الأكثر أخذاً وعرضاً وسماعاً من النبي ﷺ، فقال: «خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود – فبدأ به – وسالم مولى أَبِي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبيِّ بن كعب»[4].

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الخصومات، باب: «كلام الخصوم بعضهم في بعض: 3/ 160.

(2) أخرجه أحمد في المسند، عن عمر بن الخطاب ﷺ: 1/ 25، وابن خزيمة في صحيحه: 2/ 186، وأخرجه ابن ماجه في سننه، عن ابن مسعود ﷺ: 1/ 97، بلفظ: «من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل ..» والحاكم في المستدرك: 3/ 359، وقال: «هذا حيث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(3) أخرجه البخاري، كتاب: جمع القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ: 6/ 229.

(4)أخرجه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب مناقب الأنصار: 5/ 45.

يقول النووي: «قال العلماء سببه أن هؤلاء أكثر ضبطاً لألفاظه، وأتقن لأدائه، وإن كان غيرهم أفقه في معانيه منهم، أو لأن هؤلاء الأربعة تفرغوا لأخذه منه ﷺ مشافهة، وغيرهم اقتصروا على أخذ بعضهم من بعض، أو لأن هؤلاء تفرغوا لإن يؤخذ عنهم، أو أنه ﷺ أراد الإعلام بما يكون بعد وفاته ﷺ من تقدم هؤلاء الأربعة وتمكنهم، وأنهم أقعد من غيرهم في ذلك فليؤخذ عنهم»[1].

إن طريقة العرض والسماع والتلقي والمشافهة أضحت قاعدة من القواعد التي يحتكم إليها في قبول القراءة وردها، فقد نقل أبو عمرو الداني: عن أنس بن مالك القشيري أنه قال: «كانوا يختلفون في الآية، فيقولون أقرأها رسول الله ﷺ فلان ابن فلان، فعسى أن يكون على رأس ثلاث ليالٍ من المدينة، فيُرسل إليه فيجاء به، فيقال له: كيف أقرأك رسول الله ﷺ؟، فيقول: كذا وكذا، فيكتب كما يقول»[2].

فهذه الطريقة النبوية في التلقي سنة متبعة في تعليم كتاب الله في الصدر الأول، وجرت عليها عادة القراء من بعدهم.

ثالثاً: معارضة جبريل عليه السلام النبي ﷺ بالقرآن الكريم.

إن سنة الإقراء والمدارسة والمعارضة للقرآن الكريم سنة شرعها اللقاء المبارك الذي كان يجمع نبينا محمداً ﷺ وأمين الوحي جبريل عليه السلام، فقد كان أمين الوحي جبريل

(1) شرح النووي على مسلم: 16/ 18.

(2) أخرجه الداني بسنده من طريق أبي قلابة في المقنع في رسم مصاحف الأمصار: ص 152، وأبو جعفر الطحاوي في مشكل الآثار من طريق أبي عمر الحوضي عن حماد بن زيد، وساقه ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري عن عبد الرحمن الفرائضي: 10/ 224، وقال محقق المقنع: «إسناده صحيح».

المعلِّم – عليه السلام – يدارسه القرآن ويعارضه كل سنة في شهر رمضان بكلِّ ما نـزل عليه حتى وقت المدارسة، فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه مرتين.

فعن ابن عباس ﷺ، قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريـل، وكـان يلقـاه في كـل ليلـة مـن رمضـان فيدارسـه القـرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[1].

وفي رواية أخرى لابن عباس: «وكان جبريل عليه السلام يلقاه كـل ليلـة في رمضـان حتـى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الـريح المرسلة»[2].

يقول ابن حجر في الفتح: عن لفظ: «فيدارسه القرآن»: «يحمل على أن كلاً منهما كان يعرض على الآخر»[3].

فهذه المعارضة جمعت بين السماع والعرض، فيقرأ جبريل على النبي ﷺ، ويقرأ عليه النبي ﷺ، وتؤكد ذلك روايات المفاعلة، والمدارسة، إذ المفاعلة لا تكون إلا من طرفين غالباً.

يقول ابن حجر: «وإنه عارضني – في رواية السرخسي – وإني عارضني»[4].

وقد بوب البخاري: «باب كان جبريل – عليه السلام – يَعْرِض القرآن على النبي – ﷺ».

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول ﷺ 1/ 5.
(2) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب: من صام رمضان إيماناً واحتساباً: 3/ 33.
(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري: 9/ 44.
(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري: 9/ 44، وانظر: تفسير ابن كثير: 1/ 51.

قال ابن حجر في الفتح: والمراد يستعرضه ما أقرأه إياه[1].

وفي ذلك يقول الإمام أبو عمرو الداني :

وَكَـــانَ يَعْـــرِضُ عَـــلَى جِبريـــل ... فِي كُـــلِّ عَـــامٍ جُمْـــلَةَ التّـــنزيل

فَكَـــانَ يُقْرِيـــهِ فِي كُـــلِّ عَرْضـــه ... بِوَاحِـــدٍ مِـــن الحـــروفِ السَّـــبعهْ

حَتـــى إِذَا كَـــانَ بِقُـــرْبِ الحَـــيْنِ ... عَرَضَـــه عَليـــهِ مَرّتَيـــن[2]

وكان هذا اللقاء المبارك في شهر رمضان في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه ﷺ عارضه مرتين، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه..»[3].

وكان يلقاه في كل رمضان منذ أنزل عليه القرآن، ولا يختص ذلك برمضانات الهجرة، وإن كان صيام شهر رمضان إنما فرض بعد الهجرة لأنه كان يسمى رمضان قبل أن يفرض صيامه، قاله ابن حجر في الفتح[4].

وكان يعارضه في كل ليلة من رمضان فيما نزل حتى وقت المعارضة، فكان يقسم ما نزل من القرآن في كل سنة على ليالي رمضان أجزاء فيقرأ كل ليلة جزءاً في جزء من الليلة.

---

(1) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: 9/ 43.

(2) انظر: الأرجوزة المنبهة لأبي عمرو الداني: ص 87.

(3) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ: 6/ 229.

(4) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: 9/ 44.

وكان يعيد ذلك الجزء مراراً بحسب تعدد الحروف المأذون في قراءتها، ولتستوعب بركة القرآن جميع الشهر [1].

يقول: ابن حجر: «وفي الحديث إطلاق القرآن على بعضه وعلى معظمه؛ لأن أول رمضان من بعد البعثة لم يكن نزل من القرآن إلا بعضه، ثم كذلك كل رمضان بعده إلى رمضان الأخير فكان قد نزل كله إلا ما تأخر نزوله بعد رمضان المذكور»[2].

وإن تخصيص شهر رمضان وهو شهر القرآن بالمعارضة ملائم له.

يقول ابن حجر: «وفيه إشارة إلى أن ابتداء نزول القرآن كان في شهر رمضان؛ لأن نزوله إلى السماء الدنيا جملة واحدة كان في رمضان ... ومعارضته ما نزل منه في رمضان يلزم من ذلك كثرة نزول جبريل فيه، وفي كثرة نزوله من توارد الخيرات والبركات مالا يحصى ... وفيه أن ليل رمضان أفضل من نهاره..»[3].

وقال ابن كثير: «وخصّ بذلك رمضان من بين الشهور؛ لأن ابتداء الإيحاء كان فيه؛ ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه، ومن ثم اجتهاد الأئمة فيه في تلاوة القرآن»[4].

---

(1) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: 9/ 45.
(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: 1/ 49.
(3) المصدر السابق 9/ 45.
(4) تفسير ابن كثير: 1/ 51.

الفصل الأول: مفهوم العرضة الأخيرة وأهميتها وأدلة ثبوتها، ودلالتها

المبحث الأول: مفهوم العرضة الأخيرة وأهميتها

مفهوم العرضة الأخيرة:

العرضة الأخيرة: هي ما عرضه النبي ﷺ قبل وفاته من القرآن الكريم على جبريل عليه السلام، وسُمّيت بذلك لأنها كانت آخر معارضة بالقرآن بين جبريل عليه السلام والرسول ﷺ، وقد أشار إلى تسميتها بذلك أبو عبيد القاسم بن سلام ومكي بن أبي طالب، وأبو شامة[1].

والعرضة الأخيرة هي التي تكررت مرتين في السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ[2].

يقول ابن كثير: «معارضته له بالقرآن كل سنة: مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى، ليبقى ما بقي، ويذهب ما نسخ توكيدًا، أو استثباتًا وحفظًا...».

ثم قال: «وعرضه في السنة الأخيرة من عمره عليه السلام على جبريل مرتين، وعارضه به جبريل كذلك؛ ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجله»[3].

---

(1) انظر: فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ص 357، والإبانة لمكي: ص 70، والمرشد الوجيز لأبي شامة: ص 22، ومعجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات. أ د إبراهيم الدوسري: ص 75.

(2) انظر: معجم مصطلحات علم القراءات لعبد العلي المسؤول: ص 254.

(3) تفسير ابن كثير: 1/ 51.

وقد عرض جبريل عليه السلام في هذه العرضة غالب القرآن الكريم إلا قليلاً مما نزل بعد رمضان الأخير، والذي كان في سنة عشرٍ من الهجرة إلى أن مات النبي ﷺ في ربيع الأول سنة إحدى عشرة.

يقول ابن حجر: «فكان قد نزل كله ـ في رمضان الأخير ـ إلا ما تأخر نزوله بعد رمضان المذكور ... وكأن الذي نزل في تلك الأيام لما كان قليلاً بالنسبة لِما تقدم اغتفر أمر معارضته»[1].

أهمية العرضة الأخيرة.

1- ثبوت النسخ فيها لما كان مأذوناً في القراءة به.

من المعلوم عند العلماء ثبوت النسخ في العرضة الأخيرة لبعض المقروء به مما كان مأذوناً فيه توسعة من أوجه الأحرف السبعة، فأثبت الله فيها ما شاء أن يثبته من أحرف هذا الكتاب.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:« كان يُعرض القرآن على رسول ﷺ في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه عرض عليه مرتين، فشهد عبد الله فعلم ما نُسخ منه وما بدل»[2].

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري: 9/ 44.

(2) أخرجه أحمد في المسند: 1/ 362، من طرق عن الأعمش، عن أبي ظبيان، وقال محققه شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، والنسائي في السنن الكبرى: 7/ 248، وقال ابن حجر في الفتح: 9/ 45: «وإسناده صحيح، وأخرجه ابن الجزري في النشر: 1/ 24، من طريق زر بن حبيش، وقال: وروينا بإسناد صحيح».

وعنه كذلك ﷺ ، أنه قال له شداد بن معقل: «أترك النبي ﷺ من شيء؟ قال: «ما ترك إلا ما بين الدفتين»[1].

قال ابن حجر: « إنما أرادا من القرآن الذي يتلى ... ويؤيد ذلك ما ثبت عن جماعة من الصحابة من ذِكر أشياء نزلت من القرآن فنسخت تلاوتها وبقي حكمها، أو لم يبق مثل حديث عمر: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، وحديث أنس: في قصة القراء الذين قتلوا في بئر معونة قال: فأنزل الله فيهم قرآنا: بلغوا عنا قومنا أنا لقد لقينا ربنا، وحديث أبي بن كعب: كانت الأحزاب قدر البقرة، وحديث حذيفة ما يقرؤون ربعها يعني براءة، وكلها أحاديث صحيحة»[2].

ويقول ابن كثير: «معارضته له بالقرآن كل سنة.. ليبقى ما بقي، ويذهب ما نُسِخ توكيدًا، أو استثباتًا وحفظًا»[3].

ويقول ابن حجر: «كان جبريل يعارض النبي ﷺ في رمضان ما أنزل الله فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء، ففي هذا إشارة إلى الحكمة في التقسيط»[4].

ويقول ابن الجزري: «ولا شك أن القرآن نسخ منه وغير فيه في العرضة الأخيرة، فقد صح النص بذلك عن غير واحد من الصحابة ... قال فإن النبي ﷺ كان يعرض

(1) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: «من قال لم يترك ﷺ إلا ما بين الدفتين: 6/ 190.
(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري: 9/ 103.
(3) تفسير ابن كثير: 1/ 51.
(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري: 9/ 45.

القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام مرة، فعرض عليه القرآن في العام الذي قبض فيه النبي ﷺ مرتين فشهد عبد الله يعني ابن مسعود ما نسخ منه وما بدل»[1].

قال البغوي: «يقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي بين فيها ما نسخ وما بقي»[2].

2- ثبت في العرضة الأخيرة القرآن الذي نتعبد الله به، فهي بمثابة تأكيد المحفوظ، واعتماد الثابت المقروء.

يقول مكي: « يقول ابن مسعود: .. كان عام قبض عُرض عليه القرآن مرتين، فكان إذا فرغ أقرأُ عليه فيجيزني أني محسن، فمن قرأ .. على شيء من هذه الحروف فلا يدعنه رغبة عنه، فإنه من جحد آية جحد به كله»[3].

يقول البغوي: «فجمع الله سبحانه وتعالى الأمة بحسن اختيار الصحابة على مصحف واحد هو آخر العرضات من رسول الله ﷺ«[4].

ويقول أبو شامة: «وصار الأصل ما استقرت عليه القراءة في السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ بعد ما عارضه به جبريل عليه السلام في تلك السنة مرتين، ثم اجتمعت الصحابة على إثباته بين الدفتين «[5].

---

(1) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: 1/ 44.

(2) شرح السنة للبغوي: 4/ 525، وانظر: الإتقان في علوم القرآن: 1/ 140.

(3) الإبانة لمكي ـ باختصار ـ: ص 112، والأثر: أخرجه سعيد بن منصور في سننه، باب: فضائل القرآن: 1/ 61، وأبو عبيد القاسم بن سلام بسنده عن ابن سيرين في فضائل القرآن: ص 102، وفيه قوله: « لو أعلم أن أحداً تُبلّغنيه الإبل أحدث عهداً بالعرضة الأخيرة مني لأتيته، أو لتكلفت أن آتيه»، وسيأتي قريباً.

(4) شرح السنة للبغوي: 4/ 511، وانظر: الإتقان في علوم القرآن: 1/ 140.

(5) المرشد الوجيز لأبي شامة ـ باختصار ـ ص 89.

ويقول ابن كثير: «فلما كان في السنة التي توفي فيها عارضه به مرتين تأكيداً وتثبيتًا»[1].

ونقل الزركشي عن أبي عبد الرحمن السلمي قوله: «كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة، كانوا يقرءون القراءة العامة، وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه»[2].

وقال السيوطي عند شرحه لقول عائشة رضي الله عنها: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهنَّ فيما يقرأ من القرآن»[3].

قال: «أي: يقرؤها بعض الناس لكونهم لم يبلغهم النسخ الواقع في العرضة الأخيرة لقرب عهدهم فلما بلغهم رجعوا وأجمعوا على أنه لا يتلى»[4].

3- تعتبر العرضة الأخيرة مرحلة من مراحل بدء شذوذ القراءات، فالمنسوخ من القرآن بالعرضة الأخيرة يعتبر شاذاً، ويدخل فيه ما نُقل في مصحف أبي، وابن مسعود، من حروف على اعتبار أنها كانت من الحروف المأذون في قراءتها ثم نسخت بالعرضة الأخيرة.

---

(1) تفسير ابن كثير: 1/ 81.

(2) البرهان في علوم القرآن للزركشي: 1/ 237.

(3) أخرجه مسلم، كتاب الرضاع، باب: التحريم بخمس رضعات: 4/ 167، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب: القدر الذي يحرم من الرضاع: 5/ 196.

(4) الديباج على صحيح مسلم للسيوطي : 4/ 60.

يقول ابن الجزري: «وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف – مصاحف عثمان ﷺ – وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذوناً فيه توسعة عليهم، ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن ... وكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله ﷺ، كما صرّح به غير واحد من أئمة السلف كمحمد بن سيرين، وعبيده السلماني، وعامر الشعبي»[1].

وقال: «قراءة عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء: «والذكر والأنثى»، وقراءة ابن عباس: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً وأما الغلام فكان كافراً»، ونحو ذلك مما ثبت بروايات الثقات ...أكثر العلماء على عدم جواز القراءة بها لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي ﷺ، وإن ثبتت بالنقل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة»[2].

ويقول أبو شامة ـ أثناء حديثه عن القراءات الشاذة كالمنسوبة لابن مسعود ﷺ مثل: «وما أصابك من سيئة إنا كتبناها عليك»ـ قال: «فجمعهم عثمان على رسم فأسقطوا ما فهموا نسخه بالعرضة الأخيرة ورسموا ما سوى ذلك من القراءات التي لم تنسخ»[3].

---

(1) النشر في القراءات العشر: 1/ 7.

(2) النشر في القراءات العشر: بتصرف يسير: 1/ 25.

(3) المرشد الوجيز لأبي شامة: باختصار ص 113.

المبحث الثاني: أدلة ثبوت العرضة الأخيرة وبعض دلالاتها

وردت أحاديث وروايات مرفوعة وموقوفة أثبتت المعارضة الأخيرة، وبأنها تكررت مرتين في العام الذي توفي فيه النبي ﷺ، وهي كما يلي:

1- عن عائشة عن فاطمة رضي الله عنهما: قالت «أسرَّ إليَّ النبي ﷺ أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي»[1].

2- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان يُعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه..»[2]

3- عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: أي القراءتين كانت أخيراً: قراءة عبد الله، أو قراءة زيد؟ قال: قلنا: قراءة زيد، قال: لا إن رسول الله ﷺ، كان يعرض القرآن على جبريل كل عام مرة، فلما كان في العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين، وكانت آخر القراءة قراءة عبد الله»[3].

4- وفي رواية أخرى عن أبي ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنه قال:« أي القراءتين تعدون أول، قالوا: قراءة عبد الله، قال: لا بل هي الآخرة، كان يُعرض القرآن على رسول ﷺ

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ: 6/ 229.

(2) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ: 6/ 229.

(3) أخرجه أحمد في المسند: 1/ 275، من طريق إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد، والحاكم في المستدرك: 2/ 250، وفيه: «فكانت قراءة ابن مسعود آخرهن»، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح: مجمع الزوائد: 9/ 249، وقال محقق المسند: شعيب الأرنؤوط: «صحيح».

في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه عرض عليه مرتين، فشهد عبد الله فعلم ما نُسخ منه وما بدل»[1].

بعض الدلالات المأخوذة من أحاديث العرضة الأخيرة:

إن الناظر في هذه المدارسة والمعارضة المباركة واللقاء الذي جمع بين نبينا ﷺ وجبريل عليه السلام، وتكراره كل عام، وفي العام الذي توفي فيه عارضه مرتين يشير ذلك إلى دلالات وفوائد جمة يستلهم منها أهل القرآن ودارسوه العبر والوقفات الكثيرة، ومما يمكن أن نضعه هنا ما يلي:

1 – إن طريقة الإقراء والتعلم لهذا الكتاب مبنية على المنهجية النبوية، وهي العرض على مجيد للقراءة، ماهر بالأحكام، إذ بها يتعلم الأحكام، ويزداد وثوقاً للحفظ، وتزداد الحاجة للمعارضة بحسب حاجة الطالب، ولذلك من معاني تكرار المعارضة في العام الذي توفي فيه ﷺ التأكيد والاستثبات من المحفوظ.

يقول العيني: «لا بد أن يكون لحفَظَة القرآن معارضة سنوية على مشايخهم، ويزداد عدد المعارضة بحسب حال الطالب واحتياجه لذلك»[2].

---

(1) أخرجه أحمد في المسند: 1/ 362، من طرق عن الأعمش، عن أبي ظبيان، وقال محققه شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، والنسائي في السنن الكبرى: 7/ 248، وقال ابن حجر في الفتح: 9/ 45: «وإسناده صحيح، وأخرجه ابن الجزري في النشر: 1/ 24، من طريق زر بن حبيش، وقال: وروينا بإسناد صحيح».

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: 1/ 76.

وبوّب البيهقي لحديث المعارضة بقوله: «فصل في استحبابنا للقارئ عرض القرآن في كل سنة على من هو أعلم منه»[1].

ويقول الرازي - في فضائل القرآن -: «من شدة تمسكه بحفظه كان يعرض على جبريل - عليهما السلام - في كل سنة مرة واحدة، وفي السنة التي قبض فيها عرض عليه - عليهما السلام - مرتين»[2].

2- إن في آخر العمر يحسن بالمسلم الانقطاع للعبادة والإكثار من الحسنات، ولذلك لما وقعت المعارضة مرتين وتكررت شعُر النبي ﷺ بقرب أجله .

يقول القرطبي: «ولما عارضه جبريل بالقرآن في آخر سنة مرتين استدل ﷺ بذلك على قرب أجله من حيث مخالفة العادة المتقدمة»[3].

ويقول ابن حجر مشيراً إلى فائدة تكرير المعارضة مرتين: «وفيه استحباب تكثير العبادة في آخر العمر»[4].

ويقول ابن بطال: «وما كانت مدارسته للقرآن إلا لتزيده رغبة في الآخرة، وتزهدًا في الدنيا»[5].

---

(1) انظر: شعب الإيمان للبيهقي: 3/ 519.
(2) فضائل القرآن للرازي: ص 4.
(3) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: 7/ 94.
(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري: 9/ 45.
(5) شرح صحيح البخاري لابن بطال: 1/ 13.

3- إن مبدأ زيارة الصالحين لبعضهم، ومدارسة أهل القرآن بعضهم مع بعض وتكرار ذلك من وسائل حفظه، وفيها تعزيز للأخوة الإسلامية.

يقول ابن حجر: «وفيها – تكرار المعارضة - الحث على زيارة الصلحاء، وأهل الخير، وتكرار ذلك إذا كان المزور لا يكرهه»[1].

ويقول ابن بطال: «وفيه دليل أن الجليس الصالح يُنتفع بمجالسته»[2].

4- إن رمضان شهر القرآن وتخصيصه بالمدارسة والمعارضة وتكرار ذلك فيه ملائم له، إذ قراءة القرآن فيه أفضل من سائر الأذكار.

يقول ابن كثير: «وخُصّ بذلك رمضان من بين الشهور؛ لأن ابتداء الإيحاء كان فيه؛ ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه، ومن ثم اجتهاد الأئمة فيه في تلاوة القرآن»[3].

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري: 9/ 31.
(2) شرح صحيح البخاري لابن بطال: 1/ 40.
(3) تفسير ابن كثير: 1/ 51.

المبحث الثالث: الذين حضروا العرضة الأخيرة

ومسائل متعلقة بذلك:

أشارت روايات العرضة الأخيرة بأن كلاً من الصحابيين الكريمين عبد الله بن مسعود ﷺ وزيد بن ثابت ﷺ قد حضرا وشهدا العرضة الأخيرة.

ولم تبين تلك الروايات ماهية ذلك الحضور، هل هو بالجسد وسماع ما يُتلى على ﷺ وما يتلوه، أو هو حضور بمعنى أنهما المتلقيان لقراءة العرضة الأخيرة من النبي ﷺ بعد المعارضة مباشرة واعتماد قراءتها قراءة نهائية لهما؟.

ويظهر لي أن الأخير هو الأقرب؛ لدلالة الروايات السابقة على ذلك، وبعض النقول المنسوبة لهما كمثل ما يلي:

يقول ابن مسعود ﷺ: «.. كان عام قبض عُرض عليه القرآن مرتين، فكان إذا فرغ أقرأُ عليه فيجيزني أني محسن»[1].

ويقول كذلك ﷺ: «وأنه عارضه بالقرآن في آخر سنة مرتين، فأخذته من النبي ﷺ ذلك العام»[2].

وفي رواية مجاهد عن ابن عباس ﷺ قوله: «فلما كان في العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين، وكانت آخر القراءة قراءة عبد الله»[3]، وفي لفظ: «فكانت قراءة ابن مسعود آخرهن»[4].

---

(1) سبق تخريجه قريباً.

(2) نقله السيوطي عن ابن الأنباري في الدر المنثور: 1/ 252.

(3) سبق تخريجه قريباً.

(4) عند الحاكم في المستدرك: 2/ 250.

وسوف أسوق الروايات التي جاءت فيها الإشارة إلى حضورهما:

أولاً: الروايات التي أشارت إلى حضور عبد الله بن مسعود ﷺ فهي ما يلي:

1- عن ابن عباس ﷺ، قال: أي القراءتين كانت أخيراً: قراءة عبد الله، أو قراءة زيد؟ قال: قلنا: قراءة زيد، قال: لا إن رسول الله ﷺ، كان يعرض القرآن على جبريل كل عام مرة، فلما كان في العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين، وكانت آخر القراءة قراءة عبد الله»[1].

2- عن أبي ظبيان عن ابن عباس ﷺ قال:» أي القراءتين تعدون أول، قالوا: قراءة عبد الله، قال: لا بل هي الآخرة، كان يُعرض القرآن على رسول ﷺ في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه عرض عليه مرتين، فشهد عبد الله فعلم ما نُسخ منه وما بدل»[2].

3- عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «لو أعلم أحداً أحدث بالعرضة الأخيرة مني لرحلت إليه»[3].

4- عن ابن مسعود ﷺ: «لو أعلم أن أحداً تُبلّغنيه الإبل أحدث عهداً بالعرضة الأخيرة مني لأتيته، أو لتكلفت أن آتيه»[4].

---

(1) سبق تخريجه.

(2) سبق تخريجه.

(3) نقله السيوطي عن ابن الأنباري في الدر المنثور: 1/ 252.

(4) سبق تخريجه، وعلق ابن حجر على هذه الرواية بقوله: « كأنه احترز بقوله: تبلغنيه الإبل، عمن لا يصل إليه على الرواحل، إما لكونه كان لا يركب البحر فقيّد بالبر، أو لأنه كان جازماً بأنه لا أحد يفوقه في ذلك من البشر فاحترز عن سكان السماء». الفتح: 9/ 51.

ثانياً: الروايات التي جاءت فيها الإشارة إلى حضور زيد بن ثابت ﷺ، أو مصرّحة بأن الذي جمع عليه عثمان الناس هي قراءة زيد وهي الموافقة للعرضة الأخيرة لشهوده لها.

1- عن سمرة ﷺ قال: عُرض القرآن على رسول الله ﷺ عرضات، فيقولون: إن قراءتنا هذه هي العرضة الأخيرة»[1]، أي التي جمع عثمان ﷺ عليها الناس توافق العرضة الأخيرة، وهي قراءة زيد.

2- وعن ابن سيرين: «فيرون أو فيرجون أن تكون قراءتنا هذه أحدث القراءتين عهداً بالعرضة الأخيرة»[2]. يقصد: قراءة زيد، والتي جمع عثمان الناس عليها.

3- وعن عبيدة السّلماني أنه قال: «القراءة التي عُرضت على رسول الله في العام الذي قبض فيه هذه القراءة التي يقرأها الناس»[3].

4- وروى البغوي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: «قرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت، لأنه كتبها لرسول الله ﷺ، وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك: 2/ 230، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري بعضه، وبعضه على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وقال الحافظ ابن حجر: «إسناده حسن». الفتح: 9/ 44.

(2) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن: ص 357، من طريق أيوب السختياني، وابن شبة في تاريخ المدينة النبوية: 3/ 994.

(3) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب: في درس القرآن وعرضه: 10/ 560، والبيهقي في دلائل النبوة: 7/ 155.

الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتبه المصاحف رضي الله عنهم أجمعين»[1].

ويقول ابن تيمية: «والعرضة الآخرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره، وهي التي أمر الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بكتابتها في المصاحف»[2].

قال ابن حجر في الفتح - جامعاً بين هذه الأقوال -: «ويمكن الجمع بين القولين بأن تكون العرضتان الأخيرتان وقعتا بالحرفين المذكورين، فيصح إطلاق الآخرية على كل منهم»[3].

وقلت: ومن خلال النظر في الأقوال السابقة يتبين أن كلاً منهما حضر العرضة الأخيرة، والروايات كلاً منها يخبر بواقع حضور من أشارت إليه، ولا تضاد بين الحرفين من حيث الرواية، وخاصة وأني سأثبت في المسألة التالية أنه لا فرق بين قراءة الصحابيين الكريمين من حيث الرواية بالأسانيد المتواترة المتصلة[4].

---

(1) شرح السنة للبغوي: 4/ 525، وانظر: الإتقان في علوم القرآن: 1/ 140.

(2) الفتاوى الكبرى لابن تيمية: 13/ 395.

(3) فتح الباري لابن حجر: 9/ 45.

(4) لقد ذكر أحد الباحثين المعاصرين - عبد الله الجديع في كتابه: المقدمات الأساسية في علوم القرآن عند تعرضه لأسباب اختيار زيد - وجهاً للجمع بقوله «ووجه الجمع بين الأخبار أن نقول: «حيث إنّ النّبيّ ﷺ عُرض عليه القرآن في عامه الذي توفّي فيه مرّتين باعتبار وقوع ذلك منه مع جبريل عليه السلام، أو مرّات باعتبار وقوع العرض من الطّرفين النّبيّ ﷺ وجبريل عليه السلام، فيكون زيد حضر إحداها وابن مسعود الأخرى». المقدمات الأساسية: ص 105، وقد خطأه الباحث: محمد الطاسان في كتابه: المصاحف المنسوبة للصحابة، مثبتاً ومقرراً أن الذي حضر العرضة الأخيرة هو زيد بن ثابت فقط، ونافياً حضور ابن مسعود بتوجيه أدلة حضوره بتوجيهات متعددة، ولكن في الواقع ما ذكره يضعُف أما صحة الآثار التي أوردتها والمثبتة حضور ابن مسعود، كما هو مقرر في هذا البحث. انظر: المصاحف المنسوبة للصحابة: ص 361.

مسائل متعلقة:

المسألة الأولى:

من خلال النظر في الأدلة السابقة والتي أثبتت حضور الصحابيين الكريمين ابن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهما للعرضة الأخيرة.

فلماذا قُدِّم زيد بن ثابت ﷺ في جمع القرآن في العهد البكري والعثماني وتولى المهمة دون ابن مسعود ﷺ؟ .

من المعلوم أنه لا يخفى قدر ابن مسعود ﷺ ومكانته من رسول الله ﷺ، ومنزلته من الصحابة، ومكانته في القرآن الكريم خاصة.

فقد أرشد النبي ﷺ إلى أخذ قراءة القرآن منه بقوله: «من سرّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد»[1].

وعن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«خذوا القرآن من أربعة: من ابن أمّ عبد، ومعاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة»[2].

ولذلك كان يرى ﷺ أنه أحق بأن يتولى جمع القرآن، وشقّ عليه عدم اختياره لنسخ المصاحف – وتقديم زيد عليه – لما له من المكانة في القراءة والتلقي.

---

(1) سبق تخريجه.

(2) سبق تخريجه.

حتى قال ﷺ: «على قراءة مَن تأمروني أقرأ؟ لقد قرأتُ على رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة وإنّ زيداً لصاحب ذؤابتين يلعب مع الصّبيان»[1].

وقال ﷺ: «يا معشر المسلمين أُعْزَل عن نسخ المصحف، ويتولّاها رجل، والله لقد أسلمت وإنه لفي صُلب رجل كافر - يريد زيد بن ثابت- يا أهل العراق اكتموا المصاحف التي عند كم وغلّوها، فإن الله يقول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: 161] فالقوا الله بالمصاحف»[2].

وإذا كان كذلك وقد ثبت اشتراكهما في حضور العرضة الأخيرة فما هي المبررات التي جعلت لزيد أولوية في تولي مهمة الجمع؟.

1- إن لزيد من الخصائص الشخصية ما أهلته ورجحت أحقيته بتولي المهمة، فقد قال أبو بكر ﷺ: «إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ»[3].

يقول ابن حجر: «ذكر له أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك: كونه شاباً فيكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلاً فيكون أوعى له، وكونه لا يُتهم فتركن النفس إليه،

---

(1) أخرجه أحمد في المسند: 1/ 411، والنسائي في السنن الكبرى: 8/ 321، من طريق هبيرة بن يريم، وقال محقق المسند شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأصله في الصحيحين البخاري ومسلم بلفظ: «على قراءة من تأمروني أن أقرأ فلقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، ولقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني أعلمهم بكتاب الله ..».

(2) أخرجه الترمذي في سننه: 5/ 284، وقال: «هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح، وابن أبي داود في المصاحف: ص 66، من طريق الزهري.

(3) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن: 6/ 229.

وكونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له، وهذه الصفات التي اجتمعت لـه قـد توجد في غيره لكن مفرقة»[1].

2- إقرار عامة الصحابة لزيد بن ثابت ﷺ أنه أكتب الصحابة، وهـو كاتـب وحـي رسول الله ﷺ، حتى إنه لكثرة توليه ذلك أطلق عليه الصحابة: «الكاتب».

فعن مصعب بن سعد ﷺ قال: قـام عـثمان فخطـب النـاس فقـال:».. مـن أَكْتَـبُ النَّاس؟ قالوا: كاتبُ رسول الله ﷺ زيد بن ثابـت، قـال: فـأي النـاس أعـرب؟ قـالوا: سعيد بن العاص؛ قال عثمان ﷺ: فليمل سعيد، وليكتب زيد»[2].

يقول ابن حجر: «وأما بالمدينة فأكثر ما كان يكتب زيد ولكثرة تعاطيـه ذلـك أطلـق عليه: «الكاتب» بلام العهد»[3].

ويقول الذهبي: «لأن زيداً كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فهـو إمـام في الرسـم، وابن مسعود فإمام في الأداء»[4]

3- متابعة عثمان رضي الله عنه في اختياره لزيد للخليفتين الراشدين أبي بكر وعمـر في اختيارهما له.

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري: 9/ 13.

(2) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف: ص 81، وابـن كثـير في فضـائل القـرآن: ص 84، وقـال: «إسـناده صحيح».

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري: 9/ 22.

(4) سير أعلام النبلاء للذهبي: 1/ 488.

يقول السخاوي: «اختاره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما لـذلك واقتـدى عـثمان ﷺ بهما»[1].

ويقول الذهبي: «ثم إن زيداً هو الذي ندبه الصديق لكتابة المصحف وجمع القـرآن، فهلا عتب على أبي بكر؟»[2].

4- لقد جمع عثمان ﷺ القرآن بالمدينة وابن مسعود كان بالكوفة، ولم يؤخر ما عـزم عليه.

يقول الذهبي: «وإنما عدل عنه عثمان لغيبته عنه بالكوفة»[3].

يقول ابن حجر: «والعذر لعثمان في ذلك أنـه فعلـه بالمدينـة وعبـد الله بالكوفـة، ولم يؤخر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر، وأيضاً فإن عثمان إنـما أراد نسـخ الصحف التي كانت جمعت في عهد أبي بكر وأن يجعلها مصحفاً واحـداً، وكـان الـذي نسخ ذلك في عهد أبي بكر هو زيد بن ثابت»[4].

5- قراءة زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ في العام الذي توفي فيه مرتين.

روى البغوي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: «قرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ في العام الذي توفاه الله فيه مرتين «[5].

---

(1) الوسيلة إلى كشف العقيلة: ص 60.
(2) سير أعلام النبلاء للذهبي: 1/ 488.
(3) المصدر السابق.
(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري: 9/ 19 .
(5) شرح السنة للبغوي: 4/ 525، وانظر: الإتقان في علوم القرآن: 1/ 140.

وقد خرَّج العلماء اعتراض ابن مسعود ﷺ على اختيار زيد أنه إنما كان ذلك شيء نتيجة غضب زال بزواله، يقول القرطبي: «قال أبو بكر الأنباري: وما بدا من عبد الله بن مسعود من نكير ذلك فشيء نتيجة الغضب، ولا يعمل به ولا يؤخذ به، ولا يشك في أنه ﷺ قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان»[1].

وكان ابن مسعود ﷺ يريد أن تكون قراءته هي المعول عليها دون غيرها لما له من مزية في ذلك، وهذه طبيعة جبلية بشرية لا يكاد أحدٌ يسلم منها وخاصة بين الأقران.

يقول ابن حجر: «بل كان يريد أن تكون قراءته هي التي يعول عليها دون غيرها؛ لما له من المزية في ذلك مما ليس لغيره، كما يؤخذ ذلك من ظاهر كلامه، فلما فاته ذلك ورأى أن الاقتصار على قراءة زيد ترجيح بغير مرجح عنده اختار استمرار القراءة على ما كانت عليه»[2].

وقد رجع ابن مسعود ﷺ بعد أن زال عنه الغضب إلى الجماعة، قال ابن كثير: «وإنما روي عن عبد الله بن مسعود شيء من الغضب؛ بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف ... ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق»[3].

يقول أبو جعفر النحاس – مجيباً على سبب تقديم زيد على ابن مسعود مع أن ابن مسعود حضر العرضة – فيقول: «والجواب: عن هذا أن زيد بن ثابت قُدِّم لأشياء لم تجتمع لغيره، منها: أنه كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ومنها: أنه كان يحفظ القرآن

(1) تفسير القرطبي: 1/ 53.
(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري: 9/ 49 .
(3) فضائل القرآن لابن كثير: ص 68.

في عهد رسول الله ﷺ، ومنها: أن قراءته كانت على آخر عرضة عرضها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام، وقول النبي ﷺ في عبد الله بن مسعود – يقصد: «من أراد أن يقرأ القرآن غضاً – التأويل عند أهل العلم منهم الحسين بن علي الجعفي: أن عبد الله بن مسعود كان يرتلّ القرآن فحضّ النبي ﷺ على ترتيلٍ مثل ترتيله لا غير ... فإن قيل: فقد حضر ابن مسعود العرضة الآخرة، قيل: قد ذكرنا ما لزيد بن ثابت سوى هذا، على أن حرف عبد الله الصحيح أنه موافق لمصحفنا، يدلك على ذلك أن أبا بكر بن عياش قال: قرأت على عاصم، وقرأ عاصم على زر، وقرأ زر على عبد الله»[1].

المسألة الثانية:

رُوِيت عن ابن مسعود ﷺ قراءات شاذة مع أنه حضر العرضة الأخيرة فما وجه ذلك؟ ولماذا اختلفت قراءة زيد عن قراءة ابن مسعود مع أنهما حضرا العرضة الأخيرة؟.

أولاً: من المعلوم أن الصحابة رضوان الله عليهم قد اتخذوا مصاحف خاصة نسبت إليهم بدأت مع نزول القرآن وانتهت بالاجتماع على المصحف العثماني.

وقد كانوا يدونون فيها ما تلقوه من القرآن بأحرفه السبعة إبان نزوله، وهذه المصاحف كتبت قبل العرضة الأخيرة[2]،

وثبت أن الصحابة كانوا يدخلون فيها زيادات تفسيرية، لأمنهم من اللبس يقول ابن الجزري: « كانوا ربما يدخلون التفسير في القراءة إيضاحاً وبياناً؛ لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قرآناً، فهم آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه»[3].

---

(1) الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس: ص 484 .

(2) انظر: الإتقان في علوم القرآن: 1/ 209، ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني: 1/ 271.

(3) النشر في القراءات العشر: 1/ 44.

ثانياً: ثبت نسخ بعض الوجوه التي لم يثبت تواترها فيما بعد مما كان مدوناً في مصاحفهم في العرضة الأخيرة، مما كان مأذوناً في القراءة به قبل العرضة، ومما يدل على ذلك ما روي عن أبي يونس مولى عائشة أم المؤمنين، أنه قال: «أمرتني عائشة رضي الله عنها أن أكتب لها مصحفاً، ثم قالت: «إذا بلغت هذه الآية: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فآذني، فلما بلغتها آذنتها، فأملت عليّ: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين»، ثم قالت: سمعتها من رسول الله ﷺ«، قال البراء بن عازب ﷺ، نزلت هذه الآية: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر»، فقرأناها ما شاء الله، ثم نسخها الله، فنزلت: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [1].

ثالثاً: بعد الإجماع على المصحف العثماني، أصبحت كل قراءة تخالف رسمه مما هو موجود في مصاحف الصحابة شاذة لا يقرأ بها، وإن صحت روايتها.

يقول مكي: «ووافق اللفظ بها خط مصحف عثمان الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه، واطرح ما سواه مما يخالف خطه ... وصارت القراءة عند جميع العلماء بما يخالفه بدعة وخطأ، وإن صحت ورويت» [2].

رابعاً: استمر بعض النقلة في القراءة ببعض الأحرف المنسوبة للصحابة – حتى بعد الإجماع على المصحف العثماني – ومنهم الناقلون عن ابن مسعود ﷺ ممن لم يعلموا

(1) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب: «الدليل لمن قال الصلاة الوسطى صلاة العصر»: 2/ 122.
(2) الإبانة لمكي: ص 32.

بنسخها، أو ممن توهموا قرآنيتها وهي من الزيادات التفسيرية وهي ليست كذلك، وسقطت بعد ذلك في زمن التحرير والتحقيق وتمييز الصحيح من الشاذ.

بل إن بعض هذه القراءات الشاذة المنسوبة لبعض الصحابة كابن مسعود ﷺ والمخالفة لخط المصحف كانت قراءة صحيحة يقرءون بها، بل تمسكوا بها لأنهم سمعوها من النبي ﷺ، مع شذوذها بعد الجمع العثماني، يقول مكي: «وسقط العمل بالقراءات التي تخالف الخط فكأنها منسوخة بالإجماع على خط المصحف .. وتمادى بعض الناس في القراءة بما يخالف خط المصحف مما ثبت نقله «[1].

قال أبو شامة معلقاً على كلام مكي : «قلت: مثال هذا ما ثبت في الصحيحين من قراءة عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء: «والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى»، وقراءة الجماعة على وفق خط المصحف: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: 3]»[2].

ويقول ابن الجزري: «ونحن نقطع بأن كثيراً من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقرءون بما خالف رسم المصحف العثماني قبل الإجماع عليه من زيادة كلمة أو أكثر، وإبدال أخرى بأخرى» [3].

وعند تقسيم ابن الجزري لأنواع القراءات الشاذة ذكر القراءة التي صح سندها، ووافقت العربية وخالفت الرسم، ومثَّل لها بقراءة لابن مسعود حيث قال: «ومثالها قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء: «والذكر والأنثى»، وقراءة ابن عباس: «وكان أَمَامَهم

(1) المصدر السابق: ص 45.
(2) المرشد الوجيز لأبي شامة: ص 154.
(3) تقريب النشر لابن الجزري: 1/ 29.

مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينةٍ صَالحةٍ غَصْبا، وأما الغُلامُ فكان كَافِراً»، ونحو ذلك مما ثبت بنقل الثقات ... «.[1].

وقال في منجد المقرئين: «القسم الثاني من القراءة الصحيحة: ما وافق العربية وصح سنده وخالف الرسم كما ورد في الصحيح من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى، ونحو ذلك مما جاء عن أبي الدرداء، وعمر، وابن مسعود، وغيرهم، فهذه القراءات تسمَّى اليوم شاذّة لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه»[2] .

قال ابن عطية في المحرر: «واستمر الناس على هذا المصحف المتخير وترك ما خرج عنه مما كان كُتب سداً للذريعة وتغليباً لمصلحة الألفة، وهي المصاحف التي أمر عثمان بن عفان ﷺ أن تحرق أو تخرق، فأما ابن مسعود فأبى أن يزال مصحفه فترك، ولكن أبى العلماء قراءته سداً للذريعة، ولأنه روي أنه كتب فيه أشياء على وجهة التفسير فظنها قوم من التلاوة فتخلط الأمر فيه، ولم يسقط فيما ترك معنى من معاني القرآن لأن المعنى جزء من الشريعة، وإنما تركت ألفاظ معانيها موجودة في الذي أثبت»[3].

ويقول النووي: «وأما ابن مسعود فرويت عنه روايات كثيرة منها ما ليس بثابت عند أهل النقل، وما ثبت منها مخالفًا لما قلناه فهو محمول على أنه كان يكتب في مصحفه بعض الأَحكام والتفاسير مما يعتقد أنه ليس بقرآن، وكان لا يعتقد تحريم ذلك، وكان يراه كصحيفة يثبت فيها ما يشاء»[4].

---

(1) النشر في القراءات العشر: 1/ 14.
(2) منجد المقرئين لابن الجزري: ص 82.
(3) المحرر الوجيز لابن عطية: 1/ 32.
(4) شرح النووي على مسلم: 3/ 181.

ويقول ابن حجر الهيتمي: «القراءة الشاذة الخارجة عن رسم المصحف مثل قراءة ابن مسعود .. لا تجوز القراءة بها في الصلاة .. فإنها إن ثبتت فهي منسوخة بالعرضة الآخرة»[1].

قلت: والقراءة المتواترة التي نقلت عن ابن مسعود وزيد رضي الله عنهما ووصلت عن طريق الأسانيد الصحيحة، والمتلقاة بالسند المتصل ليس بينها اختلاف إلا ما كان من أوجه ثابتة في العرضة الأخيرة، فقراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف البزار قراءة الكوفيين المتواترة وغيرهم من العشرة ترجع في أسانيدها لابن مسعود وزيد بن ثابت وهذا يدل على الاتفاق.

يقول القرطبي: قال أبو بكر الأنباري: «إن حمزة وعاصما يرويان عن عبد الله بن مسعود ما عليه جماعة المسلمين»[2].

ويقول أبو جعفر النحاس: «فإن قيل: فقد حضر ابن مسعود العرضة الآخرة، قيل: قد ذكرنا ما لزيد بن ثابت سوى هذا، **على أن حرف عبد الله الصحيح أنه موافق لمصحفنا**، يدلك على ذلك أن أبا بكر بن عياش قال: قرأت على عاصم، وقرأ عاصم على زر، وقرأ زر على عبد الله»[3] .

---

(1) الفتاوى الكبرى -باختصار-: 4/ 418 .

(2) تفسير القرطبي: 20/ 81.

(3) الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس: ص 484 .

المبحث الرابع: العرضة الأخيرة والأحرف السبعة

نزل القرآن الكريم على سبعة أحرف كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، إرادةً للتيسير والتهوين على الأمة، وتوسعةً ورحمة من الله، تلقاها رسول الله ﷺ عن طريق الوحي، وهي نعمة من الله على عباده حيث تختلف لهجاتهم فأعطوا فسحة بالقراءة على ما اعتادت عليه ألسنتهم، وهذه الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي، بل المرْعي في ذلك السماع من النبي ﷺ قاله السيوطي[1].

جاء في حديث عمر بن الخطاب ﷺ في قصته مع هشام بن حكيم ﷺ قوله ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه»[2].

وقد تعددت الأقوال في معنى هذه الأحرف السبعة حتى بلغت أربعين قولاً، كما حكى ذلك القرطبي والسيوطي[3].

وقيل في معناها أنها سبعة أنواع من الوجوه التي يحصل بها التغاير والاختلاف في الكلمات القرءانية، قاله الرازي وابن قتيبة[4]، واختلفوا في تعيين تلك الأنواع.

وأقرب ما قيل فيها: «أن الأحرف السبعة وجوه متعددة متغايرة منزلة من وجوه القراءة، يمكنك أن تقرأ بأيٍّ منها، فتكون قد قرأت قرآناً منزلاً، وأقصى حد يمكن أن تبلغه الوجوه القرآنية المنزلة هو سبعة أوجه، وذلك في الكلمة القرآنية الواحدة...» [5].

---

(1) انظر: الإتقان في علوم القرآن: 1/ 130.

(2) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف: 6/ 228.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 1/ 31، والإتقان في علوم القرآن: 1/ 130 .

(4) انظر: مشكل تأويل القرآن: ص 36، ومعاني الأحرف السبعة للرازي ت: حسن ضياء عتر: ص 302.

(5) ذهب إليه د. عبد العزيز بن عبد الفتاح قاري في كتابه: حديث الأحرف السبعة: ص 88 .

والعرضة الأخيرة ثبت فيها النسخ لبعض هذه الأحرف السبعة، وما بقي من جملتها هو ما نتعبد الله به من أوجه القراءات القرءانية الثابتة، وهو ما جمع عثمان ﷺ الناس عليه.

يقول أبو شامة: «فالصحابة قاموا بنسخ القرآن على اللفظ المنزل، وصار الأصل ما استقرت عليه القراءة في السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ بعد ما عارضه به جبريل عليه السلام في تلك السنة مرتين، ثم اجتمعت الصحابة على إثباته بين الدفتين، وبقي من الأحرف السبعة التي كان أبيح قراءة القرآن عليها ما لا يخالف المرسوم»[1].

ويقول ابن تيمية: «إن الله نسخ بعض تلك الحروف لما كان جبريل يعارض النبي ﷺ بالقران في كل رمضان»[2].

والقراءات العشرة المتواترة تعتبر جزءاً من الأحرف السبعة المتبقية بعد العرضة الأخيرة.

يقول مكي: «إن هذه القراءات التي يقرأ بها الناس اليوم وصحت روايتها عن الأئمة هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووافق اللفظ بها خط المصحف»[3].

مسألة:

هل العرضة الأخيرة كانت بجميع الأحرف السبعة أم بحرف واحد؟.

---

(1) المرشد الوجيز لأبي شامة ـ باختصار ـ ص 89.

(2) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية: 3/ 121.

(3) الإبانة لمكي: ص 32.

من الثابت أن عرض النبي ﷺ للقرآن كان عرضاً بحروفه ووجوهه التي نزل عليها، والمأذون بقراءتها، وطريقة أدائها.

يقول أبو عمرو الداني: «.. فلما كان في العام الذي توفي فيه عرضه عليه عرضتين، فكان جبريل عليه السلام يأخذ عليه في كل عرضة بوجه، وقراءة وجه من هذه الأوجه والقراءات المختلفة»[1].

قال ابن عطية: «أباح الله تعالى لنبيه ﷺ هذه الحروف السبعة، وعارضه بها جبريل عليه السلام في عرضاته... فأقرأ مرة لأبيّ بما عارضه به جبريل، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضاً»[2].

ويقول الزركشي: «كان جبريل يأتي في كل عرضة بحرف إلى أن تمر سبعة»[3].

ويقول ابن حجر: «وكان يعيد ذلك الجزء مراراً بحسب تعدد الحروف المأذون في قراءتها»[4].

ونقل ابن حجر خلافاً في العرضة الأخيرة خاصة هل كانت بالأحرف السبعة، أم بحرف منها؟ بقوله: «واختلف في العرضة الأخيرة هل كانت بجميع الأحرف المأذون

(1) جامع البيان في القراءات السبع للداني: 1/ 119.
(2) نقله القرطبي عنه في تفسيره: 1/ 47، ولم أجده في المحرر الوجيز لابن عطيه.
(3) البرهان في علوم القرآن: 1/ 220.
(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري: 1/ 49.

في قراءتها، أو بحرف واحد منها، وعلى الثاني: فهل هو الحرف الذي جمع عليه عثمان جميع الناس أو غيره»[1].

قلت: وهذا الخلاف المذكور في العرضة الأخيرة ينشطر من خلاف مشهور في مسألة الجمع العثماني ورسم المصاحف هل كان على حرف واحد أم على ما يحتمله الرسم مما بقي من الأحرف السبعة.

فالقائلون بأن عثمان ﷺ جمع الناس على حرف واحد وهم: ابن جرير الطبري، وأبو جعفر الطحاوي، والحارث المحاسبي، وابن عبد البر ذهبوا مختلفين إلى رأيين:

الأول: منهم من يقول إن العرضة الأخيرة كانت بجميع الأحرف السبعة مع إسقاط ما نسخت تلاوته منها، وأن الأحرف لم تنسخ في حياة النبي ﷺ، وأن عثمان ﷺ هو من قصر الناس على حرف واحد وهو حرف قريش، لمسوغات منها: إنهاء الخلاف والفرقة الحاصلة بوجود الأوجه المختلفة والتي مردها إلى وجود رخصة الأحرف السبعة، ومنها: أن الأحرف السبعة كانت رخصة يجوز للأمة القراءة بما شاءت منها وترك ما شاءت.

الثاني: منهم من يقول إن العرضة الأخيرة كانت على حرف واحد وهو حرف زيد بن ثابت، وأن الأحرف نسخت في حياة النبي ﷺ، وعثمان رضي الله عنه إنما جمع الناس على هذا الحرف الثابت في العرضة الأخيرة[2].

---

(1) المصدر السابق: 9/ 44.

(2) انظر: البرهان في علوم القرآن: 1/ 213، ومناهل العرفان في علوم القرآن: 1/ 168، والكلمات الحسان في الأحرف السبعة وجمع القرآن للمطيعي: ص 146.

أشار لهذا الخلاف الزركشي في البرهان نقلاً عن القرطبي:

يقول: «ثم اختلفوا هل هي (ـ الأحرف السبعة ـ) باقية إلى الآن نقرؤها؟، أم كان ذلك أولاً ثم استقر الحال بعده على قولين:

إن القائلين بالثاني - وهو أن الأمر كان كذلك ثم استقر على ما هو الآن - هم أكثر العلماء منهم: سفيان بن عيينة، وابن وهب، والطبري، والطحاوي، ثم اختلفوا: هل استقر في حياته ﷺ (- أي: في العرضة الأخيرة -) أم بعد وفاته (ــ أي: بصنع عثمان ـ)؟، والأكثرون على الأول، واختاره القاضي أبو بكر بن الطيب، وابن عبد البر، وابن العربي، وغيرهم، ورأوا أن ضرورة اختلاف لغات العرب ومشقة نطقهم بغير لغتهم اقتضت التوسعة عليهم في أول الأمر فأذن لكل منهم أن يقرأ على حرفه، أي: على طريقته في اللغة إلى أن انضبط الأمر في آخر العهد، وتدربت الألسن وتمكن الناس من الاقتصار على الطريقة الواحدة، فعارض جبريل النبي ﷺ القرآن مرتين في السنة الآخرة واستقر على ما هو عليه الآن، فنسخ الله سبحانه تلك القراءة المأذون فيها بما أوجبه من الاقتصار على هذه القراءة التي تلقاها الناس»[1].

وأشار إلى هذا الخلاف كذلك ابن تيمية بقوله:

«فكذلك الأحرف السبعة لما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف وتتقاتل إذا لم يجتمعوا على حرف واحد، اجتمعوا على ذلك اجتماعاً سائغاً، وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة، ولم يكن في ذلك ترك لواجب ولا فعل لمحظور.

(1) البرهان في علوم القرآن: 1/ 213.

ومن هؤلاء من يقول بأن الترخيص في الأحرف السبعة كان في أول الإسلام لما في المحافظة على حرف واحد من المشقة عليهم أولاً، فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة كان اتفاقهم على حرف واحد يسيراً عليهم وهو أوفق لهم، أجمعوا على الحرف الذي كان في العرضة الآخرة، ويقولون إنه نسخ ما سوى ذلك» [1].

والذي اتفق عليه الجمهور أن العرضة الأخيرة كانت على ما أذن الله ببقائه من الأحرف السبعة، وهو ما جُمعت مصاحف عثمان واستقرت على ما تواتر منه، لم تترك منه حرفاً، وأن رسمها يحتمل ما بقي ثابتاً منها بعد العرضة الأخيرة[2].

ويدل على ذلك ما أشار إليه أبو شامة من وجود الاختلاف في القراءات بعد العرضة الأخيرة إلى أن كتبت المصاحف.

حيث يقول: «فعن عبيد السلماني قال: القراءة التي عرضت على رسول الله ﷺ في العام الذي قبض فيه، هي التي يقرؤها الناس اليوم».

قال: قلت: وهذه السنة التي أشار إليها هي ما ثبت عن رسول الله ﷺ نصاً أنه قرأه وأذن فيه على ما صح عنه .. فلأجل ذلك كثر الاختلاف في القراءة في زمانه ﷺ وبعده إلى أن كتبت المصاحف، باتفاق من الصحابة بالمدينة على ذلك»[3].

---

(1) الفتاوى الكبرى لابن تيمية: 13/ 397.

(2) انظر: معاني الأحرف السبعة للرازي: ص 319، والمرشد الوجيز لإبي شامة: ص 140، والنشر في القراءات العشر: 1/ 31.

(3) المرشد الوجيز لأبي شامة: ص 171.

يقول مكي: «فالمصحف كتب على حرف واحد، وخطه محتمل لأكثر من حرف، إذ لم يكن منقوطاً، ولا مضبوطاً، فذلك الاحتمال الذي احتمل الخط هو من الستة الأحرف الباقية»[1].

القول الثالث: ما يفهم منه التوقف، وقد ذهب إليه أبو عمرو الداني، وغيره.

يقول أبو عمرو الداني: «وإنّا لا ندري حقيقة أيّ هذه السبعة الأحرف كان آخر العرض، أو آخر العرض كان ببعضها دون جميعها، وأن جميع هذه السبعة أحرف قد كانت ظهرت واستفاضت عن رسول الله ﷺ وضبطتها الأمة على اختلافها عنه، وتلقّيها منه، ولم يكن شيء منها مشكوكاً فيه ولا مرتاباً به»[2].

ويقول القاضي عياض: «ولا يمكن القراءة بهذه السبعة فى ختمة واحدة ، ... ولا يُدرى أى هذه السبعة أحرف .. كان آخر العرض على النبي ﷺ، وكلها مستفيضة عن النبي ﷺ»[3].

(1) الإبانة لمكي: ص 34.
(2) جامع البيان في القراءات السبع للداني: 1/ 129.
(3) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: 3/ 106.

الفصل الثاني: آثار العرضة الأخيرة

المبحث الأول: أثر العرضة الأخيرة في جمع القرآن الكريم

من المعلوم أن القرآن الكريم جمع في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، ثم في عهد عثمان بن عفان ﷺ، وكان لكل جمع بواعثه وميزاته، فالباعث لجمع القرآن في عهد أبي بكر ﷺ خشية أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفظته، وذلك حين استحرَّ القتل بالقراء في حروب الرِّدَّة، وأمَّا جمعه في عهد عثمان ﷺ فلكثرة الاختلاف في وجوه القراءة[1].

أولاً: الجمع البكري والعرضة الأخيرة:

ومن الثابت المعلوم عند العلماء أن مصحف أبي بكر ﷺ مشتمل على الأحرف السبعة التي نزل القرآن الكريم عليها، وأنه تم فيه تحري الدقة، بحيث لم يجمع في تلك الصحف إلا ما تأكد من صحته وعدم نسخ تلاوته..

يقول أبو عمرو الداني في أرجوزته[2]: عن جمع أبي بكر ﷺ.

وجمع القرآن في الصحائف ... ولم يميز أحرف التخالف

بل رسم السبع من اللغات ... وكل ما صح من القِرات

ويقول أبو شامة: «وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ، لا من مجرد الحفظ»[3].

---

(1) انظر: البرهان في علوم القرآن: 1/ 233، الإتقان في علوم القرآن: 1/ 163.

(2) الأرجوزة المنبهة لإبي عمرو الداني: ص 110.

(3) المرشد الوجيز لإبي شامة: ص:57.

يقول الزركشي: «كانت المصاحف ـ زمن الصديق ـ بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن ... ولم يحتج الصحابة في أيام أبي بكر وعمر إلى جمعه على وجه ما جمعه عثمان لأنه لم يحدث في أيامهما من الخلاف فيه ما حدث في زمن عثمان»[1].

وأما بخصوص اعتماد العرضة الأخيرة في الجمع البكري فهناك رأيان:

فأولاً: يرى بعضهم أن الجمع البكري اقتصر على ما ثبتت قرآنيته من الأحرف السبعة بثبوت عرضه في العرضة الأخيرة، فكان شاملاً لما بقي من الأحرف السبعة، ولم يكن فيه شيء مِمَّا نُسِخَت تلاوته[2].

يقول البغوي: «جمع الله تعالى الأمة بحسن اختيار الصحابة على مصحف واحد، وهو آخر العرضات على رسول الله ﷺ، كان أبو بكر الصديق ﷺ أمر بكتبته، جمعاً بعد ما كان مفرقاً في الرقاع؛ ليكون أصلاً للمسلمين، يرجعون إليه ويعتمدون عليه، وأمر عثمان بنسخه في المصاحف، وجمع القوم عليه، وأمر بتحريق ما سواه قطعا لمادة الخلاف»[3].

(1) البرهان في علوم القرآن: 1/ 239.
(2) انظر: البرهان في علوم القرآن: 1/ 236، الإتقان في علوم القرآن: 1/ 164.
(3) شرح السنة للبغوي: 4/ 511.

ويقول الألوسي: «نعم أسقط زمن الصديق ما لم يتواتر، وما نسخت تلاوته وكان يقرؤه من لم يبلغه النسخ، وما لم يكن في العرضة الأخيرة، ولم يأل جهداً ﷺ في تحقيق ذلك »[1].

ثانياً: وهناك من يرى أن اعتماد العرضة الأخيرة والاقتصار على ما ثبت فيها لم يكن سوى في الجمع العثماني.

يُفهم هذا من قول مكي بن أبي طالب، وأبي شامة، وابن الجزري، حيث يقول ابن الجزري:

«والحق ما تحرر من كلام الإمام محمد بن جرير الطبري، وأبي عمر بن عبد البر، وأبي العباس المهدوي، ومكي بن أبي طالب القيسي، وأبي القاسم الشاطبي، وابن تيمية، وغيرهم، وذلك أن المصاحف التي كتبت في زمن أبي بكر ﷺ كانت محتوية على جميع الأحرف السبعة، فلما كثر الاختلاف، وكاد المسلمون يكفر بعضهم بعضاً أجمع الصحابة على كتابة القرآن العظيم على العرضة الأخيرة التي قرأها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام عام قبض»[2].

ويقول الباقلاني: «لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أُثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كُتِب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه»[3].

---

(1) روح المعاني للألوسي: 1/ 26.

(2) منجد المقرئين لابن الجزري: ص 88.

(3) نقله الزركشي في البرهان في علوم القرآن: 1/ 236، والسيوطي في الإتقان في علوم القرآن: 1/ 164.

قلت: ومن خلال التأمل فإن جمع أبي بكر الصديق ﷺ وهو جمع ما تفرق قد اقتصر على ما لم تنسخ تلاوته، وتجرد مما ليس بقرآن بثبوت عرضه في العرضة الأخيرة [1].

يقول البيهقي: «ولم يُعرف أنه أثبت في المصحف الأول (مصحف أبي بكر) ولا فيما نُسِخ عنه شيء سوى القرآن، فبذلك ينبغي أن يعمل في كتابة كل مصحف»[2].

وكان من بلوغ الغاية في الدقة والتحري أن لا يُكتب شيء إلا بشاهدين، وقد قيل: المقصود بالشاهدين أن يشهدا أنه مما عرض في العرضة الأخيرة.

فقد أخرج ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: «قدم عمر فقال: من كان تلقَّى من رسول الله ﷺ شيئاً مِن القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان»[3].

قال السيوطي: «المراد أنَّهما يشهدان على أن ذلك مِمَّا عُرض على النبي ﷺ عام وفاته»[4].

وقد تولى جمع القرآن في عهد أبي بكر ﷺ زيد بن ثابت ﷺ وكان لاختياره مؤهلات تحققت فيه ومنها حضوره للعرضة الأخيرة.

---

(1) انظر: البرهان في علوم القرآن: 1/ 236، والإتقان في علوم القرآن: 1/ 164، وجمع القرآن الكريم حفظاً وكتابة د. علي العبيد: 1/ 50.

(2) شعب الإيمان للبيهقي: 4/ 217.

(3) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ص: 62، وقال ابن حجر في الفتح: «رجاله ثقات مع انقطاعه» 9/ 14 .

(4) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 163.

قال البغوي: «يقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي بين فيها ما نسخ وما بقي، وكتبها لرسول الله وقرأها عليه، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه وولاه عثمان كتب المصاحف»[1].

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: «كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة كانوا يقرءون القراءة العامة وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان زيد قد شهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات ولذلك اعتمده الصديق في جمعه وولاه عثمان كتبة المصحف»[2].

ثانياً: الجمع العثماني والعرضة الأخيرة:

وأما الجمع العثماني فكان من أولى أهدافه وأبرز سماته هو رد الاختلاف في القراءات، وجمع الناس على ما كان ثابتاً منها في العرضة الأخيرة.

فكانت العرضة الأخيرة أساساً، وقاعدة بارزة، ومحوراً رئيساً في آلية الجمع العثماني.

قال السيوطي: «ولا شك أن القرآن نُسخ منه في العرضة الأخيرة وغُيِّر، فاتفق الصحابة على أن كتبوا ما تحققوا أنه قرآن مستقرٌّ في العرضة الأخيرة، وتركوا ما سوى ذلك»[3].

---

(1) شرح السنة للبغوي: 4/ 525، وانظر: الإتقان في علوم القرآن: 1/ 140.

(2) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي: 1/ 237.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 1/ 140.

وقد اعتبر عثمان ﷺ الصحف التي جمعها زيد بن ثابت ﷺ في عهد أبي بكر الصديق ﷺ أساسًا في نسخ المصاحف، حيث أمر عثمان بن عفان ﷺ بإحضارها من حفصة بنت عمر أم المؤمنين - رضي الله عنها وعن أبيها - حيث قال لها: «أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك»[1].

وقد كون لجنة لذلك ومنهم زيد بن ثابت ﷺ، وأمرهم بنسخ المصاحف، وقد تمت الكتابة برسم يحتمل ما ثبت من الأحرف السبعة في العرضة الأخيرة.

ومُنع من كتابة ما نُسخت تلاوته، وما لم يكن في العرضة الأخيرة، وما كانت روايته آحادًا، وما لم تُعلم قرآنيته، أو ما ليس بقرآن، كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة، شرحًا لمعنىً، أو بيانًا لناسخ أو منسوخٍ، أو نحو ذلك[2].

ومِمَّا يدل لذلك ما ورد عن محمد بن سيرين عن كَثِير بن أفلَحَ قال: «فكانوا إذا تدارؤوا في شيء أخَّروه، قال محمد: فقلت لكَثِيرٍ -وكان فيهم (فيمن يكتب): هل تدرون لم كانوا يُؤَخِّرونه؟ قال: لا. قال محمد: فظننت أنَّهم إنَّما كانوا يُؤَخِّرونه لينظروا أحدثهم عهدًا بالعرضة الآخرة، فيكتبونَها على قوله»[3].

يقول ابن كثير: «وعثمان ﷺ جمع قراءات الناس على مصحف واحد ووضعه على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله ﷺ في آخر رمضان»[4].

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن: 6/ 226.

(2) انظر: البرهان في علوم القرآن: 1/ 235-236، ومناهل العرفان في علوم القرآن: 1/ 260.

(3) أخرجه بن أبي داود في المصاحف: ص 104، وابن كثير في فضائل القرآن: ص 85، وقال: «صحيح».

(4) فضائل القرآن لابن كثير: ص 86.

ويقول ابن حجر: وقد روى أحمد، وابن أبي داود، والطبري من طريق عبيدة بن عمرو السّلماني أن الذي جمع عليه عثمان الناس يوافق العرضة الأخيرة»[1].

وعن سمرة ﷺ قال: «عرض القرآن على رسول الله ﷺ عرضات فيقولون: إن قراءتنا هذه هي العرضة الأخيرة»[2]، أي: التي جمع عليها عثمان رضي الله عنه الناس توافق العرضة الأخيرة.

العرضة الأخيرة وترتيب السور:

وأما ترتيب السور الذي عليه في المعارضة فقد اختلف فيه، فذكر الكرماني أن ترتيب المعارضة كان على ترتيب السور الموجود في المصحف الآن فيقول:

«أول القرآن سورة الفاتحة، ثم البقرة، ثم آل عمران، على هذا الترتيب إلى سورة الناس، وهكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ، وهو على هذا الترتيب كان يعرضه عليه الصلاة والسلام على جبريل عليه السلام كل سنة»[3].

ووافقه في ذلك أبو بكر الباقلاني، وجزم به ابن الأنباري، نقل ذلك ابن حجر بقوله: قال القاضي أبو بكر الباقلاني: «...كان النبي ﷺ يعارض به جبريل في كل سنة، فالذي يظهر أنه عارضه به هكذا على هذا الترتيب ـ ترتيب المصحف الآن ـ وبه جزم ابن الأنباري»[4].

---

(1) فتح الباري لابن حجر: 9/ 44.
(2) سبق تخريجه.
(3) البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني: 1/ 22.
(4) فتح الباري لابن حجر: 9/ 42.

ثم قال ابن حجر معقباً على ذلك: «وفيه نظر بل الذي يظهر أنه كان يعارضه به على ترتيب النزول»[1].

المبحث الثاني: أثر العرضة الأخيرة في القراءات

إن من المعلوم بل من المقطوع به أن كثيراً من أوجه القراءات والتي جاء الإذن بالقراءة بها بنص أحاديث الأحرف السبعة قد نُسخت في العرضة الأخيرة.

والصحابة رضوان الله عليهم لم يقرءوا من أوجه القراءات إلا ما ثبت في العرضة الأخيرة.

يقول ابن الجزري: «والصحابة كتبوا في هذه المصاحف ما تحققوا أنه قرآن وما علموه استقر في العرضة الأخيرة وما تحققوا صحته عن النبي ﷺ مما لم ينسخ»[2].

ومما يدل على ذلك أنه قد صحّت قراءات عن صحابة النبي ﷺ ولا نرى لها وجوداً، بل أصبحت أوجهاً يحكم بشذوذها بعد العرضة الأخيرة، فهي محمولة على ما كان مأذوناً به من أحرف قبل العرضة ومن ذلك:

ما ثبت في الصحيحين عن أبي الدرداء وابن مسعود - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قرأ: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى)[3].

---

(1) المصدر السابق: 9/ 42.

(2) النشر في القراءات العشر: 1/ 45.

(3) سورة الليل، الآية: 1 – 3، والحديث أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: «والنهار إذا تجلى»: 6/ 211، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب ما يتعلق بالقراءات: 2/ 206.

وكذلك ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عمر ﷺ أنه قال: «كان مما أنـزل الله آيـة الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها»[1].

وعن عبد الرحمن بن عوف أن عمر بن الخطاب خطب الناس فسـمعته يقـول: «ألا وَإنّ أناساً يقولون: ما بالُ الرجم؟ في كتاب الله الجلدُ، وقد رَجَم رسول الله ﷺ ورَجَمنـا بعده، ولولا أن يقول قائلون -أو يتكلم متكلمون -أن عمر زاد في كتـاب الله مـا لـيس منه لأثبتها كما نزلت» [2].

وقال في البرهان - معلّقاً على قول عمر-: «لولا أن يقول الناس زاد عمـر في كتـاب الله لكتبتها يعني آية الرجم» .. قد يقال لو كانت التلاوة باقية لبادر عمر ولم يعرج عـلى مقالة الناس، لأن مقالة الناس لا تصلح مانعاً»[3].

ومما يعدّ من ذلك ما روي من أحرفٍ عن ابن مسعود وأبيّ وغيرهم مما خالف خـط المصحف وشذّت القراءة بها.

عن أبي موسى الأشعري ﷺ: قال: «إنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشـدة ببراءة فأنسيتها، غير أني أحفظ منها: «لو كان لابن آدم واديان مـن مـال لابتغـى واديـا ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»[4].

---

(1) الحديث: أخرجه البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفـر والـردة، بـاب: رجـم الحـبلى مـن الزنـا إذا أحصنت 8/ 208.

(2) الحديث: أخرجه النسائي في السنن الكبرى: 6/ 410، وأحمد في المسـند: 1/ 29، وقـال محققـه شـعيب الأنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(3) البرهان في علوم القرآن: 2/ 36.

(4) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب: لو أن لابن آدم واديين لابتغى الثالث»: 3/ 100.

وهذا يدل على أن ما ثبت في العرضة الأخيرة من أوجه هو ما استوعبته المصاحف العثمانية ولم تترك منه شيئاً، بل هو ما رواه الأئمة العشرة، وما عداه فهو الشاذ المنطرح بالعرضة الأخيرة.

يقول ابن الجزري: «وقول من قال إن القراءات المتواترة لا حد لها إن أراد في زماننا فغير صحيح لأنه لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشر، وإن أراد في الصدر الأول فيحتمل إن شاء الله»[1].

وبهذا يتبين أن العرضة الأخيرة مرحلة من مراحل التحول في القراءات، بل هي ميزان من موازين القبول والرد، ومرحلة من مراحل شذوذ كثير من القراءات التي لم تثبت فيها، فما لم يثبت فيها يعتبر شاذاً، وهو كثير جداً مقارنة بالثابت، ومن هنا تتجلى قيمة العمل الجليل الذي قام به عثمان ﷺ حيث جمع الناس على هذا الثابت.

يقول ابن الجزري: «فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشرة بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الأعصار الأول قل من كثر، ونزر من بحر، فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين، وذلك أن القراء الذين أخذوا عن أولئك الأئمة المتقدمين من السبعة وغيرهم كانوا أمماً لا تحصى، وطوائف لا تستقصى، والذين أخذوا عنهم أيضاً أكثر وهلم جرا»[2].

وهذا يدل على أن الأحرف السبعة نسخ منها ما نسخ في العرضة الأخيرة، ولا يمكن القول للمتحقق بأن المنسوخ هو المميز بكذا، أو المعدود بكذا والمتبقي هو ما عليه

(1) منجد المقرئين لابن الجزري: ص 18.
(2) النشر في القراءات العشر: 1/ 46.

لسان كذا، بل نستطيع أن نقول بأنه نُسخ من الأحرف السبعة ما نسخ في العرضة الأخيرة وبقي منها ما بقي بعد العرضة، وهو ما جمع عثمان ﷺ الناس عليه.

المبحث الثالث: أثر العرضة الأخيرة في المصاحف العثمانية

من المعلوم عند علماء القراءات أن المصاحف العثمانية اعتمدت العرضة الأخيرة أساساً في عملها، وقاعدة انطلقت منها فما ثبت في العرضة الأخيرة هو ما يحتمله رسم هذه المصاحف، وما لم يثبت خالف رسم تلك المصاحف في غالبه، ولذلك أصبحت موافقة الرسم العثماني ركناً من أركان قبول القراءة.

وقد اختلف علماء القراءات في كون المصاحف العثمانية تشمل الأحرف السبعة كلها، أم بعضاً منها، وقد علمنا سابقاً أن العرضة الأخيرة كانت مكاناً للنسخ والتغيير في الأحرف السبعة، ولذلك ذهب جمهور العلماء إلى أن المصاحف العثمانية اشتملت على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة التي ثبتت في العرضة الأخيرة جامعة لها.

يقول السيوطي: «ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أنها مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل، متضمنة لها لم تترك حرفاً منها .... ولا شك أن القرآن نسخ منه في العرضة الأخيرة وغيّر فاتفق الصحابة على أن كتبوا ما تحققوا أنه قرآن مستقر في العرضة الأخيرة وتركوا ما سوى ذلك»[1].

(1) الاتقان في علوم القرآن: 1/ 139.

قال ابن الجزري: «وهذا القول هو الذي يظهر صوابه، لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له...».

ثم قال: «فكتب الصحابة المصاحف على لفظ لغة قريش والعرضة الأخيرة، وجردوا المصاحف عن النقط والشكل لتحتمله صورة ما بقي من الأحرف السبعة»[1].

فكتابة المصاحف العثمانية تمت بشكل يجمع ما ثبت من الأحرف السبعة في العرضة الأخيرة، وعلى رسم الكلمات - التي بها عدة أوجه- بطريقة يجعلها محتملة لأن تقرأ بكل تلك الأوجه، وقد ساعد على ذلك عدم التشكيل، وعدم التنقيط.

يقول الزرقاني: «كتابتها بطريقة كانت تجمع وجوه القراءات المختلفة، والأحرف التي نزل عليها القرآن بعدم إعجامها وشكلها ومن توزيع وجوه القراءات على المصاحف إذا لم يحتملها الرسم الواحد.

وتجريدها من كل ما ليس قرآناً، كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحاً لمعنى أو بياناً لناسخ ومنسوخ، أو نحو ذلك.

ثم قال: «وقد استجاب الصحابة لعثمان فحرقوا مصاحفهم، واجتمعوا جميعاً على المصاحف العثمانية، حتى عبد الله بن مسعود الذي نقل عنه أنه أنكر أولاً مصاحف عثمان وأنه أبى أن يحرق مصحفه رجع وعاد إلى حظيرة الجماعة حين ظهر له مزايا تلك المصاحف العثمانية واجتماع الأمة عليها وتوحيد الكلمة بها» [2].

---

(1) النشر في القراءات العشر: 1/ 44.

(2) مناهل العرفان للزقاني: 1/ 261.

ورد في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ قوله: «حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحفِ ردّ عثمانُ الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق» [1].

وقد صرح أكثر من واحد من أئمة السلف بأن المصاحف العثمانية قد كتبت على ما استقر في العرضة الأخيرة، يقول ابن الجزري: «فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله ﷺ، كما صرح به غير واحد من أئمة السلف كمحمد بن سيرين، وعبيدة السلماني، وعامر الشعبي، قال علي بن أبي طالب ﷺ: لو وليت في المصاحف ما ولي عثمان لفعلت كما فعل»[2].

وقد أجمعت الأمة على هذه المصاحف العثمانية، وقرأت بمضمونها، وتركت ما خالفها.

يقول في ذلك ابن الجزري: «وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف، وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذوناً فيه توسعة عليهم، ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن، وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله، وثبت تلاوته عن النبي ﷺ»[3].

زيادات في المصاحف العثمانية خارجة عن العرضة الأخيرة.

علّل ابن الجزري الاختلاف الحاصل بين المصاحف العثمانية بأنهم أدخلوا في المصاحف ما ثبت أنه قرآن وإن لم يكن داخلاً في العرضة الأخيرة.

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن: 6/ 225.
(2) النشر في القراءات العشر: 1/ 16.
(3) النشر في القراءات العشر: 1/ 9.

قال: «ولذلك اختلفت المصاحف بعض اختلاف، إذ لـو كانـت العرضـة الأخـيرة فقط لم تختلف المصاحف بزيادة ونقص، وغير ذلك، وتركوا ما سوى ذلك».

وقال: «ثم إن الصحابة رضي الله عنهم لما كتبوا تلك المصاحف جرّدوها مـن الـنقط والشكل ليحتمله ما لم يكن في العرضة الأخيرة مما صح عن النبي ﷺ»[1].

قلت: ولعل هذا القول من ابن الجزري مرده إلى القول بأن الحرف الذي كانت عليه العرضة الأخيرة هو حرف واحد من الأحرف السبعة وهو حـرف زيـد، وقـد قـررت سابقاً أن هذا القول مرجوح، وأن ما عليه التحقيق أن العرضة الأخيرة كانـت عـلى مـا تبقى من الأحرف السبعة، وما تواتر منها، وما عليه المصاحف العثمانيـة مـن اخـتلاف بزيادة أو نقص داخل فيما بقي من الأحرف السبعة، ولو كانت العرضـة الأخـيرة عـلى حرف واحد لما اختلفت المصاحف؟، ثم إن ابن الجزري قبل قليل يقـرر أن المصـاحف العثمانية كتبت على اللفظ الذي استقر في العرضة الأخيرة، واستوعبتها ولم تـترك منهـا حرفاً؟.

(1) المصدر السابق: 1/ 45.

الخاتمة

وبعد فإنني أحمد الله عز وجل على ما منّ به عليّ ووفقني به من إتمام تحرير هذا البحث: «**العرضة الأخيرة دلالتها وأثرها**».

ومِن خلال معايشتي لهذا البحث، ثم وقُوفي على فصوله وجزئياته ومحاولتي للاستناد إلى كثير مما أستطيع الاعتماد عليه من أقوال ونقولات لأهل العلم موثقة فإني أسجّل للقارئ الكريم أهم النتائج والتوصيات التي توصّلت إليها فأقول: ــ مستعيناً بالله ـ

1- إن المعول عليه في حفظ القرآن وتعلم قراءاته هو التلقي والمشافهة من أفواه المشايخ والمقرئين، ومدارسة القرآن الكريم عن طريق السماع والعرض.

2- إن المعارضة وهي مدارسة جبريل عليه السلام القرآن الكريم للنبي ﷺ كل عام في رمضان هي مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى، ليبقى ما بقي، ويذهب ما نسخ.

3- إن رمضان شهر القرآن وتخصيصه بالمدارسة والمعارضة ملائم له، وقراءة القرآن فيه أفضل من سائر الأذكار.

4- إن القرآن نسخ منه وغير فيه في العرضة الأخيرة فقد صح النص بذلك عن غير واحد من الصحابة، وشهد من شهد ما نسخ منه وما بدل.

5- إن العرضة الأخيرة هي بمثابة تأكيد المحفوظ، والاعتماد النهائي للمقروء والذي لن يطرأ عليه نسخ أو تبديل، ولذلك استشعر منها النبي ﷺ قرب الأجل.

6- إن العرضة الأخيرة كانت أساساً وقاعدة بارزة ومحوراً رئيساً في آلية الجمع البكري والعثماني، واختيار زيد بن ثابت في كلا الجمعين يدل على ذلك إذ من ميزات اختياره شهوده العرضة.

7- إن الذي جمع عليه عثمان ﷺ الناس هو ما يوافق العرضة الأخيرة.

8- إن المصاحف العثمانية كتبوا فيها ما تحققوا أنه قرآن وما علموه استقر في العرضة الأخيرة، وما تحققوا صحته عن النبي ﷺ مما لم ينسخ.

9- إن ما ثبت في العرضة الأخيرة من أوجه هو ما استوعبته المصاحف العثمانية ولم تترك منه شيئاً، بل هو ما رواه الأئمة العشرة، وما عداه هو الشاذ المنطرح.

10- أوصي قراء القرآن ومقرئيه بالأخذ بحكم المعارضة والمدارسة النبوية واعتمادها منهجية علمية في إقرائهم وتدريسهم.

وأسأل الله أن يجعل عمَلي خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به وعموم المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المراجع:

- **القرآن الكريم**، برواية حفص عن عاصم.
- **الإبانة عن معاني القراءات**، لمكي بن أبي طالب القيسي، (ت437هـ)، تحقيق: د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط. الثالثة، 1405هـ، المكتبة الفيصلية: مكة المكرمة.
- **الإتقان في علوم القرآن**، لجلال الدين السيوطي، (ت911هـ)، تحقيق: سعيد المندوه، دار الفكر، بيروت ط . الأولى 1416 هـ .
- **الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها**، د. حسن ضياء الدين عتر، (رحمه الله) دار البشائر الإسلامية، ط. الأولى 1409هـ.
- **الأرجوزة المنبهة**، لعثمان بن سعيد ـ أبو عمرو الداني (ت 444)، تحقيق: محمد بن مجقان الجزائري، دار المغني، الرياض ط. الأولى 1420هـ.
- **إكمال المعلم شرح صحيح مسلم** – للقاضي عياض، أبي الفضل عياض اليحصبي (ت544 هـ)، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء. ط. الأولى 1419هـ.
- **البرهان في توجيه متشابه القرآن**، محمود بن حمزة بن نصر برهان الدين الكرماني، (ت: نحو 505هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار النشر: دار الفضيلة الطبعة الثانية ، 1396هـ.ـ
- **البرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ط: الثانية.

- **تأويل مشكل القرآن**، للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (276ه)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية، بيروت.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمد بن محمد الزبيدي، (ت 1205ه) ت: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- **تاريخ المدينة لابن شبة**، زيد بن عمر بن شبة النميري، (ت 262ه)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، ط. الأولى 1399 ه.
- **التحديد في الإتقان والتجويد**، لعثمان بن سعيد – أبو عمرو الداني (ت 444ه)، ت: د. غانم قدوري الحمد، الناشر: مكتبة دار الأنبار، بغداد الطبعة: الأولى 1407 ه.
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (حرف الجيم).
- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب (حرف الميم).
- **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، (774ه)، دار الفكر، ومراجعة نخبة من العلماء بدار الكتب المصرية.
- **تقريب التهذيب**، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852ه)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة، بيروت، ط: الثانية 1395ه.
- **جامع البيان في القراءات السبع**، لعثمان بن سعيد – أبو عمرو الداني (ت 444ه)، تحقيق: مجموعة محققين طبع جامعة الشارقة، ط: الأولى 1428ه.
- الجامع الصحيح = سنن الترمذي (حرف السين).

- الجامع الصحيح للبخاري = صحيح البخاري (حرف الصاد).
- الجامع الصحيح لمسلم = صحيح مسلم (حرف الصاد).
- **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت671هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط: الأولى، 1414هـ.
- **جمال القراء وكمال الإقراء**، لعلم الدين السخاوي، (ت643هـ)، تحقيق: د. على حسين البواب، مطبعة المدني القاهرة، ط: الأولى 1408هـ.
- **جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة**، أ. د. علي بن سليمان العبيد، الناشر: مجمع الملك لطباعة المصحف الشريف. بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالسعودية.
- **جمع القرآن الكريم من العصر النبوي إلى العصر الحديث د.** محمد شرعي أبو زيد، رسالة ماجستير، جامعة الكويت 1424هـ.
- **حديث الأحرف السبعة**. د عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، دار النشر الدولي، الرياض ط. الأولى 1412هـ.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، لجلال الدين السيوطي،(ت911هـ)، دار الفكر، بيروت، ط: الأولى 1993م.
- **دلائل النبوة**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت458هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى 1410هـ.

- **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**، لجلال الدين السيوطي، (ت911هـ)، تحقيق: أبو إسحاق الجويني، دار ابن عفان، الخبر.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني**، لأبي الفضل محمود الألوسي، (ت1270هـ)، دار إحياء التراث، بيروت.
- **السبعة في القراءات**، للإمام أبي بكر بن مجاهد، البغدادي، (ت324هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثانية.
- **سنن ابن ماجة**، لمحمد بن يزيد، (ت 375هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- **سنن الترمذي**، لمحمد بن عيسى الترمذي، (279هـ)، ومعه شرحه: تحفة الأحوذي للمباركفوري، مطبعة المدني، القاهرة، ط. القاهرة، ط: الثانية 1384هـ.
- **سنن سعيد بن منصور**، أبي عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت 227هـ)، تحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: الدار السلفية الهند، ط الأولى، 1403هـ.
- **سنن النسائي الكبرى**، أحمد بن علي، (ت303هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت 1411هـ.
- **سير أعلام النبلاء**، لمحمد بن أحمد الذهبي، (ت748هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وزملائه، مؤسسة الرسالة، ط: الحادية عشرة 1419هـ.

- **شرح النووي على صحيح مسلم**، لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ.
- **شرح صحيح البخارى لابن بطال** أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ.
- **شرح السنة للبغوي**، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (ت 516هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م.
- **شرح مشكل الآثار**، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، (ت 321هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ط. الأولى 1408هـ.
- **شعب الإيمان**، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت458هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى 1410هـ.
- **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.
- **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل، (ت256هـ)، مع فتح الباري، تصحيح وتحقيق: محبّ الدين الخطيب، وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الشعب، القاهرة، ط: الأولى 1407هـ.

- **صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، (ت354هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية 1414هـ.
- **صحيح ابن خزيمة**، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (ت 311هـ)، ت: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت.
- **صحيح مسلم**، لأبي الحسين بن مسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت 261هـ)، مع شرحه: المنهاج شرح مسلم للنووي، دار إحياء التراث العرب، بيروت، ط: الثانية 1392هـ.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بدر الدين العيني الحنفي، (855ه)، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت.
- **الفتاوى الكبرى لابن تيمية**، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1408ه.ـ
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت ، 1379هـ.
- **فضائل القرآن**، للقاسم بن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلاّم البغدادي، (ت 224هـ) ت: مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدينـدار، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، 1420هـ

- **فضائل القرآن**، لابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن كثير، (774هـ)،، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة : الطبعة الأولى - 1416 هـ.
- **فضائل القرآن وتلاوته** للرازي، أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن (ت 454هـ)، ت: عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
- **القراءات القرءانية وما يتعلق** بها، د. فضل حسن عباس، دار النفائس، عمان، الأردن، ط. الأولى 1428هـ.
- **الكلمات الحسان في الأحرف السبعة وجمع القرآن**، محمد بخيت المطيعي (ت1338هـ)، نشر دار الصحابة بطنطا، ط. الأولى: 1430هـ.
- **لسان العرب**، لجمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، (ت711هـ)، دار صادر، بيروت، ط: الأولى 2000م .
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807هـ)، تحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، (ت546هـ)، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، مطابع فضالة بالمحمدية، المغرب، ط: الثالثة 1403هـ.

- **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة، (ت665هـ)، تحقيق: طيار آلتي قولاج، دار وقف الديانة التركي، أنقرة، ط: الثانية 1406هـ.
- **المستدرك على الصحيحين**، لمحمد بن عبد الله الحاكم، (ت405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1411هـ.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (ت241هـ)، إشراف: د. عبد الله عبد المحسن التركي، والشيخ: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثانية 1420هـ.
- **المصاحف**، لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان السجستاني (ت 316هـ)، تحقيق: محمد بن عبده، الناشر: الفاروق الحديثة ـ مصر، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ.
- **المصاحف المنسوبة للصحابة** والرد على الشبهات المثارة حولها، محمد بن عبد الرحمن الطاسان، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الأولى 1433هـ.
- **مصنف ابن أبي شيبة**، أبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت235هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، 1409هـ.
- **مفاتيح الغيب** ، للإمام فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، (ت 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت. ط. الثالثة 1420هـ.

- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، لأبي العباس أحمد ابن الشيخ أبي حفص عمر بن إبراهيم الحافظ، الأنصاري القرطبي، (ت 656هـ)، تحقيق: محي الدين مستو، دار ابن كثير.
- **المقدمات الأساسية في علوم القرآن**، عبد الله بن يوسف الجديع، الناشر: مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة: الخامسة 1432هـ.
- **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، لعثمان بن سعيد - أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ) تحقيق: نورة بنت حسن الحميد، الناشر: دار التدمرية، الرياض، ط. الأولى 1431هـ.
- **معاني القرآن**، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، (ت207هـ)، بتحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، دار السرور.
- **معاني الأحرف السبعة**، للرازي، أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن (ت 454هـ)، ت: د. حسن ضياء الدين عتر (رحمه الله)، الناشر: دار النوادر سورية الطبعة: الأولى، 1433هـ.
- **معجم مصطلحات علمي التجويد والقراءات**، أ د إبراهيم بن سعيد الدوسري الناشر: دار الحضارة للنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1429 هـ.
- **معجم مصطلحات علم القراءات، لعبد العلي المسؤول**، دار السلام، مصر، الطبعة الثانية 1432هـ.

- **معجم علوم القرآن**، إبراهيم محمد الجرمي الناشر: دار القلم ـ دمشق الطبعة: الأولى، 1422 هـ.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت 1367هـ)، الناشر مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة
- **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، لأبي الخير محمد ابن الجزري، (ت833هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، ط: الأولى 1419هـ.
- **النشر في القراءات العشر**، لأبي الخير محمد ابن الجزري، (ت833هـ)، تصحيح: الشيخ علي محمد الضباع، دار الفكر للطباعة.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، ت: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ.
- **الوجيز في حكم تجويد الكتاب العزيز**، د. محمد بن سيدي محمد محمد الأمين، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1422 هـ.
- **الوسيلة إلى كشف العقيلة**، للشيخ علم الدين أبي الحسن السخاوي (643هـ)، مكتبة الرشد، ط. الأولى: 1423هـ.

فهرس المجلد الأول

البحث	رقم الصفحة
ديباجة المؤتمر	5
المحور الأول: تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن	11
حديث القرءان عن تلقي النبي ﷺ القرءان د.رضا عبد المجيد المتولي إبراهيم ـ مصر	13
المنهج النبوي في التلقي القرآني د. عبد السلام مقبل عبده غالب (المجيدي) ـ اليمن	75
تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرءان الكريم د. أيمن صبحي صديق ـ مصر/ د. يوسف عبادي ـ مصر	169
المنهج النبوي في تلقي ألفاظ القرءان الكريم وتعاهده د. محمد مصطفى أحمد شعيب ـ مصر	243

آيـة التلـقي في القـرءان الكـريم: دراسـة في المفهـوم اللغـوي والتوظيف السياقي 345

د. عدنان أجانة ـ المغرب

ظاهرة التخميس والتعشير في نزول القـرءان وأثرهـا في طرائـق التلقي الأول 379

د. عمر حمدان ـ ألمانيا

عرض القرآن في عهد النبي ﷺ: صوره وأنواعه 431

ذ. محمد سعيد بكران ـ اليمن

تعاهد القرءان الكريم في العهد النبوي: عرض ودراسة 479

د. سعيد بن محمد بن سعد الشهراني ـ السعودية

جبريل عليه السلام والتلقي النبوي 527

د. حمود بن غزاي الحربي ـ السعودية

دلالات حديث المعارضة والمدارسة وسياقاته 577

د. شكري مجولي ـ تونس ـ بريطانيا

العرضة الأخيرة: دلالتها وأثرها 613

د. ناصر بن سعود القثامي ـ السعودية